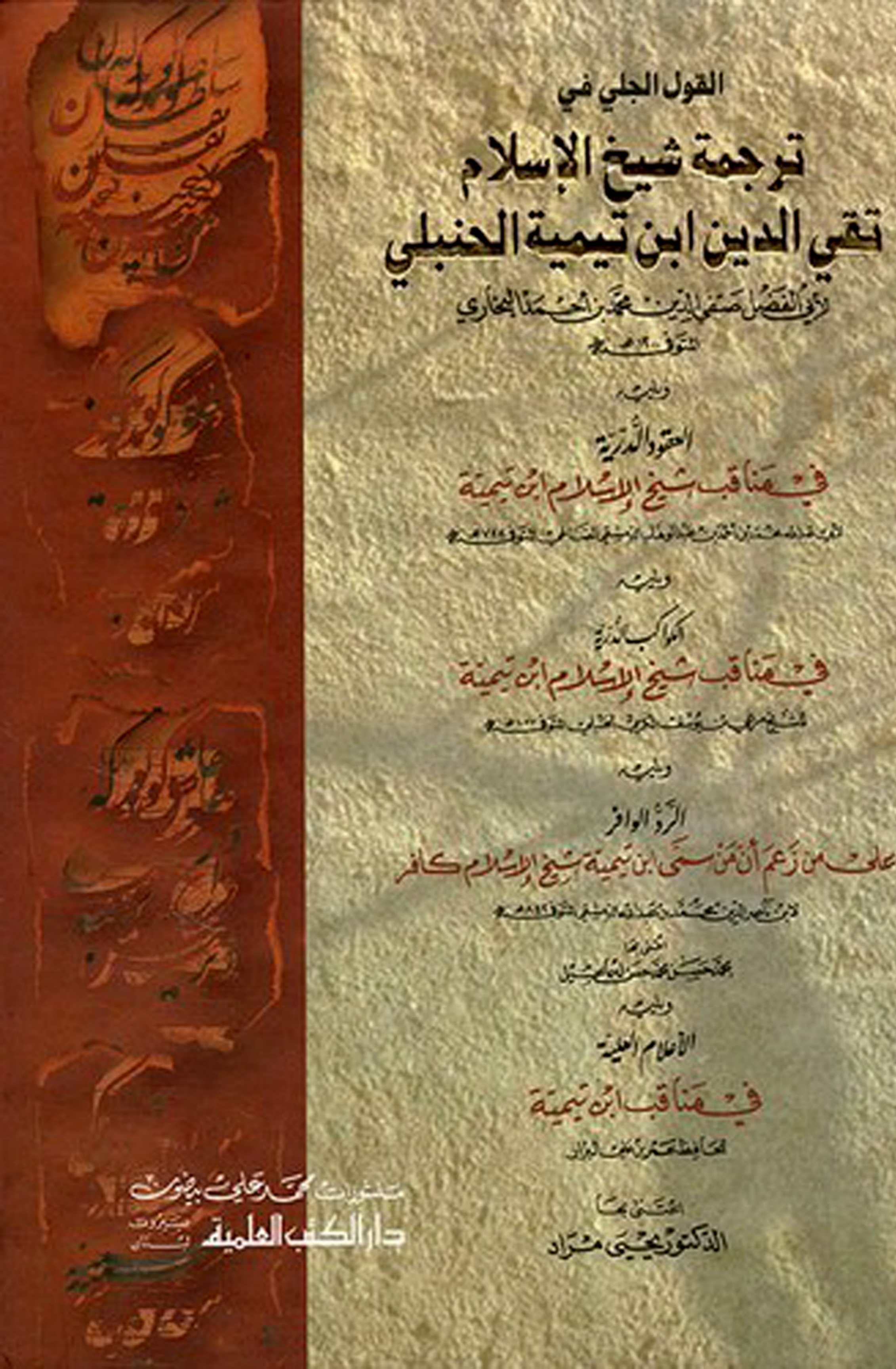

القول الجلي في
ترجمة شيخ الإسلام
تقي الدين ابن تيمية الحنبلي
لأبي الفضل صفي الدين محمد بن أحمد البخاري
ويليه
العقود الدرية
في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية
ويليه
الكواكب الدرية
في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية
ويليه
الرد الوافر
على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر
ويليه
الأعلام العلية
في مناقب ابن تيمية
للحافظ عمر بن علي البزار
اعتنى بها
الدكتور يحيى مراد
منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م ـ ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban



المقدمة

ترجمة المصنف

هو: صفي الدين البخاري، محمد بن أحمد بن خير الله، أبو الفضل، صفي الدين الحنفي الأثري، الحسيني البخاري، ولد سنة ١١٥٤ هـ، فاضل من أعلم أهل الشام بالحديث في عصره، أصله من بخارى، سكن نابلس بفلسطين، وتوفي فيها بالطاعون، توفي سنة ١٢٠٠هـ، له القول الجلي [وهو كتابنا]، ولم يذكر إلا هذا الكتاب. (انظر الأعلام للزركلي٦/١٥).

ولقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة مطبعة كردستان العلمية بمصر المحمية سنة (١٣٢٩هـ).

القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي(١) للعالم العلامة والمحدث الفهامة السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس عليه رحمة الكريم الباري مع تقريظه

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية. ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ، شيخ الإسلام ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونقل إلى الإسكندرية ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١١هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق ثم أعيد ومات معتقلاً بقلعة دمشق فخرجت دمشق كلها في جنازته. الدرر الكامنة (١/١٤٤)، البداية والنهاية (١٤/١٣٥)، النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧١)، الأعلام (١/١٤٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام العلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس- رحمه الله تعالى- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) فهذا جزء لطيف في ترجمة شيخ الإسلام وبركة الأنام علم الزهاد وأوحد العباد سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن الخضر ابن تيمية الحراني نزيل دمشق- رحمه الله تعالى- لخصته مما اجتمع عندي من كلام الفقهاء والمحدثين رجاء للثواب ونفعًا للأحباب (وسميته) القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي (فأقول) وبالله التوفيق ولد -رحمه الله تعالى- في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في التفسير، وأفتى ودرس وله نحو العشرين، وصنف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر وفَسَّر كتاب الله تعالى مدة سنين وكان يتوقد ذكاءً، وسمع من الحديث أكثره، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير. وأما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيرًا، ويدري جملة صالحة من اللغة وعربيته قوية جدًا ومعرفته بالتفسير والتاريخ فعجب عجيب. انتهى ملخصًا من كلام شيخ الإسلام أبي عبد الله الذهبي[1] فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي[2]. قال الحافظ الذهبي الدمشقي الشافعي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر[3] هو من أهل الاستقراء

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله. حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني في الأصل. ولد سنة ٦٧٣هـ وتوفي سنة (٧٤٨). الدرر الكامنة (٣/٣٣٦)، الأعلام (٥/٣٢٦).

(٢) ابن ناصر الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيس الدمشقي الشافعي، شمس الدين. حافظ للحديث مؤرخ أصله من حماة ولد في دمشق سنة ٧٧٧هـ وقتل شهيدا في إحدى قرى دمشق سنة ٨٤٢هـ. شذرات الذهب (٧/٢٤٣)، الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)، الأعلام (٦/٢٣٧).

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين. مولده سنة ٧٧٣هـ بالقاهرة ووفاته ٨٥٢ هـ بالقاهرة. الضوء اللامع (٢/٣٦)، البدر الطالع (١/٨٧)،

التام في نقده الرجال، وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي[١] فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين المذكور وهو يعني الحافظ ابن تيمية أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم. وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي[٢] في فتاويه في حديث (كنتُ نبيًا وآدم بين الماء والطين) وفي حديث (كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين) حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين، وناهيك به اطلاعًا وحفظًا أقر له بذلك المخالف والموافق. قال: وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد استحضارًا للمتون وعزوها منه، وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة. وقال حافظ الإسلام الحبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزي الشافعي[٣] فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين ما رأيت مثله يعني ابن تيمية، ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا أتبع لهما منه. انتهى. وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي. وقال الشيخ الإمام بغية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي[٤]، لما اجتمع به وسمع كلامه كنت أظن أن الله تعالى ما

= الأعلام (١/١٧٨).

(١) الجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين. نشأ في القاهرة يتيمًا ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ولد سنة (٨٤٩هـ). وتوفي سنة (٩١١هـ). الكواكب السائرة (١/٢٢٦)، شذرات الذهب (٨/٥١)، الضوء اللامع (٤/٦٥)، الأعلام (٣/ ٣٠١).

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين. مؤرخ وعالم بالحديث والتفسير والأدب ولد سنة (٨٣١ هـ) وتوفي سنة (٩٠٢هـ) ، شذرات الذهب (٨/١٥)، الكواكب السائرة (١/٥٣)، الأعلام (٦/١٩٤).

(٣) الحافظ المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي. محدث الديار الشامية في عصره ولد سنة (٦٥٤هـ) بظاهر حلب وتوفي في دمشق سنة (٧٤٢ هـ). الدرر الكامنة (٤/٤٥٧)، النجوم الزاهرة (١٠/٧٦)، الأعلام (٨/٢٣٦).

(٤) ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، قاض مجتهد من أكابر العلماء بالأصول، ولد سنة (٦٢٥هـ)، وتوفي سنة (٧٠٢هـ). الدرر الكامنة (٤/٩١)، فوات الوفيات (٢/٢٤٤)، الأعلام (٦/٢٨٣).

بقي يخلق مثلك. وقال أيضًا رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد ذكره الحافظ المذكور. وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي[١]، وبالجملة كان- رحمه الله تعالى- من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب، ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي وخطؤه أيضًا مغفور له لما صَحَّ في صحيح البخاري[٢] (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد، فأخطأ فله أجر) وقال الإمام مالك بن أنس[٣] (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبرﷺ). وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق، وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدًا فلا التفات إلى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني[٤].

نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذي بسببه. ومع أنه خالف الأئمة الأربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو إن كان خطأً فاحشًا فلا يوجب التفسيق فافهم. (فإن قلتَ) ما ذكره الإمام الحافظ ابن كثير مبني على أن الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد، وأنَّى له بهذه المرتبة، وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل؟ (قلتُ) قد نص على أنه قد بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الشيخ الإمام أبو عبد الله الذهبي[٥] فيما ذكره ابن ناصر[٦] والحافظ ابن حجر كما سيأتي. والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير بن صفر بن درع القرشي البصروي الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين. حافظ ومؤرخ وفقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ. الدرر الكامنة (١/٣٧٣)، البدر الطالع (١/١٥٣)، شذرات الذهب (٦/٢٣١، البداية والنهاية ١٤/٣٢٤، الأعلام (١/٣٢٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله. حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة (٢٥٦هـ). تذكرة الحفاظ (٢/١٢٢)، تهذيب التهذيب (٩/٤٧)، الوفيات (١/٤٥٥)، الأعلام (٦/٣٤).

(٣) الأمام مالك، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحمدي، أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل الهجرة وإليه تنسب المالكية
مولده ووفاته بالمدينة، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

(٤) تقي الدين الحصني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني فقيه ورع من أهل دمشق، ولد سنة ٧٥٢هـ، وتوفي سنة (٨٢٩هـ). فوات الوفيات (٢/٢٥٤)، الدرر الكامنة (٤/١١٥)، النجوم الزاهرة (٩/٢٣٣)، الأعلام (٦/٣١٤).

(٥) سبق ذكره.

(٦) سبق ذكره.

فيما أحفظ، ولم يتفرد بمسألة منكرة قط، وإن كان قد خالف الأئمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين، ومن أشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر إلى زيارة القبور، وقد قال به قبله أبو عبد الله بن بطة الحنبلي[1] في الإبانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى.

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الإسلام الحافظ الهمام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي ما نصه: ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارًا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق، ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتي بسفك دمه مع شدة المتعصبين -عليه رحمة الله- من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية. ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية فكيف لا ينكر على من أطلق عليه أنه كافر بل من أطلق على من سَمَّاه بشيخ الإسلام الكفر، وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك؛ فإنه شيخ الإسلام بلا ريب، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادًا، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه. ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو الأكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه والذي أخطأ فيه لا يقلد فيه أي كمسألة الزيارة والطلاق بل هو معذور؛ لأن أئمة عصره شهدوا بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصبين عليه والقائمين في إيصال الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني[2] يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل[3] الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم الناس قيامًا على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر فيا

(١) ابن بطة، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد العكبري. عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة من أهل عكبرا مولدًا ووفاة، ولد سنة (٣٠٤ هـ)، وتوفي سنة (٣٨٧هـ). صفات الحنابلة (١٤٤/٢)، الأعلام (١٩٧/٤).

(٢) الزملكاني، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري، أبو المكارم، كمال الدين. ويقال له ابن الخطيب الزملكاني وليَّ قضاة صرخد، ولد سنةهـ، وتوفي سنة ٦٥١هـ.

(٣) ابن الوكيل، محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله صدر الدين بن المرحل. ولد بدمياط وانتقل مع أبيه إلى دمشق وأقام مدة في حلب وتوفي بالقاهرة. ولد سنة ٦٦٥هـ، وتوفي سنة ٧١٦هـ.

قرة أعينهم إذا سمعواْ تكفيره ويا سروروهم إذا رأواْ من يكفره من أهل العلم، فالواجب على من تلبس بالعلم، وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من السنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قصد النصح ويثني عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء ولو لم يكن للشيخ تقي الدين(١) من المناقب إلا تلميذه الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية(٢) صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته. فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم وأئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة(*)، فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو على ما سَمَّاه شيخ الإسلام لا يلتفت إليه ولا يعول في هذا المقام عليه، بل يجب ردعه عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويذعن للصواب. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل حسبنا الله ونعم الوكيل.

(وقال) شيخ الإسلام صالح بن شيخ الإسلام عمر البلقيني(٣)- رحمه الله تعالى- فيما كتبه على الكتاب المذكور ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي(٤) في ثناء الأئمة

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين. من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ. الدرر الكامنة (٣/٤٠٠)، شذرات الذهب (٦/١٦٨).

(*) ومما وجد في كتاب كتبه قاضي القضاة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ الذهبي في حق الشيخ تقي الدين ما صورته وأما قول سيدي في الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائمًا وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل مع ما جمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان انتهى من شرح ألفية الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي في التاريخ له- رحمهم الله تعالى- كذا نقلته من خط الإمام أبي الطيب العلامة الرئيس السيد صديق حسن خان أبقاه الله تعالى. كاتبه الحقير الفقير أبو الشرف محمد ابن الشيخ حسين الأنصاري- عفا الله عنهما-. اهـ. من هامش الأصل.

(٣) البلقيني، صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي. شيخ الإسلام، قاضٍ، من العلماء بالحديث والفقه. مصري ولي قضاء الديار المصرية سنة ٨٢٥-٨٢٧هـ، ولد سنة (٧٩١هـ)، وتوفي ٨٦٨ هـ. الضوء اللامع (٣/٣١٢)-٣١٤، الأعلام (٤/١٩٤).

(٤) تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر. قاضي القضاة، المؤرخ، =

عليه بأن الحافظ المزي[١] لم يكتب لفظة شيخ الإسلام إلا لأبيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين أبي عمر[٢]. فلولا أن ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ما قرن ابن السبكي أباه معه في هذا المنقبة التي نقلها، ولو كان ابن تيمية مبتدعًا أو زنديقًا ما رضي أن يكون أبوه قرينًا له. نعم قد ينسب الشيخ تقي الدين لأشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق، وأفرد كلاً منهما بتصنيف ليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلاً. (وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبرﷺ) والسعيد من عدت غلطاته وانحصرت سقطاته. ثم إن الظن بالشيخ تقي الدين أنه لم يصدر ذلك منه تهورًا وعدوانًا حاشا لله بل لعله لرأي رآه وأقام عليه برهانًا، ولم نقف إلى الآن بعد التتبع والفحص على شيء من كلامه يقتضي كفره ولا زندقته، إنما وقفت على ما رده أهل البدع والأهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته في العلم والدين وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر/٩]. وصَحَّ (أن رسول الله ﷺ قال:"ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا"، وفي رواية (حق كبيرنا[*]). وكيف يجوز أن يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه. انتهى. (قلتُ) وسنذكر- إن شاء الله تعالى- قريبًا ما يكون صريحًا في تنزيهه عما نسب إليه من التشبيه والتجسيم، وقال القاضي عبد الله التفهني الحنفي[٣]- عامله الله بلطفه الخفي- فيما كتبه على الكتاب المذكور، وإن الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان على ما نقل إلينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم

الباحث، ولد في القاهرة وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها. ولد سنة (٧٧١هـ)، وتوفي سنة (٨٢٧هـ). الدرر الكامنة (٢/٤٢٥)، حسن المحاضرة (١/١٨٢)، الأعلام (٤/١٨٤).

(١) سبق ذكره.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(*) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/١٣١) — ج (٢٠٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم. والترمذي (٤/٣٢١) — ج (١٩١٩)، وأبو داود (٤/٢٨٦) — ج (٤٩٤٣). والربيع في مسنده (١/٢٣١) — ج (٥٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢١٤) — ج (٣٥٣٥٩)، والبزار في مسنده (١٥٧-١٥٨) — ح (٢٧١٨)، والصيداوي في معجم الشيوخ (١/٢٤٨). والإمام أحمد في مسنده (٢/١٨٥) — ح (٦٧٣٣).

(٣) لم يتم العثور على ترجمة.

الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق عالما متقنًا متفننًا متقللاً من الدنيا معرضًا عنها متمكنًا من إقامة الأدلة على الخصوم وحافظًا للسنة عارفًا بطرقها عالمًا بالأصلين: أصول الدين وأصول الفقه قادرًا على الاستنباط في تخريج المعاني لا يلومه في الله لومة لائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم. قال فمن كان متصفًا بهذه الأوصاف كيف لا يلقب بشيخ الإسلام بأي معنى أريد منه؟ قال: وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألتي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه مشهورة والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الإيمان، وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على أن المخطئ فيها مجتهدًا يثاب لا يكفر ولا يفسق إلى آخر ما قال.

وقال شيخ الإسلام العيني الحنفي[1] فيما كتب على الكتاب المذكور وما هم- أي المنكرون- على ابن تيمية- رحمه الله تعالى- إلا صلقع بلقع سلقع والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة وهيان بن بيان. وهي بن بي وضل بن ضل. وضلال ابن التلال. ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم عرانين الأفاضل ومن جم براهين الأماثل. قال وهو الذاب عن الدين طعن الزنادقة والملحدين والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين وللمأثورات عن الصحابة والتابعين فمن قال إنه كافر فهو كافر حقيقي ومن نسبه إلى الزندقة فهو زنديق وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه إلى الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألتي الزيارة والطلاق إلا عن اجتهاد سائغ بالإنفاق والمجتهد في الحالين مأجور مثاب، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب قال ولا ريب أنه كان شيخًا لجماعة من علماء الإسلام ولتلامذة من فقهاء الأنام، فإذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الإسلام؛ لأن من كان شيخًا للمسلمين يكون شيخًا للإسلام.

وقال شيخ الإسلام البساطي المالكي[2]: وأما قول من قال إنه يعني ابن تيمية كافر، وإن من

---

(١) بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي. مؤرخ، من كبار المحدثين أصله من حلب ومولده في عينتاب أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. ولد سنة ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ. شذرات الذهب (٧/٢٨٦)، أعلام النبلاء (٥/٢٥٥)، الأعلام (٧/ ١٦٣).

(٢) البساطي، محمد بن أحمد بن عثمان الطائي، أبو عبد الله، شمس الدين. فقيه مالكي من القضاة ولد في بساط من الغبية بمصر. تولى القضاء بالديار المصرية سنة ٨٢٣هـ واستمر ٢٠ سنة لم يعزل إلى أن مات. ولد سنة ٧٦٠هـ، وتوفي سنة ٨٤٢هـ. شذرات الذهب (٧/٢٤٥)، الضوء اللامع (٧/٥)، الأعلام (٥/٣٣٢).

قال في حقه أنه شيخ الإسلام كافر، فهذه مقالة تقشعر منها الجلود وتذوب لسماعها القلوب، ويضحك إبليس اللعين عجبًا بها ويشمت، وتنشرح لها أفئدة المخالفين وتتثبت ثم يقال له لو فرضنا أنك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني؟ وكيف تصح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آتٍ بعدك إلى يوم القيامة، وهل يمكنك أن تدعي أن الكل اطلعوا على ما اطلعت أنت عليه، وهل هذا إلا استخفاف بالحكام وعدم مبالاة ببنى الأيام. والواجب أن يطلب هذا القائل ويقال له: لم قلت؟ وما وجه ذلك؟ فإن أتى بوجه لا يخرج به شرعًا عن العهدة بأن كان واهيًا برح به تبريحًا يردع أمثاله عن الإقدام على أعراض المسلمين. اهـ.

(قلتُ) فتأمل- رحمك الله- كلام هؤلاء الأعلام في مدح هذا الإمام، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم، أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام.

فصل في ذكر شيء من كلام الشيخ فيما يتعلق بالعقيدة

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- في عقيدته الواسطية: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. (قلتُ) وتفسير كلامه أنه يجب الإيمان بجميع المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة كاليد والوجه والاستواء والنزول على وجه يليق به- تعالى- فلا يكيف بشيء منها، ولا يمثل بصفات المخلوقين كما هو مذهب السلف ومن تبعهم من الخلف. فلا يقال يد كيدنا أو وجه كوجهنا أو استواء كاستوائنا أو نزول كنزولنا بل يداه صفته بلا كيف وكذا وجهه وهكذا فَقِسْ في سائر الصفات والأفعال فقوله من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل، وقد ذكر الشيخ هذا القول في غير موضع، ومقصوده بذلك نفي الجهة والجسمية.

وقال الشيخ في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد اعتقاد السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ونهى عن المعصية وكرهها. والعبد فاعل حقيقة والله خالق فعله وأن الإيمان والدين قول وعمل يزيد وينقص وأن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بالذنوب، ولا نخلد في النار من أهل الإيمان أحدًا وأن الخلفاء بعد الرسول ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي- رضي الله تعالى عنهم- ومرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة ومن قدم عليًا على عثمان فقد أزرى

بالمهاجرين والأنصار.

(قلتُ) فهذه العقيدة بعينها عقيدة السلف والأئمة الأربعة والماتريدية والأشاعرة، إلا أن الماتريدية خالفوه في قوله يزيد وينقص والأشاعرة أثبتواْ بعض الصفات كالسمع والبصر وأولواْ الكلام في نحو اليد والوجه وسنذكر- إن شاء الله تعالى- كلام أصحابنا في حكم المتشابه، وكذا كلام الأشاعرة فيه فستراه موافقًا لكلام هذا الإمام.

وقال الشيخ فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين[1] في الرد الوافر ومذهب السلف والأئمة الأربعة وغيرهم إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وليس لأحد أن يضع عقيدة ولا عبارة من عند نفسه بل عليه أن يتبع ولا يبتدع ويقتدي ولا يبتدي. وقال الشيخ فيما نقله عنه شيخ الإسلام العيني ما نصه ومن جملة ما سئل عنه أي ابن تيمية وهو على كرسيه يعظ الناس والمجلس غاص بأهله في رجل يقول ليس إلا الله ويقول الله في كل مكان هل هو كفر أم إيمان فأجاب على الفور من قال إن الله تعالى بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين بل هو مخالف للملل الثلاث بل الخالق- سبحانه وتعالى- بائن من المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل هو الغني عنها البائن بنفسه منها، وقد اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدين أن قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير، ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ولا أنه بذاته في كل مكان بل هو سبحانه وتعالى مع كل شيء بعلمه وقدرته ونحو ذلك فالله سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان يسمع كلامه ويرى أفعاله ويعلم سره ونجواه رقيب عليهم مهيمن عليهم بل السموات والأرض وما بينهما كل ذلك مخلوق الله تعالى ليس الله بحال في شيء منها ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل فلا تمثل صفاته بصفات خلقه ومذهب السلف إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل. وقد سئل الإمام مالك -رضي الله عنه- عن قوله تعالى﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. قال العيني[2]: فهذا الإمام كما رأيت عقيدته وكاشفت سريرته، فمن كان على هذه العقيدة كيف ينسب لله الحلول والاتحاد والتجسيم أو ما يذهب إليه أهل

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

الإلحاد. انتهى.

وقال في كتاب "الرد على النصارى" وهو من كتبه المشهورة: إن الله تعالى إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه إضافة يختص بها ويمتنع أن يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين، وقد قال مع ذلك أنه ليس كمثله شيء وأنه لم يكن له كفوًا أحد، وأنكر أن يكون له سَمِي، فإن من فهم من هذه ما يختص به المخلوق قد أتى من سوء فهمه ونقص عقله لا من قصور في بيان الله ورسوله، ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة، فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدث باضطراب أو كتاب فمن نفس أتى وليس فوق قولنا علم الله ما يدل على ذلك وكذلك من فهم من قوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ﴿وَمَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ما يختص بالمخلوق من جوارحه وأعضائه فمن نفسه أتى. فليس في ظاهر هذا اللفظ ما يدل على ما يختص به المخلوق كما في سائر الصفات، وكذلك إذا قال ثم استوى على العرش من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق كما يفهم من قوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك، فمن نفسه أتى فظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف إلى الله تعالى كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف إلى العبد، وإذا كان المستوى ليس مماثلاً للمستوى لم يكن الاستواء مماثلاً للاستواء، وإذا كان العبد فقيرًا إلى ما استوى عليه محتاجًا إلى حمله، وكان الرب غنيًا عن كل ما سواه، والعرش وما سواه فقير لله وهو الذي يحمل العرش وحملة العرش لم يلزم أن يكون إذا كان الفقير محتاجًا إلى ما استوى عليه الغني أن يكون الغني عن كل شيء وكل شيء محتاج إليه محتاجًا إلى ما استوى عليه، وليس في ظاهر كلام الله ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة إلى حامل وغير ذلك. بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ لكن إذا تخيل المتخيل في نفسه أن الله مثله تخيل أن يكون استواؤه كاستوائه، وإذا عرفت أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله علم أن استواءه ليس كاستوائه ولا مجيئه كمجيئه كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه وما بين الأسماء من المعنى العام الكلي كما بين قولنا حي حي وعالم عالم وهذا المعنى الكلي العام المشترك لا يوجد عامًا كليًا مشتركًا إلا في العلم والذهن، وإلا فالذي خارج أمر يختص بالموصوف فصفات الرب مختصة به، وصفات المخلوق مختصة به ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق. وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور: والذي اتفقت عليه الرسل وأتباعهم ما جاء به القرآن والتوراة من أن الله موصوف بصفات الكمال وأن ليس كمثله شيء فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين مع إثبات ما أثبته لنفسه من الصفات ولا يدخل في صفاته ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل فيها وقال في موضع

آخر من الكتاب المذكور مخاطبًا للنصارى أن المسلمين أطلقواْ ألفاظ النصوص وأنتم أطلقتم ألفاظًا لم يرد بها نص، والمسلمون قد قرنواْ بتلك الألفاظ ما جاء به النص من نفي التمثيل وأنتم لم تقرنواْ بألفاظكم ما ينفى ما أثبتموه من التثليث والاتحاد. وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور إن غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالاً منكم عقلاً وشرعًا وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم وإذا كان هؤلاء خيرًا منكم فكيف تشبهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء من أهل السنة في المسلمين الذين لا يقولون لا بتمثيل ولا تعطيل. وقال بعد كثير من أسطر: وأما كفار المجسمة فهؤلاء أعدل وأقل كفرًا من النصارى، ثم قال وتقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفرهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذين يحكي عنهم أن الله تعالى ينزل إلى الأرض عشية عرفة فيعانق المشاة ويصافح الركبان، وأنه يتمشى في الأرض يكون موطئ أقدامه مروجًا ونحو ذلك. ثم قال: ومن غلاة المجسمة اليهود من يحكي عنه أنه قال إن الله بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، وأنه ندم حتى عض يده وجرى منها الدم، وهذا كفر واضح فانظر- رحمك الله تعالى- إلى هذه النصوص الصريحة في تكفير المجسمة فكيف ينسب التجسيم إلى من يكفر المجسمة قوله غلاة المجسمة وهم الذين يقولون إن الله جسم كالأجسام وأما من قال إن الله تعالى جسم لا كالأجسام فليس بكافر عند الجمهور بل هو ضال مبتدع.

(فصل) إذا عرفت كلامه في العقيدة مما يتعلق بالصفات فلا بأس بأن نذكر لك من كلام غيره من السلف والخلف ما يوافق كلامه فنقول وبالله التوفيق: قال الإمام الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي[1]- رحمه الله تعالى- في عقيدته التي قال في أولها هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[2] وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري[3] وأبي عبد الله محمد بن الحسن

---

(١) الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي، أبو جعفر. من صعيد مصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفيًا، رحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ. ولد سنة ٢٣٩هـ، وتوفي سنة ٣٢١هـ. البداية والنهاية (١١/٧٤)، الأعلام (١/٢٠٦).

(٢) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء الكوفي، إمام الحنفية، أصله من أبناء فارس ولد ونشأ بالكوفة. ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ. النجوم الزاهرة (٢/١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ١٠٧)، الأعلام (٨/٣٦).

(٣) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي. صاحب الإمام أبو حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ، وتوفي سنة ١٨٢هـ. النجوم الزاهرة (٢/ =

الشيباني[1]- رضوان الله عليهم أجمعين- وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين ما نصه: والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى أو علمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه كما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله -عز وجل- ولرسوله ﷺ ورد على ما اشتبه عليه إلى عالمه ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظاهر التسليم والاستسلام. ثم قال ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم؛ إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه. قلت: فهذا اعتقادنا سلفًا وخلفًا كما بيناه في جزء مفرد ونقلنا فيه نصوص أئمتنا من السلف والخلف على نحو ما ذكرناه ورويناه فيه على من زعم من أهل عصرنا أن أصحابنا الماتريدية يقولون بالتأويل وقال الشيخ الإمام إبراهيم بن حسن الكردي المدني الشافعي[2] في إتحاف الذكاء بشرح التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ ما نصه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري[3] الإمام في أصول الدين- رحمه الله تعالى وشكر سعيه- سلك هذه الطريقة أعني الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه بليس كمثله شيء في كتابه المسمى بالإنابة في أصول الديانة وهو آخر مصنفاته والمعول عليه من بين كتبه كما ذكره الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر الشافعي[4] في تبيين كذب المفتري والحافظ ابن تيمية في الفتاوى التدمرية فلنورد منه ما

---

١٠٧)، البداية والنهاية (١٠/١٨٠)، الأعلام (٨/١٩٣).

(١) الشيباني، محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبيد الله. من موالي بني شيبان، نشر علم أبي حنيفة، أصله من قرية حرسته في غوطة دمشق وولد بواسط، ولد سنة ١٣١هـ، وتوفي سنة ١٨٩هـ. الوفيات (١/ ٤٥٣)، البداية والنهاية (١٠/٢٠٢)، النجوم الزاهرة (٢/١٣٠)، الأعلام (٦/٨٠).

(٢) الكوراني، إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهداني الشهرزودي، برهان الدين. مجتهد من فقهاء الشافعية عالم بالحديث، ولد سنة ١٠٢٥هـ، وتوفي سنة ١١٠١هـ. البدر الطالع (١/١١)، الأعلام (١/٣٥).

(٣) أبو الحسن الأشعري، على بن إسماعيل بن إسحاق. من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وتوفي ببغداد. ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ. طبقات الشافعية (٢/٢٤٥)، البداية والنهاية (١١/١٨٧)، الأعلام (٤/٢٦٣).

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين الدمشقي المؤرخ، الحافظ، محدث

يقتضيه المقام إزاحة لشبهات أهل الأوهام فنقول وبالله التوفيق: قال في الإبانة قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسوله وما جاء به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئًا وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/٥]. وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤]، وقال لما خلقت بيدي وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[القمر ١٤]، ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج وندين أن الله يرى بالإبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ويراه المؤمن كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ وأن الله تجلى للجبل فجعله دكًا وندين بأنه يقلب القلوب وأن القلوب بين إصبعين من أصابعه، ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدين وأن الرب يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ وسائر ما نقوله وأثبتوه خلافًا لما قال أهل الزيغ والتضليل ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول إن الله يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر/٢٢]. وأن الله تعالى يقرب من عباده كيف يشاء كما قال ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق/١٦]. وكما قال ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم ٨، ٩]. انتهى. ما يتعلق بنقله ملتقطًا قال مثلاً إبراهيم[1] وفيه تصريح بالإيمان بجميع المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بجلال ذات الله تعالى كما يدل قوله بلا كيف في اليدين والعينين وقوله ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ في القرب من عباده وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري واستدل اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير فمن فَسَّر شيئًا منها أو قال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ورفاق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء ومن

=

الديار الشامية. ولد سنة ٤٩٩هـ، وتوفي سنة ٥٧١هـ. طبقات الشافعية (٤/٢٧٣)، البداية والنهاية (١٢/٢٩٤)، الأعلام (٤/٢٧٣).

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

طريق الوليد بن مسلم[١] عنهم سألت الأوزاعي[٢] ومالكًا[٣] وليث بن سعد[٤] عن الأحاديث التي فيها الصفات فقالوا أمرها كما جاءت بلا كيف وأخرج ابن أبي حاتم[٥] في مناقب الإمام الشافعي[٦] عن يونس بن عبد الأعلى[٧] سمع الشافعي يقول لله أسماء وصفات لا يسمع أحدًا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية ولا الفكر فنثبتُ هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ واستدل البيهقي[٨] بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري[٩] عن

---

(١) الحافظ الأموي، الوليد بن مسلم الأموي الدمشقي، أبو العباس. عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. ولد سنة ١١٩هـ، وتوفي سنة ١٩٥هـ. تذكرة الحفاظ (١/٢٧٨)، الأعلام (٨/١٢٢).

(٢) الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وتوفي في بيروت. ولد سنة ٨٨هـ، وتوفي سنة ١٥٧هـ. الوفيات (١/٢٧٥)، الأعلام (٣/٣٢٠)، شذرات الذهب (١/١٤١).

(٣) سبق ذكره.

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث. إمام أهل مصر في عصره حديثًا وفقهًا، أصله من خراسان ومولده في قلشقندة ووفاته في القاهرة، ولد سنة ٩٤هـ، وتوفي سنة ١٧٥هـ. وفيات الأعيان (١/٤٨٣)، تهذيب التهذيب (٨/٤٥٩)، تذكرة الحفاظ (١/٢٠٧)، الأعلام (٥/٢٤٨).

(٥) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد حافظ للحديث كان منزله في درب حنظلة بالري. ولد سنة ٢٤٠هـ، وتوفي سنة٣٢٧هـ. تذكرة الحفاظ (٣/ ٤٦)، فوات الوفيات (١/٢٦٠)، طبقات الحنابلة (٢/٥٥)، الأعلام(٣/٣٢٤).

(٦) الإمام الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة وحمل منها إلى مكة. ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ. تذكرة الحفاظ (١/٣٢٩)، تهذيب التهذيب (٩/٢٥)، طبقات الشافعية (١/١٨٥)، الأعلام (٦/٢٠٤).

(٧) الصدفي، يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى. من كبار الفقهاء، انتهت إليه رياسة العلم بمصر، صحب الشافعي وأخذ عنه ولد سنة ١٧٠هـ، وتوفي سنة ٢٦٤هـ. تهذيب التهذيب (١١/٤٢٠)، طبقات السبكي (١/٢٧٩)، الأعلام (٨/٢٦١).

(٨) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر. من أئمة الحديث، ولد في خروجرد ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة. ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفى سنة ٤٥٨هـ.

(٩) أحمد بن أبي الحواري، اسمه ميمون الدمشقي. توفي في رجب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. حلية الأولياء (٦/٢٥٦)، معجم البلدان (٢/٤٨٧)، البداية والنهاية (٨/٣٢٩)، مولد العلماء ووفياتهم (٢/٥٤٠).

سفيان بن عيينة[١] كل ما وصف الله به نفسه في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عنه ومن طريق أبي بكر الضبعي مذهب أهل السنة في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/٥] قال بلا كيف قال الحافظ[٢] والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريق الشافعي[٣] وأحمد بن حنبل[٤] قلت وهي طريقة مطابقة لإمامنا أبي حنيفة[٥] ومالك[٦] أيضًا وهي المختارة عند أصحابنا الماتريدية قال الحافظ وقال ابن عبد البر[٧] أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفواْ شيئًا منها. وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالواْ من أقربها فهو مشبه فسمواْ من أقربها معطلة.

وقال إمام الحرمين[٨] في الرسالة النظامية: اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنة وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله- عز وجل- والذي نرتضيه رأيًا وندين لله تعالى به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتمًا فلا شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة. قال الحافظ: وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد. محدث الحرم المكي من الموالى ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها ، ولد سنة ١٠٧هـ، وتوفي سنة ١٩٨هـ. تذكرة الحفاظ (١/٢٤٢)، صفة الصفوة (٢/١٣٠)، الأعلام (٣/١٠٥).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) الإمام ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي. إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ. صفة الصفوة (٢/١٩٠)، الأعلام (١/٢٠٣).

(٥) سبق ذكره.

(٦) سبق ذكره.

(٧) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر. من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ ولد بقرطبة وتوفي بشاطبة، ولد سنة ٣٦٨ هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ. وفيات الأعيان (٢/٣٤٨)، الصلة (٦١٦)، الأعلام (٨/٢٤٠).

(٨) إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين. أعلم المتأخرين ومن أصحاب الشافعي ولد في جوين ورحل إلى بغداد فمكة وذهب إلى المدينة. ولد سنة ٤١٩هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ. وفيات الأعيان (١/٢٨٧)، الأعلام (٤/١٦٠).

كالثوري[1] والأوزاعي[2] ومالك وليث[3] ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الأئمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة قال الحافظ وقال شهاب الدين السهروردي[4] في كتاب العقيدة ما أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله ﷺ في الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل إذ لو لم يخبر الله بها ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم ذلك الحمى قال الحافظ الطبي[5] هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح. انتهى.

قال الحافظ ابن عساكر الشافعي[6] أصحاب الأشعري يعتقدون ما في الإبانة أشد اعتقاد، ويعتمدون عليها أشد اعتماد، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات، وبما وصفه به رسوله ﷺ في صحيح الروايات، وينزهونه عن سمات النقص والآفات، فإذا وجدوا من يقول بالتجسيم أو التكييف فحينئذ يسلكون طريق التأويل ويثبتون واضح الدليل، ويبالغون في إثبات التقديس له والتنزيه خوفًا من وقوع من لا يعلم في ظلم التشبيه فإذا آمنوا من ذلك رأوا السكوت أسلم وترك الخوض في التأويل إلا عند الحاجة أحزم وما مثالهم في ذلك إلا مثال الطبيب الحاذق الذي يداوي كل داء بالدواء الموافق. قال: ولسنا نرى الأئمة الأربعة في أصول الدين مختلفين بل نراهم في القول بتوحيد الله وتنزيهه في ذاته وصفاته مؤتلفين، والأشعري على منهاجهم أجمعين. قال الحافظ السيوطي في الإتقان: وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها- أي: بآيات الصفات- وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى. قال: وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار الجم الفقهاء وقاداتها، وإليها دعا الحديث وأعلامه ولا أحد

---

(١) سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسرون الثوري، أبو عبد الله. أمير المؤمنين في الحديث ولد ونشأ في الكوفة، من بني ثور بن عبد مناة ولد سنة ٩٧هـ، وتوفي سنة ١٦١هـ. حلية الأولياء (٦/٣٥٦)، تهذيب التهذيب (٤/١١١)، الأعلام (٣/١٠٤).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) السهروردي، عمر بن محمد بن عبد الله ابن هموية، أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري. فقيه شافعي، مفسر، واعظ من كبار الصوفية، كان شيخ شيوخ بغداد. ولد سنة ٥٣٩هـ، وتوفي سنة ٦٣٢هـ. وفيات الأعيان (١/٣٨٠)، الأعلام (٥/٦٢).

(٥) لم يتم العثور على ترجمته.

(٦) سبق ذكره.

من المتكلمين من أصحابنا يصد عنها ويأباها. وقال فخر الإسلام البزدوي[1] وهو من الخلف من أصحابنا إثبات اليد والوجه حق عندنا، ولكنه معلوم بأصله مشتبه بعلو وصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن إدراك الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة عن هذا الوجه، فإنهم ردواْ الأصول لجهلهم بالصفات على وجه المعقول فصاروا معطلة، وكذا ذكره شمس الأئمة السرخسي الحنفي[٢]. وهو من الخلف أيضًا ثم قال وأهل السنة والجماعة أثبتواْ ما هو الأصل المعلوم بالنص، وتوقفواْ فيما هو المتشابه، ولم يجوزواْ الاشتغال بطلب ذلك، وقال المحقق الكمال ابن الهمام الحنفي[٣] في المتشابه والأكثر على إمكان دركه خلافًا للحنفية، وقال العلامة علي القارئ الحنفي[٤] في شرح الفقه الأكبر: وكذا ما ورد في الأحاديث المرويات من العبارات المتشابهات (كقوله- عليه الصلاة والسلام- إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض)[*]. الحديث إلى أن قال: وقد سئل أبو حنيفة عَمَّا ورد من أنه سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا فقال: ينزل بلا كيف ثم قال: فيجب أن يجري على ظاهره ويفوض أمر علمه إلى قائله وينزه البارئ تعالى عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثة ثم قال وهذه ط يقة السلف وهي أسلم والله أعلم. وقد سبق تأويلات الخلف وقد قيل إنها أحكم لكن نقل بعض الشافعية أن إمام الحرمين كان يتأول أولاً ثم رجع في آخر عمره وحرم التأويل ونقل إجماع السلف كما بين ذلك في رسالته النظامية وهو موافق لما عليه أصحابنا الماتريدية انتهى. نصفه بحروفه وقال الشيخ عبد الباقي الحنبلي[٥] في عقيدة أهل الأثر فمن اعتقد وقال إن الله تعالى بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر ثم قال: ومن اعتقد

---

(١) البزدوي، علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، فخر الإسلام. فقيه أصولي من أكابر الحنفية. ولد سنة ٤٠٠هـ، وتوفي سنة ٤٨٢هـ. الأعلام (٣٢٨/٤).

(٢) السرخسي، محمد بن محمد، رضي الدين فقيه من أكابر الحنفية أقام مدة في حلب، وتعصب عليه بعض أهلها فسار إلى دمشق وتوفي فيها. سنة ٥٧١هـ. الأعلام (٢٤/٧).

(٣) ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الأسكندري، كمال الدين. من علماء الحنفية أصله من سيواس ولد بالأسكندرية، ونبغ في القاهرة وأقام بحلب مدة وجاوز الحرمين. ولد سنة ٧٩٠هـ، وتوفي سنة ٨٦١هـ.

(٤) الملا علي القاري، علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الهروي. فقيه حنفي من صدور العلم في عصره ولد في حراة وسكن مكة وتوفي بها. سنة ١٠١٤هـ. خلاصة الأثر (١٨٥/٣)، الأعلام (١٢/٥).

(*) أخرجه ابن حبان (٦١٦٠)، والترمذي (٢٩٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٣١٩)، وأبو داود (٤٦٩٣).

(٥) عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقي تقي الدين. فقيه حنبلي ولد في بعلبك ورحل إلى مصر وعاد إلى دمشق فتوفي فيها. ولد سنة ١٠٠٥هـ، وتوفي سنة ١٠٧١هـ. خلاصة الأثر (٢٨٣/٢)، الأعلام (٢٧٢/٣).

أن الله- سبحانه- مفتقر إلى العرش أو لغيره من المخلوقات أو أن استواءه على العرش كاستواء المخلوق على كرسيه فهو ضال مبتدع فكان الله تعالى ولا زمان ولا مكان وهو الآن(**) على ما عليه كان. وقال في العقيدة المذكورة: ومنها نزول الرب- سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى سماء الدنيا من غير تشبيه بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف. انتهى. قلت: فكل ما ذكرنا في هذين الفصلين وإن كانت الألفاظ مختلفة فمآله واحد وهو وجوب الإيمان بالمتشابهات مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه.

(تنبيه) قال الشيخ الإمام الحافظ ولي الدين العراقي الشافعي[1] في شرح جمع الجوامع، وقد قيل مذهب السلف في هذا أسلم ومذهب الخلف أحكم لزعم قائله أنه وقف على المراد، واهتدى إليه بالدليل أو اعلم بتوقفه على زيادة علم واتساع فيه وقال الحافظ ابن حجر نقلاً عن غيره إن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ في ذلك وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات فجمع هذا القائل بين الجهل بطريق للسلف والدعوى من طريق الخلف، وليس الأمر كذلك كما ظن بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله- تعالى- في غاية التعظيم له والخشوع لأمره والتسليم لمراده، وليس من سلك طريقة الخلف واثقًا بأن الذي يتأوله هو المراد، ولا يمكنه القطع بصحة تأويله. انتهى. قلت: وبهذا يرد على من قال، والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل[2]- رحمه الله تعالى- ووجه الرد أنه جعل مقام أحمد الذي هو مقام سلفه مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك فافهم.

(فصل) في كلام الشيخ فيما يتعلق بمسألة اللفظ قال الشيخ في عقيدته الواسطية ومن الإيمان بالله الإيمان بالقرآن أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأ الناس القرآن وكتبوه في

(**) قوله وهو الآن الخ هذه العبارة توهم خلاف الحق بل نقول كان الله سبحانه ولا مكان ثم خلق العرش ثم خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق به وهو في السماء كما أخبر بذلك في كتابه وأخبر به رسوله فهو سبحانه في سمائه فوق عرشه بائن عن خلقه. أهـــ. من هامش الأصل.

(١) ابن العراقي، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني المصري، أبو زرع، ولي الدين. (٧٦٢-٨٢٦ هـــ). قاضي الديار المصرية، مولده ووفاته بالقاهرة، ولي القضاء سنة ٨٢٤هـــ بعد الجلال البلقيني. ذيل تذكرة الحفاظ (٢٨٤، ٣٧٥). البدر الطالع (٧٢/١)، الأعلام (١٤٨/١).

(٢) سبق ذكره.

المصاحف لم يخرج بذلك أن يكون كلام الله؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا قال الشيخ في المجالس الثلاثة والذي يحكى عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئ ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى، لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين، قال الشيخ وأخرجت كراسًا كان قد أحضر مع العقيدة وفيه ما ذكره الشيخ أبو الخلال[١] في كتاب السنة عن الإمام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي[٢] من كلام الإمام أحمد وكلام أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. قال الشيخ[٣]: فقلت فكيف بمن يقول لفظي قديم فكيف بمن يقول صوتي غير مخلوق فكيف بمن يقول صوتي قديم؟ قال الشيخ أبكذب ابن فلان وافترائه على الناس في مذاهب تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون إن القرآن الكريم هو صوت القارئين ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي من قال هذا أو أي كتاب وجد عنهم قال الشيخ فيما وجد بخطه بعد ما ذكر ما نقلنا عنه وأحضرت ألفاظ الإمام وسائر أئمة أصحابه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع وهذا هو الذي نقل الأشعري[٤] في كتاب المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث، وأنه يقول به فكيف بمن يقول إن صوته غير مخلوق، فكيف بمن يقول إن صوته قديم، ونصوص أحمد في الفرق بين تكلم الله بصوت وبين صوت العبد كما نقله البخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة، قلت: قد أورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري نحو ما تقدم عن الشيخ مع بعض الزيادات حيث قال: واشتد إنكار الإمام ومن تابعه على من قال لفظي بالقرآن مخلوق، ويقال إن أول من قاله الحسين بن علي الكرابيسي[٥] أحد أصحاب الشافعي فلمّا بلغه ذلك بدعه وهجره ثم

---

(١) الخلال، أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر. مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة، من أهل بغداد. توفي سنة ٣١١هـ. طبقات الحنابلة (١٢/٢)، تذكرة الحفاظ (٧/٣)، الأعلام (٢٠٦/١).

(٢) المروزي، أحمد بن علي بن سعيد المروزي، أبو بكر. مولى بني أمية، قاضٍ، من حفاظ الحديث. توفي سنة ٢٩٢هـ. تذكرة الحفاظ (٢١١/٢)، الأعلام (١٧١/١) .

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) الكرابيسي، الحسين بن علي بن يزيد، أبو علي. فقيه من أصحاب الإمام الشافعي، متكلمًا، عارفًا بالحديث من أهل بغداد. توفي سنة ٢٤٨هـ. وفيات الأعيان (١٤٥/١)، الأعلام (٢٤٤/٣).

قال داود بن علي الأصفهاني[1] رأس الظاهرية وهو يومئذ بنيسابور فأنكر عليه إسحاق وبلغ ذلك أحمد فلما قدم بغداد لم يأذن له في الدخول عليه، وجمع ابن أبي حاتم[2] أسماء من أطلق على اللفظية أنهم جهمية فبلغواْ عدداً كثيرًا وأفرد لذلك بابًا في كتابه الرد على الجهمية والذي يتحصل من كلام المحققين أنهم أرادواْ حسم المادة صونًا للقرآن أن يوصف بكونه مخلوقًا وإذا حقق الأمر عليهم لم يفصح أحد منهم بأن حركة لسانه قديمة وأنكر أحمد على من نقل عنه أنه قال لفظي بالقرآن غير مخلوق، ولما ابتلي أحمد بمن يقول القرآن مخلوق كان أكثر كلامه في الرد عليهم حتى بالغ فأنكر على من يتوقف فلا يقول مخلوق ولا غير مخلوق وعلى من قال لفظي بالقرآن مخلوق؛ لئلا يتذرع بذلك من يقول القرآن بلفظي مخلوق، وأما البخاري فابتلي بمن يقول أصوات العباد غير مخلوقة حتى بالغ بعضهم فقال: والمداد والورق بعد الكتابة، فكان أكثر كلامه في الرد عليهم وبالغ في الاستدلال بأن أفعال العباد كلها مخلوقة بالآيات والأحاديث في ذلك مع أن قول من قال إن الذي يسمع من القارئ هو الصوت القديم لا يعرف من السلف ولا قاله أحمد ولا أصحابه وإنما سبب نسبة ذلك إلى أحمد قوله من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي فظنواْ أنه سَوَّى بين اللفظ والصوت بل صَرَّح في مواضع بأن الصوت المسموع من القارئ هو صوت القارئ والفرق بنيهما أن اللفظ يضاف إلى المتكلم به ابتداء فيقول عمن روى الحديث بلفظه هذا لفظه وعمن رواه لغير لفظه هذا معناه ولا يقال في شيء من ذلك هذا صوته فالقرآن كلام الله تعالى لفظه ومعناه ولا يقال في شيء من ذلك هذا صوته فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه ليس هو كلام غيره وأما قوله تعالى ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ [التكوير/١٩]. فاختلف فيه هل المراد جبريل أو الرسول- عليهما الصلاة والسلام- فالمراد به التبليغ لأن جبريل مبلغ عن الله تعالى إلى رسوله ﷺ والرسول مبلغ للناس ولم ينقل عن أحمد[3] قط أنه قال إن فعل العبد قديم ولا صوته وإنما أنكر إطلاق اللفظ وصرح البخاري[4] بأن أصوات العباد مخلوقة وأن أحمد لا يخالفه في ذلك والله أعلم. (قلت) قد يتوحش أهل العصر من قول الشيخ لا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو

---

(١) داود الظاهري، داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان. أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، أصبهاني الأصل، من أهل قاشان، مولده في الكوفة، سكن بغداد، ولد سنة ٢٠١هـ، وتوفي سنة ٢٧٠هـ. وفيات الأعيان (١/١٧٥)، تذكرة الحفاظ (٢/١٣٦)، الأعلام (٢/٢٣٣).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

عبارة فهذا وإن كان مخالفًا لما اشتهر عندهم فقد اختار جمع من المحققين من غير الحنابلة ومنهم السيد الجرجاني[١] من أصحابنا حيث قال وما اشتهر عن الشيخ أبي الحسن الأشعري من أن الكلام القديم معنى قائم بذاته تعالى قد عبر عنه بهذه العبارة الحادثة فقد قيل إنه غلط من الناقل منشؤه اشتراك لفظ المعنى بين ما يقابل اللفظ وبين ما يقوم بغيره ويزداد ذلك وضوحًا فيما بعد إن شاء الله تعالى وفق ما أشار إليه في خطبة الكتاب ومحصولها أن لفظ المعنى يطلق تارةً على مداولة اللفظ وأخرى على الأمر القائم بالغير فالشيخ الأشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده وأما العبارات فإنها تسمى كلامًا مجازًا لدلالتها على ما هو كلام حقيقة حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه أيضًا لكونها ليست كلامه حقيقة وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم الإكفار لمن أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين بالضرورة كونه كلام الله حقيقة وكعدم كون المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الأحكام الدينية فوجب حمل كلامه على أنه أراد المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده أمرًا شاملاً للفظ والمعنى جميعًا قائمًا بذاته تعالى وهو مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادث وما يقال من أن الحروف والألفاظ مرتبطة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتيب إنما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث والأدلة الدالة على لفظ الحدوث يتعين حملها على حدوثه دون حدوث الملفوظ جمعًا بين الأدلة وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفًا لما عليه متأخرو أصحابنا إلا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته. انتهى. قال الشيخ عبد الباقي الحنبلي[٢] وهذا المحمل لكلام الشيخ هو ما اختاره محمد الشهرستاني[٣] في كتابه المنسوب إلى قواعد الملة.

(قلت) فما قاله السيد في تأويل كلام الأشعري هو بعنيه مقصود الحنابلة فافهم وقد قال

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد ودرس في شيراز ولد سنة ٧٤٠هـ، وتوفي سنة ٨١٦هـ. الضوء اللامع (٥/٣٢٨)، الأعلام (٥/٧).

(٢) سبق ذكره.

(٣) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح. من فلاسفة الإسلام، كان إمامًا في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة ولد في شهرستان، وانتقل إلى بغداد، وعاد إلى بلده وتوفي بها. ولد سنة ٤٧٩هـ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ. وفيات الأعيان(١/٤٨٢)، الأعلام (٦/٢١٥).

الحافظ ابن حجر[١] في الفتح والذي استقر عليه قول الأشعري أن القرآن كلام الله غير مخلوق مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة قال الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وفى الحديث:"لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو كراهة أن يناله العدو"[*] وليس المراد ما في الصدور بل ما في المصحف وأجمع السلف على أن الذي ما بين الدفتين كلام الله تعالى. قال الشيخ عبد الباقي: فالذي ظهر من عبارة ابن حجر العسقلاني وشرح المواقف موافقة الشيخ الأشعري وأحمد في مسألة الكلام وما روي عنه مخالفًا لذلك فهو غلط من الناقل ومنهم الشيخ تاج الدين السبكي[٢] حيث قال في الطبقات في ترجمة الأشعري وأما ما قيل أن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين وليس القرآن في المصحف عنده فهو تشنيع فظيع ولبس على العوام فإن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع يقول إن القرآن كلام الله وهو على الحقيقة مكتوب في المصحف لا على المجاز ومن قال إن القرآن كلام الله ليس في المصاحف على هذا الإطلاق فهو مخطئ بل القرآن مكتوب في المصحف وهو قديم غير مخلوق لم يزل سبحانه متكلمًا ولا يزال به قائمًا ولا يجوز انفصال القرآن عن ذات الله تعالى ولا الحلول في المحال ولو أن الكلام مكتوب على الحقيقة في الكتاب فلا يقتضي حلوله فيه ولا انفصاله عن ذات المتكلم قال سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف/١٥٧]. فالنبي ﷺ على الحقيقة مكتوب في المصاحف محفوظ في قلوب المؤمنين مقروء متلو على الحقيقة بألسنة القارئين من المسلمين كما أن الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز معبود في مساجدنا معلوم في قلوبنا مذكور بألسنتنا وهذا واضح بحمد الله تعالى. ومن زاغ عن هذه الطريقة فهو قدري معتزلي يقول بخلق القرآن وأنه حال في المصحف.

(قلت) فقوله وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف لا على المجاز فيه رد صريح على من قال بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه ومنهم شارح عقيدة الإمام أبى جعفر الطحاوي[٣] حيث قال من قال إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية وليس فيها كلام الله فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكلام الطحاوي يرد قول من

---

(١) سبق ذكره.

(*) أخرجه مسلم (٣/١٤٩١) – ح (١٨٦٩).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

قال إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس بكلام الله وإنما هو عبارة عنه فإن الطحاوي يقول كلام الله منه بدأ بلا كيفية أي لا نعرف كيفية التكلم به وكذا قال غيره من السلف منه بدأ واليه يعود وإنما قالواْ منه بدأ وإليه يعود أي هو المتكلم به فمنه بدأ أي لا من بعض المخلوقات كما قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت ٢] ومعنى قولهم وإليه يعود أي يرفع من الصدور والمصاحف كما ورد في الأحاديث. وقال العلامة علي القاري[١] عند قول الإمام والقرآن كلام الله تعالى أي بالحقيقة كما قال الطحاوي لا بالمجاز كما قال غيره لأن ما كان مجازًا يصح نفيه وهذا لا يصح.

(تنبيه) قد اشتهر عن السادة الحنابلة أنهم يقولون كلام الله بحرف وصوت وهو قديم وهذا صحيح عنهم وقد صح ذلك عن أحمد بن حنبل خلافًا لمن أنكر ذلك وأنهم لم يقولوه قط كما نقله عنهم ابن الخطيب[٢] والسعد التفتازاني[٣] ولم يقولواْ حرف كحرفنا وصوت كصوتنا وأنهما من الأعراض بل قالواْ حرف وصوت يليقان به تعالى كسائر المتشابهات وقد قال الحافظ ابن حجر[٤] في الفتح قال البيهقي الكلام ما ينطق به المتكلم وهو مستقر في نفسه كما في كلام عمر في قصة السقيفة فإن كان المتكلم ذا مخارج، سمع كلامه ذا حرف وأصوات وإن كان غير ذي مخارج فهو خلاف ذلك والباري تعالى بخلاف ذلك يكون كلامه كذلك وأول ما ورد في الحديث أن الملائكة يسمعون باحتمال أن يكون الصوت للسماء أو الملائكة الآتية بالوحي أو لأجنحة الملائكة وإذا احتمل ذلك لا يكون نصًا في المسألة قال الحافظ في رده وهذا حاصل كلام من نفي الصوت من الأئمة ويلزم منه أنه تعالى لم يسمع واحدًا من الملائكة ولا رسله كلامه بل ألهمهم إياه وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عندنا ذات مخارج ولا يخفى ما فيه إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة سلمنا لكن

---

(١) سبق ذكره.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله. ولد ونشأ بغرناطة واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٣٣هـ. ولد سنة ٧١٣هـ، وتوفي سنة ٧٧٦هـ. الدرر الكامنة (٣/٤٦٩)، الأعلام (٦/٢٣٥).

(٣) السعد التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان وأقام بسرخس وأبعد إلى سمرقند فتوفي فيها. ولد سنة ٧١٢هـ، وتوفي سنة ٧٩٣هـ. الدرر الكامنة (٤/٣٥٠)، الأعلام (٧/٢١٩) .

(٤) سبق ذكره.

يمنع القياس المذكور وصفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوق وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان وقال في الفتح أيضًا فعلى هذا فصوته سبحانه صفة من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره إذ ليس يوجد شيء من صفاته في صفات المخلوقين قال وهكذا قرره المصنف يعني البخاري في كتاب خلق الأفعال.

(تنبيه) قال الشيخ عبد الباقي الحنبلي ما نقله السعد في كلامه على عقائد النسفي[(١)] من نسبته إلى الحنابلة أنهم قالوا إن كلامه سبحانه عرض من جنس الأصوات والحروف وهو مع ذلك قديم وفي محل آخر أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم ونسبهم إلى الجهل والعناد وأيضًا ما ينسبه بعض الناس للحنابلة من أنهم يقولون بقدم الأوراق والجلد والمداد فالجواب عن ذلك أن ما نسب إليهم من هذه المقالات لا أصل له في كلام أحد منهم ولو كان له أصل لعثر عليه.

(قلت) وعلى تقدير التسليم ففي أي كتاب وجد عنهم ومن قال ذلك منهم لابد من بيان ذلك وقال الشيخ عبد الباقي على أن معظم اعتقادنا فيما نقلناه من أصولنا وفروعنا متصل في جميع الأعصار منذ الإمام أحمد إلى زماننا وهذا متواتر نقله جمع عن جمع.

(فصل) فإن قلت ما نقلته في هذا الجزء يدل على براءة الشيخ مما نسب إليه وعلى مرتبته فما بال علي القاري[(٢)] والتقي الحصني[(٣)] وابن حجر الهيثمي[(٤)] وغيره ينسبونه إلى أمور فظيعة قلت اعلم وفقك الله تعالى أن ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رجلاً مشهورًا بالعلم والفضل وحفظ السنة وكان مبالغًا في مذهب الإثبات وكان يكره التأويل أشد الكراهة وكان يرد على الصوفية ما ذكروه في كتبهم من وحدة الوجود وما شاكلها كعادة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين فرد على الشيخ محيي الدين ابن العربي[(٥)] والشيخ عمر بن

---

(١) النسفي، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين. عالم بالتفسير والأدب والتاريخ، من فقهاء الحنفية، ولد بنسف وتوفي بسمرقند. ولد سنة ٤٦١هـ، وتوفي سنة ٥٣٧هـ. الأعلام (٥/٦٠).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين أبو العباس. شيخ الإسلام، فقيه باحث مصري تلقى العلم في الأزهر ومات بمكة. ولد سنة ٩٠٩هـ، وتوفي سنة ٩٧٤هـ.

(٥) ابن عربي، محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي. المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر، من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس =

الفارض[١] وعبد الحي بن سبعين[٢] وأضرابهم وكان قد خالف الأئمة الأربعة في بعض الفروع كمسألة الزيارة والطلاق وكان يناظر عليهما كما تقدم فقام عليه ناس وحسدوه وأبغضوه وأشاعواْ عنه ما لم يقله من التشبيه والتجسيم وغير ذلك فدخل ذلك على بعض أهل العلم من الحنفية والشافعية وغيرهما ولم يطلبواْ تحقيق ذلك من كتبه المشهورة واعتمدواْ على السماع فوقع منهم ما قد وقع وقد وقع مثل هذا لغير واحد من أهل العلم والفضل فمنهم العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني[٣] حيث يقول في عقيدة أهل السنة والجماعة وقد كان سبق مني تأليف كتاب نفيس في علم العقائد سميته فرائد القلائد في علم العقائد وكتب عليه شيوخ الإسلام بمصر المحروسة سنة سبع وأربعين وتسعمائة ومدحوه وأجازوه فاحتال عليه بعض الحسدة فكتب له منه نسخة ودس فيها أمورًا شنيعةً من عقائد أهل الزيغ والضلال ونسبه إليّ ودارت النسخة في مصر نحو سنة وأنا لا أشعر وصار كل من لا خلطة له بي يضيف تلك العقائد الزائغة إليّ وأنا بحمد الله بريء من ذلك. فقد وقع لابن تيمية نحو ذلك كما بينته في المجالس الثلاثة وذكر الشيخ عبد الوهاب[٤] في العقيدة المذكورة ما يناسب المقام ونصه والله إني لأعرف جماعة يطعنون في عقائد بعض العلماء الصحيحة وينسبونهم إلى التجسيم وغيره حتى بعد موتهم وما منهم أحد اجتمع بهم وإنما هي إشاعة من بعض حسادهم فلا حول

وانتقل إلى إشبيلية. ولد سنة ٥٦٠هـ، وتوفي سنة ٦٣٨هـ. فوات الوفيات (٢/٢٤١)، شذرات الذهب (٥/١٩٠)، الأعلام (٦/٢٨١).

(١) ابن الفارض، عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص، أبو القاسم، شرف الدين. أشعر المتصوفين، يلقب بسلطان العاشقين، قدم أبوه من حماة بسوريا إلى مصر، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، ولد سنة ٥٧٦هـ، وتوفي سنة ٦٣٢هـ. وفيات الأعيان (١/٣٨٣)، شذرات الذهب (٥/١٤٩)، الأعلام (٥/٥٥).

(٢) ابن سبعين، عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي الرقوطي، قطب الدين، أبو محمد. من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، درس العربية والآداب في الأندلس. ولد سنة ٦١٣هـ، وتوفي سنة ٦٦٩هـ. فوات الوفيات (١/٢٤٧)، شذرات الذهب (٥/٣٢٩)، البداية والنهاية (١٣/٢٦١)، الأعلام (٣/٢٨٠).

(٣) الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، أبو محمد. من علماء المتصوفين، ولد في قلقشندة بمصر، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية وتوفي في القاهرة. ولد سنة ٨٩٨هـ، وتوفي سنة ٩٧٣هـ. شذرات الذهب (٨/٣٧٢)، الأعلام (٤/١٨٠).

(٤) سبق ذكره.

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(قلت) فقضية الشيخ تقي الدين بن تيمية من هذا الباب ولا أستبعد أن تكون الإشارة إليّه في كلام العارف بالله والله أعلم.

(فصل) قد أنكرواْ على الشيخ أشياء لا بأس بذكرها مع الجواب عنها والاعتذار فأقول قالواْ يقول بتحريم السفر لزيارة القبور وقد خالف في ذلك الإجماع.

(قلت) هو مخطئ في ذلك أشد الخطأ، ولكن لا يلزم من القبول به التفسيق فضلاً عن التكفير؛ لأنه صدر ذلك عن شبهة ولو كان ذلك الدليل خطأ عندنا كما مرت الإشارة إليه في كلام العيني والتفهني والبلقيني ولقد أنصف العلامة علي القاري حيث يقول في كتاب الزيارة وما وقع للشعبي والنخعي مما يقتضي كراهة زيارة القبور شاذ لا يلتفت إليه لمخالفته إجماع غيره على أنه ما دل وبفرض تسليم الاعتداد به هو لا يأتي في قبر نبينا ﷺ للفرق الجلي بين قبره وقبر غيره قال وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط بعض الفضلاء حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده كافر محكوم عليه بالكفر.

(قلت) قد اشتهر على ألسنة بعض الناس أن ابن تيمية حرم زيارة القبور مطلقًا وهذا كذب واضح كيف وهو يقول وسن زيارة قبر مسلم لكن بغير شد رحل كيف وقد نقل عنه العلامة علي القاري أن كل المؤمنين إذا سلم عليهم الزائر عرفوه وردواْ عليه السلام.

(قلت) وكذا قال ابن القيم تلميذه وزاد لا يختص بيوم الجمعة والله أعلم.

قالواْ يقول بالتجسيم والتشبيه وهو كفر عند الجمهور. (قلت) قد سمعت نصوصه في نفي التشبيه والتجسيم فماذا بعد الحق إلا الضلال وقد قال العلامة علي القاري في شرح شمائل الترمذي[1] ما نصه قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه ذكر شيئًا بديعًا وهو أنه ﷺ لما رأى ربه واضعًا يديه بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالفدية قال العراقي لم نجد لذلك أصلاً قال ابن حجر[2] بل هذا من قبيح رأيهما وضلالهما إذ هو مبني على ما ذهبا إليه وأطالا في الاستدلال له والحط على أهل السنة في نفيهم له وهو إثبات الجهة والجسمية لله وقبح من قال

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي، أبو عيسى. من أئمة الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ، تتلمذ للبخاري وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز. ولد سنة ٢٠٩ هـ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ. تهذيب التهذيب (٩/٣٨٧)، تذكرة الحفاظ (٢/١٨٧)، الأعلام (٦/ ٣٢٢).

(٢) سبق ذكره.

بقولهما والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصفة القبيحة كيف وهي كفر عند كثيرين قال العلامة علي القاري[١] - قدس الله سره- أقول صانهما الله عن هذه الوصمة الشنيعة والنسية الفظيعة ومن طالع شرح منازل السائرين تبين له أنهما كانا من أهل السنة والجماعة ومن أولياء هذه الأمة ومما ذكره في الشرح المذكور ما نصه وهذا الكلام من شيخ الإسلام يعني الشيخ عبد الله الأنصاري الحنبلي[٢]- قدس الله سره الجلي- يبين مرتبته من السنة والمقدار في العلام وأنه بريء مما رماه به أعداؤه الجهمية من التشبيه والتجسيم والتمثيل على عادتهم في رمي أهل الحديث والسنة بذلك والرافضة لهم بأنهم نواصب والناصبة بأنهم روافض والمعتزلة بأنهم ثوابت حشوية وذلك من ميراث في أعداء رسول الله ﷺ في رميه ورمي أصحابه وأهل السنة من بينهم بتلقيب أهل الباطل لهم بالألقاب المذمومة- وقدس الله روح الشافعي حيث يقول وقد نسب إليه الرفض:

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ورضي الله عن شيخنا أبي عبد الله بن تيمية حيث يقول:

إن كان نصبا حب آل محمد فليشهد الثقـــلان أني ناصب

وعفا الله عن الثالث حيث يقول:

فإن كان تجسيمًا ثبوت صفاته وتنزيهها عن كل تأويل مفترى

فإني بحمد الله ربـــي مجســـم هلمواْ شهودًا واملؤواْ كل محضر

ثم ذكر في الشرح المذكور ما يدل على براءة الرجل من التشنيع المسطور وهو أن حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى إفهام العامة ولا يعني بالعامة الجهال بل عامة الأمة كما قال الإمام مالك[٣]- رحمه الله تعالى- وقد سئل عن قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة وبين الكيف الذي لا يعقله البشر وهذا الجواب من

(١) سبق ذكره.

(٢) الهروي، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري أبو إسماعيل. شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الأنصاري. ولد سنة ٣٩٦هـ، وتوفي سنة ٤٨١هـ. الذيل على طبقات الحنابلة (٦٤/١)، الأعلام (١٢٢/٤).

(٣) سبق ذكره.

مالك[١] رحمه الله شاف من جميع مسائل الصفات من السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة والارادة والنزول والغضب والضحك فمعانيها كلها معلومة وأما كيفيتها فغير معقولة إذ تعقل الكيف فرع العلم بكيفية الذات وكنهها فإذا كان ذلك غير معلوم فكيف تعقل الصفات والعصمة النافعة في هذا الباب أن تصف الله بما وصفه به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل تثبت له الأسماء والصفات وتنفي عنه مشابهات المخلوقات فيكون إثباتك منزها عن التشبيه ونفيك منزها عن التعطيل فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل ومن شبهه باستواء المخلوق فهو ممثل ومن قال هو استواء ليس كمثله شيء فهو الموحد المنزه انتهى كلامه وتبين مرامه وظهر أن معتقده موافق لأهل الحق من السلف وجمهور الخلف فالطعن الشنيع الفظيع غير موجه عليه ولا متوجه إليه فإن كلامه بعينه مطابق لما قاله الإمام المجتهد الأقدم في الفقه الأكبر ما نصه ولا له تعالى يد ووجه ونفس فما ذكره الله في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف ثم ذكر العلامة توجيه الحديث.

قالوا وقد استعمل ألفاظًا في عقيدته الواسطية يلزم منها التجسيم، ولازم المذهب مذهب في الاعتقاديات. (قلت) لم يذكر فيها شيئًا إلا ما ورد عنهﷺ ومذهب السلف وها أنا اذكر عبارتها ملخصًا مع ما تيسر من تفسيره، فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في العقيدة المذكورة (من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله في كتابه). بقوله ثم استوى على العرش وبقوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾قال إمامنا أبو حنيفة - رضي الله عنه- ثم نقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وقال الأوزاعي[٢] لما سئل عن قوله تعالى ثم استوى على العرش فقال هو كما وصف نفسه أخرجه الثعلبي[٣] وقال مالك ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وصف نفسه ويقال كيف والكيف عنه مرفوع أخرجه البيهقي بسند جيد كما قاله الحافظ ابن حجر وقال الأشعري وأن الله سبحانه مستو على عرشه فبطل قول من اعترض على الشيخ بقوله ولا يقال إنه يدل على صفة الله تعالى أصلاً (وتواتر عن رسول اللهﷺ) تواترًا معنويًا قال المؤلف إن كل لفظ

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) لم يتم العثور على ترجمة.

قلته فهو مأثور عن النبي ﷺ مثل لفظ فوق السموات ولفظ على العرش وفوق العرش. (وأجمع عليه سلف الأمة) ومن نقل الاتفاق في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تفسير إمامنا محمد بن الحسن والحافظ بن عبد البر المالكي والحافظ ابن حجر الشافعي كما تقدم فدخل في ذلك ما نحن فيه (من أنه سبحانه فوق سماواته) ومن ذلك حديث زينب أم المؤمنين رضي الله عنها وزوجني الله من فوق سماواته بالتمكن والاتصال إذ فيه إثبات الجهة والجسمية وهو بدعة وضلال. (على عرشه) كما قال الأوزاعي[1] إمام أهل الشام فيما أخرج عنه البيهقي بسندٍ جيد كما قال الحافظ ابن حجر كنا والتابعون متوافرون نقول بأن الله على عرشه ونؤمن بما ورد من السنة من صفاته قلت من يؤمن بنزول الرب بلا كيف فليؤمن بفوقيته بلا كيف وكما أنه لا يلزم من القول بإثبات النزول بلا كيف إثبات الجهة فكذلك لا يلزم من إثبات الفوقية بلا كيف إثباتها ولا أدري ما الوجه في نفي الفوقية وإثبات النزول مع أنا لا نقول بإثبات فوقية المكان كما أنا لا نقول في النزول كنزولنا. (على خلقه) كقوله تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام/١٨]. ولم يرد على المكان (وهو معهم أينما كانوا) وليس معنى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان) وهذا من باب التقريب للأفهام لا من باب التشبيه كقول الإمام الأشعري[2] وندين أن الله يرى بالإبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر فلا يرد ما قيل التشبيه بالقمر يثبت كون الله في السماء (وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى) من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته كما أن الله حي حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة، وكما أن الله موجود حقيقة ولا يلزم من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور. (لا يحتاج إلى تحريف) بل يجب الإيمان به مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه. (ولكن يصان عن الظنون الكاذبة) ومنها إثبات الجهة والجسمية لله تعالى. (قلت) فهذه العبارات مما انتقدوا عليه في هذه العقيدة؛ لأنهم لم يفهموا مراده وإنما فهموا منه أنه يقول بالجهة ويلزم من القول بها الجسمية وأنت خبير أنه لم يستعمل هذه العبارات إلا لكونها مأثورة وهي من باب المتشابه وواجبة الإيمان مع اعتقاد التنزيه فافهم.

(تنبيه) قد صنف بعض الناس كتابًا في الرد على الشيخ وسماه الملحمة على المجسمة زعمًا

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

منه أن الشيخ يقول بالجهة ويلزم من القول بها الجسمية وأنت خبير بأن الشيخ لم يقل بأن الله متمكن على العرش متحيز فيه وأنه في جهة الفوق كما زعمه هذا القائل وإنما يقول بصفة الفوقية لله تعالى بلا كيف وهي من باب المتشابه كحديث النزول وقد أجمع السلف والخلف على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بلا كيف ولا يلزم من القول بها بلا كيف إثبات المقابلة والجسمية فكذلك الفوقية؛ لأن صفاته تعالى لا تقاس على صفات المخلوقين والشيخ قد كرر في العقيدة المذكورة قوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فقوله بذلك ينفي كل باطل ولم يقل قط في آيات الصفات وأحاديثها إنها آيات الأعضاء وأحاديث الأجزاء كما زعمه هذا القائل وقد تليت عليك نصوصه وعرفت أنه موافق في ذلك للسلف والمنصورية قالوا قد خالف الإجماع في مسائل فما خالف فيه الإجماع مسألة الطلاق المشهورة ومخالفة الإجماع كفر أو فسق. (قلت) غالب ما يحكى عنه لا يعرف في كتبه بل يوجد في كتبه خلاف ما يحكى عنه، وأما مسألة الطلاق فقد خالف فيها الأئمة الأربعة وقد وجد في المسألة خلاف بعض التابعين كما هو مسطور في موضعه فلا يلزم منه التفسيق وإن كان مخطئًا في ذلك أشد الخطأ. (قلت) قد ادَّعى صاحب الهداية الإجماع على عدم حل متروك التسمية عامدًا حتى قال لا ينفذ فيه قضاء القاضي فهل قال أحد إن صاحب الهداية كفر الشافعية بدعواه الإجماع وذكر بعضهم أن الإمام أحمد[١] قد خالف الإجماع في قوله لا تصح الصلاة في الأرض المغصوبة، وذكر الحافظ ابن حجر[٢] ما معناه أن زفر خالف الإجماع في مسألة غسل المرفقين فقال لا يجب غسلهما وشواهد هذا الباب كثيرة جدًا فمن حكم في مثل هذا بالكفر أو الفسق، فلا يعول عليه كيف وقد علمت أنه ما حلل أحمد ولا حرم إلا بمقتضى الدليل، ولو كان ذلك الدليل خطأ عند غيره غاية الأمر أنه لا يفتي بمثل هذه المسألة بل لا يعمل بها فضلاً عن الفتوى.

قالوا وقد أنكر تبديل التوراة وقال لم يبدل اللفظ وهذا كفر. (قلت) وهذا لا أصل له في كلامه كيف وهو القائل في كتاب الرد على النصارى وما يذكر أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد ﷺ فهو عامة ما حرفوا معناه وقليل منه حرف لفظه فهذا تصريح منه بتحريف اللفظ

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

وهو المطلوب. قالوا تكلم في الأولياء كالغزالي[١] وابن العربي[٢] وعمر بن الفارض[٣] وأضرابهم بل تكلم في مثل عمر وعلي. (قلت) أما تكلمه في أميري المؤمنين عمر وعلي فهو كذب وافتراء عليه كيف وقد صنف كتاب الرد على الروافض وكتابه في الرد عليهم مشهور كيف وهو القائل:

إن كان نصبا حب آل محمد فليشهد الثقـــلان أني ناصبي

وأما سبب تكلمه في حجة الإسلام الغزالي[٤] فالله أعلم أنه ذكر في كتابه المضنون أشياء توافق عقائد الفلاسفة وتخالف الشرع حتى إن بعض العلماء أنكر نسبة ذلك إليه كذا ذكر بعضهم وقد تكلم فيه القاضي عياض[٥] وابن الجوزي[٦] وغيرهما فله أسوة بهم وإن كنا لا نسمع في الغزالي كلامًا بعد كيف وهو حجة الإسلام وملك العلماء الأعلام وأما سبب تكلمه في ابن العربي[٧] فأنه ذكر أشياء في فصوصه وفتوحاته تقتضي الكفر وقد كفره بذلك جماعة من العلماء منهم الحافظ ابن حجر وقد صنف بعض العلماء جزأً حافلاً وجمع فيه كلام من ذم الشيخ ابن العربي فمما قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي[٨] في العبر وقال في ترجمته صاحب التصانيف وقدوة القائلين بوحدة الوجود ثم قال الذهبي وقد اتهم بأمر عظيم وقال أي الذهبي في تاريخ الإسلام هذا الرجل قد تصوف وانعزل وجاع وسهر وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد، حجة الإسلام. فيلسوف متصوف، مولده ووفاته في الطابران، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد إلى بلدته. ولد سنة ٤٥٠ هـ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـــ. وفيات الأعيان (١/٤٦٣)، طبقات الشافعية (٤/١٠١)، شذرات الذهب (٤/١٠)، الأعلام (٧/٢٢).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل. إمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، توفي بمراكش مسمومًا. ولد سنة ٤٧٦هـــ، وتوفي سنة ٥٤٤هـــ. وفيات الأعيان (١/٣٩٢)، الأعلام (٥/٩٩).

(٦) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج. مولده ووفاته ببغداد، علامة في التاريخ والحديث نسبته إلى مشرعة الجوز. ولد سنة ٥٠٨هـــ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـــ. وفيات الأعيان (١/٢٧٩)، البداية والنهاية (٣١/٨٢)، الأعلام (٣/٣١٦).

(٧) سبق ذكره.

(٨) سبق ذكره.

الخارج وسمع من طيش دماغه خطابًا واعتقده من الله تعالى ولا وجود له في الخارج إلى آخر ما قال، قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في الميزان فقال تصوف تصوف الفلاسفة وأحل الوحدة وقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقًا وزندقةً إلى آخر كلامه، ومما قال في الجزء المذكور أنبأني الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقي[١] ونور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي[٢] الشافعيان إذنا مشافهة عن شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي[٣] إجازة إن لم يكن سماعًا قال في كتابه شرح منهاج النووي في باب الوصية بعد ذكره حكم المتكلمين، وهكذا الصوفية منقسمون كانقسام المتكلمين فإنهما من وادٍ واحد فمن كان مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى والتخلق بما يجوز التخلق به هنا والتحلي بأحوالها وإشراق المعارف الإلهية والأحوال السنية فذلك من أعلم العلماء ويصرف إليه من الوصية للعلماء والوقف عليهم ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرون كابن عربي وأتباعه فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الإسلام فضلاً عن العلماء ثم قال وجاء في وسط الأمة قوم تكلموا كالحارث المحاسبي[٤] ونظرائه كلامًا حسنًا وهو مقصودنا بالتصوف ثم انتهى الأمر بالآخرة إلى قوم فيهم بقايا إن شاء الله تعالى وآخرين تسموا باسم الصوفية استمروا على البدع المضلة والعقائد الفاسدة فيهم وهم باسم الزندقة أحق منهم باسم الصوفية نحن برآء إلى الله تعالى منهم. انتهى قاله صاحب الجزء والظاهر أنه أشار بقوله وآخرين تسموا إلى آخره إلى ابن عربي[٥] وأتباعه قلت هذا نقله صاحب الجزء عن السبكي والعهدة عليه قال وقد سمعت صاحبنا الحافظ الحجة القاضي شهاب الدين أبا الفضل أحمد بن علي بن حجر

---

(١) الحافظ العراقي، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين. من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد ومولده في رازنان توفي في القاهرة. ولد سنة ٧٢٥هـ، وتوفي سنة ٨٠٦ هـ. الضوء اللامع (١٧١/٤)، حسن المحاضرة (٢٠٤/١)، الأعلام (٣٤٤/٣).

(٢) الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين. مصري، قاهري، حافظ. ولد سنة ٧٣٥هـ، وتوفي سنة ٨٠٧هـ. الضوء اللامع (٢٠٠/٥)، الأعلام (٢٦٦/٤).

(٣) تقي الدين السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين. شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين ولي قضاء الشام. توفي بالقاهرة، ولد سنة ٦٨٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ. طبقات الشافعية (١٤٦/٦)، حسن المحاضرة (١٧٧/١)، الدرر الكامنة (٦٣/٣)، الأعلام (٣٠٢/٤).

(٤) الحارث المحاسبي، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله. صوفي، عالمًا بالأصول والمعاملات واعظًا، ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد. توفي سنة ٢٤٣هـ. تهذيب التهذيب (١٣٤/٢)، صفة الصفوة (٢٠٧/٢)، الأعلام (١٥٣/٢).

(٥) سبق ذكره.

الشافعي[1] يقول إنه ذكر لمولانا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[1] أشياء من كلام ابن عربي المشكل وسأله عن ابن عربي فقال له شيخنا البلقيني هو كافر قال وسمعت الحافظ شهاب الدين بن حجر يقول جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي يقال له المرمين منازعات كثيرة في أمر ابن عربي حتى تبرأت من ابن عربي بسوء مقالته فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره وهددني بالشكوى إلى السلطان بمصر بأمر غير الذي تنازعنا فيه يتعب خاطري فقلت له ما للسلطان في هذا مدخل ألا تعال نتباهل وقلت ما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذبا إلا وأصيب قال فقال لي بسم الله قال فقلت له قل اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك فقال ذلك فقلت أنا اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك وافترقنا قال وكان يسكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصممًا على عدم المبيت فخرجوا يشيعونه إلى الشختور فلما رجع أحس بشيء مر على رجله فقال لأصحابه مر على رجلي شيء ناعم فانظروه فنظروا فلم يروا شيئًا وما رجع إلى منزله إلا وقد عمى وما أصبح إلا ميتًا وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وسبعين وكانت هذه المباهلة في رمضان منها وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ما تمضي عليه وكانت بمحضر من جماعته قال صاحب التأليف هذا بمعنى ما سمعته من الحافظ شهاب الدين بن حجر ثم ذاكرته الحكاية فكتب إلي بخطه يقررها أهـ.

(قلت) وقصة المباهلة صحيحة بلا ريب فقد ذكرها باختصار الحافظ برهان الدين البقاعي[2] تلميذ الحافظ في عنوان الزمان في ترجمة الحافظ وعدها كرامة له ولم أقف على اسم صاحب الجزء ولم أنقل من تأليفه إلا ما نقله عن الكتب المشهورة كما هو ظاهر فإذا عرفت ذلك كله علمت أن الشيخ تقي الدين بن تيمية لم ينفرد بذم ابن عربي (فإن قلت) فما تعتقد في ابن عربي (قلت) مذهبي فيه كمذهب شيخ الإسلام الحافظ السيوطي وهو اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه وقد اختار هذا القول الشيخ ابن حجر الملكي من الشافعية ومنلا أبو السعود من الحنفية وقال به ورد الأمر وأما ابن الفارض فهو من نمط ابن عربي وقد كفره خلق من العلماء أيضًا وقد نظم أسماءهم بعض العلماء وعد ابن تيمية منهم ومن أراد تصديق ذلك

---

(١) سبق ذكره.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين. مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة وتوفي بدمشق. ولد سنة ٨٠٩هـ، وتوفي سنة ٨٨٥هـ. الضوء اللامع (١٠١/١)، شذرات الذهب (٧/ ٣٣٩)، الأعلام (٥٦/١).

فلينظر في تواريخ المحدثين وأما الذي في اعتقادنا فابن الفارض رجل كبير عظيم المقدار وكان شيخنا الجلال السيوطي مع ذمه القول بالوحدة المطلقة يعتقد فيه وصنف جزأ(*) وسماه قمع المعارض لابن الفارض ولا نقصد بذكره وكذا ذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي ذمهما وإنما أردنا بيان أن ابن تيمية لم ينفرد بذمهما كما زعمه من لا علم بتواريخ أئمة الحديث.

(فصل) فإن قلت ما نقلته عن الذهبي أول التأليف يعارضه ما ذكر هو نفسه في رجل العلم. (قلت) الذهبي- رحمه الله تعالى- كان على طريقة السلف في كراهة علم الكلام وجماهير المحدثين كانوا يرون الاشتغال به من جملة البدع وابن تيمية كان قد دخل في هذا الباب فصار ينظر في كلامهم ويرد على من خالف كعادة الأشاعرة والماتريدية مع اتصافه بالعقيدة السلفية فمدح الذهبي له لكونه من أهل الحديث وكونه موافقًا له في العقيدة وذمه؛ لكونه دخل في طريقة المتكلمين والجدال معهم على أنه كان لا ينكر فضله وورعه وعلمه وديانته وصحة اعتقاده وإن شئت الاطلاع على ذلك فعليك بتاريخ الإسلام وطبقات

(*) وهو جزء نحو خمس ورقات ذكر فيه أهل الفنون الشرعية والعقلية وأهل المذاهب الأربعة وتكلم على كل فريق منهم بما أداه إليه نظره فقال في أثناء الكلام على الفقهاء الشافعية واحذر الكبر والعجب بعلمك فيا سعادتك إن نجوت منه كفافًا لا عليك ولا لك، فوالله ما رمقت عيني أوسع علمًا ولا أقوى ذكاءً من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد في المأكل والملبس والنساء ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن وقد تعبت في رزيته وفتنته حتى مللت في سنين متطاولة فما وجدت قد أخره في أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا بالكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور ونسأل الله المسامحة فقد قام عليه ناس ليسوا بأروع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم وما سلطهم الله عليه بتقواهم أو جلالتهم بل بذنوبه وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك وقال أيضًا في أثناء الكلام على أصول الدين فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومجاراة العقول واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف وافقت بين العقل والنقل فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منورًا مضيئًا على محياه سيما السلف ثم صار مظلمًا مكسوفًا عليه قتمة عند خلائق الناس ودجالاً أفاكًا كافرًا عند أعدائه ومبدعًا فاضلاً محققًا بارعًا عند طوائف من عقلاء الفضلاء وحامل راية الإسلام وحامي عورة الدين ومحيي السنة عند عموم أصحابه وهو ما أقول لك أهـــ فأنت ترى كلامه في الشيخ فزنه بعقلك فإنه ظاهر التناقض والله أعلم بالسرائر قال وتم الحروف انتهى ما وجدته بخط مجتهد العصر على الإطلاق إمامنا السيد النواب صديق حسن خان عافاه الله آمين كتبه أبو الشرف محمد بن حسين عفى عنه.

الحافظ، وقد كان الذهبي يبالغ في مدح الحافظ جمال الدين المزي[١] ومع ذلك ذكر في ترجمته أنه كان يعرف مضايق المعقول كأنه يذمه بذلك فقال الشيخ تاج الدين السبكي ما معناه- رحم الله شيخنا- الذهبي فما كان هو والمزي يدريان شيئًا من المعقول فافهم. واعلم أيها الأخ الصالح أنك إذا قطعت النظر عما قيل أو يقال ورأيت كلام الرجل فيما يتعلق بالصفات خاصة وبسائر العقيدة عامة في كتبه المشهورة علمت مقام الرجل وقد ذكرنا لك طرفًا صالحًا من كلامه مع كلام غيره من السلف والخلف وفيه كفاية لمن يتدبر وحفظ اللسان خير مما لا يعنى وأما المعاندون فيقال لهم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم.

(فصل) قال بعضهم قوم من المعتزلة سموا أنفسهم حنابلة إلى آخر ما قال وفى مقوله نظر لأن الحنابلة فرقتان فرقة منهم أهل السنة والجماعة وهم الجماهير ولم يخالفوا الإمام أحمد في شيء من أصول الدين ولم يقولوا بالجهة والجسمية وكانوا على عقيدة السلف الصالح وليس بيننا وبينهم إلا اختلاف يسير كما بين أصحابنا الماتريدية والأشاعرة وفرقة انتسبوا إلى الإمام أحمد ووافقوه في الفروع وخالفوه في بعض الأصول وقالوا بالجهة والجسمية وأحمد برئ منهم وأهل السنة والجماعة من الحنابلة لا يعدونهم منهم وقد قال تقى الدين ابن تيمية في المجالس الثلاثة لما قال له بعض المنازعين لاريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر ومن أكبر أئمة الإسلام ولكن قد انتسب إليه أناس ابتدعواْ أشياء ما نصه أما هذا فحق وليس هذا من خصائص أحمد بل ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام هو برئ منهم قد انتسب إلى مالك أنا برئ منهم وانتسب إلى الشافعي أناس كذلك وانتسب إلى الإمام أبي حنيفة كذلك إلى أن قال وذكر في كلامه يعني المنازع أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبهة قال الشيخ فقلت المشبهة والمجسمة من غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية قلت قد انتسب إلى إمامنا أبو علي الجبائي[٢] وأصحابه ومحمد بن كرام[٣] وأصحابه وكان الأول يقول الفقه عندنا فقه أبي حنيفة والكلام كلام المعتزلة وكان بعض الكرامية يقول ما الفقه إلا فقه أبي حنيفة عندنا وما الدين إلا دين

---

(١) سبق ذكره.

(٢) الجبائي، محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبة الطائفة الجبائية. ولد سنة ٢٣٥هـ، وتوفي سنة ٣٠٣هـ. وفيات الأعيان (١/ ٤٨٠)، البداية والنهاية (١١/١٢٥)، الأعلام (٦/٢٥٦).

(٣) ابن كرام، محمد بن كرام بن عراق بن حزابة، أبو عبد الله، السجزي. إمام الكراية، من فرق الابتداع في الإسلام، ولد في سجستان. توفي سنة ٢٥٥هـ.

محمد بن كرام ونحن برآء إلى الله تعالى منهم وكان عبد الجبار القاضي[1] المعتزلي شافعيًا في الفروع والإمام الشافعي بريء منه وإذا علمت هذا كله فلنرجع إلى الكلام ونقول المجسمة من الحنابلة لم يوافقوا المعتزلة في شيء من أصولهم فإنهم يقولون بخلق القرآن ولم يقولوا بعدم جواز رؤية الله تعالى في الآخرة إلى غير ذلك من أصول المعتزلة وإنما غيروا شيئا في صفات الله تعالى وصرحوا بالتحديد ومعلوم عند أولي الألباب أن المعتزلة يكفرون المجسمة وبالعكس فكيف يقال قوم من المعتزلة سموا أنفسهم حنابلة فإن قال قائل إن هذا القول مبني على اصطلاح المصريين فإنهم يسمون كل من خالف أهل السنة من أثر فرقة كان معتزليا يقال له إن هذا الاصطلاح جديد مخالف لاصطلاح سائر المتكلمين فلا ينبغي ذكره في الكتب الكلامية فتأمل.

(فصل) وأهل السنة والجماعة من الحنابلة لا يسمون الأشاعرة ولا الماتريدية بل سموا أنفسهم أهل الأثر ولا بأس بذلك كما أن من كان من الحنفية قبل الإمام أبي منصور الماتريدى[2] كمحمد بن سماعة[3] ورستم وهشام وخصاف وهلال لا يسمى أحد منهم ماتريدية ولما جاء أبو منصور وناظر المعتزلة وغيرهم من أهل البدع وصنف الكتب في التوحيد وملأها بالدلائل العقلية والنقلية فصار بذلك رئيس الأصحاب فكل من جاء بعده انتسب إليه وأما السادة الحنابلة فلما كان إمامهم يكره الرد على المبتدعة بالدلائل التى وضعها المتكلمون ولقد بالغ فيه حتى حجر الحرث مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في الشبه فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث والصنعة تبعه جمهور أصحابه على ذلك فكانوا يردون على من خالف أهل السنة بالكتاب والسنة وأقوال السلف ولم يشتغلوا بعلم الكلام كاشتغال الأشاعرة والماتريدية ولم يتبعوا أحدًا في طريقته غير إمامهم وقد رأينا بحمد الله كتبهم في التوحيد فلم نر شيئا يوجب القدح فيهم

---

(١) قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد ابادي، أبو الحسن. قاض، أصولي، شيخ المعتزلة في عصره، توفي سنة ٤١٥هـ. طبقات المعتزلة (١٢٢)، الأعلام (٢٧٣/٣).

(٢) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور. من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد محلة بسمرقند. توفي سنة ٣٣٣هـ. الأعلام (١٩/٧).

(٣) ابن سماعة، محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي، أبو عبد الله. حافظ الحديث، ولي القضاء لهارون الرشيد ببغداد. ولد سنة ١٣٠هـ، وتوفي سنة ٢٣٣هـ. الوافي بالوفيات (١٣٩/٣)، تهذيب التهذيب (٢٠٤/٩)، الأعلام (١٥٣/٦).

وليس بيننا وبينهم إلا اختلاف يسير وهذه عقيدة الموفق وعقيدة الشيخ عبد الباقي[١] في ديارنا فمن شاء فليجرب.

فصل في ذكر وفاته

قال الحافظ أبو محمد بن البرزالي[٢] في تاريخه وفي ليلة الاثنين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الإمام العلامة الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي[٣] بقلعة دمشق في القاعة التي كان محبوسًا فيها وحضر جمع كثير إلى القاعة فأذن لهم في الدخول وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأواْ القرآن وتبركواْ برؤيته وتقبيله وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصر على من يغسله ويعين على غسله فلما فرغ من ذلك وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى اللبادين إلى الفوارة وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام وصلى عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الظهر وحمل من باب البريد واشتد الزحام وقال قبل ذلك وكان دفنه العصر أو قبله بيسير وذلك من كثرة من يأتي ويصلي من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم وغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور مع الترحم والدعاء وأنه لو قدر ما تخلف وحضر نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة غير اللاتي كن على الأسطحة الجميع يترحمن عليه ويبكين فيما قيل وأما الرجال فحزرواْ ستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف قال ولاشك أن جنازة الإمام أحمد بن حنبل[٤] كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل البلد واجتماعهم لذلك وتعظيمهم له وأن الولاة كانت تحبه والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى توفي ببلدة دمشق وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة لكنهم اجتمعواْ لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاصر لما بلغواْ

---

(١) سبق ذكره.

(٢) علم الدين البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي الإشبيلي الدمشقي، أبو محمد. محدث مؤرخ، أصله من إشبيلية، مولده بدمشق، زار مصر والحجاز. ولد سنة ٦٦٥، وتوفي سنة ٧٣٩هـ. فوات الوفيات (٢/١٣٠)، تذكرة الحفاظ (٤/٢٨٣)، الدرر الكامنة (٣/٢٣٧)، الأعلام (٥/١٨٢).

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته وانتهوا إليها هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة السلطان وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة مما تنفر منها طباع أهل الأديان فضلاً عن أهل الإسلام وهذه كانت جنازته رحمة الله عليه. (قلت) وبالجملة فلم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين ابن تيمية غير الإمام أحمد كما أشار إليه الحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصر[١] في كتابه الرد الوافر وقد صح عن (النبي ﷺ أنه قال أنتم شهداء الله في الأرض) ورثاه الإمام زين الدين عمر بن الوردي[٢] رحمه الله فيما ذكر شيخ الإسلام العيني[٣] بقصيدة منها قوله:

عثا في عرضه قوم سلاط لهم في نثر جوهره التقاط

تقي الدين أحمد خير حبر خروق المعضلات به تخاط

توفي وهو محبوس فريد وليس له من الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا ملائكة النعيم به أحاطوا

(ومنها)

وحبس الدر في الأصداف فخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي له اقتداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

ورثاه الحافظ أبو عبد الله الذهبي[٤] فيما ذكره الحافظ ابن ناصر السنة الدمشقي[٥] بقوله:

محوت رسم العلوم والورع ياموت خذ من أدرت أو فدع

قال الشيخ الإمام عبد القادر بهاء الدين بن جلال الدين بن عبد الهادي العمري

(١) ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين. حافظ الحديث، مؤرخ، أصله من حماة، ولد في دمشق وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية. ولد سنة ٧٧٧ هـ. وتوفي سنة ٨٤٢هـ. شذرات الذهب (٧/٢٤٣) ، الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)، الأعلام (٦/٢٣٧).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الدمشقي، شمس الدين (٧٧٧-٨٤٢هـ). حافظ طلب الحديث وجود الخط على طريقة الذهبي وصار محدث البلاد الدمشقية. ذيل تذكرة الحفاظ (٣١٧/٣٧٨).

الشافعي[١]

لكن قديمة مع الصفات … والقول بالحروف والأصوات

من حادث حققه أهل الهدى … ليس كحرف أو كصوت قد بدا

وصحبه لنقله قد صححوا … كأحمد[٢] وهو إليه يجنح

ما صح إسنادا لدى النظار … وقد ورد في ذا من الأخبار

وغيره من عمدة الأحبار … هذا وقد أوردها البخاري[٣]

غير مصحح عن الأوهام … والقول إنه عن الإمام

هذا وفي مقاله اختلفت … فسائر الأصحاب عنه نقلت

وصحبه لبدعة من الردى … ونسبة الإمام أعني أحمدا

ترجع للنقل عن الأوائل … وهذه من مشكل المسائل

بما أجاب صاحب التحقيق … أو يجب المصير للتوفيق

علامة العصر بلا مخالف … ينقله عن صاحب المواقف

والأشعري[٤] أراد هذا الثاني … من أن للمعنى مراد ثاني

يشتمل اللفظ لذات المعنى … ما قام بالذات وهذا المعني

وهو لنا عن مشكل يقينا … وهو مراد الأشعرى يقينا

كلامه المحفوظ والمسطرا … كعدم الا كفار أي من أنكرا

فصل في ذكر صفة الفوقية وما جاء في ذلك عن السلف والأئمة

قال عثمان بن سعيد الدارمي[٥] في النقض على المرسى وقد اتفقت الكلمة من المسلمين

---

(١) لم يتم العثور عليه.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد. محدث هراة، له تصانيف في الرد =

أن الله فوق عرشه فوق سماواته. (قلت) يعني كما يليق به بلا تحيز ولا اتصال وقال الإمام أبو سليمان الخطابي[١] في كتابه شعار الإيمان إن إنكار الفوقية شيء سرقه المتأخرون عن الفلاسفة وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله، وقال الحافظ أبو مسعود أحمد بن محمد النخلي[٢] دخل ابن فورك[٣] على السلطان محمود بن سبكتكين[٤] فتناظرا يعني في القرآن والصفات. فقال ابن فورك لمحمود لا يجوز أن يوصف الله تعالى بالفوقية؛ لأنه يلزمك أن تصفه بالتحتية لأن من جاز أن يكون فوق جاز أن يكون تحت فقال محمود ليس أنا وصفته بالفوقية فيلزمني أن أصفه بالتحتية، وإنما هو وصف نفسه بذلك قال فبهت. (قلت) وهذا جواب نفيس؛ لأن الفوقية من باب المتشابه وحكم المتشابه وجوب الإيمان مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه وهذا معنى قول محمود ليس أنا وصفته، وإنما هو وصف نفسه بذلك فوجب الإيمان بلا كيف، وقد قال الإمام أبو محمد البغوي[٥] في التفسير، وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به وبكل العلم فيه إلى الله تعالى ثم ذكر جواب مالك انتهى. والاستواء والفوقية لله تعالى من باب واحد. وقال الإمامان أبو

على الجهمية. ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٠هـ. تذكرة الحفاظ (٢/١٧٧)، الأعلام (٤/٢٠٥).

(١) حمد الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان. فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفي سنة ٣٨٨هـ. الوفيات (١/١٦٦)، أنباء الرواة (١/١٣٥)، الأعلام (٢/٢٧٣).

(٢) الشهاب أحمد بن محمد النخلي. أبجد العلوم (٣/١٥).

(٣) ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر. واعظ عالم بالأصول والكلام من فقهاء الشافعية، سمع بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور قتله محمود بن سبكتكين بالسم. توفي سنة ٤٠٦هـ. النجوم الزاهرة (٤/٢٤٠)، وفيات الأعيان (١/٢٨٤)، الأعلام (٦/٨٣).

(٤) السلطان الغزنوي، محمود بن سبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة، أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور. فاتح الهند وأحد كبار القادة. ولد سنة ٣٦١هـ، وتوفي سنة ٤٢١هـ. البداية والنهاية (٢/٢٧)، الأعلام (٧/١٧١).

(٥) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، محيي السنة، فقيه محدث، مفسر، نسبته إلى بغا من قرى خراسان. ولد سنة ٤٣٦هـ، وتوفي سنة ٥١٠هـ. وفيات الأعيان (١/١٤٥)، الأعلام (٢/٢٥٩).

حاتم[١] وأبو زرعة[٢] وإن الله- تبارك وتعالى- على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف أحاط بكل شيء علمًا وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقال ابن العربي فأما قول الله تعالى ثم استوى على العرش فروى عن ابن عباس[٣] رضي الله عنهما قال جلس على العرش بغير تكييف ولا تحديد وفى قوله جلس نظر فافهم.

وقال أبو بكر الخلال[٤] أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني[٥] أنه سأل أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل[٦] ما تقول فيمن قال إن الله تعالى ليس على العرش قال كلامهم كله يدور على الكفر انتهى قوله إن الله ليس على العرش أي أنكر صفة الاستواء قوله كلامهم أي كلام الجهمية قوله يدور على الكفر هذا اعتقاده في الجهمية وكان هذا مذهب جماعات من أئمة الحديث كما أشار إلى ذلك أبو محمد عبد الرحمن ابن أبى حاتم عن أبيه وأبو زرعة ولفظهما أن الجهمية كفار والرافضة كفار انتهى.

وقال أبو محمد قال الإمام أبو عبد الله بن حنبل- رحمه الله تعالى- ما فطر العباد إلا على أن ربهم في السماء يعني بلا كيف وبلا جهة وقال أحمد بن حنبل حدثنا سريج بن النعمان[٧] حدثنا عبد الله بن نافع[٨] قال: قال مالك الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو أبدًا من

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن العراقي، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي. قاضي الديار المصرية، مولده ووفاته بالقاهرة. ولي القضاء سنة ٨٢٤هـ. ولد سنة ٧٦٢ هـ، وتوفي سنة ٨٢٦هـ. البدر الطالع (٧٢/١)، الضوء اللامع (٣٣٦/١)، الأعلام (١٤٨/١).

(٣) ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة. الإصابة ت (٤٧٧٢)، صفة الصفوة (٣١٤/١)، الأعلام (٩٥/٤).

(٤) سبق ذكره.

(٥) عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران الميموني، أبو الحسن الرقي. حافظ، فقيه صاحب أحمد عن إسحق الأزرق- ٢٧٤هـ. خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال صفحة ٢٤٤.

(٦) سبق ذكره.

(٧) سريج بن النعمان بن مروان الجوهرى اللؤلؤى، أبو الحسين البغدادي – ٢١٧هـ. خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال صفحة ١٣٣.

(٨) عبد الله الصائغ، عبد الله بن نافع مولى بني مخزوم، أبو محمد. توفي سنة ١٨٦هـ. فقيه تفقه بمالك وروى عنه وتوفي بالمدينة. معجم المؤلفين (١٥٨/٦). خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال

علمه مكان قال ابن القيم صحيح. (قلت) أشار بقوله الله في السماء إلى ما جاء في القرآن وأجروه على مذهب السلف مع نفي الجهة والجسمية والله أعلم. ولا يلزم من قولنا أنا نرى الله في جنة عدن أن نراه في جهة فافهم فإن قلت ما نقلت عن الإمامين يشعر بإثبات الجهة وهو بدعة بلا ريب قلت يحمل كلامهما على رأى السلف وقد كانوا يقولون أمروها كما جاءت بلا كيف وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في الأجوبة المصرية، ولهذا تنوع أهل السنة في اسم الجهة وربما قال بعضهم ليس بجهة وذلك لأن هذا اللفظ بعينه بلا كيف ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال. اهـ. وحاصل كلامه أن الخلاف بين الفريقين لفظي وليس أحد منهم يعتقد التحيز والاتصال وأنه أي ابن تيمية لا يطلق لفظ الجهة لعدم وروده. (قلت) وإثبات الجهة بدعة بلا شك ونقول كما قال السلف أمروها كما جاءت بلا كيف.

(تنبيه) قال الشيخ النفراوي المالكي[1] في شرح الرسالة سئل الشيخ عز الدين عن هذا يعني قوله فوق العرش هل يفهم منه القول بالجهة وهل يكفر معتقدها أم لا فأجاب بأن ظاهره القول بالجهة والأصح أن معتقدها لا يكفر قال النفراوي وما قاله المذكور يرده قول الإمام أبي عبد الله محمد بن مجاهد[2] في رسالته مما أجمعوا على إطلاقه أنه تعالى فوق سمواته على عرشه دون أرضه إطلاقًا شرعيًا ولم يرد في الشرع أنه في الأرض فلذلك قال دون أرضه وهذا مع ثبوت علمهم باستحالة الجهة عليه تعالى قال النفراوي وحمل الفوقية في حقه تعالى على المعنوية مبني على طريقة الخلف وهي المؤولة وعليها إمام الحرمين وجماعة كتأويل اليد بالقدوة. وأما السلف فيقفون على الخوض في معنى ذلك ويفوضون علم ذلك إلى البارئ - سبحانه وتعالى- قال النفراوي في موضع آخر قال العلامة ابن أبي شريف[3] ومذهب

صفحة ٢١٦.

(١) النفراوي، أحمد بن غانم (أوغنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي. فقيه من بلدة نفري من أعمال قويسنا بمصر نشأ بها وتفقه وتأدب وتوفي بالقاهرة، ولد سنة ١٠٤٤هـ، وتوفي سنة ١١٢٦هـ. الأعلام (١٩٢/١).

(٢) ابن مجاهد، محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد، أبو عبد الله الطائي البغدادي (توفي ٣٧٠ هـ). عالم بالكلام من المالكية من أهل البصرة، صحب أبا الحسن الأشعري وسكن بغداد. الديباج المذهب (٢٥٨/١)، شذرات الذهب (٧٤/٣)، الأعلام (٣١١/٥).

(٣) ابن أبي شريف، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي، أبو المعالي، كمال الدين ابن الأمير ناصر الدين.عالم بالأصول من فقهاء الشافعية من أهل بيت المقدس ولد سنة ٨٢٢هـ،

السلف أسلم فهو أولى بالاتباع كما قال بعض المحققين ويكفيك في الدلالة على أنه أولى بالاتباع ذهاب الأئمة الأربعة إليه. أهـ. وما ورد عن جماعة من المحدثين كابن تيمية والمزني[١] والذهبي مما يوهم الجهة فهو محمول على الطريقة السلفية إذ لم يقل أحد منهم بأنه سبحانه متحيز على العرش متصل به بل أطلقوا ما أطلقه الشرع مع اعتقاد التنزيه ونفى التشبيه كما مر بيانه. نعم قد مال بعض المحدثين مع كونه من أهل السنة والجماعة إلى القول بالجهة مع اعتقاد التنزيه وقد أخطأ في ذلك اشد الخطأ فليحذر.

هذا ما تيسر جمعه في صفة الفوقية وغالبه من كتاب الحافظ ابن القيم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب.

(فصل) قد نسب إلى بعض الحنابلة القول بالتحديد كما أشار إليه الشيخ تاج الدين ابن السبكي[٢] في طبقاته في ترجمته البستي[٣] والحافظ ابن حجر في اللسان في ترجمة المذكور وإنما نسبهم إلى ذلك من لم يفهم مرادهم وقد أزال عنهم هذا الإبهام ابن القيم- رحمه الله تعالى- حيث قال: قال حرب الكرماني قلت لإسحاق على العرش يحد قال نعم يحد وذكر عن ابن المبارك[٤] قال هو على عرشه بان سألت يحيى بن عمار عن يحيى بن حبان البستي فقال نحن أخرجناه من سجستان أنكر الله والحد فقال له أبو جعفر الساركي الصوفي[٥] أبا حاتم أنت هو قال لا قال هو أنت قال لا قال فهذا يحد والسلام وقال أبو عبيد الله الحسن ابن العباس الرستمي[٦] الفقيه وسألت هل يجوز أن يقال لله حد؟ قال: نعم، يجوز. ولله حد.

=

وتوفي سنة ٩٠٦هـ. شذرات الذهب (٨/٢٩)، الأعلام (٧/٥٣).

(١) المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم. صاحب الإمام الشافعي من أهل مصر، ولد سنة ١٧٥هـ، وتوفي سنة ٢٦٤هـ. وفيات الأعيان (١/٧١)، الأعلام (١/٣٢٩).

(٢) سبق ذكره.

(٣) أبو حاتم البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي. مؤرخ، محدث. تولى قضاء سمرقند ثم عاد إلى نيسابور، توفي سنة ٣٥٤هـ. شذرات الذهب (٣/١٦)، تذكرة الحفاظ (٣/١٣٥)، طبقات السبكي (٢/١٤١)، الأعلام (٦/٧٨).

(٤) ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التميمي، المروزي، أبو عبد الرحمن. الحافظ، شيخ الإسلام، من سكان خراسان. ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ١٨١هـ. تذكرة الحفاظ (١/٢٥٣)، شذرات الذهب (١/٢٩٥)، الأعلام (٤/١١٥).

(٥) لم يتم العثور على ترجمته.

(٦) الحسن الرستمي. التدوين في أخبار قزوين (٣/١٣٣).

ونعني بذلك أنه متميز بذاته عن جميع الذوات فهذا التمييز قد عبروا عنه بعبارات أوضحها ما ذكرت وقد قالوا متباين بذاته عن جميع الذوات وهو قريب مما قلت والله أعلم.

(قلت) فمرادهم بالحد أن ذاته -تبارك وتعالى- لا تشبه الذوات ولم يريدوا به ما فهمه المنكرون والذي ينبغي القول به عدم الاستعمال لمثل هذا اللفظ وإن كان المعنى صحيحًا لأنا كلنا نعتقد أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. تمت بحمد الله وعونه والسلام على يد راقمها الحقير إلى الله -عز وجل- أبي الشرف محمد بن حسين عفا الله عنه.

(**تقريظ**) (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى جعل أئمة الأخيار صيارفة الأثر ورجاله، وحجج الله على خلقه في أقوال النبى وأفعاله، فعرفونا من عبر القنطرة لحسن جلاله، وأودعوا لنا في بطون الدفاتر المضبوطة ما يهتدى به المحصل في جميع أحواله، ونبذوا التعصب بالعراء وزينوا سخيف قاله، ولبسوا حلة الانصاف في الفدح والتوثيق ففازوا برضاء الله الذى هو للعبد منتهى آماله والتمسوا المعاذير لمن عثر قلمه أو ساء فهمه أو غلط في أمر كما أمر الرسول ﷺ وعلى آله، ولم يبادروا بالإنكار من أول بادرة كما هي دأب المتهور في أمثاله، فسلكوا الطريق المستقيم وفازوا بكماله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي طيب الله كل خلاله، القائل أقيلوا لذوى الهيآت عثراتهم فيالها من نصيحة فاز بها أهل جماله، وعلى آله وصحبه حماة بيضة الإسلام وأسود عرينه وجباله.

(وبعد) فقد وقفت على هذا القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي[1] فوجدته قولاً جليًا وصراطًا سويًا قد نبذ مؤلفه التعصب ظهريًا فمن يهز نخلاته تساقط عليه رطبًا جنيًا ومن ضرب عنه كشحًا يقول لمؤلفه لقد جئت شيئًا فريًا كلا لقد سلك مولانا صفي الدين ما يستعذبه العارفون ومحجته بيضاء نقية لا يعقلها إلا العالمون والخطأ في ابن تيمية معلوم ولا ينجو منه إلا معصوم والشرعية وغيرها الموافق والمخالف ولا ينكر ذلك إلا غبي أو جاهل أو حسود أو متعصب على حجر جمود واقف وقد أثنى عليه جمهور معاصريه وجمهور من تأخر عنه وكانوا خير مناصريه وهم ثقات صيارفة حفاظ عريفهم في النقد دونه عريف عكاظ وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور أشاعها مشيع لحظ نفسه أو لأجل المعاصرة التي لا ينجو من سمها إلا من قد كمل في قدسه فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ورماه بعظائم موجبة للتعزيز أو الحد ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الإمام علي ومعاوية فقالوا تلك دماء طهر الله منها سيوفنا

---

(١) سبق ذكره.

أفلا نطهر منها ألسنتنا لننجو من هذا العناء وقول الآخر لما سئل عن ذلك فأجاب تلك أمة قد خلت الآية وهذا الإمام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى واطلع عليه القاصي والداني من علماء الورى فما وجدوا فيها عقيدة زائغة ولا عن الحق رائغة كم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال وكم رماهم بصواعق براهين محرقة كالجبال تنادي صحائفه البيضاء بعقيدة السلف ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف شهد له الأقران بالاجتهاد ومن منعه له فقد خرط بكفه شوك القتاد وما سوى العقائد نسبت إليه مسائل جزئية رأى فيها باجتهاده رأي بعض السلف لدليلٍ واضحٍ قام عنده فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف وهذا محمد بن إسحاق[١] قال فيه إمام دار الهجرة ذاك دجال من الدجاجلة ومع ذلك وثقه تلميذه الإمام المجتهد محمد بن إدريس[٢]. وروى عنه حديث القلتين ووصفه بالدجاجلة لم يبق من الذم شيئًا. ولم يرمه أحد بكفر ولا زندقة ولا فسق وأمثال هذه القضية جرت في الأعصر الأول وبعدها مرارًا وأشنع ما نسب إليه منع الزيارة لقبور الأنبياء فهذه إن صحت عنه فلعله إنما منع شد الرحال إليها قصداً أما الزيارة لتلك القبور المقدسة تبعًا فلا يصح نسبة المنع إليه كيف وهو مصرح باستحباب زيارة قبور آحاد المؤمنين ولله در الإمام حافظ الشام ابن ناصر[٣] حيث ألف في الذب عنه رسالة هي أمضى من السيف الباتر ولله در الحافظ ابن حجر والحافظ الأسيوطي وأضرابهم من الأسود الكواسر قد شنُّوا الغارة على من طعن فيه فباءوا بالأجر الوافر أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده وثمة أشياء أخر أشيعت عنه وهي أكاذيب عنه وفرية وما فيها مرية وهي سنة الله في أحبابه. وأما طعنه على بعض المشهورين من الصوفية فهو ليس بفريد في ذلك بل سلفه مثله وأعلى منه في تلك المسالك وما قصده مع أمثاله إلا الذب عن ظاهر الشريعة خوفًا على ضعفاء الأمة من اعتقاد أمور شنيعة، ومن كان هذا قصده يمدح ويثاب ولا يلام فكيف يزعم زاعم خروجه بذلك عن الإسلام هذا.

وفصل الخطاب عند أولي الألباب أن معتقد طريق السلف على غاية الصواب ومن أداه اجتهاده لدليل قام عنده في فرع فقهي بعد تبحره في العلم لا يلام عرضه ولا يعاب، وإن خالف المذاهب الأربعة أو المذاهب المنقرضة الغير المتبعة والمقلد إذا التزم مذهبًا لا يجوز له

(١) القونوي، محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين صوفي من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين بن العربي، شافعي المذهب، توفي سنة ٦٧٣هـ. طبقات السبكي (١٩/٥)، الأعلام (٣٠/٦).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

الطعن في رجل برع ونال رتبة الاجتهاد لينفق ذو سعة من سعته وليس الرافل في حال المجد في غرف القصور كخادم الباب.

ورسالة مولانا صفي الدين هذه صاحبة القدح المعلى وهي قبلة أرباب التحقيق والمصلى هي من الضنائن إلا على جواهرها ثمينة لا يخطبها إلا رجل كفؤٌ لها ولمثلها، ولقد كشفت نقاب حسنها في زمان لا تخطب الخطاب مثلها، ولا يرشفون نهلها وعلها إذا تليت عليهم آياتها حاصواْ كحيص الحمر وشنواْ الغارة على عرج الحمير وقالواْ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين واتخذوها هجرًا وصمموْا على النكير وما ذاك إلى أصحاب الهمم إلا النادر وقليل ما هم في هذا الزمان الدائر والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أرباب النجدة.

كتب ارتجالاً عاجلاً والهم المتراكم قد بلغ مني وجده الحقير محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس الشريف حالاً.

(**تقريظ آخر**) (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أبدع هذه الشريعة وأهلها وسقاهم من رحيق شرابها علها ونهلها وقيض لهم من يذب عنهم ما إليهم ينعي مما فيه حط مقام أو داهية دهما والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام أهل الكمال الآمر بإقالة عثرات ذوي الهيئات من الرجال وعلى صحبه الذين هم السلف الصالح وعلى من اهتدى بهديهم وسلك طريقهم الواضح.

(أما بعد) فقد اطلعت على هذا الجزء الشريف وسرحت طرفي في رياض روضه المنيف فرأيته بديعًا في بابه جامعًا لفصل القول وخطابه معرفًا بسناء مقام الشيخ شيخ الإسلام أحد سلاطين المحدثين الأعلام من أذعن لغزارة علمه الموافق والمخالف واعترف بتحقيقه وسعة اطلاعه من هو على مؤلفاته واقف الإمام ابن تيمية أحمد تقي الدين وأنه ممن دان بسيرة السلف الصالحين منزه عن سوء الاعتقاد وزيغ العقيدة سالكًا لطريقة السلف الحميدة وأن ما يعزى إليه من بعض المخالفات في الأصول والابتداع هو منه بريء كما يصرح به النقل من كلامه في مشهور مؤلفاته الدال على أنه بموافقة أهل السنة حري وما يعزى إليه من المخالفات في بعض الفروع والطعن في السادة الصوفية أولى الشأن العلي المعروف فذلك مما لا نوافقه عليه ولا نسلم شيئًا من ذلك إليه كما حقق جميع ذلك وحرره سيدنا مؤلف هذه الرسالة وأيَّد كلامه مقرظه سيدنا العلامة نور الجلالة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. قاله وكتبه تراب أقدام أهل الحديث الشريف النبوي عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عفا الله عنه وختم له

بالحسنى آمين.

هذا نقلته من خطه وعليه ختمه كتبه الفقير إلى الله تعالى السيد محمد وفا ابن السيد وفا ابن السيد محمد وفا ابن السيد علي وفا الوفائي كان الله له عونًا ومعينًا وحافظًا وأمينًا وختم له ولإخوانه والمسلمين بالإيمان والإسلام ولقاء ربه ولمصنِّفه وعفا الله عنهما آمين.

وكان الفراغ منه في شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٣ الهجرية.

قال سيدنا الإمام والقدوة الهمام عين السادة الأعلام مولانا النواب صديق حسن خان كذا في الأم المنقول عنها ولا تخلو عن سقم وغلط حرره صديق حسن القنوجي الحسيني البخاري في سلخ ذي القعدة بمكة المشرفة على العجلة الشديدة بيده الضعيفة ومن الله القبول وبيده التوفيق في سنة ١٢٨٥ الهجرية.

(تم القول الجلي ويليه العقود الدرية)

العقود الدرية

في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي

المتوفى سنة ٧٤٤ هـ

اعتنى به

محمد حسن محمد حسن إسماعيل





المقدمة

ترجمة المصنف

هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن حذيفة بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما-.

المقدسي، الجماعيلي الأصل، ثم الصالحي، الحنبلي، الحافظ المفسر، المعروف بابن عبد الهادي.

ولد محمد بن عبد الهادي سنة ٧٠٥هـ على الراجح.

أخذ العلم عن والده، والشيخ سليمان بن حمزة وهو لم يتجاوز العشر سنين، وسمع ابن عبد الدائم، والحجار، وزينب الكمال، وغيرهم، وقرأ صحيح مسلم على القاضي شرف الدين المقدسي، وأخذ القرارات على الشيخ المقري، محمد بن أحمد بن بصخان، وأخذ النحو على الشيخ أبي العباس أحمد الأندرشي، وحفظ المقنع ولم يتم العاشرة، وأخذ الفقه على الشيخ ابن مسلم، ومجد الدين الحراني، ومن أهم مشايخه الحافظ المذي، وشيخ الإسلام ابن تيمية. له مؤلفات كثيرة منها: شرح كتاب العلل لابن أبي حاتم، والمحور في أحاديث الأحكام[بتحقيقنا محمد فارس]، الأحكام في الفقه[لم يتمه]، تحريم الربا[جزء]، قواعد أصول الفقه. المعجزات والكرامات [جزء]، العقود الدرية[وهو كتابنا]، وغيرها.

توفي رحمه الله سنة[٧٤٤هـ]، ودفن بمقبرة الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي[1].

---

(١) انظر ترجمته في:

البداية والنهاية لابن كثير [١٤/ ٢٢١ ــ ٢٢٢]، ذيل طبقات الحنابلة [٢/ ٤٣٦ ــ ٤٣٩]، شذرات الذهب [٦/ ١٢١]، الدور الكامنة[٣/ ٣٣١ ــ ٣٣٢]. الأعلام للزركلي[٥/ ٣٢٦].

العقود الدرية

من

مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف

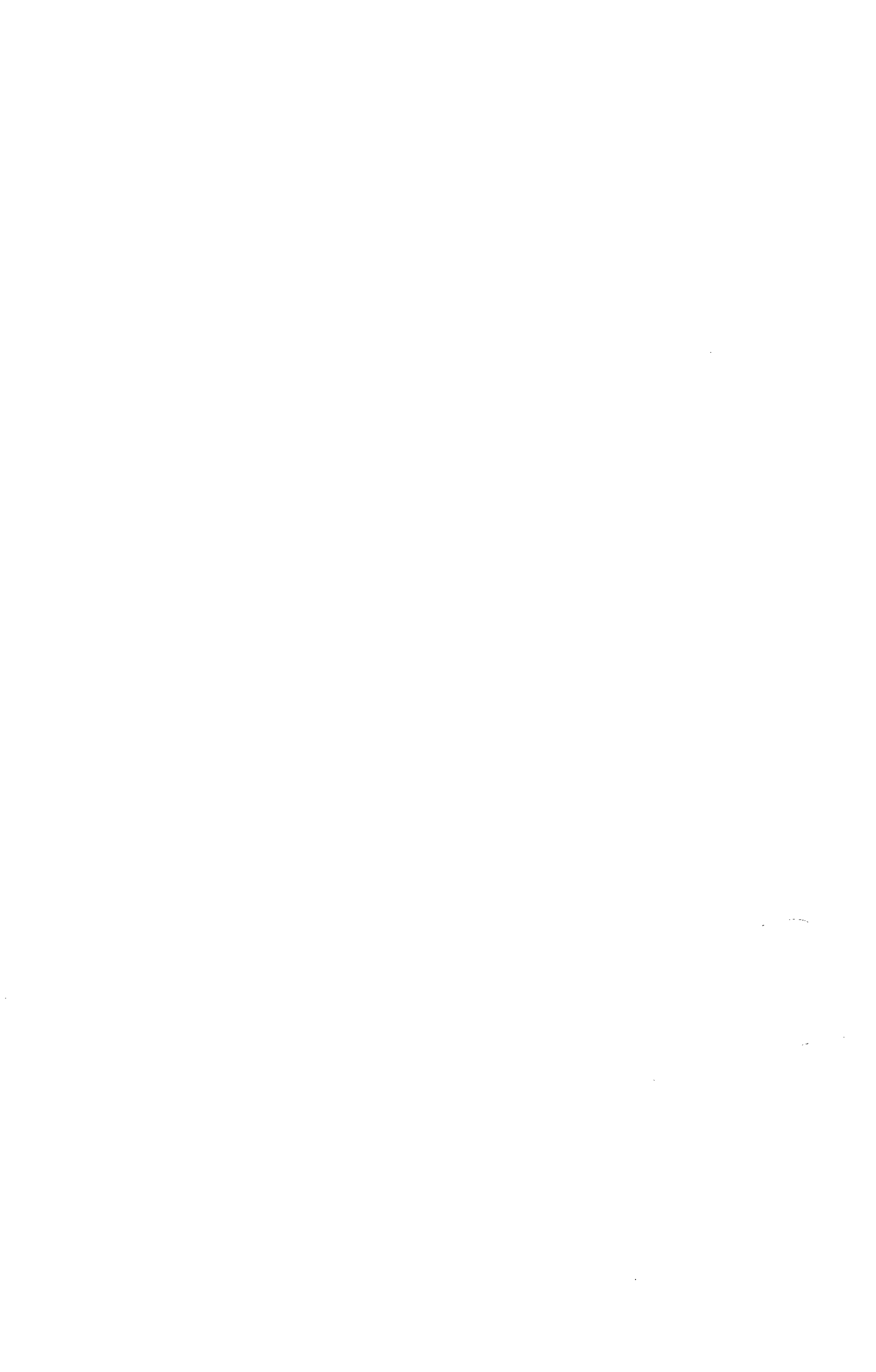
أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي

[٧٠٥هـ-٧٤٤هـ]

حققه

أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي

الشهير بـ[محمد فارس]



بسم الله الرحمن الرحيم [1]

حسبي الله ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي رحمه الله ورضي عنه وأثابه الجنة بفضله ورحمته وإيانا وسائر المسلمين.

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:[2] فهذه نبذة يسيرة مختصرة في ذكر حال سيدنا وشيخنا، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية- رحمه الله ورضي عنه، وأثابه الجنة برحمته، وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته-.

هو الشيخ الإمام الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، وقريع الدهر، شيخ الإسلام، بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن، عَلَمُ الزهاد، وأوحد العُبَّاد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني، نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها.

---

(١) أي أؤلف، والاسم مشتق من السمو، وهو العلو، والله علم على الذات الواجب الوجود، والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان، للمبالغة من رحم. والرحمن أبلغ من رحيم، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، كما في قطع وقطع، ولقولهم: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الآخرة، وقيل رحيم الدنيا.
انظر نهاية المحتاج للشمس الرملي [١/ ١٦ ــ ٢٤].

(٢) تسمى فصل الخطاب.

قيل: إن جده محمد بن الخضر حَجَّ على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتًا فقال: يا تيمية، يا تيمية فلقب بذلك.

قال ابن النجار: ذكر لنا أن جده محمدًا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها.

ولد شيخنا أبو العباس بحران، يوم الاثنين عاشر- وقيل ثاني عشر- ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، إحدى وستين وستمائة، وسافر والده به وبإخوته إلى الشام عند جور التتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة، لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا.

وقدموا دمشق أثناء سنة سبع وستين وستمائة، فسمعوا من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي[(١)] بن عرفة جزءاً[ذلك] ثم سمع شيخنا الكثير من ابن أبي اليسر[(٢)]والكمال بن عبد[(٣)]، والمجد بن عساكر[(٤)]، وأصحاب الخشوعي، ومن الجمال يحيى ابن الصريفي[(٥)]، وأحمد بن أبي الخير[(٦)]، والقاسم الإربلي[(٧)] والشيخ فخر الدين بن

---

(١) هو: أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الحنبلي، مسند الشام/ ولد سنة ٥٧٥هـ، وتوفي سنة ٦٦٨هـ. انظر العبر[٣/ ٣١٧ ــ ٣١٨]، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٨ ــ ٢٨٠ .

(٢) هو: أبو محمد تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكرين عبد الله التنوخي ولد سنة ٥٨٩ هـ، وتوفي سنة ٦٧٢هـ. انظر / العبر ٣/ ٣٢٥، الوافي بالوفيات ٩/ ٧١.

(٣) هو: أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الفقيه أبي البركات الخضر بن شبل الحارثي الدمشقي، المسند، ولد سنة[٥٨٩هـ]، انظر/ العبر[٣/ ٣٢٥ ــ ٣٢٦].

(٤) هو: مجد الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عثمان بن المظفر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، ولد سنة[٥٨٧هـ]، وتوفي سنة[٦٩٩هـ] انظر/ الوافي بالوفيات[٢/ ٢٦٩].

(٥) هو: جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي الحراثي الحنبلي، ولد سنة[٥٨٣هـ]، وتوفي سنة[٦٧٨هـ]. انظر/ العبر [٥/ ٣٢١ ــ ٣٢٢].

(٦) هو: زين الدين أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم بن معروف الحداد، ثم الخياط المنادى بالحنبلي الدمشقي، ولد سنة ٥٨٩هـ. انظر/ العبر [٣/ ٣٣٨].

(٧) هو: القاسم بن أبي بكر بن قاسم بن عمر، العدل الأمين، أبو محمد الإربلي، ولد سنة[٥٩٥هـ] تقريبا، وتوفي سنة[٦٨٠هـ]. انظر/ العبر [٣/ ٣٤٤].

البخاري[١] والكمال عبد الرحيم وأبي القاسم بن علان[٢]، وأحمد بن شيبان[٣]، وخلق كثير.

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات. وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير.

وعني بالحديث وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها وأخذ يتأكل كتب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كليًا، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه، وغير ذلك.

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال: سمعت بصبي يقال له: أحمد ابن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلي أراه. فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكتاب، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هذاك الصبي الذي معه الكبير هو أحمد ابن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال: يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال: أسمعه عليَّ، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال اقرأ هذا، فنظر فيه، كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله، أو

---

(١) هو: فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الصالحي الحنبلي مسند الدنيا، آخر من كان في الدنيا بينه وبين النبي ﷺ ـــ ثمانية رجال ثقات، ولد سنة ٥٩٥هـــ، وتوفي ٦٩٠هـــ انظر العبر، ٣/ ٣١٣ .

(٢) هو: المسلم بن محمد بن المسلم، بن علان، وأبو الغنائم، ولد سنة ٥٩٤هـــ، وتوفي سنة ٦٨٠هـــ. انظر العبر[٣/ ٣٤٦].

(٣) هو: أحمد بن شيبان بن تغلب المسند المعمد، راوي مسند الإمام أحمد، ولد سنة ٥٩٧هـــ وقيل: ٥٩٨هـــ، وتوفي سنة ٦٨٥هـــ. انظر/ شذرات الذهب[٥/ ٣٩٠].

كما قال.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: نشأ يعني الشيخ تقي الدين- رحمه الله- في تصوُّن تام، وعفاف وتألُّه وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويُفْحِم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم. فأفتى وله تسع عشرة سنة؛ بل أقل وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال، ومات والده- وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم- فدرس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبَعُدَ صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجُمَعِ على كرسي من حفظه، فكان يورد المجلس ولا[يتلعثم]، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جَهْورِي فصيح.

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا- وقد ذكر نبذة من سيرته-:

أما مبدأ أمره ونشأته، فقد نشأ من حين في حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم راتعًا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها، ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًا متألهًا عن الدنيا صينًا تقيًا، برًا بأمه، ورعًا عفيفًا، عابدًا ناسكًا، صوامًا قوامًا، ذاكرًا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، رجاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث، وقَلَّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله مقصودة بالكتاب والسنة، ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل عليَّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل. قال: وأكون إذ ذاك، في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي. قال هذا الصاحب: ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين، وتذاكروا، وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب. وتأثيرًا في النفوس، وهيبةً مقبولةً، ونفعًا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التي سمعته أيامًا كثيرةً بعقبه، حتى كان مقاله بلسان حاله، وحاله ظاهر في مقاله، شهدت ذلك منه غير مرة.

قلت: ثم لم يبرح شيخنا- رحمه الله- في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم والتواضع والحلم [والإنابة] والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق والإحسان إليهم والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.

وكان رحمه الله سيفًا مسلولاً على المخالفين، وشجىً في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحرًا لا تكدره الدلاء، وحبرًا يقتدي به الأخيار الألباء، طَنَّت بذكره الأمصار، وضَنَّت بمثله الأعصار.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه.

وقال العلامة كمال الدين بن الزملكاني: كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله.

وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه- ولا تكلم في علم من العلوم- سواء أكان من علوم الشرع أو غيرها- إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين.

ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر. فكتب فيها مجلدة كبيرة. وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود، فكتب فيها مجلدة كبيرة ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج في شيء وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضًا، على كتاب "بيان الدليل على بطلان التحليل".

لشيخنا- وقد ذكر ترجمته- فقال: من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الإمام العالم العلامة، الأوحد البارع، الحافظ الزاهد الورع، القدوة لأئمة الفضلاء، ناصر

السنة قامع البدعة حجة الله على العباد، رادِّ أهل الزيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين، آخر المجتهدين أبي العباس: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني. حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأعاد عليهم من بركاته، إنه على كل شيء قدير.

وقرأت أيضًا بخطه- على كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين أوحد علماء الدين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلمين، قامع المبتدعين، محيي السنة، ومن عظمت به الله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه المحجة، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، أعلى الله مناره وشَيَّد به من الدين أركانه:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جَلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أُعجوبة الدهر

هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أرْبت على الفجر

وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبي، يقول فيها: سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام، مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين سيد العباد: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني- رضي الله عنه-.

وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليَعْمُري المصري، بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال أبي الحجاج المزي: وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد [أن] يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحر علمه العذب النمير ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أن دب إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكب أهل النظر منهم

على ما ينتقد عليه[في] حنبليته من أمور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلامًا، أوسعوه بسببه ملامًا، وفوقوا لتبديعه سهامًا، وزعموا أنه خالف طريقهم، وفرق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه.

ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق وذكر لها- على ما زعم- بوائق.

فآضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه، فوصلوا بالأمراء أمره، وأعمل كل منهم في كفره فكره، فكتبوا محاضر، وألبوا الرويضة للسعي بها بين الأكابر وسعوا في نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية، فنقل وأودع السجن ساعة حضوره، واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قومًا من عمار الزوايا وسكان المدارس من مجامل في المنازعة، مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتفكير مبارز بالمقاطعة يسومونه ريب المنون ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص/٦٩].

وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دبت إليه عقارب مكره، فرد الله كيد كل في نحره، فنجاه على يد من اصطفاه،﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾[يوسف/٢١].

ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، إلى أن فوض أمره لبعض القضاة، فتقلد ما تقلد من اعتقاله،ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾. وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وكان يومه مشهودًا، ضاقت بجنازته، الطريق وانتابها المسلمون من كل فج عميق، يتبركون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسكون بشرجعه حتى كسروا تلك الأعواد، وذلك في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨، ثمان وعشرين وسبعمائة بقلعة دمشق المحروسة.

وكان مولده بحران في عاشر ربيع الأول من سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة، رحمه الله وإيانا.

ثم قال: قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم، ومدرك غاية الفهوم، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله بالقاهرة- قدم علينا- قلت له: أخبركم الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي- ثم ذكر حديثًا من جزء ابن عرفة".

وقال الشيخ علم الدين البرزالي/ في معجم شيوخه: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، الشيخ تقي الدين، أبو العباس،

الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه، قرأ [الفقه]، وبرع فيه، والعربية والأصول، ومهر في علمي التفسير والحديث، وكان إمامًا لا يلحق غباره في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير، أبهت الناس من كثرة محفوظه، وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس، يفسر القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدق نيته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله خلق كثير، وجرى على طريق واحدة من اختيار الفقر، والتقلل من الدنيا، ورد ما يفتح به عليه.

وقال في موضع آخر: كان قد نظم شيئًا يسيرًا في صغره، وكتبت عنه إذ ذاك، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه، وسئل عن مسألة القدر بنظم؟ فأجاب فيها: بنظم، وقد قرئ عليه، وسمع منه، وحل لغز الرشيد الفارقي بأبيات تشتمل على نحو مائة بيتٍ على وزن اللغز، وذلك في حياة والده- رحمه الله تعالى- وله نحو العشرين من العمر، وكانً حله[له] في أسرع وقت.

قلت: هذا اللغز الذي أشار إليه الشيخ علم الدين نظمه الشيخ الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي في اسم ألغزه بوصف أبرزه، في لفظ أوجزه، لفهم أعجزه:

مـا اسـمٌ ثلاثـي الحـروف فثلثه	مـثلٌ لـه، والثلث ضعف جميعه
والـثلث الآخر جوهر حلت به الـ	أعـراض جمعـا، فاعجبواْ لبديعه
وهـو المـثلث، جـذره مـثل له	وإذا يـربع بـان في تـربيعه
جـزء مـن الفلـك العلي، وإنما	باقـيه خـوفٌ، أو أمـان مروعه
حـي جمـاد سـاكن متحـرك	إن كـنت ذا نظـر إلى تـنويعه
وتـراه مـع خمسـية علـة كونه	معلـوله سـرًا بغـير مذيعـه
وبغـير خمسـية جمـيع النحو مو	جـود ومحمـول علـى موضوعه
وبحالـه فعـل مضـى مسـتقبلا	حمـدت صـناعته لحمـد صنيعه
قـيدٌ لمطلقـه، خصـوص عمومه	زيـد لمفـرده علـى مجمـوعه
شـيء مقـيم في الـرحيل وممكن	كالمسـتحيل، بطيـئة كسـريعه

وأهم ما في الشرع والدين اسمه ... ومضافه بأصوله وفروعه
ودقيق معناه الجليل مناسب ... علم الخليل وليس من تقطيعه
وإذا عروضي تطلب حله ... ألفاه في الفروق أو مجموعه
وإذا ترصعه بِدُرٍّ فريده ... عقدًا يزين الدر في ترصيعه
للمنطقي وللحكيم نتاجه ... وعلاجه بذهابه ورجوعه
وله شعارٌ أشعريٌّ واعتقا ... دٌ حنبليٌّ، فاعجبوا لوقوعه
وتمامه في قول شاعر كندةَ ... ما حافظ للعهد مثل مضيعه
يرويك في ظمأ ندّى بورودِهِ ... ويريكَ في ظلم هدى بطلوعه
ولقد حللت اللغز إجمالا وفي ... تفصيله تفصيل روض ربيعه
فاستجل بكرا من ولي بالحلي ... تهدي لكفء الفضل بين ربوعه

فأجاب العبد الفقير إلى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية حلاً لمعضله، وفصلاً لمجمله، وفتحًا لمقفله، وشرحًا لمشكله:

يا عالما قد فاق أهل زمانه ... بفنونه وبيانه وبديعه
وغدا لأعلام العلوم منارهم ... يهدي الهداة إلى منير ربوعه
وأجاد نظما عقد جيد عقيلةً ... من در بحر العلم في ترصيعه
وجلا المعارف في عوارف [لفظه] ... آخذًا [العرف] العلم من ينبوعه
وأبان عما قد حوى من كل فن ... قد أحاط بأصله وفروعه
ببيانه السحر الحلال ولفظه ... العذب/ الزلال [ولطف] حسن صنيعه
بغزير علم وافتنان واسع ... ألغزت علما في فنون وسيعه
حليته بدقيق وصف صنته ... جليل لفظ ناء عن موضوعه
ووصفته بحلي العلوم وأهلها ... ونعته بضروبه وضروعه
وجمعت في أوصافه الأضداد ... حتى استيأس الطلاب من تتبيعه
والعبد لما أن تأمل نظمكم ... بنظامه ألقي له في روعه
أن الذي ألغزتم علم ولمـ ... ـما يجعل المظنون من مقطوعه
لكنه أمسى يحليه بما ... حليته ويغوص في توقيعه

حتى تجلى الحق من ظلماته … في ليلة من قبل وقت هجوعه

فإذا الذي قد عن أول مرة … حق تبلج فجره بطلوعه

ورأيت فيه الوصف إما باديًا … أو خافيًا معناه في [مسموعه

لدقيق مغزاه ولطف إشارة … [فيه] وبعد حلاه عن موضوعه

فغدوت أكشف عنه كشفًا موجزًا … بإشارة تهدي لشطر بقيعه

فاسمع لحل حلاه في تفصيله … واشهد بقلب مقبل بهطوعه

"العلم" لفظ ذو ثلاثة أحرف … وهجاء كل مثل ما مجموعه

فإذا يكون مركبًا من تسعة … جذرًا لها فانظر إلى تربيعه

فإذا يكون مركبًا من تسعة … جذرًا لها فانظر إلى تربيعه

ومربعًا ساواه جذر حسابه … ومثلثًا بحدوده وضلوعه

ويكون أثلاثًا فثلث مثله … هو لامه إن خضت في توزيعه

والميم في الجمل الكبير حسابه … هو أربعون بقول أهل ربيعه

والعلم في الجمل الصغير حسابه … عشرون هذا المثلث ضعف جميعه

والثلث عين، عين كل ذاته … هو جوهر والوصف في موضوعه

إذ كانت الأعيان قائمةً بها … الأعراض جمعًا فاطنوا لجموعه

حكمٌ يخصُّ العين حرفًا واحدًا … من بين جنس الحرف في تنويعه

هو تسعةٌ في أصله والعالم الـ … ـعلويُّ منه تسعة برقيعه

العرش والكرسي والسبع السما … وات الطباق فالاسم جزء رفيعه

من عالم الملكوت أعني الغيب إذ … عنه كنى لعلوٍّ شأن ضليعه

بالعلم يُحْيي الله قلبًا ميتًا … يسري كنور ضاء حين سطوعه

فلأنه يُحْيي! اسمه حيٌّ إذ الـ … أحياء فرع حياة ربٍّ صنيعه

ولأنه يسري! اسمه متحركٌ … لوحًا تنقله بذهن قريعه

ذا الوصف عقليٌّ وفي حسيه … هو جاودٌ هو ساكنٌ بربوعه

إذ كان نوع العلم معنى جنسه … عرضٌ يقوم بمستوى موضوعه

والحي والمتحرك الوصفان يخـ … ـتصان شخصًا جوهرًا ببقيعه

إذ كان في المحسوس ليس بقائم ... عرض [بآخر] مثله وتبيعه
أما إذا ما جرد المعقول فالـ ... ـموصفان في المعنى له بربيعه
ثلثاه حرفا العين والميم هما ... في اللفظ من عدم وفي تنويعه
وإذا جمعت حسابه في [أكثر] ... وأضفت خمسيه إلى مجموعه
فمربعًا يضحي ويضحي جذره ... من أربع عشرًا لذي تربيعه
فالجذر علته ومعلولٌ له ... من حيث ما هو علة لوقوعه
فالجذر معلولٌ لجذر كائن ... معلوله فافهم مدار رجيعه
فلكونه معلول معلول له ... قد صار معلولاً له برجوعه
[ونقول] إن العلم منه النحو ... هذا إن ترد حملاً على موضوعه
فإذًا يكون الضمُّ علة كون هـ ... ـذا الجمع علة نفسه وجميعه
وبغير خمسيه يعود لأصله ... علمًا وعلم النحو بعض فروعه
وإذا اعتبرت حروفه ألفيته ... فعلاً مضى لغةً وفي موضوعه
حكم على المستقبلاتِ وغيرها ... لعمومه متعلقًا وذيوعه
إذ من خصائصه تعلقه بكل ... محققٍ مع سبقه لوقوعه
أكرم به أمرًا عظيمًا نفعه ... حمدت صناعته بحمد صنيعه
والفعل فيه مصدر وزمانه ... وضعًا وملزوم لرب صنيعه
فلذاك كان مقيدًا ومخصصًا ... لعموم جنس العلم في تنويعه
هو مفردًا نوع حوى أشخاصه ... فإذا تركب خص في تجميعه
فيصح حينئذ مقالة قائل ... قد زاد مفرده على مجموعه
هو ثابت في كل حال ممكن ... ذو عزة صعب على مسطيعه
حتى ينال فيحمد القوم السرى ... وإذا يقال بطيئه كسريعه
فالبطء والإسراع ليس بنفسه ... بل في الطريق وفي اقتناص منيعه
والعلم بالرحمن أول [واجب] ... وأهم فرض الله في مشروعه
وأخو الديانة طالب لمزيده ... أبدًا ولما ينهه بقطوعه
والمرء فاقته إليه أشد من ... فقر الغذاء لعلم حكم صنيعه

في كـــل وقـــت والطعـــام فإنمـــا يحـــتاجه في وقـــت شـــدة جـــوعه
وهـــو الســـبيل إلى المحاســـن كلها والصـــالحات فســـوأة لمضـــيعه
وإلـــيه يســـند كـــل فـــن نافـــع بـــل فـــارغٌ بأصـــوله وفـــروعه
[الجلالـــة] المعلـــوم واللطف الذي للعلـــم كـــان مناســـبًا لـــبديعه
فـــالعلم ميـــزان الحقائـــق والعرو ض كـــذاك ميـــزانٌ لـــدى تقطـــيعه
والاســـم [بالتحريك] من مفروقه والفعـــل بالتســـكين مـــن مجمـــوعه
هـــو واســـط عقد الفضائل كلها وبـــه يـــزان الحلـــي في ترصـــيعه
وعلاجـــه بالجســـد في تحصـــيله بمقـــدمات نـــتاجه ويـــنوعه
ولكـــل قـــوم مـــنه حـــظٌ وافـــرٌ وحقائـــق التحقـــيق في مشـــروعه
بشـــعائر لمشـــاعر وقـــواعد لعقائـــد المعقـــول [في] مســـموعه
وجمـــيعه متفـــرقٌ في قـــوله مـــا حـــافظٌ للعهـــد مـــثل مضيعه
فلعيـــنه وللامـــه ولمـــيمه مـــن ذا الكـــلام الحـــظ في تبضيعه
يـــروى بمـــاء حـــياته في ورده ظمـــآن تحقـــيق إلى ينـــبوعه
ويـــرى بـــنور هـــداه في تبيـــنه حـــيران تدقـــيق طلـــوع [سطيعه]
كطلـــوعه لمـــا أبـــان بـــنوره قصـــد الســـبيل لحـــل عقـــد بديعه
جلـــى المجلـــي بعـــد بعـــد بدوه مـــع [قرب] مقفله وقرب [مسوعه]
وأبـــان مجملـــه وفصَّـــل عقـــده ولروضـــه الأنـــف ارتعـــي بـــرتوعه
وحلـــى جمال البكر في حلي الحلى فافتضـــها [كفـــو نـــوت] بـــربوعه
فخـــذ الجـــواب مخلصًـــا فيه اللبا ب ملخصًـــا في نظمـــه لســـميعه
مـــع أن نظـــم الشـــعر غير محصِّل لكمـــال مغـــزاه وشـــرح جمـــيعه
مـــن خاطـــر مســـتعجل مستوفز لم يمعـــن الـــتفكير في مـــرجوعه
لم يجعـــل التحلـــيل من [مصنوعه] كـــلا ولا الفضـــلات مـــن مصنوعه
إذ كـــان مخلـــوقًا لأكـــبر غايـــةٍ دار القـــرار جمـــيله وقطـــيعه
وعلـــيه مـــن أمـــر الإلـــه ونهـــيه مـــا يلفـــت المعقـــول عـــن تضييعه
لكـــنه لابـــد للمصـــدور مـــن نفـــث يـــريح فـــؤاده بـــنخوعه

مـع أنـه مزجـى البضاعة نظمه ... غـر بحكـم اللفـظ في تسـجيعه
عـبدٌ ذلـيلٌ عاجـز متضـعفٌ ... في حـال مـبداه وحـال رجـوعه
لكـنه لمـا اسـتعان بـربه ... ثم اسـتكان لـه بـذل خضـوعه
فأعانـه يسـر الجـواب فإن يكن ... حقـا [بـرفق] الوصـف في توقيعه
فالحمـد والفضـل العظـيم لربنا ... شـكرًا علـى محمـود حسن صنيعه
إذ مـا بـنا مـن نعمـة فبمـنه ... والخـير مـنه جمـيعه بهمـوعه
أو إن يكـن خطـأ فمني حيث إن ... لم أسـتطيع متـناولا لـرفيعه
فالـنقص للإنسـان وصـفٌ لازمٌ ... إن كـان يعـرف نفسـه بـنخوعه
والحمـد لله الـرحيم بخلقـه ... الـبر الـودود بعـبده ومطـيعه
وميسـر الخطـب العسـير بلطفه ... مـن بعـد منعـته وبعـد منـيعه
ثم الصـلاة علـى الـنبي وآلـه ... والمصـطفين مـن الأنـام جمـيعه
وعلـيهم التسـليم مـنا دائمًـا ... مـا اهتـز وجه الأرض بعد خشوعه

فلما وقف الشيخ رشيد الدين على هذا الجواب كتب إلى منشئه الشيخ تقي الدين ابن تيمية- رضي الله عنه-.

أحسـن في حـل المسـمى ومـا ... سمـى ولكـن جـاء بالمـثل
وجـاوز الجـوزاء بالنطق والشـ ... ـعـري بشـعر رائـق جـزل
جلـت معانـيه [فشـكرًا] لـه ... مصـحف والحـل كالحـل
أحمـد وزن الفعـل فـيه وفي ... التقـي وزن القـول والفعـل
كأنمـا أحـرفه[مـثلث] ... تملـى علـيه وهـو يسـتمل
وحـقَ بالفخـر فـتى جـده ... المجـد وقـد بـورك في النسـل
فسـهل الله لمـن في اسمـه ... العـدل [مكافـأة] علـى الفضل

فنظر والد الشيخ تقي الدين ابن تيمية بعد ذلك في اللغز وحله في لفظة أخرى، ونظم في ذلك قصيدة، فكتب إليه الشيخ رشيد الدين جوابًا لها:

مـا مـثل لغـزي ولم يسـم بـه ... مـن لم يماثـل في الفضل والأدب

بخاطـــــر حاضـــــر يضـــــيء ولا ينكـــر[ضـــوءا] لـــواحد الشهب

شـــيخ شـــيوخ الإســـلام قاطـــبة مفـــتي الفـــريقين حجـــة العرب

شـــنف سمعـــي بالـــدر مـــن كلم [تـــروي] فتروي بالدر من سحب

[حـــلا كحـــل فنشـــوى نشـــأت من ضرب مثل أحلى من الضرب]

وكـــان لغـــزي مـــن فضـــة فعلاً شـــعرًا وشـــعرًا وصار من ذهب

فالفخـــر للمجد بالشهاب وللشـــ ـــهـــاب بالمجـــد ذروة النســـب

ذروة والعـــــنان يحســـــبها ذريـــةً للشـــرق في الســـحب

وإن تعفـــت رســـوم بلدتـــه وهـــي خـــيار الـــبلاد والتـــرب

فـــبه الأفـــق حلـــها عوضـــا عنها بفضـــل يســـمو علـــى التـــرب

وإن قلـــبي أضـــحى لـــه وطـــنا وفـــيه أنـــس لكـــل مغتـــرب

هـــذا ثنائـــي مـــع الخمـــول وإن نـــبه خطـــى أربى على [الأرب]

وعـــش طـــويلا مكمـــلا أدبـــا بســـيط فضـــل نـــاء ومقتـــرب

وقال الشيخ علم الدين: رأيت في إجارة "لابن الشهرزوري الموصلي" خط "الشيخ تقي الدين ابن تيمية"، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين الذهبي:

هذا خط شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فرد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين، مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة، وصنف التصانيف، وصار من [كبار] العلماء في حياة شيوخه، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه، فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين- فضلاً عن مذاهب الأربعة- فليس له فيه نظير. وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه نظيرًا.

ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جدًا، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب

عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النعت، وهو أحد الأجواد الأسخياء، الذين يضرب بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس.

وقال الذهبي في موضع آخر، وقد ذكر الشيخ- رحمه الله-.

كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرًا في النقليات، هو في زمانه فريد عصره؛ علمًا وزهدًا، وشجاعة وسخاء، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وكثرة تصانيف، وقرأ وحصل، وبرع في الحديث والفقه، وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام، أصولها وفروعها، ودقها وجلها، سوى علم القراءات، فإن ذكر التفسير فهو حامل [لوائه]، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسواْ، وسرد وأبلسواْ، واستغنى وأفلسواْ، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة، فلسهم وتيسهم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع في مجلدين، وهو بشر من البشر، له ذنوب، فالله تعالى يغفر له، ويسكنه أعلى جنته، فإنه كان رباني الأمة وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين،[رأسًا في الذكاء]، رأسًا في العلم، يبالغ في إطراء قيامه في الحق، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة ما رأيتها، ولا شاهدتها من أحد، ولا لحظتها من فقيه.

وقال في مكان آخر- ذكر فيه ترجمة طويلة للشيخ قبل وفاة الشيخ بدهر طويل.

قلت: وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه، الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجب في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي.

وأما التفسير فمسلم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن- وقت إقامة الدليل بها على المسألة- قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فيه، ولفرط إمامته في التفسير، وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثيرًا من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحدًا موفقًا لما دل عليه القرآن والحديث.

ويكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من [الأصوليين] أو من الرد على الفلاسفة [و] الأوائل نحوًا من أربعة كراريس، أو أزيد، وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة، وله في غير [مسألة] مصنف مفرد في مجلد.

ثم ذكر بعض تصانيفه، وقال: ومنها كتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلدين.

قلت: هذا الكتاب، وهو كتاب "درء تعارض العقل والنقل" في أربع مجلدات كبار، وبعض النسخ به في أكثر من أربع مجلدات، وهو كتاب حافل عظيم المقدار رد الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين. وله كتاب في نحو مجلد أجاب فيه عما أورده كمال الدين بن الشريشي على هذا الكتاب.

وللشيخ- رحمه الله- من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل، وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط، ولا أعلم أحدًا من متقدمي الأمة ولا متأخريهم جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريبًا من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثيرًا منها صنفه في الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.

مصنفات الشيخ- رحمه الله-

وها أنا أذكر بعض مصنفاته؛ ليقف عليها من أحب معرفتها، فمن ذلك: ما جمعه في تفسير القرآن العظيم، وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم، وذلك في أكثر من ثلاثين مجلدًا، وقد بيض أصحابه بعض ذلك، وكثيرًا منه لم يكتبوه بعد [ذلك]. وكان- رحمه الله- يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم. وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة، [ونحوها]، وأمرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى- وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني، ويذكر قصة معاذ بن جبل، وقوله لمالك بن يخامر لما بكى عند موته. وقال:"إني لا أبكي على دنيا كنت أصبتها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان الذين كنت أتعلمهما منك.

فقال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما، فاطلب العلم عند أربعة. وسماهم، فإن أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض؛ فاطلبه من معلم إبراهيم".

قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق وكان من أخص أصحاب شيخنا، وأكثرهم كتابةً لكلامه وحرصًا على جمعه:

كتب الشيخ- رحمه الله- نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال، ورأيت له سورًا وآيات يفسرها، ويقول في بعضها: كتبته للتذكر. ونحو ذلك، ثم لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن [مرتبًا] على السور. فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بَيِّنٌ بنفسه، وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيرًا، ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها. وقال: قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن.

وأرسل إلينا شيئًا يسيرًا مما كتبه في هذا الحبس وبقي شيء كثير في مسألة الحكم عند الحكام لما أخرجواْ كتبه من عنده، وتوفي وهي عندهم، إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة، ثم ذكر الشيخ أبو عبد الله ما رآه ووقف عليه من تفسير الشيخ.

قلت: ومن مصنفاته "تفسير سورة الصمد وجواب سؤال عن كلام الله تعالى، هل

يتفاضل؟".

ومن مصنفاته كتاب:"تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية "في ست مجلدات، وبعض النسخ به في أكثر من ذلك، وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير، كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية، وهتك أستارهم، ولو رحل رجل طالب العلم لأجل تحصيله من الصين ما ضاعت رحلته.

ومنها: كتاب :"منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيع [و] القدرية في ثلاث مجلدات وبعض النسخ في أربع مجلدات، رد فيه على ابن المطهر الرافضي، وبين جهل الرافضة [وضلالهم] وكذبهم وافترائهم.

ومنها كتاب:"جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية". في أربع مجلدات، وبعض النسخ به في أقل، وهو كتاب غزير الفوائد، سهل التناول.

ومنه كتاب: الرد على النصارى، سماه :"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"(1) في مجلدين، وبعض النسخ به في ثلاث مجلدات، وبعضها في أكثر.

وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النسخ بها، وهذا الكتاب من أجل الكتب، وأكثرها فوائد، ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة، وعلى تفسير آي كثير من القرآن، وعلى غير ذلك من المهمات.

ومنها: كتاب الإيمان في مجلد، وهو كتاب عظيم لم يسبق إلي مثله. ومنها: كتاب "الاستقامة" في مجلدين، وهو من أجل الكتب وأكثرها نفعًا.

ومنها: كتاب "تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل" في مجلد، وهو من أحسن الكتب وأكثرها فوائد.

قال في خطبته: الحمد لله العليم القدير، الخالق اللطيف الخبير الرازق السميع البصير، الحليم الصادق، العلي الكبير، الفائق الرائق، الذي يسن المناهج والشرائع، ويبين الطرائق، وينصب الأعلام الطوالع؛ لكشف الحقائق، وينزل الآيات والدلائل؛ لبيان الجوامع والفوارق، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، أحمده ثناءً عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وشكرًا له على نعمه البواسق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المغارب والمشارق، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المؤيد بالمعجزات الخوارق، الموضح لسبيل الحق في الجلائل والدقائق، صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاةً وتسليمًا باقيين ما

---

(1) بتحقيقنا محمد فارس- دار الكتب العلمية.

بقيت الخلائق.

أما بعد:

فإن الله- سبحانه- علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق، وتباين العقول والأخلاق، حيث خلقواْ من طبائع ذات تنافر، وابتلواْ بتشعب الأفكار والخواطر، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، ومبينين للإنسان ما يضله ويهديه، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفواْ فيه، وأمرهم بالاعتصام به؛ حذرًا من [التفرق] في الدين، وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين، وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع [العلمية] لخفاء مدركها، وخفة مسلكها وعدم إفضائها إلى بلية، وحضهم على المناظرة والمشاورة؛ لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة حيث يقول لمن رضي دينهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى/٣٨]، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عدل عن السبيل العادلة، حيث يقول آمرًا وناهيًا لنبيه والمؤمنين لبيان ما يرضاه منه ومنهم: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل/١٢٥]. ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت/٤٦].

فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر [المليك] العلام، يجادلون أهل الأهواء المضلة حتى [يردوهم] إلى سواء الملة، كمجادلة ابن عباس- رضي الله عنهما- للخوارج المارقين حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين، وكمناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف المبتدعة الماضين، ومن في قلبه ريب يخالف اليقين حتى هدى الله من شاء من البشر، وعلن الحق وظهر، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر.

وكانواْ يتناظرون في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة المرضية، والحجج القوية، حتى كان قل مجلس يجتمعون عليه إلا ظهر الصواب، ورجع راجعون إليه لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، كمجادلة الصديق لمن نازعه في قتال مانعي الزكاة حتى رجعواْ إليه، ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعواْ عليه،[وتناظرهم] في حد الشارب وجاحد التحريم حتى هدواْ إلى الصراط المستقيم، وهذا وأمثاله يجل عن العد والإحصاء- فإنه أكثر من نجوم السماء.

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون في أنواع التأويل والقياس، بما يؤثر في ظن بعض الناس، وإن كان [عند] التحقيق يؤول إلى الإفلاس، لكنهم لم يكونواْ يقبلون من [المناظرة] إلا ما يفيد ولو ظنًا ضعيفًا للناظر، واصطلحواْ على شريعة من الجدل للتعاون على إظهار صواب القول والعمل، ضبطواْ بها قوانين الاستدلال؛ لتسلم عن الانتشار والانحلال،

فطرائقهم وإن كانت بالنسبة إلى[طرائق] الأولين غير وافية بمقصود الدين، لكنها غير خارجة عنها بالكلية، ولا مشتملة على ما لا يؤثر في القضية، وربما كسوها من جودة العبارة، وتقريب الإشارة، وحسن الصياغة، وصنوف البلاغة ما يحليها عند الناظرين، وينفقها عند المتناظرين، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية، والمعاني الشرعية، وبنائها على الأصول الفقهية، والقواعد [الشرعية] والتحاكم فيها إلى حاكم الشرع الذي لا يعزل، وشاهد العقل المزكى المعدل، وبالجملة لا تكاد تشتمل على باطل محض ومكر صرف، بل لابد فيها من محيل للحق، ومشتمل على عرف، ثم إن بعض طلبة العلوم من أبناء فارس والروم صاروا مولعين بنوع من جدل المموهين، استحدثه طائفة من المشرقين، وألحقوه بأصول الفقه في الدين، راوغواْ فيه مراوغة الثعالب وحادواْ فيه عن المسلك اللاحب، وزخرفوه بعبارات موجودة في كلام العلماء، قد نطقواْ بها غير أنهم وضعوها في غير مواضعها المستحقة لها، وألفواْ الأدلة تأليفًا غير مستقيم، وعدلواْ عن التركيب الناتج إلى العقيم، غير أنهم اعتنوا بإطالة العبارة، وإبعاد الإشارة واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية في المقدمات، ووضع الظنيات موضع القطعيات، والاستدلال بالأدلة العامة حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين، مع الإحالة والإطالة، وذلك من فعل غالط [و] مغالط للمجادل، وقد نهى النبي ﷺ عن أغلوطات المسائل(١).

نفق ذلك على الأغتام الطماطم، وراج رواج البهرج على الغر العادم، واغتر به بعض

---

(١) بلفظ:" نهي عن الأغلوطات.

١- إسناده حسن: وفيه رجل أخرجه سعيد بن منصور في سنة [١/ ٣٢٤] ح [١١٧٩]، قال سعيد: هذا عن معاوية، ولكنه لم يسمه. والطبراني في الكبير[١٩/ ٣٨٩]، ح [٩١٣]، والبيهقي في الكبرى[١/ ٢٢٩]، ح [٣٠٣].

قال الحافظ المنادي: الأغلوطات جمع أغلوطة، كأعجوبة، أو ما يغالط به العالم من المسائل المشكلة، لتشوش فكرة ويستنزل ويستيقظ رأيه، لما فيه من إيذاء المسئول، وإظهار فضل السائل مع عدم نتعها في الدين.انظر فيض القدير[٦/ ٣٠١]. قال الحافظ ابن حجر: قال الأوزاعي هي شداد المسائل. انظر فتح الباري[١٣/ ٢٦٣].

وقال الشيخ ابن رجب: قال عيسى بن يونس: هي مالا يحتاج إليه، من كيف وكيف، ويروي من حديث ثوبان عن النبي ﷺ:"وسيكون قوم من أمتي يغلطون فقهاء هم بعضل المسائل أولئك شرار أمتي". انظر جامع العلوم[١/ ٩٣]. وبلفظ "نهى عن الغلوطات". أخرجه: أبو داوود [٣/ ٣٢١].ح [٣٦٥٦]، والطبراني في الأوسط[ح/ ٨٢٠٤]- والإمام أحمد في مسنده[٥/ ٤٣٥]-ح[٢٣٧٣٧]- والحارث في مسنده[ح/٦٢/بغية] والطبراني في الكبير[٣٨٠١١٩]- ح[٨٩٢].

الأغمار الأعاجم، حتى ظنوا أنه من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم، ولم يعلموا أنه والعلم المقرب متعاندان متنافيان، كما أنه والجهل المركب متصاحبان متآخيان، فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له حاصل،[و] لا يقوم بإحقاق حق ولا إبطال باطل، أخذ يطلب كشف مشكلة، وفتح مقفله، ثم أبان علله، وإيضاح زللـــه، وتحقيق خطأه، وخطله، حتى يتبين أن سالكه يسلك في الجدل مسلك اللدد، وينأى عن[مسلك] الهدى والرشد، ويتعلق من الأصول بأذيال لا توصل إلى حقيقة، ويأخذ من الجدل الصحيح رسومًا يموه بها على أهل الطريقة.

ومع ذلك فلابد أن يدخل في كلامهم قواعد صحيحة ونكت من أصول الفقه مليحة، لكن إنما أخذوا ألفاظها ومبانيها دون حقائقها ومعانيها، بمنزلة ما في الدرهم الزائف من العين، ولولا ذلك لما نفق على من له عين، فلذلك أخذ في تمييز حقه من باطله، وحاليه من عاطله، بكلام مختصر مرتجل، كتبه كاتبه على عجل، والله الموفق لما يحبه ويرضاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. **انتهت خطبة هذا الكتاب.**

ومن مصنفاته أيضًا: كتاب "بيان الدليل على بطلان التحليل"، وكتاب:"الصارم المسلول على شاتم الرسول"، وكتاب:"اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم"، وكتاب:"تحريم الكلام في حادثة الاقتسام"، وسماه بعضهم:"كتاب التحرير في مسألة حفير". وكتاب:"رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وكتاب:"السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية"، وكتاب:"تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس"، وكتاب"التحفة العراقية في الأعمال القلبية". وكتاب:"المسائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية". وتعرف بـــ"السبعينية"؛ لاشتمالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه.

وكتاب:" فضائل القرآن". وكتاب:"أقسام القرآن". وكتاب:"أمثال القرآن". وكتاب:"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان". وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير، وبعضها مجلد صغير، وله كتاب في الرد على المنطقيين مجلد كبير، وله مصنفان آخران في الرد على المنطقيين، نحو مجلد، وله كتاب في محنته بمصر، مجلدان رد فيه على القائلين بالكلام النفسي، من نحو ثمانين وجهًا.

وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة، منها ما بيض، ومنها ما لم يبيض، فمن مؤلفاته في ذلك:

"الكيلانية"، و"البغدادية"، و"القادرية"، و"الأزهرية"،و"البعلبكية"، و"المصرية".

وله في "الرد على الفلاسفة" مجلدات وقواعد، أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه، منها:

"إبطال قولهم بإثبات الجواهر العقلية".
ومنها:"إبطال قولهم بقدم العالم، وإبطال ما احتجواْ به".
ومنها:"إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد".
وله كتاب في "الوسيلة"، مجلد.
وكتاب "الرد على البكري في الاستغاثة" مجلد.
وكتاب:"شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين". مجلد لطيف.
وكتاب:"شرح عقيدة الأصبهانية". مجلد.
وكتاب شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب "الأربعين" للفخر الرازي أكثر من مجلدين.
وكتاب يعرف "بالصفدية" في الرد على الفلاسفة في قولهم: إن معجزات الأنبياء عليهم السلام- قوى نفسانية، وفي إبطال قولهم بقدم العالم[1].
وله كتاب"شرح أول المحصل"، مجلد.
وكتاب:"الرد على أهل كسروان الرافضة". مجلدان.
وكتاب يسمى:"الهلاونية"، وهو جواب سؤال ورد على لسان هولاكو ملك التتار. مجلد.
وله في الرد على من قال: إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، عدة مصنفات.
وله في الرد على منكري المعاد قواعد كثيرة.
وله تعليقه على كتاب "المحرر" في الفقه لجده الشيخ مجد الدين، في عدة مجلدات.
وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب "العمدة في الفقه"، للشيخ موفق الدين، في مجلدات، وله قواعد كثيرة في فروع الفقه، لم تبيض بعد، ولو بيضت كانت مجلدات عدة، وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفرعية، وبوبها على أبواب الفقه، في مجلدات كبيرة تعرف "بالفتاوى المصرية". وسماها بعضهم: "الدرر المضية في فتاوى ابن تيمية".
وله مؤلفات في صفة حج النبي ﷺ، وجمع من النصوص في ذلك، والكلام على متعة الحج والعمرة المكية، وطواف الحائض، وما يتعلق بذلك أكثر من مجلدين.
وله مصنفات في"زيارة القبور"، هل تباح للنساء؟ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية، وفي المشاهد، متى حدثت؟ وفي النذور لها، وفي "المشهد المنسوب للحسين"، وفي "قبر علي- رضي الله عنه-". وغير ذلك عدة مجلدات، وله في "مسألة شد الرحال ولوازمها".

---

(١) بتحقيقنا محمد فارس، دار الكتب العلمية .

التي حبس ومات بسببها شيء كثير، بيض منه مجلدات عديدة، وله في "مسائل الطلاق والخلع" وما يتعلق بذلك من الأحكام شيء كثير، ومصنفات عديدة، بيض الأصحاب من ذلك كثيرًا، وكثير منه لم يُبَيَّض، ومجموع ذلك نحو العشرين مجلدًا.

وله قواعد في سائر أنواع العلوم، منها: قاعدة في الصفات والقدر، تسمى: "تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، وهي المعروفة بالتدمرية".

وقاعدة في أن "مخالفة الرسول ﷺ لا تكون إلا ظن واتباع هوى".

وقاعدة في "أن الإيمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة".

وقاعدة في "إثبات كرامات الأولياء"، وقاعدة في "أن خوارق العادات لا تدل على الولاية"، وقاعدة في "الصبر والشكر"، وقاعدة كبيرة في "الرضا"، وقاعدة في "الشكر والرضا"، وقاعدة في "أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله".

وقاعدة في "أن كل دليل عقلي يحتج به مبتدع ففيه دليل على بطلان قوله"، وقاعدة في "الخلوات وما يلقيه الشيطان من الشبه، والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية".

وقاعدة في "الفقراء والصوفية أيهما أفضل". وقاعدة في "الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل". وقاعدة في "أهل الصفة ومراتبهم وأحوالهم"، وقاعدة كبيرة في "محبة الله للعبد، ومحبة العبد لله". وقاعدة في "الإخلاص والتوكل"، وقاعدة في "الإخلاص وتقريره بالعقل"، وقاعدة في "الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه من الإشارات".

وله قواعد وأجوبة في "تحريم السماع"، أكبر من مجلدين، وقاعدة في "شرح أسماء الله الحسنى"، وقاعدة في "الاستغفار وشرحه وأسراره"، وقاعدة في "أن الشريعة والحقيقة متلازمان"، وقاعدة في "الخلة والمحبة أيهما أفضل"، وقاعدة في "العلم المحكم"، وقواعد وأجوبة في "خلافة أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-".

وقاعدة في "وجوب نصيحة أولي الأمر، والدعاء لهم"، وقاعدة في "أحوال الشيخ يونس الغيبي، وقاعدة في "الاستطاعة هل هي مع العقل أو قبله؟"

وقاعدة في "العدم واستطاعته"، وقاعدة في "وجوب العدل على كل أحد في كل حال"، وقاعدة في "فضل السلف على الخلف في العلم".

وقاعدة في "حق الله وحق رسوله، وحقوق عباده وما وقع في ذلك من التفريط".

وقاعدة في "أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي ﷺ هو الوحي، وعند أتباعه هو الإيمان"، وقاعدة في "أن الحمد والذم والثواب والعقاب بالجهاد والحدود، تتعلق بأفعال العباد لا بأنسابهم".

وقاعدة في "أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لابد أن تكون بكتاب الله وسنة رسول الله".

وقاعدة في "ما لكل أمة من الخصائص، وخصائص هذه الأمة".

وقاعدة في "الكليات"، وقواعد في "الفناء والاصطلام"، وقاعدة في "العلم والحلم"، وقاعدة في "الاقتصاص من المظالم بالدعاء وغيره، وهل هو أفضل أم العفو؟"، وله قاعدتان في "قرب الرب من عابديه وداعيه"، وقاعدة في "تزكية النفوس"، وقاعدة "على كلام ابن العريف في التصوف"، وقاعدة في "الصراط المستقيم في الزهد والورع"، وقاعدة في "الإيمان والتوحيد وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل".

وقاعدة في "أمراض القلوب وشفائها"، وقاعدة في "السياحة، ومعناها في هذه الأمة".

وقاعدة في "خلة إبراهيم الخليل- عليه السلام- وأنه المطلق".

وقواعد في "الشهادتين"، وقواعد كثيرة "فيمن امتحن لله وصبر".

وقاعدة في "الصفح الجميل والهجر الجميل والصبر الجميل"، وقاعدة "فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ﷺ، والقيام بحقوقه الواجبة على أمته في كل زمان ومكان، وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين، وبيان فضل أمته على جميع الأمم".

وقاعدة تتعلق "بالصبر المحمود والمذموم".

وقاعدة تتعلق "برحمة الله تعالى في إرسال محمد ﷺ، وأن إرساله أجل النعم".

وقاعدة في "الشكر لله، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية".

وقاعدة في "المقربين، هل يسألهم منكر ونكير"؟

وقاعدة في "الفتوة الاصطلاحية، وأنه ليس لها أصل في الأحكام الشرعية".

وقاعدة في الكلام على "المرشدة" التي ألفها ابن التومرت، وله أجوبة تتعلق بها، وقاعدة في "كلام الجنيد، لما سئل عن التوحيد فقال: هو إفراد الحدوث عن القدم".

وقاعدة في "التسبيح والتحميد والتهليل".

وقاعدة في "أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته".

وقاعدة في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، تسمى "العبودية"، وهي جليلة القدر.

وقاعدة "فيما أحدثه الفقراء المجردون".

وقاعدة في "القدرية، وأنهم ثلاثة أقسام: مجوسية، ومشركية، وإبليسية".

وقاعدة في"بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية، وما بينهما وبين الطريقة

الكلامية والطريقة الصوفية"، وقاعدة في"وصية لقمان لابنه". وقاعدة في "تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها، هل هو بلسان الحال أم لا".

وقاعدة تعرف "بالصعيدية" تتعلق بالثنوية. وقاعدة في"لباس الخرقة، هل له أصل شرعي، وفي الأقطاب ونحوهم".

وقاعدة في "القضايا الوهمية".

وقاعدة "فيما يتناهى وما لا يتناهى".

وقاعدة في "الخلطة والعزلة".

وقاعدة في "مشايخ العلم ومشايخ الفقراء أيهم أفضل".

وقاعدة في "تعذيب[المريد] بذنب غيره".

وقاعدة في قوله ﷺ:"ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة...".

وقاعدة في "أن جماع الحسنات: العدل. وجماع السيئات: الظلم، ومراتب الذنوب في الدنيا".

وقاعدة في"الحسنات تعلل بعلتين: جلب المنفعة، ودفع المضرة، والسيئات بالعكس".

وقاعدة في "فضائل عشر ذي الحجة".

وقاعدة في "رسالة النبي ﷺ إلى الجن والإنس".

وقاعدة في "أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر".

وقاعدة في "الكلام على السنة والبدعة، وأن كل بدعة ضلالة".

وقاعدة في "الإجماع وأنه ثلاثة أقسام".

وقاعدة كبيرة في "أصول الفقه غالبها نقل أقوال الفقهاء".

وقاعدة "فيما يظن من تعارض النص والإجماع".

وقاعدة فقهية في "مسائل من النذور والأيمان ونكاح الشغار، وما يستقر به المهر، ونحو ذلك" مجلد.

وقواعد في "المغالبات، وما يحل من الرهن، وهل يفتقر إلى محلل؟" مجلد.

وقواعد في "المائعات وأحكامها، وفي الميتة إذا وقعت في المائعات"،

والكلام على "حديث القلتين" وما يتعلق بذلك شيء كثير.

وقواعد "في الوقف، وشروط الواقفين وما يعتبر منها، وفي إبداله بأجود منه، وفي بيعه عند تعذر الانتفاع، ونحو ذلك"، أكثر من مجلد.

وقاعدة كبيرة في "تفضيل مذهب الإمام أحمد وذكر محاسنه". نحو مجلد.

وقاعدة في "تفضيل أهل المدينة، تسمى المالكية".

وقواعد في "الاجتهاد والتقليد، وفي الأسماء التي علق الشارع بها الأحكام"، مجلد.

وقواعد في "المجتهد في الشريعة، هل يأثم إذا أخطأ الحق، وهل المصيب واحد، ونحو ذلك" أكثر من مجلد.

وقواعد في [الاستحسان].

وقواعد في "شمول النصوص للأحكام".

وقاعدة في "تقرير القياس".

وقاعدة في "مسائل عدة، والرد على من يقول: هي على خلاف القياس".

وقاعدة في "شرح رسالة ابن عبدوس"، وهي متضمنة لكلام الإمام أحمد في أصول الدين.

وقاعدة في "لعب الشطرنج وأنه حرام"، وقواعد كثيرة في "السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر، هل له حد"، وفي "الجمع بين الصلاتين"، وفي "ذوات الأسباب هل تصلي في وقت النهي؟" وفي "مواقيت الصلاة"، وفي "أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة"، وفي "تارك الصلاة، وتفصيل القول فيه"، وفي "أن الصلاة أول الأعمال"، وفي "تارك الطمأنينة"، وذلك شيء كثير جدًا، وقواعد في "الكنائس وأحكامها، وما يجوز هدمه منها، وإبقاؤه، وما يجب هدمه، وأجوبة تتعلق بذلك"، نحو مجلدين.

وقواعد في "رجوع المغرور على من غره"، وفي "استقرار الضمان"، وفي "بيع الغرر والشروط في البيع والنكاح وغير ذلك"، نحو مجلد.

وقاعدة في "فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة".

وقاعدة في "مقدار الكفارة في اليمين".

وقاعدة في "لفظ الحقيقة والمجاز وفي العام إذا خص، هل يكون حقيقة أم مجازًا، والبحث مع السيف الآمدي في ذلك".

وقواعد كثيرة في "أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه".

وقاعدة في "طهارة بول ما يؤكل لحمه، ذكر فيها نحو ثلاثين حجة على ذلك".

وقاعدة في "تطهير العبادات من الفواحش والمنكرات".

وقواعد وأجوبة "في تحريم نكاح الزانية".

وقاعدة في "معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة".

وقاعدة في "مفطرات الصائم".

وقاعدة "فيما شرعه الله تعالى- وصف العموم والإطلاق، هل يكون مشروعًا بوصف الخصوص والتقييد؟"

وقاعدة في "أن العامي هل يجب عليه مذهب معين أم لا؟"

وقاعدة في "تعليق العقود والفسوخ بالشرط".

وقاعدة في "الجهاد والترغيب فيه"، وقاعدة في "ذم الوسواس".

وقاعدة في "الأنبذة والمسكرات".

وقاعدة في "الحسبة"، وقاعدة في "المسألة السريجية".

وقاعدة في "حل الدور، ومسائل في الجبر والمقابلة".

وقاعدة في أن "كل عمل صالح أصله اتباع النبي ﷺ".

وقاعدة في "الأطعمة، وما يحل منها، وما يحرم، وتحرير الكلام على الطيبات والخبائث".

وقاعدة في "اشتراط التسمية على الذبائح والصيد".

وقاعدة في "دم الشهداء، ومداد العلماء، أي الطائفتين أفضل".

وقاعدة في "الانغماس في العدو، وهل يباح؟"

وقاعدة في" ضمان البساتين هل يقتضي فساد المنهي عنه؟"

وقاعدة في "زكاة مال الصبي".

وقواعد في "الإيمان المقرون بالإحسان، وفي الإحسان المقرون بإسلام الوجه".

وقاعدة في "اقتران الإيمان [بالاحتساب]".

وقواعد وأجوبة في "النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة؟، وفي الكسوف، وهل يقبل قول المنجمين في رؤية الهلال"؟ ونحو ذلك، نحو مجلد.

وقاعدة في "الأقراء هل هي الحيض أو الأطهار؟ واختار أنها الحيض".

وقاعدة في "الشكر وأسبابه وأحكامه".

وقاعدة في "الاستفتاحات في الصلاة".

وقاعدة تتضمن ذكر "ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه، وهي القرمانية".

وقاعدة تتعلق بمسائل "من التيمم، والجمع بين الصلاتين، تسمى: تيسير العبادات لأرباب الضرورات".

وقاعدة في "النصيرية وحكمهم".

وقاعدة في "تحريم الشبابة وهو اليراع".

وقاعدة في "العقود اللازمة والجائزة".

وله قاعدة جليلة في "وجوب الاعتصام بالرسالة، وأن كل خير في العالم فأصله متابعة الرسل، وكل شر فمن مخالفتهم، إما جهلاً أو عمدًا".

وقاعدة في "تحزيب القرآن وما يتعلق بذلك، وما ورد فيه من الآثار".

وقاعدة في "الكلام على الممكن". وقاعدة في "ذبائح أهل الكتاب".

وقاعدة في "تعليل الأفعال". وقاعدة في "الكلام على العدد"، وله رسائل تشتمل على علوم كثيرة منها: رسالة كتبها إلى "الشيخ شمس الدين الدباهي"، ورسالة كتبها إلى الشيخ المنبجي، تسمى:"المصرية".

ورسالة كتبها إلى "أهل بغداد"، ورسالة كتبها إلى "أهل البصرة".

ورسالة كتبها إلى "القاضي شمس الدين السروجي قاضي الحنفية بمصر".

ورسالة إلى غيره من القضاة والعلماء.

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر تسمى:"العدوية".

ورسالة كتبها إلى "بيت الشيخ [جاكير]"، وأرسل إليهم أجوبة، في مجلد، غير الرسالة.

ورسالة كتبها إلى "ملك قبرص" في مصالح المسلمين تتضمن علومًا.

وله رسالة إلى "البحرين وإلى ملوك العرب، وإلى ثغور الشام، إلى طرابلس وغيرها" بمصالح تتعلق بالمسلمين، وأجوبة عن مسائل كتبت إليه، وفي أمر بمعروف، ونهي عن المنكر.

ورسالة إلى "أهل تدمر، ورسائل للملوك، ملك مصر، وملك حماة، وغيرهما".

ورسالة إلى "طبرستان وجيلان"، ورسالة إلى "الأمراء الكبار"، ورسائل كثيرة كتبها إلى "الصلحاء من إخوانه من مصر إلى دمشق"، ومن "دمشق إلى غيرها"،

ومن "السجن شيء كثير" يحتوي على مجلدات عدة.

وله من "الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخبرية، وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والجبرية، وغيرهم من أهل الأهواء والبدع"، ما تشتمل على مجلدات كثيرة، وله من "الكلام على فروع الفقه، والأجوبة المتعلقة بذلك" شيء كثير يشق إحصاره، ويعسر ضبطه.

ومن مؤلفاته:"الكلام على دعوة ذي النون" في مجلد لطيف. وكتاب فيه "الكلام على إرادة الرب وقدرته، وتحرير القول في ذلك لى كلام الرازي في المطالب العالية"، و"مسألة في العلو"، أجاب فيها عن شبه المخالفين، وهي مفيدة، وأخرى في الصفات تسمى" المراكشية"، وتشتمل على أقوال كثيرة.

وقاعدة تتضمن صفات الكمال، وما الضابط فيها مما يستحقه الرب، تسمى "الأكملية".

و"الإحاطة الكبرى"، و"الإحاطة الصغرى"، وعقيدة الفرقة الناجية، وتعرف "بالواسطية"، والجواب عما أورد عليها عند المناظرة بقصر الإمارة بدمشق.

والكلام على حديث عمران بن حصين الذي فيه:"جئنا نسألك عن أول هذا الأمر". وهو مؤلف مفيد.

والكلام على حديث "عبد الله بن خليفة، عن عمر"، وهل هو ثابت أم لا؟ وأي ألفاظه هو المحفوظ؟

وكتاب في "نزول الرب تبارك وتعالى- كل ليلة- إلى سماء الدنيا"، والجواب عن اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع، والجواب في اللقاء وما ورد في القرآن، وغيره.

وجواب في الاستواء والنزول، وهل هو حقيقة أم لا؟ تسمى "الإربلية".

وجواب في "الاستواء، وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من نحو عشرين وجهًا".

ومسألة في "المباينة بين الله وبين خلقه". وله أجوبة أخر في "مباينة الله لخلقه، فيمن يقول إنه- سبحانه- على عرشه بذاته، وأقوال السلف في ذلك".

وله مسائل كثيرة في "الأفعال الاختيارية المسماة عند بعض المتكلمين بحلول المواد منها كلام مفرد على كلام الرازي في الأربعين".

وله مسائل وأجوبة في "مسائل القدر"، و"الرد على القدرية، وعلى الجبرية"، أكثر من مجلد.

وله مسائل في "الشعر والعلوم وغيرها هل هو واحد أو متعدد؟" وله "درس السكرية بالبسملة جزء ودرس الحنبلية" في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾[التوبة/١٢٢] جزء حسن.

ومسألة فيمن "يدعي أن للقرآن باطنًا، وأن ذلك الباطن إلى سبعة أبطن".

ومسألة في "عقل الإنسان وروحه".

و"الحلبية، في الصفات"، هل هي زائدة على الذات أم لا؟

و"الرد على ابن سينا في رسالته الأصحوية"، نحو مجلد.

وجواب في "العزم على المعصية، هل يعاقب عليه العبد؟".

وجواب على "حزب الشاذلي، وما يشبهه"، مجلد لطيف.

وجواب في "الكفار من التتر وغيرهم، وهل لهم خفراء بقلوبهم لهم تأثير؟".

وله "شرح كلام الشيخ عبد القادر" في غير موضع نحو مجلد.

وقاعدة في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل/٣٢].

وقول النبي ﷺ:"لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله". وله جواب في "يزيد بن معاوية، وهل يجوز سبه أم لا؟"

وله قاعدة في "فضل معاوية"، وجواب في "الخضر، هل مات أو هو حي؟" واختار أنه مات.

وله جواب في "الذبيح من ولد إبراهيم- عليه السلام- هو إسماعيل"، واحتج لذلك بأدلة كثيرة.

وله جواب في "زيارة القدس يوم عرفة للتعريف به"، وله أجوبة كثيرة في هذا المعنى.

وجواب في "احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة".

وجواب فيمن "عزم فعل محرم، ثم تاب".

وجواب في "الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية".

وجواب في قوله ﷺ:"من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب".

وجواب في "التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره، أي ذلك أفضل؟"

وجواب في "غض البصر وحفظ الفرج".

وجواب في "المعية وأحكامها".

وله في "مسائل الروح، وهل تعذب في القبر مع الجسد؟"،"وهل تفارق البدن بالموت؟ وهل تتصور بصورة، وتعقل بعد الموت؟ ونحو ذلك"، نحو مجلد.

وله جواب:"هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبيًا؟ وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابيًا؟"

وجواب:"هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبدًا بشرع من قبله من الأنبياء؟".

وله جواب في "كفر فرعون، والرد على من لم يكفره".

وجواب في "ذي الفقار، هل كان سيفًا لعلي- رضي الله عنه-؟"

وله قواعد وأجوبة في "الإيمان هل يزيد وينقص؟ وما يتبع ذلك"، نحو مجلد.

وله جواب في "عقيدة الأشعرية، وعقيدة الماتريدي"، وغيرهم من الحنفية، وتسمى "الماتريدية".

وله عقيدة تسمى "الحوفية".

وله أجوبة في "العرش، والعالم هل هو كري الشكل، أم لا؟"

وفي "قصد القلوب العلو ما سببه؟".

وله في الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا"، مجلد لطيف.
وله في "جواب محيي الدين الأصبهاني" عدة كراريس.
وله "جواب في الفرق بين ما يُتَأول من النصوص وما لا يتأول".
ومسألة في قوله:"أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم". هل هو من كلامهﷺ؟
وقاعدة في "الرد على أهل الاتحاد".
وله مؤلف في "الرد على ابن عربي". وجواب على "حال الحلاج، ورفع ما وقع فيه من اللجاج".
وله مسائل وقواعد في "الاستغاثة"، غير ما تقدم ذكره، وجواب في "الرضا على كلام أبي سليمان الداراني".
وجواب في "رؤية النساء ربهم في الجنة"، سأله عنه الشيخ إبراهيم[ق/١٨] الرقي- رحمه الله-.
وجواب في "العباس وبلال- رضي الله عنهما- أيهما أفضل"، وجواب في "الكتاب الذي همَّ به النبي ﷺ في مرضه".
وجواب فيمن يقول:"إن بعض المشايخ أحيا ميتًا"، وله "أجوبة وردت من أصبهان"، وجواب عن "مسائل وردت من الأندلس"، وجواب عن "سؤال ورد من ماردين".
وجواب عن "سؤال ورد من الرحبة"، وجواب عن "سؤال ورد من زُرِعَ".
وأجوبة كثيرة عن "مسائل وردت من بغداد".
وأجوبة عن "مسائل وردت من الصلت"، وجواب في "أرض الموات إذا أحياها الرجل، ثم عادت مواتًا، هل تملك بالأحياء مرة أخرى".
وله وصايا عدة يسأل عنها، فكتب منها:"وصية لابن المهاجري" في كراريس، و"وصية كتبها للتجيبي"، وله إجازات، منها:"إجازة لأهل سبتة، ذكر فيها مسموعاته".
وإجازة كتبها لبعض "أهل توريز"، وإجازة "لأهل غرناطة"، وإجازة "لأهل أصبهان"، وله قواعد وأجوبة في الفقه كثيرة جدًا. منها:"قاعدة في الجمعة هل يشترط لها الاستيطان؟" وقاعدة في "المسح على الخفين، وهل يجوز على المقطوع؟". وقاعدة في "حلق الرأس، هل يجوز في غير النسك لغير عذر"، وقواعد في "الاستجمار، وفي الأرض هل تطهر بالشمس والريح"؟
وقواعد في "نواقض الوضوء"، وفي "المحرمات في النكاح".
وقاعدة في "الجد هل يجبر البكر على النكاح؟"

وفي "الاستئذان من الأب هل يجب؟"، وجواب "في المظالم المشتركة وأحكامها".

وجواب في "أهل البدع، هل يصلى خلفهم؟"

ومسائل وأجوبتها في "قتال التتار الذين قاموا مع قازان وغيره، وفي قتال أهل البينات من النصارى، ونصارى ملطية، وقتال الأحلاف والمحاربين"، نحو مجلد.

وقاعدة في قوله ﷺ:"استحللتم فروجهن بكلمة الله".

وقاعدة في "العينة والتورق، ونحوهما من المبتاعات"، وقاعدة في"القراءة خلف الإمام".

وقاعدة في قوله ﷺ:"من بَكَّرَ وابتكر وغَسَّلَ واغتسل"، وأجوبة في "الصلوات المبتدعة؛ كصلاة الرغائب، ونصف شعبان"، ونحو ذلك.

وأجوبة في "النهي عن أعياد النصارى، وعما يفعل من البدع يوم عاشوراء". نحو مجلد.

وله مسألة في "أن الجد يسقط الإخوة"، وقاعدة في "توريث ذوي الأرحام"، ومسألة في "بيع المسلم فيه قبل قبضه، هل يجوز؟"

وله أجوبة في "رؤية هلال ذي الحجة إذا رآه بعض الناس ما حكمهم في الأضحية؟" وفي قوله:"صومكم يوم تصومون"، وفي ما إذا غم هلال رمضان ليلة الثلاثين، هل يجب الصوم أم لا؟"

وله جواب في "الإجارة"، هل المعقود تهيؤ العين وصلاحها لنفع المستأجر؟ وهل ما يحدث من العين على ملكه؟ وهل هي على وفق القياس؟" وله قاعدة في "أن ما كان داعيًا إلى الفرقة والاختلاف يجب النهي عنه"، وجواب في "التسمية على الوضوء" وقواعد في "سباق الخيل، ورمي النشاب".

وقواعد وأجوبة في "النية في الصلاة، وغير ذلك من العبادات".

وأجوبة في "صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض، وأنه جائز".

وجواب فيمن "تفقه على مذهب، ثم يجد حديثًا صحيحًا بخلاف مذهبه".

وجواب من يقول:"أنا مذهبي غير موافق للأربعة".

وجواب لمن يقول:"من لا شيخ له شيخه الشيطان"، وجواب في "المخلوقة من ماء الزاني، هل له أن يتزوج بها؟ وجواب في "صلاة الركعتين جالسًا بعد الوتر".

وجواب في "القنوت في الصبح والوتر"، وجواب عن المرازقة، وما يفعلونه من أعمال، والرد عليهم فيما أخطأوا فيه، وقاعدة في "الحمام والاغتسال"، وقاعدة "بين الأذانين يوم الجمعة".

وجواب في قوله:"خير القبور الدوارس"، وجواب في "نصرانية ماتت وفي بطنها ولد

مسلم"، وجواب في "امرأة مسلمة ماتت في بطنها إذ ذلك ولد حي متحرك"، وجواب مبسوط في "السجادة التي تفرش في المسجد قبل الجمعة قبل مجيء المصلي". وجواب في "ساعة الجمعة، هل هي مقدرة بالدرج".

وله أجوبة في "الوقت في منقطع الوسط وغيره"، وله مسألة تسمى "الواسطية"، وله "إبطال الكيمياء"، ومسألة "الشفاعة"، ومسألة "الشهادة بالاستفاضة"، ومسألة في الإجازة على كتاب "المصابيح" للبغوي.

وأخرى على كتاب "المصابيح" أيضًا، وله في الأحاديث وشرحها شيء كثير جدًا، منها ما بُيِّضَ، ومنها ما لم يُبَيَّضْ، ولو بُيِّضَ لبلغ مجلدات عديدة، وكتب كثيرًا من مسند الإمام أحمد وغيره، على أبواب الفقه، وله مختصر في الكلم الطيب، جمع فيه الأذكار المستعملة طرفي النهار، وغير ذلك، وشرح حديث أبي ذر الذي أوله:"يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي...". وحديث:"الأعمال بالنيات"، وحديث:"بدأ الإسلام غريبًا"، وحديث:"لا يرث المسلم الكافر"، وحديث الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لأبي بكر الصديق:"اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا..."، وحديث جبريل في الإيمان والإسلام، غير كتاب الإيمان المتقدم. في مجلد لطيف.

وحديث:"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..." شرحه مرات عديدة... وحديث:"أنزل القرآن على سبعة أحرف"، شرحه غير مرة.

وحديث النزول، شرحه مرات.

وحديث الأولياء الذي رواه البخاري منفردًا به:"مَنْ عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة"، شرحه مرات، تارةً يُسأَل عن مَجْمُوعِهِ، وتارةً يُسْأَلُ عن التردد المذكور فيه.

وحديث حكيم بن حزام":أسلمت على ما أسلفت من خير"، وحديث ابن مسعود في درء الهم. وحديث معاذ، وقول النبي ﷺ:"لا تدعن دبر كل صلاة..."، وحديث بريرة، وقول النبي ﷺ:"اشترطي لهم الولاء"، وحديث:"فحج آدم وموسى"، شرحه مرات، وحديث:"من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين". وحديث:"اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم".

وشرح أحاديث كثيرة غير ما ذكر.

وشرح ما روي عن عمر- رضي الله عنه- أنه قال:"نعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه".

وتكلم على "لو"، وشرح قول علي- رضي الله عنه-:"لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ إلا ربَّه، ولا

يَخَافَنَّ إلا ذنبَه".

وله أجوبة كثيرة في أحاديث يُسأل عنها من صحيح شرحه، وضعيف يبين ضعفه، وباطل ينبه على بطلانه، وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدم ذكره، يشق ضبطه وإحصاؤه، ويعسر حصره واستقصاؤه، وسأجتهد إن شاء الله في ضبط ما يمكنني من أسماء مؤلفاته في موضع آخر غير هذا، وأبين ما صنفه بمصر، وما ألفه منها بدمشق، وما جمعه وهو في السجن، وأرتبه ترتيبًا حسنًا غير هذا الترتيب بعون الله وقوته ومشيئته.

قال الشيخ أبو عبد الله: لو أراد الشيخ تقي الدين- رحمه الله- أو غيره حصرها- يعني- مؤلفات الشيخ- لما قدر؛ لأنه ما زال يكتب، وقد مَنَّ الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل.

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلدًا لطيفًا في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة، وأكثر.

وأحصيت ما كتبه في يوم، وبَيَّضتُهُ، فكان ثماني كراريس في مسألة من أشكل المسائل، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلدًا، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين وأربعين وعشرين فكثير، ويكتب الجواب، فإن حضر من بيضه، وإلا أخذ السائل خطه وذهب، ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم في الأصول والفروع والتفسير وغير ذلك، فإن وجد من ينقله من خطه وإلا لم يشتهر، ولم يعرف، وربما أخذه بعض أصحابه فلا يقدر على نقله، ولا يرده إليه فيذهب، وكان كثيرًا ما يقول: قد كتبت في كذا وفي كذا، ويُسأل عن الشيء فيقول: قد كتبت في هذا، فلا يدري أين هو؟ فيلتفت إلى أصحابه، ويقول: ردواْ خطي وأظهروه لينقل، فمن حرصهم عليه لا يردونه، ومن عجزهم لا ينقلونه، فيذهب ولا يعرف اسمه ولا أين هو، فلهذه الأسباب وغيرها تعذر إحصاء ما كتبه، وما صنفه، وما كفى هذا إلا أنه لما حبس وتفرق أتباعه، وتفرقت كتبه، وخوفواْ أصحابه من أن يظهرواْ كتبه، ذهب كل أحد بما عنده، وأخفاه، ولم يظهرواْ كتبه، فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه، ويودعه حتى أن منهم من تُسْرَق كتبه أو تجمد فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف [كل ممزق]، ولولا أن الله تعالى لطف وأعان، ومَنَّ وأنعم [وجرت] العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه، لما أمكن أحدًا أن يجمعها، ولقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها، وإصلاح ما فسد منها، ورد ما ذهب منها: ما لو ذكرته لكان عجبًا، يعلم به كل منصف أن لله عناية به، وبكلامه؛ لأنه يذب عن سنة نبيه ﷺ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قلت: ومن مؤلفاته أيضًا: قاعدة في "تقرير النبوات بالعقل والنقل"، وقاعدة في تبديل السيئات حسنات، وقاعدة في إبطال المجردات، وقاعدة في المتشابهات، وقاعدة في إثبات الرؤية، والرد على نفاتها.

وقاعدة وجوب تقديم محبة الله ورسوله على النفس والأهل.

وقاعدة في لفظ "الجسم"، واختلاف الناس، واصطلاحاتهم في هذا الاسم.

وقاعدة في تحريم الحشيشة، وبيان حكم أكلها، وماذا يجب عليه، وقاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار. وله الحموية الكبرى والحموية الصغرى.

فأما الحموية الكبرى: فأملاها ما بين الظهر والعصر، وهي جواب عن سؤال ورد من "حماة" سنة ثمان وتسعين وستمائة وجرى بسبب تأليفها أمور ومحن، وتكلم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك.

وقال في مقدمتها، وهي عظيمة جدًا: قولنا فيها، قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف/١٠٨].

ومن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفواْ فيه، وأمر الناس أن يردواْ ما تنازعواْ فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة.

وقد أخبر الله [أنه] أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته، محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به متلبسًا مشتبهًا، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه، فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين، لم يحكمواْ هذا الباب اعتقادًا وقولاً، ومن المحال أيضًا أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة، وقال:"تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك".

وقال- فيما صح عنه أيضًا-:"ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم".

وقال أبو ذر:"لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا".

وقال عمر بن الخطاب:"قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه" [رواه البخاري].

ومحال مع هذا، وتعليمهم كل شيء فيه منفعة في الدين، وإن دقت، أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم- رب العالمين- الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع الرسول على غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها، قصرواْ في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين، ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، كانواْ غير عالمين، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع. أما الأول؛ فلأن مَنْ في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه.

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه [لأولئك] السادة في مجموع [عصرهم]، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على الدنيا، والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك.

وأما كونهم كانواْ معتقدين فيه غير الحق، أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن أن يسطر في هذه الفتيا أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتَتَبُّعِه، ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من [السالفين]، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يُقَدِّر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة، المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فإن هؤلاء

المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف، إنما أتواْ من حيث ظنواْ أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة/٧٨]. وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد، أوجب تلك المقالة، التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبواْ على طريقة السلف، وضلواْ في تصويب طريقة الخلف، فجمعواْ بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس لله في نفس الأمر صفة دلت عليها.

هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركواْ فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدواْ انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى ظلواْ مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار به الباطل مركبًا من فساد العقل، والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدواْ فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفواْ فيه الكلام عن مواضعه، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين كانت النتيجة استجهال السابقين...، واعتقاد أنهم كانواْ قومًا أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحرواْ في حقائق العلم بالله ولم يتفطنواْ لدقيق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازواْ قصب السبق في هذا كله.

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة؛ كيف يكون هؤلاء المتأخرون- لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى [إليه] من مرامهم، حيث يقول:

لعمـــري لقد طفت المعاهد كلها ... وســـيرت طرفي بين تلك المعالم

فلـــم أر إلا واضـــعًا كـــف حائر ... علـــى ذقـــن أو قارعًا سن نادم

وأقرواْ على نفوسهم بما قالوه، متمثلين به أو [منشئين] له فيما صنفوه من كتبهم؛ كقول بعض رؤسائهم:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال ... وأكثـــر ســـعي العالمين ضلال

وأرواحـــنا في وحشة من جسومنا ... وحاصـــل دنـــيانا أذى ووبـــال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

لقد تأمَّلْتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠). ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/٥].

واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى/١١]، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه/١٠]

قال: ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي.

ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم، وتركن أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي.

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام، ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق [الأمر عليهم]، لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله، وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعواْ من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون المفضولون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قامواْ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقواْ- الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزواْ به على سائر أتباع الأنبياء، فضلاً على سائر الأمم، الذين لا كتاب لهم، وأحاطواْ من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لا ستحيي من يطلب المقابلة، ثم كيف يكون خير قرون الأمة، أنقص في العلم والحكمة- لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم، أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة، وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم، وأشباههم، أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان، وإنما قدمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت عنده هذه المقدمة علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين، بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البيانات والهدى، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة الأمة على ذلك.

وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدًا معينًا، وإنما أصف نوع هؤلاء، وإذا كان كذلك

فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إما نص، وإما ظاهر في أن الله هو العلي الأعلى، وهو عال على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر/١٠]. ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران/٥٥] ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك/١٧]. ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك/١٨]. ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء/١٥٨]. ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج/٤]. ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة/٧]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل/٥٠]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، في ستة مواضع: [الأعراف/٥٤]، [يونس/٣]، [الرعد/٢]، [الفرقان/٥٩]، [السجدة/٤]،[الحديد/٤]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/٥]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر/٣٦،٣٧]. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت/٤٢]، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام/١١٤].

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يكاد يحصى إلا بكلفة، مثل: قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله، وصعودها إليه، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم، وهو أعلم بهم.

وفي الصحيح، في حديث الخوارج:"ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً".

وفي حديث الرقية، رواه أبو داود وغيره:"ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع، [فيبرأ]. (١)

قال ﷺ:"إذا اشتكى أحد منكم، أو اشتكى أخ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء...". وذكره. (٢)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك [٤٩٤/١] ح[١٢٧٢]. وأبو داود [١٢/٤] ح[٣٨٩٢]. والطبراني [٢٨٠/٨] ح[٨٦٤٦]. والإمام أحمد في مسنده[٢٠/٦] ح[٢٤٠٠٣]. واللالكائي في اعتقاد أهل السنة [٣/ ٣٨٩] ح[٦٤٨].

(٢) تقدم في السابق.

وفي حديث الأوعال والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه. رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية:"أين الله؟" قالت: في السماء، قال:"من أنا؟" قالت: أنت رسول الله، قال:"أعتقها فإنها مؤمنة".(١)

وقوله في الحديث الصحيح:"إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب، فهو موضوع عنده فوق العرش: "إن رحمتي سبقت غضبي".(٢)

وقوله في حديث قبض الروح: حتى يعرج به إلى السماء التي فيها الله تعالى...".(٣)

وقول عبد الله بن رواحة، الذي أنشده النبي ﷺ وأقره عليه:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمين

وقول أمية بن أبي الصلت، الذي أنشده للنبي ﷺ هو وغيره من شعره، فاستحسنه وقال:"آمن شعره وكفر قلبه".(٤)

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرًا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا ... س وسوى فوق السماء سريرًا

شرجعًا ما يناله بصر العين ... [ترى] دونه الملائك صورًا

وقوله في الحديث الذي في السنن:"إن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يده إليه

(١) أخرجه مسلم [٣٨١/١] ح [٥٣٧]. وابن الجارود في المنتقى [٦٣/١] ح[٢١٢]. وابن حبان[١/ ٣٨٣] ح[١٦٥]. وأبو نعيم في المسند المستخرج [١٣٧/٢]ح[١١٨٣]. وأبو عوانة في مسنده[١/ ٤٦٥]ح[١٧٣٧]. والبيهقي في الكبرى[٣٨٧/٧]ح[١٥٠٤٣]. وأبو داود [٢٤٤/١] ح[٩٣٠]. في الكبرى [٣٦٢/١] ح[١١٤١]. والإمام مالك في الموطأ [٧٧٦/٢] ح[١٤٦٨]. والإمام أحمد في مسنده [٢٩١/٢]ح [٧٨٩٣].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره[١٥٥/٧]. والبخاري[٢٧٠٠١٦]ح[٦٩٨٦]. والنسائي في الكبرى [٤/ ٤١٧]ح[٧٧٥١]. وأبو يعلى في مسنده [٣١٦/١١]ح[٦٤٣٢].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره [١٧٧/٨]. وعبد الله بن أحمد في السنة [٦١٠/٢]ح[١٤٤٩].

(٤) عزاه الحافظ ابن حجر للفاكهي وابن منده من حديث ابن عباس. انظر فتح الباري[١٥٤/٧]. تفسير القرطبي [٣٢٠/٧]. تفسير ابن كثير [٥٠٠/٢].

أن يردهما صفرًا". [١]

وقوله:"يمد يديه إلى السماء؛ يا رب، يا رب". إلى أمثال ذلك، مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية، والمعنوية، التي تورث علمًا يقينيًا من أبلغ العلوم الضرورية، أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفًا، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة، ولا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرفًا واحدًا يخالف ذلك، لا نصًا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط، إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز إليه الإشارة الحسية، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول:"ألا هل بلغت؟" فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء، وينكتها إليهم، ويقول:"اللهم اشهد... غير مرة". [٢]

وأمثال ذلك كثيرة.

فإن كان الحق يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة، إما نصًا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله- تعالى- ثم على رسوله ﷺ ، ثم على خير الأمة، أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه، لا

---

(١) أخرجه ابن حبان [٣/١٦٠]ح[٨٧٦]، والترمذي[٥/٥٥٦]ح[٣٥٥٦]، وقال: حسن غريب، والبيهقي في الكبرى [٢/٢١١]ح[٢٩٦٥]، وأبو داود [٢/٧٨]ح[١٤٨٨]- وعبد الرازق في مصنفه[٢/٢٥١]ح[٣٢٥٠]، والطبراني في الكبير[٦/٢٥٦]ح[٦١٤٨] والقضاعي في مسند الشهاب [٢/١٦٥]ح[١١١١]، والمحاملي في أماليه[١/٣٨٠]ح[٤٣٣].

(٢) أخرجه مسلم[١٢/ ٨٩٠] ح[١٢١٨]وابن الجارود في المنتقى[١/ ١٢٣ ــ ١٢٥]ح [٤٦٩]، وابن حبان [١٤/ ٣١٢]ح [١٤٥٧]، وأبو نعيم في المسند المستخرج [٣/ ٣١٨] ح[٢٨٢٧]، والدارمي [٢/ ٦٧ - ٧٠] ح [١٨٥٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه[٣/ ٣٣٦] ح[١٤٧٠٥]، وعبد بن حميد في مسنده[١/ ٣٤١ - ٣٤٣] ح[١١٣٥]

نصًا ولا ظاهرًا، حتى تجيء أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها.

لئن كان الحق ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون، وهو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلواْ في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعواْ بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة، نصًا أو ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد لا تطلبواْ معرفة الله وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظرواْ أنتم فما وجدتموه مستحقًا له من الصفات فصفوه به، سواء كان موجودًا في الكتاب والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقًا له في عقولكم، فلا تصفوه به.

ثم هم ههنا فريقان؛ أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه، ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه. وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون، فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعواْ، فإنه الحق الذي تَعَبَّدتكم به وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يختلف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم، فاعلمواْ أني امتحنتكم بتنزيله، لا لتأخذواْ الهدى منه، لكن لتجتهدواْ في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، وأن تسكنواْ عنه مفوضين علمه إلى الله، مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر، على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعواْ فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانواْ عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء؛ كالبراهمة، والفلاسفة، وهم المشركون والمجوس، وبعض الصابئين، وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، ولا يرتفع الخلاف به؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكمواْ إليهم، وقد أمرواْ أن يكفرواْ بهم، وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء/٦٠:٦٢].

فإن هؤلاء إذا دعواْ إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته، أعرضواْ عن ذلك، وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملاً بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية، ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدواْ أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أمرواْ أن يكفرواْ بهم، مثل فلان وفلان، أو عمن قال كقولهم؛ لتشابه قلوبهم.

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء/٦٥]. ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة/٢١٣].

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدىً للناس ولا بيانًا ولا شفاءً لما في الصدور، ولا نورًا ولا مردًا عند التنازع؛ لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده، لم يدل عليه الكتاب ولا السنة، لا نصًا ولا ظاهرًا، وإنما غاية المتحذلق منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى:﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص/٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم/٦٥].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس فوق العرش، ولا فوق السماوات، ونحو ذلك، بقوله:(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) لقد أبعد النجعة، وهو إما ملغز، وإما مدلس، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين. ولازم هذه المقالة: أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم؛ لأنه مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمىً وضلالاً.

يا سبحان الله، كيف لم يقل الرسول يومًا من الدهر ولا أحد من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدواْ ما دلت عليه، لكن اعتقدواْ الذي تقتضيه [مقايسكم]، أو اعتقدواْ كذا وكذا، فإنه الحق، وما خالفه ظاهره، فلا تعتقدواْ ظاهر، وانظرواْ فيها، فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفواْ فيه وانفوه، ثم الرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون. ثم قال:"إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلواْ، كتاب الله".(١)

---

(١) أخرجه مسلم [٨٨٦/٢-٨٩٠] ح[١٢١٨] وابن الجارود في المنتقى[١٢٥/١]ح[٤٦٩].

وروى عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية.

"هو من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"[١] فهلا قال من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان [قد] نبغ أصل هذه المقالة في أواخر عصر التابعين، ثم أصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصفات، إنما مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصائبين، [فإن] أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم [فأخذها] عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنُسِبَتْ مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت ابن اخت لبيد بن أعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر، الذي سحر النبي ﷺ ، ثم أطال الشيخ- رحمه الله- الكلام إلى أن قال: الفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما أشير إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير فينظر، وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة، ولا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلاً منه.

إلى أن قال: وإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذ عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن، بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال: ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول وبما وصفه به السابقون الأولون، لا نتجاوز القرآن والحديث ومذهب السلف، أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ثم ذكر الشيخ- رحمه الله- جملاً نافعة- وأصولاً جامعةً في إثبات الصفات،

=

وابن خزيمة في صحيحه [٢٥١/٤]ح[٢٨٠٩]. وابن حبان في صحيحه [٣٢٩/١]ح [١٢٢]. والحاكم في مستدركه[١٧١/١]ح[٣١٨] وأبو نعيم في المسند المستخرج [٣١٨/٣]ح[٢٨٢٧]. وأبو داود [١٨٥/٢]ح[١٩٠٥]. والنسائي في الكبرى [٤٢١/٢]ح[٤٠٠١]. والربيع في مسنده [٣٣/١] ح[٣٠]. والإمام مالك في الموطأ [٨٩٩/٢]ح[١٥٩٤]. والإمام أحمد في مسنده[١/ ٥١]ح[٣٦٢].

(١) أخرجه الترمذي [٢٦/٥]ح[٢٦٤١]، وقال: غريب، والطبراني في الكبير[١٥٢/٨] ح[٧٦٥٩]. وقال الحافظ الهيثمي بعد ما غراه للكبير: فيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدًا. انظر مجمع الزوائد [١م١٥٦]. وانظر كشف الخفاء للعجلوني[١٦٩/١].

والرد على الجهمية، وذكر من النقول عن سلف الأمة وأئمتها في إثبات العلو، وغيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، ثم قال في آخر كلامه:

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

قسمان يقولون: تجري على ظواهرها.

وقسمان يقولون: هي على خلاف ظواهرها. وقسمان يسكتون.

أما الأولون، فقسمان: أحدهما: من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل، أنكره السلف، وإليهم توجه الرد بالحق.

والثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى- كما يجري اسم العليم والقدير، والرب والإله، والموجود والذات، ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين، إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به، فالعلم والكلام والقدرة والمشيئة، والرحمة والرضا والغضب، ونحو ذلك في حق العبد أعراض، والوجه واليد والعين في حقه أجسام، فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرةً وكلامًا ومشيئةً، وإن لم تكن أعراضًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجسامًا، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين، فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء، إلا ما يناسب المخلوق، فقد ضل في عقله ودينه، وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ وكيف يداه؟ ونحو ذلك.

فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات، من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك، بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس- رضي الله

عنهما- أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، وقد أخبر الله تعالى- أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.

وقال النبي ﷺ : يقول الله تعالى:"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".[(١)]

فإذا كان نعيم الجنة، وهو خلق من خلق الله كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى- وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى مع أنا نقطع [أن] الروح في البدن، وأنها تخرج منه، وتعرج إلى السماء، وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة، ومن وافقهم، حيث نفواْ عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن، والانفصال عنه، وتخبطواْ فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة بحسبها إلا أن يفسرواْ كلامهم بما يوافق النصوص فيكونواْ قد أخطأواْ في اللفظ، وأنى لهم بذلك.

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها. أعني: الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط، وإن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلب وإما إضافة، وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات، وهي السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين.

فهؤلاء قسمان: قسم يتأولونها، ويعينون المراد، مثل قولهم: استوى بمعنى: استولى، أو بمعنى: علو المكانة والقدر، أو بمعنى: ظهور نوره للعرش، أو بمعنى: انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين.

وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه.

وأما القسمان الواقفان. فقسم يقولون: يجوز أن يكون المراد ظاهرها اللائق بالله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله، ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقوم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات، فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

---

(١) أخرجه البخاري [١١٨٥/٣]ح [٣٠٧٢]، ومسلم [٢١٧٤/٤]ح [٢٨٢٤].

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية كالآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه فوق عرشه، ويعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك، مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ [سورة النور/٤٠].

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره، فليدعُ بما رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي يقول: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"[(١)].

وفي رواية أبي داود أنه كان يكبر في صلاته، ثم يقول ذلك.

فإذا افتقر العبد إلى الله تعالى ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين، انفتح له طريق الهدى، ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة، والمتكلمين في هذا الباب، وعرف غالب ما يزعمونه برهانًا، وهو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يئول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية أو دعوى إجماع لا حقيقة له، والتمثيل في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة، ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عن من لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغِرّ ما يوهمه السراب للعطشان، ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضد يظهر حسنة الضد، وكل من كان بالباطل أعلم، كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف.

فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه هو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف

(١) أخرجه مسلم[١/ ٥٣٤]ح [٧٧٠]، وابن خزيمة[٢/ ١٨٥]ح [١١٥٣]، وابن حبان في صحيحه[٦م ٣٣٥] ح [٢٦٠٠]، وأبو نعيم في المسند المستخرج [٢/ ٣٦٧] ح [١٧٦٠] ، والترمذي[٥م ٤٨٤] ح [٣٤٢٠]، والبيهقي في الكبرى[٥١٣] ح [٤٤٤٤]، وأبو داود [١/ ٢٠٤] ح [٧٦٧]، والنسائي في الكبرى[١/ ٤١٧] ح [١٣٢٢]، وابن ماجة[١/ ٤٣١] ح [١٣٥٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه[٧/ ٤٧٦] ح [٣٧٣٥٦]، والإمام أحمد في مسنده[٦/ ١٥٦] ح [٢٥٢٦٦].

عليه من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق، وهو عطشان إليه قبله.

وأما المتوسط فمتوهم بما يلقاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لمعظمه وتهويلاً، وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدين، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف، يؤفك عنه من أُفك، يعلم الذكي منهم، العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حِجَجٌ تَهَافَتَ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ

ويعلم البصير العالم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي- رضي الله عنه- حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربواْ بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام.

ومن وجه آخر: إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم، رحمتهم ورفقت عليهم، أوتواْ ذكاء، وما أوتواْ زكاء، وأعطواْ علومًا، وأعطواْ سمعًا وأبصارًا وأفئدةً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف/٢٦].

ومن كان عالمًا بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذرواْ عن الكلام، ونهواْ عنه، وذمواْ أهله، وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعدًا، فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين. آمين.

هذا آخر الحموية الكبرى، وهي في ست كراريس بقطع نصف البلدي، ألفها الشيخ - رحمه الله- قبل سنة سبعمائة، وعمره إذ ذاك دون الأربعين سنة، ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ما لا يوصف ولا يعبر عنه.

وجرى له من المناظرات العجيبة، والمباحثات الدقيقة في كتبه وغير كتبه مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه.

وقد ذكرنا عن ابن الزملكاني فيما تقدم انه قال: لا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، وقد رأيت بخط بعض أصحابه ما صورته:

تلخيص مبحث جرى بين شيخ الإسلام
تقي الدين ابن تيمية وبين ابن المرحل

كان كلام في الحمد والشكر، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد لا يكون إلا باللسان.

فقال ابن المرحل: قد نقل بعض المصنفين، وسمَّاهُ أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد. ومذهب الخوارج: أنه يكون بالاعتقاد والقول والعمل. وبنوْا على هذا أن من ترك الأعمال يكون كافرًا؛ لأن الكفر نقيض الشكر، فإذا لم يكن شاكرًا كان كافرًا.

قال الشيخ تقي الدين: هذا المذهب المحكي عن أهل السنة خطأ، والنقل عن أهل السنة خطأ؛ فإن مذهب أهل السنة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل. قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبا/١٣].

وقام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:"أفلا أكون عبدًا شكورًا"[(١)]

وقال ابن المرحل: أنا لا أتكلم في الدليل، وأسلم ضعف هذا القول، لكن أنا أنقل أنه مذهب أهل السنة.

قال الشيخ تقي الدين: نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ؛ فإن القول إذا ثبت ضعفه كيف ينسب إلى أهل الحق، ثم قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالنسبة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل.وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

قلت: وباب سجود الشكر أشهر من أن يذكر، وقد قال النبي ﷺ عن سجدة "ص":"سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكرًا".[(٢)]

ثم من الذي قال من أئمة السنة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد؟

قال ابن المرحل: هذا قد نقل، والنقل لا يمنع، لكن يستشكل، ويقال: هذا مذهب مشكل.

---

(١) أخرجه البخاري[١/ ٣٨٠] ح [١٠٧٨]، ومسلم [٤/ ٢١٧١] ح[٢٨١٩].

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه[١/ ٤٠٧] ح [٣]. والنسائي في الكبرى[١/ ٣٣١] ح [١٠٢٩]، وعبد الرزاق في مصنفه[٣/ ٣٣٨] ح [٥٨٧٠]، والطبراني في الكبير[١٢/ ٣٤] ح [١٢٣٨٦].

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: النقل نوعان: أحدهما: أن ينقل ما سمع أو رأى.

والثاني: ما ينقل باجتهاد واستنباط.

وقول القائل: مذهب فلان كذا، أو مذهب أهل السنة كذا، قد يكون نسبه إليه؛ لاعتقاد أن هذا مقتضى أصوله، وإن لم يكن فلان قال ذلك، ومثل هذا يدخله الخطأ، ألا ترى أن كثيرًا من المصنفين يقولون: مذهب الشافعي أو غيره كذا، ويكون منصوصه بخلافه، وعذرهم في ذلك أنهم رأواْ أن أصوله تقتضي ذلك القول، فنسبوه إلى مذهبه من جهة الاستنباط، لا من جهة النص. وكذلك هذا؛ لما كان أهل السنة لا يكفرون بالمعاصي، والخوارج يكفرون بالمعاصي، ثم رأى المصنف أن الكفر ضد الشكر، أعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال شكرًا لزم انتفاء الشكر بانتفائها، ومتى انتفى الشكر خلفه الكفر. ولهذا قال: إنهم بنواْ على ذلك التفكير بالذنوب، فلهذا عزا إلى أهل السنة إخراج الأعمال عن الشكر.

قلت: كما أن كثيرًا من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان لهذه العلة.

قال: وهذا خطأ؛ لأن الكفر نوعان: أحدهما: كفر النعمة. والثاني: الكفر بالله.

والكفر الذي هو ضد الشكر إنما هو كفر النعمة، لا الكفر بالله.

فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة، لا الكفر بالله.

قلت: على أنه لو كان ضده الكفر بالله، فمن ترك الأعمال شاكرًا بقلبه ولسانه، فقد أتى ببعض الشكر وأصله، والكفر إنما يثبت إذا عدم الشكر بالكلية، كما قال أهل السنة: إن من ترك فروع الإيمان لا يكون كافرًا حتى يترك أصول الإيمان، وهو الاعتقاد.

ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة التي هي ذات شعب، وأجزأ زوال اسمها، كالإنسان إذا قطعت يده، أو الشجرة إذا قطعت بعض فروعها.

قال الصدر بن المرحل: فإن أصحابك قد خالفواْ الحسن البصري في تسمية الفاسق كافر النعمة، كما خالفواْ الخوارج في جعله كافرًا بالله.

قال الشيخ تقي الدين: أصحابي لم يخالفواْ الحسن في هذا، فعن من تنقل من أصحابي هذا، بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة، حيث قال ابن المرحل: إن أنا ظننت أن أصحابك قد قالواْ هذا، لكن أصحابي قد خالفواْ الحسن في هذا.

قال الشيخ تقي الدين: ولا أصحابك خالفوه؛ فإن أصحابك قد تأولواْ أحاديث النبي ﷺ التي أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق مثل ترك الصلاة، وقتال المسلمين، على أن المراد به كفر النعمة، فَعُلِمَ أنهم يطلقون على المعاصي في الجملة أنها كفر النعمة، فعلم أنهم موافقو الحسن لا مخالفوه، ثم عاد ابن المرحل فقال: أنا أنقل هذا عن المصنف، والنقل لا

يمنع، لكن يستشكل.

قال الشيخ تقي الدين: إذا دار الأمر بين أن ينسب أهل السنة [إلى] مذهب باطل، أو ينسب الناقل عنهم إلى تصرفه في النقل، كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسبة الباطل إلى طائفة الحق، مع أنهم قد صرحواْ في غير موضع أن الشكر يكون بالقول والعمل والاعتقاد، وهذا أظهر من أن ينقل عن واحد بعينه. ثم إنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق إخراج الأعمال أن تكون شكرًا لله، بل قد نص الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال، وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل. وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يتكلم فيها على لفظ الحمد والشكر مثل: كتب التفسير واللغة، وشروح الحديث، يعرفه آحاد الناس.

والكتاب والسنة قد دلا على ذلك، فخرج ابن المرحل إلى شيء غير هذا، فقال: الحسن البصري يسمي الفاسق منافقًا، وأصحابك لا يسمونه منافقًا.

قال الشيخ تقي الدين له: بل يسمى منافقًا النفاق الأصغر، لا النفاق الأكبر، والنفاق يطلق على النفاق الأكبر، الذي هو إضمار الكفر، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات.

قال له ابن المرحل: ومن أين قلت إن الاسم يطلق على هذا وعلى هذا؟

قال الشيخ تقي الدين: هذا مشهور عند العلماء، وبذلك فسرواْ قول النبي ﷺ :"آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"(١).

وقد ذكر ذلك الترمذي، وغيره.

وحكوه عن العلماء، وقال غير واحد من السلف:كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

وإذا كان النفاق جنسًا تحته نوعان، فالفاسق داخل في أحد نوعيه.

قال ابن المرحل: كيف تجعل النفاق اسم جنس وقد جعلته لفظًا مشتركًا، وإذا كان اسم جنس كان متواطئًا.

والأسماء المتواطئة غير المشتركة، فكيف تجعله مشتركًا متواطئًا؟

قال الشيخ تقي الدين: أنا لم أذكر أنه مشترك. وإنما قلت: يطلق على هذا وعلى هذا، والإطلاق أعم.

---

(١) أخرجه البخاري[١/ ٢١] ح [٣٣] . ومسلم[١/ ٧٨] ح [٥٩].

ثم لو قلت: إنه مشترك، لكان الكلام صحيحًا؛ فإن اللفظ الواحد قد يطلق على شيئين بطريق التواطؤ وبطريق الاشتراك، فأطلقت لفظ النفاق على إبطان الكفر وإبطان المعصية، تارة بطريق الاشتراك، وتارة بطريق التواطؤ، كما أن لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن عند قوم باعتبار الاشتراك، وعند قوم باعتبار التواطؤ، ولهذا سمي مشككًا.

قال ابن المرحل: كيف يكون هذا؟ وأخذ بكلام لا يحسن ذكره.

قال له الشيخ تقي الدين: المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء، واستماع، وتدبر، وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميز، واللفظ يطلق على كل منهما، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى، فيكون مشتركًا الاشتراك اللفظي، وقد يكون مطلقًا باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين، فيكون لفظًا متواطئًا.

قلت: ثم إنه في اللغة يكون موضوعًا للقدر المشترك ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله في هذا تارة، وفي هذا تارة، فيبقى دالاً بعرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتياز، وقد يكون قرينة مثل لام التعريف، أو الإضافة تكون هي الدالة على ما به الامتياز. مثال ذلك: اسم الجنس إذا غلب في العرف على بعض أنواعه، كلفظ الدابة إذا غلب على الفرس قد نطلقه على الفرس، باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب، فيكون متواطئًا، وقد نطلقه باعتبار خصوصية الفرس، فيكون مشتركًا بين خصوص الفرس، وعموم سائر الدواب، ويصير استعماله في الفرس، تارة بطريق الاشتراك، وتارة بطريق التواطؤ، وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص، وصار علمًا بالغلبة، مثل ابن عمر، والنجم، فقد نطلقه عليه باعتبار القدر المشترك بينه وبين سائر النجوم، وسائر بني عمر، فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ، وقد نطلقه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم، ومن بني عمر، فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى الشخصي، وبين المعنى النوعي، وهكذا كل اسم عام غلب على بعض أفراده يصح استعماله في ذلك الفرد بالوضع الأول العام، فيكون بطريق التواطؤ بالوضع الثاني، فيصير بطريق الاشتراك.

ولفظ النفاق من هذا الباب؛ فإنه في الشرع إظهار الدين، وإبطان خلافه، وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمَّى النفاق في اللغة؛ فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين، ثم إبطان ما يخالف الدين إما أن يكون كفرًا، أو فسقًا، فإن أظهر أنه مؤمن، وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر، الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار، وإن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة، ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر، الذي يكون صاحبه فاسقًا، فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ، وعلى هذا فالنفاق

اسم جنس تحته نوعان، ثم إنه قد يراد به النفاق في أصل الدين، مثل قوله:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء/١٤٥] و﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون/١].

والمنافق هو الكافر، وقد يراد به النفاق في فروعه، مثل قوله ﷺ :"آية المنافق ثلاث...". وقوله:"أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا...".

وقول ابن عمر فيمن يتحدث عن الإسراء ثم يخرج فيقول بخلافه، كنا نعد هذا على عهد رسول الله ﷺ نفاقًا.

فإذا أردت أحد النوعين، فإما أن يكون تخصيصه لقرينه لفظية، مثل لام العهد والإضافة، فهذا لا يخرجه عن أن يكون متواطئًا؛ كما إذا قال الرجل: جاء القاضي، وعني به قاضي بلده؛ لكون اللام للعهد، كما قال سبحانه: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾[المزمل/١٦].

إن اللام هي أوجبت قصر الرسول على موسى، لا نفس لفظ رسول، وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه، فيصير مشتركًا بين اللفظ العام والمعنى الخاص، فكذلك قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾.

فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر إما أن يكون لدخول اللام التي تفيد العهد، والمنافق المعهود هو الكافر، أو تكون لغلبة هذا الاسم في الشرع على نفاق الكفر، وقوله:"ثلاث من كن فيه كان منافقًا...". يعني به منافقًا بالمعنى العام، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يبطن، فإطلاق لفظ النفاق على الكافر وعلى الفاسق إن أطلقته باعتبار [المعنى العام كان متواطئًا، وإن أطلقته على الكافر] بما يمتاز به عن الفاسق كان إطلاقه عليه، وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك، وكذلك يجوز أن يراد به الكافر خاصةً، ويكون متواطئًا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ منافق بل لام التعريف، وهذا البحث الشريف جاز في كل لفظ عام استعمل في بعض أنواعه إما لغلبة الاستعمال، أو لدلالة لفظية خصته بذلك النوع.

مثل تعريف الإضافة، أو تعريف اللام، فإن كان لغلبة الاستعمال صح أن يقال: إن اللفظ مشترك، وإن كان لدلالة لفظية، كان اللفظ باقيًا على مواطأته، فلهذا صح أن يقال: النفاق اسم جنس تحته نوعان؛ لكون اللفظ في الأصل عامًا متواطئًا.

وصح أن يقال: هو مشترك بين النفاق في أصل الدِّين، وبين مطلق النفاق في الدين؛ لكونه في عرف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر.

بحث ثان جرى أن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص

فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها، فإنه يكون على جميع الصفات، والشكر لا يكون إلاّ على إحسان، والشكر أعم من جهة ما به يقع، فإنه يكون بالاعتقاد والقول والفعل والحمد يكون [بالفعل] أو بالقول أو بالاعتقاد.

أورد الشيخ الإمام زين الدين بن المنجا الحنبلي، أن هذا الفرق إنما هو من جهة متعلق الحمد والشكر؛ لأن كونه يقع على كذا، ويقع بكذا خارج عن ذاته، فلا يكون فرقًا في الحقيقة، والحدود إنما يتعرض فيها لصفات الذات، لا لما خرج عنها.

فقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية: المعاني على قسمين: مفردة، ومضافة، فالمعاني المفردة حدودها لا توجد فيها متعلقاتها. وأما المعاني الإضافية فلابد أن توجد في حدودها تلك الإضافات، فإنها داخلة في حقيقتها ولا يمكن تصورها إلا بتصور تلك المتعلقات، فتكون المتعلقات جزءًا من حقيقتها، فتعين ذكرها في الحدود، والحمد والشكر معينان متعلقان بالمحمود عليه، والمشكور عليه، فلا يتم ذكر حقيقتهما إذ بذكر متعلقهما، فيكون متعلقهما داخل في حقيقتهما، فاعترض الصدر بن المرحل، بأنه ليس للمتعلقين من المتعلق صفة نسبية، والنسب أمور عدمية، وإذا لم تكن صفة ثبوتية، لم تكن داخلة في الحقيقة؛ لأن العدم لا يكون جزءًا من الوجود.

فقال الشيخ تقي الدين: قولك ليس للمتعلق من المتعلَق صفة ثبوتية ليس على العموم، بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية، وقد لا يكون، وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين، ليس [المعلق] القول من القول صفة ثبوتية، ثم الصفات المتعلقة نوعان:

أحدهما: إضافة محضة مثل الأبوة والبنوة والفوقية والتحتية، ونحوها، فهذه الصفة هي التي يقال فيها هي مجرد نسبة وإضافة والنسب أمور عدمية.

والثاني: صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها كالحب والبغض والإرادة والكراهة والقدرة وغير ذلك من الصفات، فإن الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب، فالحب معروض للإضافة بمعنى أن الإضافة صفة عرضت له؛ لأن نفس الحب هو الإضافة ففرق بينهما هو إضافة، وبينما هو صفة مضافة، فالإضافة يقال فيها: إنها عدمية [وأما الصفة المضافة، فقد تكون ثبوتية؛ كالحب].

قال ابن المرحل: الحب أمر عدمي؛ لأن الحب نسبة، والنسب عدمية.

قال الشيخ تقي الدين: كون الحب والبغض والإرادة والكرهة أمرًا عدميًا باطل الضرورة،

وهو خلاف إجماع العقلاء، ثم هو مذهب بعض المعتزلة في إرادة الله، فإنه زعم أنها صفة سلبية، بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره، وأطبق الناس على بطلان هذا القول، وأما إرادة المخلوق، وحبه وبغضه، فلم نعلم أحدًا من العقلاء قال: إنه [أمر] عدمي، فأصرَّ ابن المرحل على أن الحب الذي هو ميل القلب إلى المحبوب أمر عدمي.

وقال: المحبة أمر وجودي.

قال الشيخ تقي الدين: المحبة هي الحب، فإنه يقال: أحبه وحبه حبًا ومحبة، ولا فرق، وكلاهما مصدر.

قال ابن المرحل: وأنا أقول: إنهما إذا كانا مصدرين فهما أمر عدمي.

قال له الشيخ تقي الدين: الكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية، فقد انتهى، وتم.

وكون الحب والبغض أمرًا وجوديًا معلوم بالاضطرار، فإن كل أحد يعلم أن الحي إن كان خاليًا عن الحب كان هذا [الخلو] صفة عدمية، فإذا صار محبًا، فقد تغير الموصوف، وصار له صفة زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب، وهو يحسن ذلك من نفسه، ويجده كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وألمه، ودليل ذلك أنك تقول: أحب يحب محبة، ونقيض أحب: لم يحب، ولم يحب: صفة عدمية، ونقيض العدم: الإثبات.

قال ابن المرحل: هذا ينتقض بقولهم امتنع يمتنع، فإن نقيض الامتناع لا امتناع، والامتناع: صفة عدمية.

قال الشيخ تقي الدين: الامتناع أمر اعتباري عقلي، فإن الممتنع له وجود خارجي حتى تقوم به صفة، وإنما هو معلوم بالعقل باعتبار كونه معلومًا له ثبوت علمي، وسلب هذا الثبوت العلمي: عدم هذا الثبوت، فلم ينتقض هذا قولنا: نقيض العدم ثبوت، وأما الحب فإنه صفة قائمة بالمحب، فإنك تشير إلى عين خارجة، وتقول: هذا الحي صار محبًا، بعد أن لم يكن محبًا، فتخبر عن الوجود الخارجي بصفة، فإن كان نقيضها عدمًا خارجيًا، كانت وجودًا خارجيًا، وفي الجملة: فكون الحب والبغض صفة ثبوتية وجودية معلوم بالضرورة فلا يقبل فيه نزاع ولا يناظر صاحبه إلا مناظرة السوفسطائية.

قلت: وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير صفات وجودية، وظهر الفرق بين الصفات التي هي إضافة، وبين الصفات التي هي مضافة منسوبة، فالحمد والشكر من القسم الثاني، فإن الحمد أمر وجودي متعلق بالمحمود عليه، وكذلك الشكر أمر وجودي متعلق بالمشكور عليه، فلا يتم فهم حقيقتهما إلا بفهم الصفة الثبوتية لهما التي هي متعلقة بالغير، وتلك الصفة داخلة في حقيقتهما، فإذا كان متعلق أحدهما أكثر من متعلق الآخر،

وذلك التعلق إنما هو عارض لصفة ثبوتية لهما، وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية في ذكر حقيقتهما، والدليل على هذا أن من لم يفهم الإحسان امتنع أن يفهم الشكر، فعلم أن تصور متعلق الشكر داخل في تصور الشكر.

قلت: لو قيل: إنه ليس هذا الأمر عدميًا، فالحقيقة إن كانت مركبة من وجود وعدم وجب ذكرهما في تعريف الحقيقة، كما أن من عرف الأب من حيث هو أب فإن تصوره موقوف على تصور الأبوة التي هي نسبة، وإضافة وإن كان الأب أمرًا وجوديًا، فالحمد والشكر متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه، وإن لم يكن هذا المتعلق عارضًا لصفة ثبوتية، فلا يفهم الحمد والشكر إلا بفهم هذا [التعلق]، كما لا يفهم معنى الأب إلا بفهم معنى الأبوة، الذي هو التعلق، وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه، وهذا التعليق جزء من هذا المسمى، بدليل أن من لم يفهم الصفات الجميلة، لم يفهم الحمد، ومن لم يفهم الإحسان لم يفهم الشكر، فإذا كان فهمهما موقوفًا على فهم متعلقهما فوقوفه على فهم التعلق أولى؛ فإن التعلق فرع على المتعلق وتبع له، فإذا توقف فهمهما على فهم التعلق الذي هو أبعد عنهما من المتعلق فتوقفه على فهم التعلق أولى. وإن كان المتعلق أمرًا عدميًا، والله أعلم.

مبحث ثالث

ادعى مدعٍ أن قوله تعالى:﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾[البقرة/٢٧٥] [عام] في كل ما يسمى بيعًا.

قال له الشيخ تقي الدين ابن تيمية: قوله:﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ قد اتبع بقوله: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة/٢٧٥].

وعامة أنواع الربا يسمى بيعًا، والربا إن كان اسمًا مجملاً فهو مجهول، واستثناء المجهول من المعلوم يوجب جهالة المستبقى، فيبقى المراد إحلال البيع الذي ليس بربا، فما لم يثبت أن الفرد المعين ليس بربا لم يصح إدخاله في البيع الحلال، وهذا يمنع دعوى العموم، وإن كان الربا اسمًا عامًا فهو مستثنى من البيع أيضًا فيبقى البيع لفظًا مخصوصًا، فلا يصح ادعاء العموم على الإطلاق [فيه].

قال ابن المرحل: هذا من باب التخصيص، وهنا عمومان تعارضًا، وليس من باب الاستثناء فإن صيغ الاستثناء معلومة، وإذا كان هذا تخصيصًا لم يمنع ادعاء العموم فيه.

قال الشيخ تقي الدين: هذا كلام متصل بعضه ببعض، وهو من باب التخصيص المتصل، وتسميه الفقهاء استثناء، كقوله له: هذه الدار، ولي منها هذا البيت، فإن هذا بمنزلة قوله: إلا

هذا البيت، وكذلك لو قال: الزم هؤلاء القوم، ولا تكرم فلانًا، وهو منهم، كان بمنزلة قوله: إلا فلانًا، وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله:"وأحل الله البيع إلا ما كان ربا"، فمن ادعى بعد هذا أنه عام في كل ما يسمى بيعًا فهو مخطئ.

قال ابن المرحل: أنا أسلم أنه إنما هو عام في كل بيع لا يسمى ربا.

قال له الشيخ تقي الدين: وهذا كان المقصود، لكن بطل بهذا دعوى عمومه على الإطلاق ينافي دعوى العموم في بعض الأنواع دون بعض، وهذا كلام بين.

وادعى مدع أن فيه قولين: أحدهما: أنه عام مخصوص. والثاني: أنه عموم مراد.

قال الشيخ تقي الدين: فإن دعوى أنه عموم مراد باطل قطعًا، فإنا نعلم أن كثيرًا من أفراد البيع حرام، فاعترض ابن المرحل بأن تلك الأفراد حرمت بعد ما أحلت، فتكون نسخًا.

قال الشيخ تقي الدين: فيلزم من هذا أن لا يحرم شيئًا من البيوع بخبر واحد، ولا بقياس؛ فإن نسخ القرآن لا يجوز بذلك، وإنما يجوز تخصصه به. وقد اتفق [الفقهاء] على التحريم بهذه الطريقة.

قال ابن المرحل: رجعت عن هذا السؤال، لكن أقول: هو عموم مراد في كل ما يسمى بيعًا في الشرع، فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل بيع صحيح شرعي.

قال الشيخ تقي الدين: البيع ليس من الأسماء المنقولة فإن مسماه في الشرع والعرف هو المسمى اللغوي، لكن الشارع اشترط لحله وصحته شروطًا كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضًا بحسب اصطلاحهم، وهكذا سائر أسماء العقود، مثل الإجارة والرهن والهبة والقرض والنكاح، إذا أريد به العقد، وغير ذلك هي باقية على مسمياتها.

والنقل؟ إنما يحتاج إليه إذا أحدث الشارع معاني لم تكن العرب تعرفها، مثل الصلاة والزكاة والتيمم، فحينئذ يحتاج إلى النقل، ومعاني هذه العقود ما زالت معروفة.

قال ابن المرحل: أصحابي قالوا: إنها منقولة.

قال الشيخ تقي الدين: لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع الصحيح الشرعي لكان التقدير:"أحل الله البيع الصحيح الشرعي" أو"أحل الله البيع الذي هو عنده حلال"، وهذا مع أنه تكرير، فإنه يمنع الاستدلال بالآية، فإنا لا نعلم دخول بيع من البيوع في الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعي.

ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية.

قال ابن المرحل: متى ثبت أن هذا الفرد يسمى بيعًا في اللغة؟ قلت: هو بيع في الشرع؛ لأن الأصل عدم النقل، وإذا كان بيعًا في الشرع دخل في الآية.

قال الشيخ تقي الدين: هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول، فأما إذا ثبت أنه منقول، لم يصح إدخال فرد فيه، حتى يثبت أن الاسم المنقول واقع عليه، وإلا فيلزم من هذا أن كل ما سمي في اللغة صلاةً وزكاةً وتيممًا وصومًا وبيعًا وإجارةً ورهنًا، أنه يجوز إدخاله في المسمى الشرعي بهذا الاعتبار، وعلى هذا التقدير، فلا يبقى فرق بين الأسماء المنقولة وغيرها، وإنما يقال: الأصل عدم النقل إذا لم يثبت، بل متى ثبت النقل، فالأصل عدم دخول هذا الفرد في هذا الاسم المنقول حتى يثبت أنه داخل فيه بعد النقل فلتتأمل هذه الأبحاث الثلاثة وكل ما فيها.

قلت: فإنه من كلام الشيخ تقي الدين قرره بعد المناظرة.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ- رحمه الله-: وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة، ولما كان معتقلاً بالإسكندرية التمس منه صاحب "سبتة" أن يجيز له مروياته، وينص على أسماء جملة منها، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين، بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وهابوا، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، وبدَّعوه، وناظروه وكابروه، وهو ثابت ولا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتهر منه من الورع وكمال الفكرة وسرعة الإدراك، والخوف من الله العظيم، والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله، فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية، وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهارًا بلسانه وقلمه، وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها تتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد، وطلع وخرج، واجتمع بالملك مرتين، وبخطلو شاه، وببولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول، وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتى كأنه ليث حرب، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته؛ فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني

مثله، ولا والله رأى هو مثل نفسه في العلم.

قلت: ما فعله الشيخ- رحمه الله- في نوبة غازان من جميع أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير؛ من إنفاق الأموال وإطعام الطعام، ودفن الموتى، وغير ذلك، معروف مشهور، ثم بعد ذلك بعام ستة وسبعمائة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد، وبقي الخلق في شدة عظيمة، وغلب على ظنهم أن عسكر مصر قد تخلواْ عن الشام، ركب الشيخ وساق البريد إلى الجيش المصري في سبعة أيام، ودخل القاهرة الثامن يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى وأطلاب المصريين داخله، وقد دخل إلى السلطان الملك الناصر، فاجتمع بأركان الدولة، واستصرخ بهم وحضهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب، فاستفاقواْ وقويت هممهم، وأبدواْ العذر في رجوعهم مما قاسواْ من المطر والبرد ببدعرس، ونودي بالغزاه وقوي العزم وعظموه وأكرموه وتردد الأعيان إلى زيارته، واجتمع به في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وسمع كلامه، وذكر أنهم سألوه عنه، بعد انقضاء المجلس. فقال: هو رجل حِفْظَة، قيل له: فهلا تكلمت معه؟ فقال: هذا رجل يحب الكلام، وأنا أحب السكوت، وقد أخبرني الذهبي عن الشيخ- رحمه الله- أنه أخبره أن ابن دقيق العيد قال له بعد سماع كلامه: ما كنت أظن أن الله بقي يخلق مثلك.

وفي يوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور وصل الشيخ إلى دمشق على باب البريد، وكتب في هذه الحادثة كتابًا، وصورته هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة كتاب كتبه شيخ الإسلام علامة الزمان

تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية

- رحمه الله ورضي عنه-

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على صفوته من خليقته وخيرته من بريته، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا- أما بعد؛

فقد صدق الله وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده،﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[الأحزاب/٢٥]،

والله تعالى يحقق لنا تمام الكلام بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[الأحزاب/٢٦-٢٧].

فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الإسلام قد جرى فيها شبيه ما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلي بها نبيه والمؤمنين مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا إلى يوم القيامة، فإن نصوص الكتاب والسنة الذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي، أو بالعموم المعنوي، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة، كما نالت أولها، وإنما قصَّ الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمنين من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين، كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة، وأجمل ذكر قصص الأنبياء: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف/١١١].

أي: هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة، كنحو ما يذكر في الحروب في السير المكذوبة، وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات/٢٥-٢٦].

وقال في سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه ببدر وغيرها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [آل عمران/١٣].

وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[الحشر:٢].

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة ومن قبلها من الأمم، وذكر في غير موضع أن سنته في ذلك سنة مطردة، وعادته مستمرة، فقال تعالى:

﴿لئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الأحزاب/٦٠:٦٢] إلى قوله: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن

تَجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[الأحزاب/٦٠:٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح/٢٢،٢٣].

وأخبر- سبحانه- أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب الكافرين من المستقدمين، فينبغي للعقلاء أن يعتبرواْ بسنة الله وأيامه في عباده، ودأب الأمم وعاداتهم، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يُجتَث ويخترم، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم، وعقر دار المؤمنين أن يحل به البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أن ما وعدهم الله ورسوله إلا غرورًا، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبدًا، وزين ذلك في قلوبهم وظنواْ ظن السوء وكانواْ قومًا بورًا، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق وضعف إيمان، ورفع بها أقوامًا إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقوامًا إلى المنازل الهاوية، وكفَّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى، فإن الناس تفرَّقوا فيها ما بين شقي وسعيد، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود، وفرّ الرجل فيها عن أخيه وأمه وأبيه، إذ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه لا يلوي على ماله ولا ولده، ولا غرسه، كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال، وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع، وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع، ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الخالص والبر والتقوى، وبليت فيها السرائر، وظهرت الخبايا، التي كانت تكتمها الضمائر.

وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل وذم سادته وكبرائه من أطاعهم فأضلوه السبيلا، كما حمد ربه من صدق في إيمانه فاتخذ مع الرسول سبيلاً، وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية من الأخبار بما يكون، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون، كما تواطأت عليه المبشرات التي أُريها المؤمنون، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين، الذين لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم إلى يوم

القيامة، بحيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب، حزب مجتهد في نصر الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام، وانقسم الناس ما بين مأجور ومعذور، وآخر قد غرّه بالله الغرور، وكان هذا الامتحان تمييزًا من الله وتقسيمًا، ليجزي الصادقين بصدقهم، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورًا رحيمًا.

ووجه الاعتبار في هذه الحادثة العظيمة، أن الله – سبحانه وتعالى – بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرع له الجهاد، إباحة له أولاً، ثم إيجابًا له ثانيا لمّا هاجر إلى المدينة، وصار له فيها أنصار ينصرون الله ورسوله، فغزا بنفسه ﷺ مدة مقامه بدار الهجرة، وهو نحو عشر سنين، بضعًا وعشرين غزوة، أولها: بدر، وآخرها غزوة تبوك، أنزل الله في أول مغازيه سورة الأنفال، وفي آخرها سورة براءة، وجمع بينهما في المصحف لتشابه أول الأمر وآخره، كما قال أمير المؤمنين عثمان، لما سُئل عن القرآن بين السورتين من غير فصل بالبسملة، وكان القتال منها في تسع غزوات، فأول غزوات القتال بدر، وآخرها حنين والطائف، وأنزل الله معه فيها ملائكته، كما أخبر به القرآن، ولهذا صار الناس يجمعون بينهما في القول، وإن تباعد ما بين الغزوتين مكانًا وزمانًا، فإن بدرًا كانت في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، ما بين المدينة ومكة، شمالي مكة، وغزوة حنين في آخر شوال من السنة الثامنة، وحنين واد قريب من الطائف، شرقي مكة، ثم قسّم النبي ﷺ غنائمها بالجعرانة، واعتمر عمرة الجعرانة، ثم حاصر الطائف، فلم يقاتله أهل الطائف زحفًا وصفوفًا، وإنما قاتلوه من وراء جدار، فآخر غزوة كان فيها القتال زحفًا واصطفافًا هي غزوة حنين، وكانت غزوة بدر أول غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار، (وقتلهم) الله، وأسر رُءوسهم، مع قلة المسلمين وضعفهم، فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضع عشر، ليس معهم إلا فرسان، وكان (يعتقب) الاثنان والثلاثة على البعير الواحد، وكان عدوهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات في قوة وعدة وهيئة وخيلاء، فلما كان من العام المقبل غزا الكفار المدينة، وفيها النبي ﷺ وأصحابه، فخرج إليهم النبي ﷺ وأصحابه في نحو من ربع الكفار، وتركوا عيالهم بالمدينة لم ينقلوهم إلى موضع آخر، وكانت أولاً الكرّة للمسلمين عليهم، ثم صارت للكفار فانهزم عامة عسكر المسلمين إلا نفرًا قليلاً حول النبي ﷺ منهم من قُتل، ومنهم من جُرح، وحرصوا على قتل النبي ﷺ حتى كسروا رباعيته، وشجوا جبينه، وهشموا البيضة على رأسه، وأنزل الله فيها نحوًا من شطر سورة آل عمران، من قوله:﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران:١٢١].

وقال فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا

كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وقال فيها: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وكان الشيطان قد نعق في الناس أن محمدًا قد قُتل، فمنهم من تزلزل لذلك وهرب، ومنهم من ثبت فقاتل، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]، فكان هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا في العام الماضي، وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي لذنوب ظاهرة، وخطايا واضحة من فساد النيات، والفخر والخيلاء والظلم والفواحش والإعراض عن حكم الكتاب والسنة، وعن المحافظة على فرائض الله، والبغي على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والروم، وكان عدوهم في أول الأمر راضيًا منهم بالموادعة والمسألة شارعًا في الدخول في الإسلام، وكان مبتدئًا في الإيمان والأمان، وكانوا هم قد أعرضوا عن كثير من أحكام الإيمان، فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به، ليمحص الله الذين آمنوا، ولينيبوا إلى ربهم، وليظهر من عدوهم ما ظهر من البغي والمكر والنكث والخروج عن شرائع الإسلام فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر، وبعدوهم ما يستوجب به الانتقام، فقد كان في نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر الكبير ما لو يقترن بهم ظفروا بعدوهم الذي هو على الحال المذكورة لأوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنيا ما لا يُوصف، كما أن نصر الله (للمسلمين) يوم بدر، كان من رحمة الله ونعمه وهزيمتهم يوم أحد، كان باطنها رحمة ونعمة على المؤمنين، فإن النبي ﷺ قال:

"لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء فشكر الله، كان خيرًا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له"(١).

فلما كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهة بأحد، وكان بعد أحد بأكثر من سنة، وقيل،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٥/٤) — ح (٢٩٩٩)،وابن حيان (١٥٥/٧) — ح (٢٨٩٦)،والطبراني في الكبير (٤٠/٨) — ح (٧٣١٦).

بسنتين، قد ابتلي المسلمون بغزوة الخندق كذلك في هذا العام ابتُلي المسلمون بعدوهم بنحو ما ابتلي المسلمون مع النبي ﷺ عام الخندق.

وهي غزوة الأحزاب التي أنزل الله فيها سورة الأحزاب، وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزوة التي نصر الله فيها عبده ﷺ وأعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب، الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم، ذكر فيها خصائص رسول الله ﷺ وحقوقه وحرمته، وحرمة أهل بيته، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال، كما كان ذلك في غزوتنا هذه سواء، وظهر فيها سر تأييد الدين، كما ظهر في غزوة الخندق.

وانقسم الناس فيها كانقسامهم عام الخندق، وذلك أن الله تعالى – منذ بعث محمدًا ﷺ وأعزه بالهجرة والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام:

قسمًا مؤمنين، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا وباطنًا.

وقسمًا كفارًا، وهم الذين أظهروا الكفر به.

وقسمًا منافقين، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا لا باطنًا، ولهذا افتتح الله سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاثة عشرة آية في صفة المنافقين، وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب، كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة، وكما فسره أمير المؤمنين علي بن أبى طالب – رضي الله عنه – في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه وشعبه، فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبيّ وغيره، بأن يُظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ، ومازال بعده بل هو بعده أكثر منه على عهده، لكن موجبات الإيمان على عهده أقوى.

فإذا كانت مع قوتها، كان النفاق معها موجودًا، فوجوده فيما دون ذلك أولى.

وكما أنه ﷺ كان يعلم بعض المنافقين ولا يعلم بعضهم، كما بيّنه قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١] .

كذلك خلفاؤه بعده وورثته قد يعلمون بعض المنافقين ولا يعلمون بعضهم، وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون في الخاصة والعامة، ويُسمون الزنادقة.

وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر، لكون ذلك لا يُعلم إذ هم دائمًا يظهرون

الإسلام، وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة من المنجِّمين ونحوهم، ثم في الأطباء، ثم في الكُتّاب أقل من ذلك، ويُوجدون في المتصوفة والمتفقهة وفي المقاتلة، والأمراء وفي العامة أيضًا.

ولكن يوجد كثيرًا في نِحَل أهل البدع، لاسيما الرافضة، ففيهم من الزنادقة والمنافقين ما ليس في أحد من أهل النِّحَل، ولهذا كانت الحرمية والباطنية، والقرامطة، والإسماعيلية، والنصيرية، ونحوهم من المنافقين الزنادقة منتسبة إلى الرافضة، وهؤلاء المنافقون في هذه الأوقات لكثير منهم ميْل إلى دولة هؤلاء التتار، لكونهم لا يُلزمونهم شريعة الإسلام، بل يتركونهم وما هم عليه، وبعضهم إنما ينفرون عن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا، واستيلائهم على الأموال واجترائهم على الدماء والسبي، لا لأجل الدين، فهذا ضرب النفاق الأكبر، وأما النفاق الأصغر فهو النفاق في الأعمال، ونحوها مثل أن يكذب إذا حدّث أو يخلف إذا وعد، أو يخون إذا اؤتمن، أو يفجر إذا خاصم.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال:

"آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمن خان"[(١)].

وفي رواية صحيحة: "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم"[(٢)].

وفي الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال:

"أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[(٣)].

ومن هذا الباب الإعراض عن الجهاد فإنه من خصال المنافقين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم "من مات ولم يغزُ، ولم يحدّث نفسه بالغزو، مات على

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١/٧٨) — ح (٥٩)، وابن خزيمة (٣/١٩٥) — ح (١٨٩٥)، وابن حبان في صحيحه (١/٤٩٠) — ح (٢٥٧)، والحاكم في مستدركه (١/٥٨٢) — ح (١٥٣٤)، وأبو نعيم في مستخرجه على مسلم (١/١٤٧) — ح (٢٠٧)، وأبو عبد الله المقدسي في المختارة (٦/٢٣٣ — ٢٣٤) — ح (٢٢٥٠)، وأبوعوانة في مسنده (١/٣٠) — ح (٤٤)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٨٨) — ح (١٢٤٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٣٧) — ح (٢٥٦١٣)، واسحق بن راهويه في مسنده (١/٣٧١) — ح (٣٨٣)، وأبو يعلى في مسنده (١١/٤٠٦) — ح (٦٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (١/٢١) — ح (٣٤)، ومسلم (١/٧٨) — ح (٥٨).

شعبة من نفاق" (رواه مسلم)(١).

وقد أنزل الله سورة براءة التي تُسمّى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، أخرجا في الصحيحين عن ابن عباس قال:

"هي الفاضحة، مازالت تنزل، ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذُكر فيها"(٢). وعن المقداد بن الأسود قال: "هي سورة البحوث؟ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين"(٣). وعن قتادة قال: "هي المثيرة؛ لأنها أثارت مخازى المنافقين". وعن ابن عباس قال: "هي المبعثرة"(٤)، والبعثرة والإثارة متقاربان.

وعن ابن عمر: "إنها المقشقشة؛ لأنها تبرئ من مرض النفاق"(٥). يقال: تقشقش المريض إذا برأ. قال الأصمعي: وكان يقال لسورتي الإخلاص المشقشقتان؛ لأنهما يبرئان من النفاق.

وهذه السورة نزلت في أخر مغازي النبي ﷺ غزوة تبوك عام تسع من الهجرة، وقد عزّ الاسلام وظهر فكشف الله فيها أحوال المنافقين ووصفهم فيها بالجبن، وترك الجهاد، ووصفهم بالبخل عن النفقة في سبيل الله، والشحّ على المال، وهذان داءان عظيمان البخل والجبن. قال النبي ﷺ: "شر ما في المرء شحٌ هالع، وجبنٌ خالع" حديث صحيح. ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار، كما دل عليه قوله: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: الآية ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦]. فأما وصفهم بالجبن والفزع، فقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ. لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ

---

(١) (١٥١٧/٣) – ح (١٩١٠)،وأخرجه: ابن الجارود في المنتقى (٢٥٩/١) – ح (١٠٣٦) – والحاكم في مستدركه (٨٨/٢) – ح (٢٤١٨) – وأبو عوانة في مسنده (٤٩١/٤-٤٩٢) – ح (٧٤٥١)، والبيهقي في الكبرى (٤٨/٩)،وأبو داود (١٠/٣) – ح (٢٥٠٢) – والنسائي في الكبرى (٦/٣) – ح – (٤٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٥٢/٤) – ح (٤٦٠٠)،ومسلم (٢٣٢٢/٤) – ح (٣٠٣١)، وسعيد بن منصور في سنة (٢٣٢/٥)- ح (١٠٠٤).

(٣) ذكره الشيخ القرطبي ولم يعزه لأحد. انظر / تفسير القرطبي (١٤٣/٦).

(٤) ذكره الشيخ القرطبي،ولم يعزه لأحد. انظر تفسير القرطبي (٦١/٨).

(٥) هكذا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٩٩/٢) – ح (٢٥٢٣) عن أبي عمرو بن العلاء قال: كانت قل يا أيها الكافرون تسمّى المقشقشة،أى أنها تبرئ من الشرك.

مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة٥٧:٥٦]. فأخبر سبحانه أنهم وإن حلفوا أنهم من المؤمنين فما هم منهم، ولكن يفزعون من العدو، فلو يجدون ملجأ يلجأون إليه من المعاقل والحصون التي يفر إليها من يترك الجهاد، أو مغارات، وهي جمع مغارة، ومغارات سُمّيت بذلك لأن الداخل يغور فيها، أي: يستتر، كما يغور الماء، أو مُدّخلاً، وهو الذي يتكلف الدخول فيه، إما لضيق بابه أو لغير ذلك. أي: مكانًا يدخلون إليه، ولو كان الدخول بكلفة ومشقة لولوا عن الجهاد إليه، وهم يجمحون: أي يسرعون إسراعًا لا يردهم شيء، كالفرس الجموح الذي إذا دخل لا يرده اللجام.

وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين في حادثتنا، وفيما قبلها من الحوادث، وبعدها، وكذلك قال في سورة محمد ﷺ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٠].

البيهقي: فبعدًا لهم.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد:٢١] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون ﴾(الحجرات: من الآية١٥) فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد. وقال تعالى: ﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة ٤٤:٤٥]. فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد، وإنما يستأذنه الذي لا يؤمن، فكيف بالتارك من غير استئذان، ومن تدبر القرآن، وجد نظائر هذا متضافرة على هذا المعنى. قال في وصفهم بالشح: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤] . فهذه حال من أنفق كارهًا، فكيف بمن ترك النفقة رأسًا، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨]

قال: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[التوبة: ٧٥-٧٦]

وقال فى السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥]، فانتظمت هذه الآية على حال من أخذ المال بغير حقه أو منعه عن مستحقه من جميع الناس، فإن الأحبار هم العلماء، والرهبان هم العُبّاد، وقد أخبر أن كثيرًا منهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون أي: يعرضون ويمنعون: يقال: صدّ عن الحق صدودًا، وصدّ غيره صدًا.

وهذا يندرج فيه ما يُؤكل بالباطل من وقْف أو عطيّة على الدين، كالصلات والنذور التي تُنذر لأهل الدين، ومن الأموال المشتركة كأموال بيت المال، ونحو ذلك.

فهذا فيمن يأكل المال بالباطل بشبهة دين، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤]، فهنا يندرج فيه من كنَز المال عن النفقة الواجبة في سبيل الله، والجهاد أحق الأعمال باسم سبيل الله، سواء كان ملكًا، أو مقدمًا، أو غنيًا، أو غير ذلك.

وإذا دخل في هذا ما كنز من المال الموروث والمكسوب، فما كنز من الأموال المشتركة التي يستحقها عموم الأمة ومستحقها مصالحهم أولى وأحرى.

فصل

فإذا تبين بعض معنى المؤمن والمنافق، فإذا قرأ الإنسان سورة الأحزاب وعرف من المنقولات من الحديث والتفسير والفقه والمغازي، كيف كانت صفة الواقعة التي نزل فيها القرآن ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك، وجد مصداق ما ذكرنا، وأن الناس انقسموا في هذه الحادثة إلى الأقسام الثلاثة، كما انقسموا في تلك، وتبين له كثير من المتشابهات، افتتح الله السورة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[الأحزاب:١]، وذكر في أثنائها قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا. وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب ٤٧:٤٨]

ثم قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب ٣-٢]، فأمَره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة التي هي سنته، وبأن يتوكل على الله.

فبالأولى تحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥].

وبالثاني تحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

ومثل ذلك قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[هود: من الآية١٢٣].

وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[الشورى: من الآية١٠]

وهذا وإن كان مأمورًا به في جميع الدين، فإن ذلك في الجهاد أوكد، لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين، وذلك لا يتم إلا بتأييد قوي من الله.

ولهذا كان الجهاد سنام العمل، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة، ففيه سنام المحبة، كما في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤].

وفيه سنام التوكل، وسنام الصبر، فإن المجاهد أحوَج الناس إلى الصبر والتوكل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل٤١:٤٢]، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

ولهذا كان الصبر واليقين الذي هو أصل التوكل يوجبان الإمامة في الدين، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، ولهذا كان الجهاد موجبًا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، فجعل لمن جاهد فيه هدايته جميع سبيله تعالى، ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانتظروا ما عليه أهل الثغر، فإن الحق معهم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وفي الجهاد أيضًا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا، وفيه أيضًا حقيقة الإخلاص، فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا سبيل الحميّة، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١]. والجنة اسم للدار التي حوَت كل نعيم، أعلاه: النظر إلى الله، إلى ما دون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، مما قد نعرفه وقد لا نعرفه، كما قال تعالى: فيما رواه رسوله: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر"(١).

فقد تبين بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا، ثم إنه قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١١٨٥) – ح (٣٠٧٢)،ومسلم (٤/٢١٧٤) – ح (٢٨٢٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩].

وكان مختصر هذه القصة: أن المسلمين تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم، وجاءوا بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين، فاجتمعت قريش وحلفاؤها ومواليها من كنانة وأهل نجد والأحابيش، واجتمعت غطفان وحلفاؤها من بني أسد وأشجع وفزارة، وغيرهم من قبائل نجد، واجتمعت أيضًا اليهود من قريظة والنضير، فإن بني النضير، كان النبي ﷺ قد أجلاهم قبل ذلك، كما ذكره الله في سورة الحشر، فجاءوا في الأحزاب إلى قريظة وهم معاهدون للنبي ﷺ ومجاورون له قريبًا من المدينة، فلم يزالوا بهم حتى نقضت قريظة العهد، ودخلوا في الأحزاب، فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة، وهم بقدر المسلمين مرات متعددة، فرفع النبي ﷺ الذرية من النساء والصبيان في آطام المدينة، وهي مثل الجواسق ولم ينقلهم إلى مواضع أُخر، وجعل ظهرهم إلى سلع، وهو الجبل القريب من المدينة من ناحية الغرب والشام، وجعل بينه وبين العدو خندقًا.

والعدوّ قد أحاط بهم من العالية والسافلة، وكان عدوًا شديدًا، ولو تمكن من المدينة لكانت نكايته فيهم أعظم النكايات.

وفي هذه الحادثة تحزّب هذا العدو من مغل وغيرهم من أنواع الترك، ومن فرْس ومستعربة ونحوهم، من أجناس المرتدة، ومن نصارى الأرض وغيرهم، ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين، وهو بين الإقدام والإحجام مع قلة مَن بإزائهم من المسلمين ومقصودهم الاستيلاء على الدار، واصطلام أهلها كما نزل أولئك بنواحي المدينة، ودام الحصار على المسلمين عام الخندق على ما قيل بضعًا وعشرين ليلة، وقيل: عشرين ليلة، وهذا العدو عبر الفرات سابع عشر ربيع الأول، وكان أول انصرافه راجعًا عن حلب، لما رجع مقدمهم الكبير قازان، بمَن معه يوم الاثنين حادي أو ثاني عشر جُمادى الأول، يوم دخل عسكر المسلمين إلى مصر المحروسة، واجتمع بهم الداعي وخاطبهم في هذه القضية، وكان الله سبحانه وتعالى — لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى من الاهتمام والعزم وألقى في قلب عدوهم الروْع والانصراف، وعام الخندق برد شديد، وريح شديدة منكرة، بها صرف الله الأحزاب عن المدينة، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[الأحزاب:٩].

وهكذا هذا العام أكثر الله فيه الثلج والمطر والبرد على خلاف أكثر العادات حتى كره أكثر الناس ذلك، وكُنّا نقول لهم: لا تكرهوا ذلك، فإن لله فيه حكمة ورحمة، وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله بها العدو، فإنه كثُر عليهم الثلج والمطر والبرد حتى هلك من خيلهم ما شاء الله، وهلك أيضًا منهم ما شاء الله، وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف

والعجز بسبب البرد والجوع ما رأوا أنهم لا طاقة لهم معه بقتال، حتى بلغني عن بعض كبار المُقدَّمين في أرض الشام أنه قال: لا بيّض الله وجوهنا، عدونا في الثلج إلى شعره، ونحن قعود لا نأخذهم، وحتى علموا أنهم كانوا صيدًا للمسلمين لم يصطادوهم، لكن لله في تأخير اصطيادهم حكمة عظيمة، وقال الله تعالى في شأن الأحزاب:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ [الأحزاب ١٠-١١].

وهكذا هذا العام جاء العدو من ناحيتي علو الشام (شمالي الفرات، وقبلي الفرات)، فزاغت الأبصار زيغًا عظيمًا، وبلغت القلوب الحناجر، لعظم البلاء لاسيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر وتقرّب العدو وتوجهه إلى دمشق، وظنّ الناس بالله الظنونا، هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام حتى يصطلموا أهل الشام، وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم شر كسرة، وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر، وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام، وهذا يظن أنهم يأخذونها ثم يذهبون إلى مصر، فيستولون عليها، ولا يقف قدامهم أحد، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن ونحوها، وهذا إذا أحسن ظنه، قال: إنهم لا يملكونها العام كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين، ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم كما خرج ذلك العام، وهذا ظن خيارهم، وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية، وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع حتى يمر الظن بفؤاده مرّ السحاب ليس له عقل يتفهم ولا لسان يتكلم، وهذا قد تعارضت عنده الأمارات، وتقابلت عنده الإرادات، لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات مَن الصادق والكاذب ولا يميّز في التحديث بين المخطئ والصائب، ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء، بل إما أن يكون جاهلاً بها، أو قد سمعها سماع العبراء، ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية، ولا يُهدى لدفع ما يتخيل أنه معارض لها في بادئ الرؤية، فلذلك استولت الحيرة على من كان متسمًا بالاهتداء وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١١]، ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الذى يكفر به خطاياهم ، ويرفع به درجاتهم، وزلزلوا بما حصل لهم من الرجفات ما استوجبوا به أعلى الدرجات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]، وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية، والخلافة الرسالية، وحزب الله المحدثون عنه حتى حصل لهؤلاء التأسي برسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم، وأما الذين في قلوبهم مرض، فقد تكرر ذكرهم في هذه السورة، فذُكروا هنا، وفي قوله:

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأحزاب:٦٠]، وفي قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

وذكر الله مرض القلب في مواضع، فقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال:٤٩]

والمرض في القلب كالمرض في الجسد، فكما أن هذا هو ما أحاله عن الصحة والاعتدال من غير موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال، من غير أن يموت القلب، سواء فسد إحساس القلب وإدراكه، أو فسد عمله وحركته، وذاك كما فسروه هو من ضعف الإيمان، إما بضعف علم القلب واعتقاده، وإما بضعف عمله وحركته، فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفزع، فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل، وغير ذلك كلها أمراض، وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التي فيه، وعلى هذا، فقوله:

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب:٣٢) هو إرادة الفجور، وشهوة الزنا، كما فسّروا به، ومنه قول النبي ﷺ: "وأي داءٍ أدوى من البخل"(١).

وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور، وقال النبي ﷺ: "إنما شفاء العيِّ السؤال"(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/٤٢٩-٤٣٠) – ح (١٠٨٥٥)، وهناد في الزهد (١/٣٣٥) – ح(٦١٤)،قال الدارقطني: الأشبه المرسل، انظر علل الدارقطني (٨/٤٠).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (١/٢٢٧) – ح (١٠١٦)،وأبو داود (١/٩٣) – ح (٣٣٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/٤٤٩) – ح (٣١٣٠)،وابن الجوزي في التحقيق (١/٢٧٣) – ح (٢٨٧) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/١٩٠) – ح (٧٣٤)، وبلفظ: "ألم يكن شفاء العي السؤال" أخرجه: الحاكم في مستدركه (١/٢٨٥) – ح (٦٣٠)، والدارمي (١/٢١٠) – ح (٧٥٢)،وابن ماجة (١/١٨٩) – ح (٥٧٢)،وعبد الرازق في مصنفه (١/٢٢٥) – ح (٨٧٣)،والإمام أحمد في مسنده (١/٣٣٠) – ح (٣٠٥٧)،وأبو يعلى في مسنده (٤/٣٠٩) – ح (٢٤٢٠)،والطبراني في الكبير (١١/١٩٤) – ح (١١٤٧٢)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني (١/٢٤٧)، تحفة المحتاج (١/ =

وكان يقول في دعائه:

"اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء"[(١)].

ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه، كما ذكروا أن رجلاً شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة، فقال: لو صححت لم تخف أحدًا، أي: خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك، ولهذا أوجب الله على عباده ألا يخافوا حزب الشيطان، بل لا يخافوا غيره فقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال لعموم بني إسرائيل تنبيهًا لنا: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

وقال: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:٤٤].

وقال لنا: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

وقال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]

وقال: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة:١٣] إلى قوله:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة:١٣].

فدلت هذه الآية وهو قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[الأحزاب:١٢]. على أن المرض والنفاق والقلب يوجب الريب في الأنباء الصادقة التي توجب (أمْن) الإنسان من الخوف حتى يظنوا أنها كانت غرورًا له كما وقع في حادثتنا هذه سواء.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب:١٣].

---

٢٢٥)، التلخيص الحبير (١/١٤٧).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/٢٤٠) — ح (٩٦٠)، والحاكم في مستدركه (١/٧١٤) — ح (١٩٤٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. والترمذي (٥/٥٧٥) — ح (٣٥٩١)، وقال: حسن غريب. والطبراني في الكبير (١٩/١٩) — ح (٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٢) — ح (١٣).

وكان النبي ﷺ قد عسكر بالمسلمين عند "سلع" وجعل الخندق بينه وبين العدو، فقالت طائفة منهم: لا مقام لكم هنا لكثرة العدو، فارجعوا إلى المدينة، وقيل: لا مقام لكم على دين محمد، فارجعوا إلى دين الشرك.

وقيل: لا مُقام لكم على القتال، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم، وهكذا لما قدم هذا العدو من المنافقين من قال: ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم، فينبغي الدخول في دولة التتار، وقال بعض الخاصة: ما بقيت الشام تسكن، بل ننتقل عنها، إما إلى الحجاز واليمن، وإما إلى مصر، وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء كما قد استسلم لهم أهل العراق، والدخول تحت حكمهم، فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة، كما قيلت في تلك، وهكذا فالطائفة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض لأهل دمشق خاصة والشام عامة لا مُقام لكم بهذه الأرض، ونفي المقام بها أبلغ من نفي المقام، وإن كان قد قُرئت – بالضم – أيضًا، فإن من لم يقدر أن يقوم بالمكان، فكيف يقيم فيه، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ [الأحزاب: من الآية١٣].

كان قوم من هؤلاء المذمومين يقولون والناس مع النبي ﷺ عند "سلع" داخل الخندق، والنساء والصبيان في آطام المدينة: يا رسول الله إن بيوتنا عورة، أي: مكشوفة ليس بينها وبين العدو حائل، وأصل العورة: الخالي الذي يحتاج إلى حفظ وستر، يقال: أعور مجلسك، إذا ذهب ستره أو سقط جداره، ومنه: عورة العدو.

قال مجاهد والحسن: أي: ضائعة يُخشى عليها السراق.

وقال قتادة: قالوا بيوتنا مما يلي العدو، ولا نأمن على أهلنا، فأذن لنا لنذهب إليها لحفظ النساء والصبيان، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: من الآية١٣] لأن الله يحفظها ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ [الأحزاب: من الآية١٣] فهم يقصدون الفرار من الجهاد ويحتجون بحجة العائلة، وهكذا أصاب كثيرًا من الناس في هذه الغزاة، صاروا يفرون من الثغر إلى المعاقل والحصون، وإلى الأماكن البعيدة كمصر، ويقولون: ما مقصودنا إلا حفظ العيال، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا، وهم يكذبون (في ذلك)، فقد كان يمكنهم جعلهم في حصن دمشق، لو دنا العدو كما فعل المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يمكنهم إرسالهم، والمقام للجهاد، فكيف بمن فرّ بعد إرسال عياله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب:١٤] فأخبر أنه لو دخلت عليهم المدينة من جوانبها ثم طلبت منهم الفتنة وهي

الافتتان عن الدين بالكفر أو النفاق لأُعطوا الفتنة ولجاءوها من غير توقف، وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المنافق المجرم ثم طلب منهم موافقته على ما هو عليه من الخروج عن شريعة الاسلام وتلك فتنة عظيمة، لكانوا معه على ذلك كما ساعدهم في العام الماضي أقوام بأنواع من الفتنة في الدين والدنيا ما بين ترك واجبات وفعل محرمات، إما في حق الله وإما في حق العباد، كترك الصلاة، وشرب الخمر، وسبّ السلف، وسبّ جنود المسلمين، والتجسس لهم على المسلمين، ودلالتهم على أموال المسلمين، وحريمهم وأخذ أموال الناس، وتعذيبهم وتقوية دولتهم الملعونة، وإرجاف قلوب (المسلمين) منهم إلى غير ذلك من أنواع الفتنة، ثم قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً﴾[الأحزاب:١٥].

وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا قديمًا وحديثًا في هذه الغزوة، فإن في العام الماضي، وفي هذا العام: في أول الأمر كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر، ثم فر منهزمًا لما اشتد الأمر، ثم قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ١٦] فأخبر الله أن الفرار لاينفع لا من الموت ولا من القتل، فالفرار من الموت، كالفرار من الطاعون، ولذلك قال النبي ﷺ:

"إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه"، والفرار من القتل كالفرار من الجهاد، وحرف "لن" ينفي الفعل في الزمن المستقبل والفعل نكرة، والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها، فاقتضى ذلك أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبدًا، وهذا خبر الله الصادق، فمن اعتقد أن ذلك (منفعة) فقد كذّبَ الله في خبره، والتجربة تدلّ على مثل ما دلّ عليه القرآن، فإن هؤلاء الذين فرّوا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا وتفاوتوا في المصائب، والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدين والدنيا، حتى الموت الذي فروا منه كثُر فيهم وقلّ في المقيمين، فمات مع الهرب من شاء، والطالبون للعدو والمعاقبون لهم، لم يمت منهم أحد ولا قُتل. بل الموت حلّ بالبلد من حين خرج الفارون.

وهكذا سنة الله قديمًا وحديثًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الأحزاب:١٦].

يقول: لو كان الفرار ينفعكم، لم ينفعكم إلا حياة قليلة، ثم تموتون، فإن الموت لابد منه، وقد خفي عن بعض الحمقى أنه قال: فنحن نريد ذلك القليل، وهذا جهل منه بمعنى الآية، فإن الله لم يقل: إنهم يتمتعون بالفرار قليلاً، لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبدًا، ثم ذكر

جوابًا ثانيا: أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاعًا قليلاً، ثم ذكر أنه جوابًا ثالثًا وهو أن الفارّ يأتيه ما قُضي له من المضرة، ويأتي الثابت ما قُضي له من المسرة، فقال: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:١٧].

ونظيره قوله في سياق آيات الجهاد:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: من الآية٧٨].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران:١٥٦].

فمضمون الأمر أن المنايا محتومة، فكم ممّن حضر الصفوف فسلم، وكم ممّن فرّ من المنية فصادفته، كما قال خالد بن الوليد لما احتضر:

لقد حضرت كذا وكذا صفًا، وإن ببدني بضعًا وثمانين ما بين ضربة سيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت (العير) فلا قرت أعين الجبناء.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[الأحزاب:١٨].

قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة، فإذا جاءهم أحد قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج ، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر أن ائتونا بالمدينة، فإنا ننتظركم يثبطونهم عن القتال، وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن يجدوا بدًا فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة، فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ، فوجد أخاه لأبيه وأمه، وعنده شواء ونبيذ، فقال له: أنت ها هنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف، فقال: هلم فقد أُحيط بك وبصاحبك، فوصف المثبطين عن الجهاد وهم صنفان، لأنهم إما أن يكونوا في بلد الغزاة، أو في غيره، فإن كانوا فيه عوّقوهم عن الجهاد بالقول أو بالعمل أو بهما، وإن كانوا في غيره راسلوهم وكاتبوهم بأن يخرجوا إليهم من بلد الغزاة، ليكونوا معهم بالحصون، أو بالبعد، كما جرى في هذه الغزاة، فإن أقوامًا في العسكر والمدينة وغيرها صاروا يُعوّقون من أراد الغزو، وأقوامًا بعثوا من المعاقل والحصون أو غيرها إلى إخوانهم: هلموا إلينا، قال الله تعالى فيهم:

﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب١٨:١٩] أي بخلاء عليكم بالقتال معكم والنفقة في سبيل الله، وقالوا: بخلاء عليكم بالخير والظفر والغنيمة، وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله، أو شحّ عليهم بفضل الله من نصره ورزقه الذي يجريه بفعل

غيره، فإن أقوامًا يشحون بمعروفهم، وأقوامًا يشحون بمعروف الله وفضله، وهم الحساد.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، من شدة الرعب الذي في قلوبهم يشبهون المغمى عليه وقت النزع، فإنه يخاف ويزيل عقله ويشخص بصره، ولا يطرف، كذلك هؤلاء؛ لأنهم يخافون القتل.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: من الآية١٩].

ويقال في اللغة: صلقوكم، وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي، ومنه: الصالقة، وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة، يقال: سلقه وصلقه.

وقد قرأ طائفة من السلف بها، لكنها خارجة عن المصحف إذا خاطبه خطابًا شديدًا قويًا، ويقال: خطيب مسلاق، إذا كان بليغًا في خطبته، لكن الشدة هنا في الشر لا في الخير، كما قال:

﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩].

وهذا السلق بالألسنة الحادة، وهذا يكون بوجوه، تارة يقول المنافقون للمؤمنين، هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين، وقاتلتم عليه، وخالفتموهم فإن هذا مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة.

وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت، وإلا فلو كنا قد سافرنا قبل هذا، لما أصابنا هذا.

وتارة يقولون: أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو، وقد غركم دينكم، كما قال تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٩].

وتارة يقولون: أنتم مجانين، لا عقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم، والناس معكم.

وتارة يقولون أنواعًا من الكلام المؤذي الشديد، وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: حرّاص على الغنيمة والمال الذي قد حصل لكم.

قال قتادة: (إذا) كان وقت قسمة الغنيمة بسطوا ألسنتهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم بأحق بها منا، فأما عند البأس، فأجبن قوم، وأخذلهم للحق، وأما عند الغنيمة، فأشحّ قوم، وقيل: أشحة على الخير، أي: بخلاء به، لا ينفعون، لا بنفوسهم ولا بأموالهم، وأصل الشح: شدة الحرص الذي يتولد عنه البخل والظلم، من منع الحق، وأخذ الباطل، كما قال النبي ﷺ: "إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم

فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، فهؤلاء أشحاء على إخوانهم"، أي: بخلاء عليهم.

وأشحاء على الخير: أي: حرّاص عليه فلا ينفقونه، كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨].

ثم قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٠].

فوصفهم بثلاثة أوصاف:

الأول: أنهم لفرط خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد، وهذه حال الجبان الذي في قلبه مرض، فإن قلبه مبادر إلى تصديق الخبر المخوف، وتكذيب خبر الأمن.

الوصف الثاني: أن الأحزاب إذا جاءوا تمنوا أن لا يكونوا بينكم، بل يكونوا في البادية بين الأعراب يسألون عن أنبائكم، أيش خبر المدينة، وأيش جرى في الناس.

الوصف الثالث: أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم لم يقاتلوا إلا قليلاً، وهذه الصفات الثلاثة منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة كما يعرفونه من أنفسهم ويعرفونه منهم من خبرهم، ثم قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

فأخبر سبحانه أن الذين يبتلون بالعدو كما ابتلى به رسول الله ﷺ فلهم فيه أسوة حسنة، حيث أصابهم مثل ما أصابه فليتأسوا به في التوكل والصبر، ولا يظنوا أن هذه المصائب نقمة لصاحبها، وإهانة له، فإنه لو كان كذلك ما ابتلي بها خير الخلائق، بل بها تُنال الدرجات العالية، وبها يكفِّر الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا.

وإلا فقد يُبتلى بذلك من ليس كذلك، فيكون في حقه عذابًا كالكفار والمنافقين، ثم قال تعالى:﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

قال العلماء: كان الله قد أنزل في سورة البقرة:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

فبين الله سبحانه منكرًا على من حسب خلاف ذلك، أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يبتلوا مثل هذه الأمم قبلهم بالبأساء وهي الحاجة والفاقة، والضراء وهي الوجع والمرض،

والزلزال وهي زلزلة العدو، فلما جاء الأحزاب عام الخندق فرأوهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال، وأتاهم مثل الذين من قبلهم، وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا لحكم الله وأمره.

وهذا حال أقوام في هذه الغزوة، قالوا ذلك، وكذلك قوله:﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَه﴾[الأحزاب:٢٣].

أي: عهده الذي عاهد الله عليه، فقاتل حتى قتل أو عاش، والنحب: النذر والعهد، وأصله من النحيب، وهو الصوت، ومنه الانتحاب في البكاء، وهو الصوت الذي تكلم به في العهد، ثم لما كان عهدهم هو نذر الصدق في اللقاء، ومن صدق في اللقاء فقد يقتل، صار يفهم من قوله: ﴿ قَضَى نَحْبَه﴾ (الأحزاب:٢٣)، أنه استشهد، لا سيما إذا كان النحب نذر الصدق في جميع المواطن، فإنه لا يقضيه إلا بالموت، وقضاء النحب هو الوفاء بالعهد، كما قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب:٢٣]

أي: أكمل الوفاء، وذلك لمن كان عهده مطلقًا بالموت أو القتل، ومنهم من ينتظر قضاءه إذا كان قد وفى البعض، فهو ينتظر إتمام العهد وأصل القضاء الإكمال والإتمام ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤].

بين الله سبحانه وتعالى أنه أتى بالأحزاب ليجزي الصادقين بصدقهم، حيث صدقوا في إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

فحصر الإيمان في المؤمنين المجاهدين، وأخبرهم أنهم هم الصادقون في قولهم آمنا، لا من قال كما قالت الأعراب: آمنا، والإيمان لم يدخل في قلوبهم بل إنقادوا واستسلموا، وأما المنافقون، فهم بين أمرين إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم، فهذا حال الناس في الخندق، وفي هذه الغزاة، وأيضًا فإن الله ابتلى الناس بهذه الفتنة ليجزي الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون الصابرون لينصروا الله ورسوله، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم.

ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين، فإن منهم من ندم، والله سبحانه يقبل التوبة مِنْ عباده، ويعفو عن السيئات، وقد فتح الله للتوبة بابًا من قِبل المغرب عرضه أربعون سنة، لا يغلقه حتى تطلع الشمس من قبله، وقد ذكر أهل المغازي منهم ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال في الخندق: "الآن نغزوهم ولا يغزونا".

فما غزت قريش ولا غطفان ولا اليهود المسلمين بعدها، بل غزاهم المسلمون ففتحوا خيبر، ثم فتحوا مكة، كذلك إن شاء الله هؤلاء الأحزاب من المغول وأصناف الترك، ومن الفرس والمستعربة، والنصارى، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الإسلام الآن نغزوهم ولا يغزونا، ويتوب الله على من شاء من المسلمين الذين خالط قلوبهم مرض أو نفاق، بأن ينيبوا إلى ربهم ويحسن ظنهم في الإسلام وتقوى عزيمتهم على جهاد عدوهم، فقد أراهم الله من الآيات ما فيه عبرة لأولي الأبصار، كما قال: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥].

فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا، ريح شديدة باردة، وبما فرّق به بين قلوبهم حتى شتت شملهم، ولم ينالوا خيرًا، إذ كان همتهم فتح المدينة والاستيلاء على الرسول والصحابة، كما كان همة هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين، فردهم الله بغيظهم حيث أصابهم من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج، ما الله به عليم، وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام حتى طلبوا الاستصحاء غير مرة، وكنا نقول لهم: هذا فيه خيرة عظيمة وفيه لله حكمة وسر فلا تكرهوه، وكان من حكمته أنه فيما قيل أصاب قازان وجنوده حتى أهلكهم، وهو كان فيما قيل سبب رحيلهم، وابتلي به المسلمون ليتبين من يصبر على أمر الله وحكمه ممن يفر عن طاعته وجهاد عدوه، وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام إلى أراضي حلب يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى يوم دخلت مصر عقيب العسكر، واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين، وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه، فلما ثبت الله قلوب المسلمين، صرف العدو، جزاء منه وبيانًا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها، وإن لم يقع الفعل، وإن تباعدت الديار، وذكر أن الله تعالى فرق قلوب هؤلاء المغل والكرج، وألقى بينهم تباغضًا وتعاديًا، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قريش وغطفان وبين اليهود، كما ذكر ذلك أهل المغازي، فإنه لم يتسع هذا المكان لأن نصف فيه قصة الخندق، بل من طالعها علم صحة ذلك، كما قد ذكره أهل المغازي مثل: عروة بن الزبير، والزهري، وموسى بن عقبة، وسعيد بن يحيى الأموي، ومحمد بن عائذ، ومحمد بن إسحاق، والواقدي، وغيرهم، ثم تبقى منهم بالشام بقايا سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم مضافًا إلى عسكر حماة وحلب، وما هنالك، وثبت المسلمون بإزائهم، وكانوا أكثر بكثير، لكن في ضعف شديد، وتقربوا إلى حماة، وأذلهم الله تعالى، فلم يقدموا على المسلمين قط، وصار من المسلمين من يريد الإقدام عليهم فلم يوافقه غيره،

فجرت مناوشات صغارًا، كما قد كان يجري في غزوة الخندق، حيث قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه- فيها عمرو بن عبد ود العامري، لما اقتحم الخندق، هو ونفر قليل من المشركين، كذلك صار يتقرب بعض العدو فيكسرهم المسلمون، مع كون العدو المتقرب أضعاف من قد سرى إليه من المسلمين، وما من مرة إلا وقد كان المسلمون مستظهرين عليهم، وساق المسلمون خلفهم في آخر النوبات، فلم يدركوهم إلا عند عبور الفرات، وبعضهم في جزيرة فيها فرأوا أوائل المسلمين فهربوا منهم وخالطوهم، وأصاب المسلمون بعضهم، وقيل: إنه غرق بعضهم، وكان عبورهم وخلو الشام منهم في أوائل رجب بعد أن جرى ما بين عبور قازان أولاً، وهذا العبور رجفات ووقعات صغار، وعزمنا على الذهاب إلى حماة غير مرة، لأجل الغزاة، لما بلغنا أن المسلمين يريدون غزو الذين بقوا، وثبت بإزائهم المقدم الذي بحماه، ومن معه من المعسكر، ومن أتاه من مدد دمشق، وعزموا على لقائهم، ونالوا أجرًا عظيمًا، قيل: إنهم كانوا عدة طمانات إما ثلاثة أو أربعة، وكان من المقدر أنه إذا عزم الأمر، وصدق المؤمنون الله، يلقي في قلوب عدوهم الرعب، فيهربون لكن أصابوا من البليدات بالشمال مثل تيزين والفوعة ومعرة مصرين وغيرها ما لم يكونوا وطئوه في العام الماضي، وقيل: إن كثيرًا من تلك البلاد كان فيهم ميل إليهم بسبب الرفض، وإن عند بعضهم فرامين منهم، لكن هؤلاء ظلمة، ومن أعان ظالمًا بُلي به والله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩] .

ولقد ظاهرهم على المسلمين الذين كفروا من أهل الكتاب من أهل "سيس" والإفرنج، فنحن نرجو من الله أن ينزلهم من صياصيهم، وهي الحصون، ويقال للقرون الصياصي، ويقذف في قلوبهم الرعب، وقد فعل، ويفتح الله تلك البلاد ونغزوهم إن شاء الله تعالى فتفتح أرض العراق، وغيرها، وتعلو كلمة الله ويظهر دينه، فإن هذه الحادثة كان فيها أمور عظيمة حازت حد القياس وخرجت عن سنن العادة، وظهر لكل ذي عقل من تأييد الله لهذا الدين وعنايته بهذه الأمة وحفظه الأرض التي بارك فيها للعالمين بعد أن كاد الإسلام أن يكرّ على العدو كرة فلم يُلو عنه وخذل الناصرون فلم يلووا على..، وتحير السائرون فلم يدروا من ولا إلى، وانقطعت الأسباب الظاهرة (وأهطعت) الأحزاب القاهرة، وانصرفت الفئة الناصرة، وتخاذلت القلوب المتناصره، وثبتت الفئة الصابرة، وأيقن بالنصر القلوب الطاهرة، واستنجزت من الله وعده للعصابة المنصورة الظاهرة، ففتح الله أبواب سماواته لجنوده القاهرة، وأظهر على الحق آياته الباهرة، وأقام عمود الكتاب بعد ميله، وثبت لواء الدين بقوته وحوله، وأرغم معاطس أهل الكفر والنفاق، وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق بالله تعالى، فالله

يتم هذه النعمة، بجمع قلوب أهل الإيمان على جهاد أهل الطغيان، ويجعل هذه المنة الجسيمة مبدأ لكل منحة كريمة وأمنًا شاملاً، لإقامة الدعوة النبوية القويمة، ويشفي صدور المؤمنين من آعاديهم، ويمكنهم من دانيهم وقاصيهم.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد. وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

قال الشيخ — رحمه الله — كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده، لما رجعت من مصر في جمادى الآخرة، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد، ثم لما بقيت تلك الطائفة اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم، وقصد الذهاب إلى إخواننا بحماة، وتحريض الأمراء على ذلك حتى جاءنا الخبر بانصراف المتبقين منهم فكملته في رجب، والله أعلم، والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

قلت: وفي أول شهر رمضان سنة اثنتين وسبعمائة، كانت وقعة "شقحب" المشهورة، حصل للناس شدة عظيمة، وظهر فيها من كرامات الشيخ وإجابة دعائه، وعظيم جهاده وقوة إيمانه، وفرط نصحه للإسلام، وفرط شجاعته ونهاية كرمه، وغير ذلك من صفاته ما يفوق النعت ويتجاوز الوصف، ولقد قرأت بخط بعض أصحابه، وقد ذكر هذه الواقعة، وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين، قال: واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين، ومحبته وسماع كلامه ونصيحته، واتعظوا بمواعظه، وسأله بعضهم مسائل في أمر الدين، ولم يبق من ملوك الشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة، واعتقد خيره وصلاحه ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين، قال:

ثم ساق الله سبحانه جيش الإسلام العرمرم المصري صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر (وولاة الأمر) وزعماء الجيش، وعظماء المملكة، والأمراء المصريين عن آخرهم، بجيوش الإسلام سوقًا حثيثًا، للقاء التتار المخذولين، فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد، وأعيان الأمراء عن آخرهم وكلمهم بمرج الصفر قبلي دمشق المحروسة، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات، مسافة، ودار بين الشيخ المذكور وبينهما ما دار بينه وبين الشاميين، وكان معهم وبينهم كأحد أعيانهم، واتفق له من اجتماعهم ما لم يتفق لأحد قبله، من أبناء جنسه، حيث اجتمعوا بجملتهم في مكان واحد في يوم واحد، على أمر جامع لهم، وله مهم عظيم يحتاجون فيه إلى سماع كلامه، هذا توفيق عظيم كان من الله تعالى — له لم يتفق لمثله، وبقي الشيخ المذكور — رضي الله عنه — هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائمًا بظهوره وجهاده ولأمة حربه يوصي الناس بالثبات، ويعدهم النصر، ويبشرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحسنيين إلى أن صدق الله وعده

وأعز جنده وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين، وهزم الجمع، وولوا الدبر، وكانت كلمة الله العليا وكلمة الكفار السفلى، وقطع دابر القوم الكفار، والحمد لله رب العالمين.

ودخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة، والشيخ في أصحابه شاكًا في سلامه، داخلاً معهم، عالية كلمته، قائمة حجته، ظاهرة ولايته، مقبولة شفاعته، مجابة دعوته، ملتمسة بركته، مكرمًا معظمًا، ذا سلطان وكلمة نافذة، وهو مع ذلك يقول للمدّاحين له: أنا رجل ملة لا رجل دولة، ولقد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين -أمير من أمرائهم، ذو دين متين، وصدق لهجة، معروف في الدولة- قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء ونحن بمرج الصفر وقد تراءى الجمعان: يا فلان، الدين أوقفني موقف الموت، قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم (منحدرون) كالسيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم، ثم قلت له: يا سيدى هذا موقف الموت، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة، فدونك وما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص ببصره، وحرك شفتيه طويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال، وأما أنا فخيل إلي أنه دعا عليهم، وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة، قال: ثم أحال القتال بيننا والالتحام وما عدت رأيته حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة، وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما تحريضًا على القتال، وتخويفًا للناس من الفرار، فقلت له: يا سيدي لك البشارة بالنصر، فإنه قد فتح الله ونصر، وها هم التتار محصورون بهذا السفح، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم قال: فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ودعا لي في ذلك الموطن بدعاء، وجدت بركته في ذلك الوقت وبعده. هذا كلام الأمير الحاجب.

قال: ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة في الحال والقال والجاه والتعمق والتحقيق في العلم والعرفان حتى حرك الله تعالى عزمات نفوس ولاة الأمر لقتال "أهل جبل كسروان"، وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا السبل، وعارضوا المارين بهم من الجيش بكل سوء، فقام الشيخ في ذلك أتم قيام، وكتب إلى أطراف الشام في الحث على قتال المذكورين، وأنها غزاة في سبيل الله، ثم تجهز هو ومن معه لغزوهم بالجبل، صحبه ولي الأمر نائب المملكة المعظمة أعز الله نصره، والجيوش الشامية المنصورة، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم وقتالهم حتى فتح الله الجبل، وأجلى أهله، وكان من أصعب الجبال مسلكًا وأشقها ساحة، وكانت الملوك المتقدمة لا تقدم على حصاره مع علمها ما أهله عليه من البغي والخروج على الإمام والعصيان، وليس إلا لصعوبة المسلك، ومشقة النزول عليهم، وكذلك لما حاصروهم

"بيدرا" بالجيش رحل عنهم، ولم ينل منهم منالاً، لذلك السبب، ولغيره، وذلك عُقيب فتح قلعة الروم، ففتحه الله على يدي "ولي الأمر نائب الشام المحروس" أعز الله نصره، وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ بسببين على ما يقوله الناس:

أحدهما: لكون أهل هذا الجبل بغاة رافضة سبابة تعين قتالهم.

والثاني: لأن أهل جبل الصالحية، لما استولت الرافضة عليه في حال استيلاء الطاغية غازان، أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل، وسبي أهله وقتلهم وحريق مساكنهم انتقامًا لكونهم سنية، وسماهم ذلك المشير نواصب، فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول وتلك الإشارة.

قالوا: فكوفئ الرافضة بمثل ذلك بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزنًا بوزن جزاء على يد ولي الأمر وجيوش الإسلام، والمشير المذكور هو الشيخ المشار إليه.

ولما فتح الجبل وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة، عكف خاص الناس وعامتهم على الشيخ بالزيارة له، والتسليم عليه، والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل وصورة قتال أهله، وعمّا وقع بينهم وبين الجيش من المراسلة وغيرها، فحكى الشيخ ذلك، وحكى أيضًا أنه تجادل مع كبير من كبراء أهل جبل كسروان له اطلاع على مذهب الرافضة.

قال: وكان الجدل والبحث في عصمة الإمام، وعدم عصمته، وفي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – معصوم من الكبائر والصغائر، وفي كل قول وفعل، وهذه دعوى الجبلي، وأن الشيخ حاجّه في أن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء عليهم السلام، قال: وإنني قلت له: إن عليًا، وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما – اختلفا في مسائل وقعت، وفتاوى أفتيا بها، وأن تلك الفتاوى والمسائل عُرضت على النبي ﷺ فصوّب فيها قول ابن مسعود – رضي الله عنه –.

هذا معنى كلام الشيخ في حديثه عن المجادلة مع الرافضي الجبلي، وان اختلفت العبارة. انتهى ما ذكره.

وكان توجه الشيخ – رضي الله عنه – تقي الدين إلى "الكسروانيين" في مستهل ذي الحجة من سنة أربع وسبعمائة، وصحبته "الأمير قراقوش"، وتوجه نائب السلطنة "الأمير جمال الدين الأفرم" بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة، وكان قد توجه قبله العسكر طائفة بعد طائفة بعد ذي الحجة، وفي يوم الخميس سابع عشر صفر وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق بعد أن نصرهم الله على

حزب الضلال من "الروافض والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة"، وأبادهم من تلك الأرض، والحمد لله رب العالمين.

(رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر)

ثم إن الشيخ – رحمه الله – بعد وقعة جبل كسروان – أرسل رسالة إلى "السلطان الملك الناصر"، يذكر فيها ما أنعم الله على السلطان وعلى أهل الإسلام، بسبب فتوح الجبل المذكور، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعي أحمد ابن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله في دولته الدين وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيا به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذل به أهل الكفر والفسوق والعصيان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير. ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله، ﷺ تسليمًا.

أما بعد: فقد صدق الله وعده، ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأنعم الله على السلطان، وعلى المؤمنين في دولته نعمًا لم تُعهد في القرون الخالية، وجدد الإسلام في أيامه تجديدًا بانت فضيلته على الدول الماضية، وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأولين والآخرين، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رؤوس المئين، والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

وذلك: أن السلطان – أتم الله نعمته – حصل للأمة بيُمن ولايته وحسن نيته، وصحة إسلامه، وبركة إيمانه ومعرفته، وفضل همته، وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين، وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين، من جهاد أعداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان:

أهل الفجور والطغيان، وذوو الغي والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان طلبًا للعلو في الأرض والفساد، وتركًا لسبيل الهدى والرشاد، وهؤلاء هم التتار، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين، أو ببعض سياسة (الأنام).

والصنف (الباقي) أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة، مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل، والجرد، والكسروان، فإن ما منَّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغاة، هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك: أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين، فإن اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الإسلام وعلمائهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعبادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم. كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون، أكفر من اليهود والنصارى، لأنهم مرتدون عندهم، والمرتد شر من الكافر الأصلي، ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصي عدده إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يومًا يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص، وفرحوا بمجيء التتار، هم وسائر المذهب الملعون، مثل أهل جَزِّين، وما حواليها، وجبل عاملة ونواحيه.

ولمّا خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم، ولما نصر الله الإسلام النُصرة العظمى عند قدوم السلطان، كان بينهم شبيه بالعزاء.

كل هذا، وأعظم منه، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج "جنكسخان" إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء "هولاكو" على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله.

لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد، ومن استحل الفُقّاع فهو كافر، ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر، ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان، أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر.

هذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث أو خمس، يزعمون أنه دخل السرداب "بسامرا" من أكثر من أربعمائة سنة، وهو يعلم كل شيء، وهو حجة الله على أهل الأرض، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له، ولم يكن هذا في الوجود قط.

وعندهم من قال: إن الله يُرى في الآخر فهو كافر، ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن الله يقلب قلوب عباده، وأن الله خالق كل شيء فهو عندهم كافر، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر.

هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئتمهم، مثل "بني العود" فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويفتنونهم بهذه الأمور.

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم، لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية، فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق، ويبذلونه من البرطيل لمن يقصدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة، ذكر "أهل أنجرة" أنهم لم يروا مثله، ولهذا كثر فسادهم فقتلوا من النفوس وأخذوا من الأموال ما لا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يضبط شره، كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد.

وكانوا في قطع الطرقات، وإخافة سكان البيوت على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين، فإما أن يقتلوه أو يسلبوه، وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة.

فأعان الله ويسر بحسن نية السلطان وهمته، في إقامة شرائع الإسلام، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كشفت أحوالهم، وأزيحت عللهم، وأزيلت شبههم، وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — في قتال الحرورية المارقين، الذين تواتر عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ونعت حالهم، من وجوه متعددة، أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث علي بن أبي طالب(١)، وأبي سعيد الخدري(٢)، وسهل بن حنيف(٣)،

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٨٥)، ومسلم (١٠٦٤-١٠٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٣٤)، ومسلم (١٠٦٨).

وأبي ذر الغفارى[١]، ورافع بن عمرو[٢]، وغيرهم[٣] من أصحاب النبي ﷺ.

قال فيهم: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لاتكلوا عن العمل؛ يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه".

وأول ما خرج هؤلاء، زمن أمير المؤمنين – رضي الله عنه – وكان لهم من الصلاة والصيام، والقراءة، والعبادة، والزهادة ما لم يكن لعموم الصحابة، لكن كانوا خارجين عن سنة رسول الله ﷺ، وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلاً اسمه "عبد الله بن خباب" وأغاروا على دواب للمسلمين.

وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصيامًا، ولم نجد في جبلهم مصحفًا ولا فيهم قارئًا للقرآن، وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة، وأباحوا بها دماء المسلمين، وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى.

فإذا كان على بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج، مع أنه قتلهم جميعهم، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم، وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل "أنه لا يقتل مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يغنم لهم مالاً، ولا يسبى لهم ذرية" لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ، ومثل أولئك إنما (يكون خارجًا) عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله ﷺ وسنته، وهم شر من التتار من وجوه متعددة، لكن التتر أكثر وأقوى، فلذلك يظهر كثرة شرهم.

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن قازان وهولاكو، وغيرهما، فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم، وأرضهم فيء لبيت المال.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٣) فعن عبد الله بن عمرو أخرجه: البخاري (٦٩٣٢). وعن جابر بن عبد الله أخرجه: مسلم (١٠٦٣). وعن عبيد الله بن أبي رافع أخرجه:مسلم (١٠٦٦/١٥٧).

وقد قال كثير من السلف: إن الرافضة لا حق لهم من الفيء، لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] .

فمن لم يكن قلبه سليمًا لهم، ولسانه مستغفرًا لهم، لم يكن من هؤلاء.

وقطعت أشجارهم لأن النبي ﷺ لما حاصر بني النضير قطع أصحابه نخلهم وحرقوه، فقال اليهود: هذا فساد، وأنت يا محمد تنهى عن الفساد، فأنزل الله في القرآن: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر:٥].

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر، عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك.

فإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وأيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم، لأن التركمان إنما قصدهم الرعي، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلاحين لا يتركوا عمارة أرضهم ويجيئون إليه.

فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم وإخراجهم من ديارهم.

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ. وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر٢:٥] .

وأيضًا فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز، واليمن والعراق، ما يرفع الله به درجات السلطان، ويعزّ به أهل الإيمان.

فصل تمام هذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد، وإقامة الشريعة في البلاد، فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة من يقتدون بهم وينتصرون لهم، وفي قلوبهم غل عظيم، وإبطان معاداة شديدة، لا يؤمنون معها على ما

يمكنهم، ولو أنه مباطنة الغدر، فإذا أمسك رءوسهم الذين يضلونهم — مثل بني العود — زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله.

ويتقدم إلى قراهم وهي قرى متعددة بأعمال دمشق، وصفد، وطرابلس، وحماة، وحمص، وحلب بأن يقام فيهم شرائع الإسلام: الجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذنون، كسائر قرى المسلمين، وتقرأ فيها الأحاديث النبوية، وتنتشر فيهم المعالم الإسلامية، ويعاقب من عرف منه البدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام.

فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جبال، وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين، ومن قتل منكم فهو شهيد.

وفي هؤلاء خلق كثير لا يقومون بصلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا عمرة، ولا يحرمون الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ولا يؤمنون بالجنة والنار، من جنس الإسماعيلية، والنُّصيرية والحاكمية، والباطنية، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

فتقدم المراسيمُ السلطانية بإقامة شعائر الإسلام: من الجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية، وأبلغ الجهاد في سبيل الله.

وذلك سبب لانقماع من يباطن العدو من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر من المسلمين.

وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء.

فإن ما فعلوه بالمسلمين في أرض "سيس" نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم، وفي ذلك لله حكمة عظيمة، ونصرة للإسلام جسيمة.

قال ابن عباس: "ما نقض قوم العهد إلا أديل عليهم العدو".

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان، وللعدو من الخذلان، ما ينصر الله به المؤمنين، ويذل به الكفار والمنافقين.

والله هو المسئول أن يتم نعمته على سلطان الإسلام خاصة، وعلى عباده المؤمنين عامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين، ومن أيد الله في دولته الدين، وقمع الكفار والمنافقين، أيد الله به الإسلام، ونشر عدله في الأنام.

موقف من مواقف الشيخ في إبطال حيل أهل الطرق الدجالين

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة – سنة خمس وسبعمائة – اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقي الدين، وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم، وأرادوا أن يظهروا شيئًا مما يفعلونه، فانتدب لهم الشيخ، وتكلم باتباع الشريعة، وأنه لا يسع أحدًا الخروج عنها بقول ولا فعل، وذكر أن لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزبدة من الحلوق.

وقال لهم: من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام، ثم يدلكه بالخل، ثم يدخل، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا، وكانوا جمعًا كثيرًا.

وقال الشيخ صالح شيخ المنيبيع: نحن أحوالنا تنفق عند التتار، ما تنفق قدام الشرع.

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت رقبته. وحفظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء والأكابر وأعيان الدولة، وكتب الشيخ عقيب هذه الواقعة جزءًا في حال الأحمدية ومبدئهم وأصل طريقتهم وذكر شيخهم، وما في طريقهم من الخير والشر، وأوضح الأمر في ذلك.

محنة الشيخ وقيام المبتدعين عليه لتأليفه الحموية

وقال الذهبي في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ، ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة تحزبوا له، وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قصبة من جهة القاضي الحنفي، ونُودي عليه بأن لا يستفتى، ثم قام بنصره طائفة آخرون، وسلم الله.

فلما كان في سنة خمسٍ وسبعمائة، جاء الأمر من مصر بأن يُسأل عن معتقده، فجمع له القضاة والعلماء بمجلس "نائب دمشق الأفرم"، فقال: أنا كنت قد سُئلت عن معتقد أهل السنة، فأجبت عنه في جزء من سنين، وطلبه من داره فأحضر، وقرأه، فنازعوه في موضعين أو ثلاثة منه وطال المجلس، فقاموا واجتمعوا مرتين أيضًا لتتمة الجزء، وحاققوه، ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد، وبعضهم قال ذلك كرهًا، وكان المصريون قد سعوا في أمر الشيخ، وملأوا "الأمير ركن الدين الشاشنكير" الذي تسلطن عليه، فطلب إلى مصر على البريد، فثاني يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر، وانتصب "ابن عدلان" له خصمًا، وادعى عليه عند "ابن مخلوف" القاضي المالكي أن هذا يقول: إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه تعالى على العرش بذاته، وأن الله يشار إليه الإشارة الحسية وقال" أطلب

عقوبته على ذلك".

فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟

فحمد الله، وأثنى عليه، فقيل له: أسرع ما أحضرناك لتخطب، فقال: أُمنع من الثناء على الله؟

فقال القاضي: أجب، فقد حمدت الله، فسكت فألحّ عليه، فقال: من الحاكم في؟ فأشاروا له إلى القاضي ابن مخلوف.

فقال: أنت خصمي، كيف تحكم في؟ وغضب وانزعج وأسكت القاضي، فأقيم الشيخ وأخواه وسجنوا بالجب بقلعة الجبل، وجرت أمور طويلة، وكتب إلى الشام كتاب سلطاني بالخط عليه، فقرئ بالجامع وتألم الناس له، ثم بقي سنة ونصفًا، وأُخرج وكتب لهم ألفاظًا اقترحوها عليه، وهدد وتوعد بالقتل إن لم يكتبها، وأقام بمصر يقرئ العلم، ويجتمع عنده خلق إلى أن تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وهم "ابن سبعين، وابن عربي، والقونوي"، وأشباههم، فتحزب عليه صوفية وفقراء، وسعوا فيه، وأنه يتكلم في صفوة الأولياء، فعمل له محفل، ثم أخرجوه على البريد، ثم ردوه على مرحلة من مصر، ورأوا مصلحتهم في إعتقاله فسجنوه في حبس القضاة سنة ونصفًا، فجعل أصحابه يدخلون إليه في السر، ثم تظاهروا، فأخرجته الدولة على البريد إلى الإسكندرية، وحُبس ببرج منها، وشنع بأنه قتل، وأنه غرق غير مرة، فلما عاد السلطان أيده الله تعالى من الكرك، وأباد أضداده، بادر باستحضار الشيخ إلى القاهرة مكرمًا، واجتمع به وحادثه، وساره بحضرة القضاة والكبار، وزاد في إكرامه ثم نزل وسكن في دار، واجتمع بعد ذلك بالسلطان ولم يكن (الشيخ من رجال الدولة، ولا يسلط معهم تلك النواميس)، فلم يعد السلطان يجتمع به، فلما قدم السلطان لكشف العدو عن الرحبة جاء الشيخ إلى دمشق سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، ثم جرت أمور ومحن، انتهى كلامه.

محنة الشيخ في دمشق

وقال الشيخ علم الدين: وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين ان تيمية وكان الشروع فيها من أول الشهر، وظهرت يوم الخامس منه، واستمرت إلى آخر الشهر، وملخصها أنه كان كتب جوابًا سُئل عنه من حماة في الصفات، فذكر فيه مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين، واجتمع "بسيف الدين جاغان" في ذلك في حال نيابته بدمشق

وقيامه، فقام نائب السلطنة، وامتثل أمره، وقبل قوله، والتمس منه كثرة الاجتماع به فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعة مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وتألمهم لظهوره وذكره الحسن، فانضاف شيء إلى أشياء ولم يجدوا مساغًا للكلام فيه لزهده وعدم إقباله على الدنيا، وترك المزاحمة على المناصب، وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه، وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم، فعمدوا إلى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف، ويعتقدونه الصواب، فأخذوا الجواب الذي كتبه وعملوا عليه أوراقًا في رده، ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحدًا واحدًا، وأغروا خواطرهم، وحرفوا الكلام، وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه من ذلك، وأنه قد أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه، وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك، ولم يقع من ذلك شيء، والعياذ بالله، وسعوا في ذلك سعيًا شديدًا في أيام كثيرة المطر، والوحل، والبرد، فوافقهم جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية يومئذ على ذلك، ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفية، وطلب حضوره، وأرسل إليه فلم يحضر، وأرسل إليه في الجواب أن العقائد ليس أمرها إليك، وأن السلطان إنما ولاك لتحكم بين الناس وإن إنكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي، فوصلت إليه هذه الرسالة، فأوغروا خاطره، وشوشوا قلبه، وقالوا: لم يحضر ورد عليك، فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة، فأجاب إلى ذلك فنودي في بعض البلد، ثم بادر سيف الدين جاغان، وأرسل طائفة فضرب المنادي وجماعة ممن حوله، وأُخرق بهم فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة، ثم طلب سيف الدين جاغان من قام في ذلك، وسعى فيه فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاختفوا، واحتمى مقدمهم ببدر الدين الأتابكي، ودخل عليه في داره، وسأل منه أن يجيره من ذلك، فترفق في أمره إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان، ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر، وكان تفسيره في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وذكر الحلم، وما ينبغي استعماله، وكان ميعادًا جليلاً، ثم إنه اجتمع بالقاضي إمام الدين الشافعي، وواعده لقراءة جزئه الذي أجاب فيه وهو المعروف "بالحموية"، فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بكرة النهار إلى نحو الثلث من ليلة الأحد ميعادًا طويلاً مستمرًا وقرئت فيه جميع العقيدة، وبين مراده من مواضع أشكلت، ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم، ولا ممن حضر المجلس بحيث انفصل منهم والقاضي يقول: كل من تكلم في الشيخ (فأنا خصمه، وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد: كل من تكلم في الشيخ) نعزره، وانفصل عنهم عن طيبة.

وخرج الناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره فوصل إلى داره في ملأ كثير من الناس، وعندهم استبشار وسرور به، وهو في ذلك كله ثابت الجأش، قوي القلب، واثق بالنصر الإلهي، لا يلتفت إلى نصر مخلوق ولا يعول عليه، وكان سعيهم في حقه أتم السعي، لم يبقوا ممكنًا من الاجتماع بمن يرتجون منه أدنى نصر لهم، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحيي الإنسان من الله سبحانه أن يحكيها فضلاً عن أن يختلقها ويلفقها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع، وكذلك من ساعدهم بقول أو تشنيع، أو إغراء، أو إرسال رسالة، أو إفتاء، أو شهادة، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به، أو شتم، أو غيبة، أو تشويش باطن، فإنه وقع من ذلك شيء كثير من جماعة كثيرة، ورأى جماعة من الصالحين والأخيار في هذه الواقعة، وعقيبها للشيخ مرائي حسنة جليلة لو ضبطت كانت مجلدًا تامًا. انتهى ما ذكره.

إحضار الشيخ بمجلس نائب السلطنة ومناقشته في العقيدة

ثم بعد هذه الواقعة بمدة كثيرة، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء، وطلب الشيخ تقي الدين إلى القصر، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم، فلما اجتمعوا عنده، سأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته، وقال له: هذا المجلس عُقد لك، وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية وقال: هذه كتبتها من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتار إلى الشام، فقرئت في المجلس وبحث فيها وبقي مواضع أخرت إلى مجلس آخر، ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور، وحضر المخالفون، ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي، واتفقوا على أنه يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين، فتكلم معه، ثم إنهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام، وخرجوا من هناك، والأمر قد انفصل، وقد أظهر الله قيام الحجة وما أعز به أهل السنة، وانصرف الشيخ تقي الدين إلى منزله، واختلفت نقول المخالفين للمجلس، وحرفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها، وشنّع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته، فالله المستعان.

والذي حمل نائب السلطنة على هذا الفعل كتاب ورد عليه من مصر في هذا المعنى وكان القائم في ذلك بمصر القاضي ابن مخلوف المالكي، والشيخ نصر المنبجي، والقونوي، واستعانوا بركن الدين الشاشنكير، ثم بعد ذلك عزر بعض القضاة بدمشق شخصًا يلوذ

بالشيخ تقي الدين، وطلب جماعة ثم أطلقوا، ووقع هرج في البلد، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد، وغاب نحو جمعة ثم حضر، وكان الحافظ "جمال الدين المزي" يقرأ "صحيح البخاري" لأجل الاستسقاء فقرأ في يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب في أثناء ذلك فصلاً في الرد على الجهمية وأن الله فوق العرش من كتاب أفعال العباد، تأليف البخاري تحت النسر، فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين، وقالوا: نحن المقصودون بهذا، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعية، فطلبه، ورسم بحبسه، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين، فتألم له وأخرجه من الحبس بيده، وخرج إلى القصر وإلى ملك الأمراء وتخاصم هو والقاضي هناك، وأثنى على الشيخ جمال الدين، وغضب القاضي وانزعج، وقال: لئن لم يرد إلى حبسي عزلت نفسي، فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه، فاعتقله بالقوصية أيامًا، وذكر الشيخ تقي الدين للنائب ما وقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى، فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل، وأمر فنُودي في البلد إنه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه (ونُهبت) داره وحانوته، وقصد بذلك تسكين الشر والفتن، وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ تقي الدين مجلس ثالث بالقصر، ورضي الجماعة بالعقيدة، وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين بن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، لا أحب حكايته.

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى القاضي بإعادته إلى الحكم، وفيه إنا كنا رسمنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس، وإنه على مذهب السلف، وما قصدنا بذلك إلا براءة ساحته.

ملخص ما حصل للشيخ في تلك المجالس

وقد ذكر الشيخ – رحمه الله – صورة ما جرى في هذه المجالس ملخصًا وعلق في ذلك شيئًا مختصرًا، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ظهير ولا معين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله إلى الخلق أجمعين ﷺ وعلى آله وسلم تسليمًا، وعلى سائر عباد الله الصالحين، أما بعد:

فقد سُئلت أن أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد لما سعى إليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد، فأمر الأمير بجمع

القضاة الأربعة، قضاة المذاهب الأربعة وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ مما له حرمة وبه اعتداد، وهم لا يدرون فيما قصد بجمعهم في هذا الميعاد، وذلك يوم الاثنين ثاني رجب المبارك عام خمس وسبعمائة، فقال لي: هذا المجلس عُقد لك، فقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك، وعما كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد، وأظنه قال: وأن أجمع القضاة والفقهاء وتتباحثون في ذلك، فقلت: أما الاعتقاد، فإنه لا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل "صحيح البخاري ومسلم"، وأما الكتب فما كتبت إلى أحد كتابًا ابتداءً أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية، وغيرهم، وكان قد بلغني أنه زُوِّر عليّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير، أستاذ دار السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة، ولم أعلم بحقيقته، لكن علمت أن هذا مكذوب، وكان يرد عليّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد أو غيره، فأجيبه بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، فقال: نريد أن تكتب لنا عقيدتك، فقلت: اكتبوا، فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب، فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات، والقدر، ومسائل الإيمان والوعيد والإمامة والتفضيل، وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ونهى عن المعصية وكرهها، والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله، وأن الايمان والدين قول وعمل، يزيد وينقص، وأن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بالذنوب، ولا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عنهم - وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة، ومن قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وذكرت هذا ونحوه.

فإني الآن قد بعُد عهدي، ولم أحفظ لفظ ما أمليته إذ ذاك، ثم قلت للأمير وللحاضرين: أنا أعلم أن أقوامًا يكذبون علي كما قد كذبوا علي غير مرة، وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن وداری، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام، وقلت قبل حضورها كلامًا قد بعد عهدي به، وغضبت غضبًا شديدًا، لكني أذكر أني قلت: أنا أعلم أن أقوامًا كذبوا عليّ، وقالوا للسلطان أشياء، وتكلمت بكلام

احتجت إليه، مثل أن قلت: من قام بالإسلام في أوقات الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضح دلائله، وبينه وجاهد أعداءه، وأقامه لما مال، حين تخلى عنه كل أحد؟ فلا أحد ينطق بحجته، ولا أحد يجاهد عنه، وقمت مُظهرًا لحجته، مجاهدًا عنه، مُرغبًا فيه، فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيّ فكيف يصنعون بغيري؟ ولو أن يهوديًا طلب من السلطان الإنصاف لوجب عليه أن ينصفه، وأنا قد أعفو عن حقي وقد لا أعفو، بل قد أطلب الإنصاف منه، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون، ليحاققوا على افترائهم، وقلت كلامًا أطول من هذا، من هذا الجنس، لكن بعُد عهدي به، فأشار الأمير إلى كاتب الدرج محيي الدين بأن يكتب ذلك كله، وقلت أيضًا: كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه، وما أدري ما قلت هذا قبل حضورها أو بعدها، لكني قلت أيضًا بعد حضورها وقراءتها ما ذكرت فيها فصلاً إلا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف، ثم أرسلت من أحضرها، ومعها كراريس بخطي من المنزل، فحضرت العقيدة الواسطية، وقلت لهم هذه كانت سبب كتابتها أنه قدم من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له رضي الدين الواسطي قدم علينا حاجًا، وكان من أهل الخير والدين، وشكى ما الناس فيه بتلك البلاد من دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب عقيدة تكون عمدة له، ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة، فألحّ في السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما، فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا لدفع الريبة، وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين (فقرأها) على الحاضرين حرفًا حرفًا، (والجماعة الحاضرون) يسمعونها، ويورد المورد منهم ما شاء، ويعارض فيما شاء، والأمير أيضًا يسأل عن مواضع فيها، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى ما قد علم الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد وبعضه بغير ذلك، ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس فإنه كثير لا ينضبط، لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك، مع بعد العهد بذلك، ومع أنه كان يجري رفع أصوات ولغط لا ينضبط، فكان مما اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها:

ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمدًا ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

فقال: ما المراد بالتحريف والتعطيل، ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي يثبته أهل التأويل، الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إما وجوبًا وإما جوازًا، فقلت: تحريف الكلم عن

مواضعه كما ذمّه الله في كتابه، وهو إزالة اللفظ عما دل عليه من المعنى مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] أي: جرحه بأظافير الحكمة تجريحًا، ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم، فسكت وفي نفسه ما فيها، وذكرت في غير هذا المجلس أني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف، لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات، لأنه لفظ له عدة معان، كما بينته في موضعه من القواعد، فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف، ولأن من المعاني التي قد تسمّى تأويلاً ما هو صحيح منقول عن السلف، فلم أنف ما تقوم به الحجة على صحته إذ ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف، وقلت له أيضًا: ذكرت في النفي التمثيل: ولم أذكر التشبيه، لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه، حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وكان أحب إليّ من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله.

وإن كان قد يعني بنفيه معنى صحيح، كما قد يعني به معنى فاسد، ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته جعل بعض الحاضرين يمتعض من ذلك، لاستشعاره ما في ذلك من الرد، ولما هو عليه، ولكن لم يتوجه له ما يقوله وأراد أن يدور عليّ بالأسئلة التي أعلمها فلم يتمكن لعلمه بالجواب.

ولما ذكرت آية الكرسي أظن سأل الأمير عن قولنا: (لا يقربه شيطان حتى يصبح) فذكرت له حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — في الذي كان يسرق صدقة الفطر، وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه[١].

وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك فقلت: قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل، وإنما (اخترت) هذين الاسمين، لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف، كما قال ربيعة، ومالك، وابن عينية، وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول. الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا، فنفيت ذلك اتباعًا

(١) برقم ٣٢٧٥.

لسلف الأمة، وهو أيضًا منفي بالنص، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة، ذكرتها في التأويل والمعنى، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام، وبين علمنا بتأويله، وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر، وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف وهو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فقال أحد كبراء (المخالفين):

فحينئذ يجوز أن يقال: هو جسم لا كالأجسام، فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين: إنما قيل إنه يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا السؤال، وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن ينفي عنا ما يقوله، فجعل يزيد في المبالغة في نفي التشبيه والتجسيم، فقلت: قد ذكر فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قلت في صدرها: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل).

ثم قلت: (وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها).

إلى أن قلت: (إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، ولما رأى هذا الحاكم العدل، تمالؤهم وتعصبهم ورأى قلة المعاون منهم والناصر، وخافهم، قال: أنت قد صنفت اعتقاد الإمام أحمد فنقول:

هذا اعتقاد أحمد، يعني والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه، فإن هذا مذهب متبوع، وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم، فقلت: (ما خرَّجت)[1] إلا عقيدة السلف

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠). ومسلم (٢٥٣٥).

الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول لم نقبله، وهذه عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، وقلت مرات: قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:

خير القرون القرن الذي بُعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم يخالف ما ذكرته، فأنا أرجع عن ذلك، وعلي أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية والأشعرية، وأهل الحديث، والصوفية، وغيرهم.

وقلت أيضًا في غير هذا المجلس: الإمام أحمد – رضي الله عنه – لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة، والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعمله في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء قال: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد بن حنبل، يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان، وإظهار الحق، ودفع الباطل ما ليس لبعضهم، ولما جاء حديث أبي سعيد المتفق عليه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم "يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تبعث بعثًا إلى النار.." (١).

سألهم الأمير: هل هذا الحديث صحيح؟ فقلت: نعم، هو في الصحيحين، ولم يخالفوا في ذلك واحتاج المنازع إلى الإقرار به، وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت، لأن ذلك طُلب منه، فقلت: هذا الذي يحكى عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين، وأخرجت كراسًا كان قد أحضر مع العقيدة وفيه ما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الإمام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروذي من كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه في أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

قلت: فكيف بمن يقول: لفظي قديم أزلي؟ فكيف بمن يقول: صوتي غير مخلوق؟، فكيف بمن يقول: صوتي قديم؟، وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت قديمًا عنها فيمن حلف

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ، (٢٢٢).

بالطلاق في مسألة الحرف والصوت، ومسألة الظاهر في العرش.

وقلت: هذا جوابي، وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ممن كان بعضهم حاضرًا في المجلس، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم وكانوا قد ظنوا إني إن أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله، حصل مقصوده من الشفاعة، وإن أجبت بما يقولونه هم حصل مقصودهم من الموافقة، فلما أُجيبوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة، وليس هو ما يقولونه هم، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة، إذ يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك، وفيه أن القرآن كلام الله، حروفه ومعانيه ليس القرآن اسمًا لمجرد الحروف، ولا لمجرد المعاني، ولما جاءت مسألة القرآن (فقلت): ومن الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، نازع بعضهم في كونه منه بدا وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك، فقلت: أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وأما معناه فإن قوله: منه بدأ، أي: هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء أو غير، وبدأ من عند غيره، وأما إليه يعود، فإنه يسري به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقي في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين، وسكت المنازعون وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادر بالله، التي فيها أن القرآن كلام الله خرج منه، فتوقف في هذا اللفظ، فقلت:

هكذا قال النبي ﷺ، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه، يعني القرآن[1].

وقال خباب بن الأرت: "يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت، فلن تتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه"[2].

وقال أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — لما قرئ عليه قرآن مسيلمة الكذاب: إن هذا

---

(١) أخرجه الترمذي (١٧٦،٥) ج (٢٩١١). وقال: غريب، والإمام أحمد في مسنده (٢٦٨،٥) — ح (٢٢٣٦٠) - والطبراني في الكبير (١٥١/٨) — ح (٧٦٥٧) — وأورده عبد الله بن أحمد في السنة (١٣٦/١) — ح (٩٢)- وقوله (يعني القرآن): من قول أبي النضر.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٢٠٢/١) — أو: يا هذا. انظر/ النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٧٨). لسان العرب (٣٦٨/٥١).

الكلام لم يخرج من إلهٍ يعني: رب[1].

ومما فيها: ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة، بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، فامتعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة، بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز، يصح نفيه، وهذا لا يصح نفيه، ولما بين له أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك، ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا استحسنوا هذا الكلام وعظموه، وأخذ أحد كبراء الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام، وأنه أزال عنه الشبهات، ويذكر أشياء من هذا النمط.

ولما جاء ذكر ما ذكر من الإيمان باليوم الآخر وتفصيله ونظمه استحسنوا ذلك وعظموه، وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقدر وأنه على درجتين، إلى غير ذلك مما فيه من القواعد الجلية.

وكذلك لما جاء الكلام في الفاسق الملي، وفي الإيمان، لكن اعترضوا على ذلك بما ساء ذكره، وكان مجموع ما اعترض من المنازعين المعاندين من انقضاء قراءة جميعها، والبحث فيها، أربعة أسئلة:

السؤال الأول: قولنا: ومن أصول الفرقة الناجية: أن الإيمان والدين قول وعمل، يزيد وينقص، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

قالوا: إذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين؟.

وأما الأسئلة الثلاثة: وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا. وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله والإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته وأنه على عرشه، علا على خلقه، وهو معهم أينما كانوا

---

(١) ذكره الشيخ القرطبي ، وعزاه للخليفة أبي بكر – رضي الله عنه – انظر – تفسير القرطبي (٣٨١٢).

يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

وليس معنى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ)، أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة..

والسؤال الأول قال بعضهم:

نقر باللفظ الوارد مثل حديث العباس — رضي الله عنه — حديث الأوعال، والله فوق العرش، ولا نقول: فوق السموات، ولا نقول: على العرش.

وقالوا أيضًا: نقول الرحمن على العرش استوى، ولا نقول: الله على العرش استوى، ولا نقول: مستوٍ، وأعادوا هذا المعنى مرارًا، أن اللفظ ورد يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنى أصلاً، ولا يقال: إنه يدل على صفة الله أصلاً وانبسط الكلام في هذا المجلس الثاني، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والسؤال الثاني: قالوا: التشبيه بالقمر، فيه تشبيه كون الله في السماء بكون القمر في السماء.

والسؤال الثالث: قالوا: قولك حق على حقيقته، الحقيقة هي المعنى اللغوى، ولا يفهم من الحقيقة اللغوية إلا استواء الأجسام، وفوقيتها، ولم تضع العرب ذلك إلا لها، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفي التجسيم، مع هذا تناقض أو مصانعة.

فأجبتهم عن الأسئلة بأن قولي: اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة، حيث قال:

"تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[١].

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهم ومن أتبعهم الفرقة الناجية،

---

(١) عزاه الحافظ الهيثمي للطبراني في الصغير ، وقال: فيه عبد الله بن سفيان: لا يتابع على حديثه هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات. انظر / مجمع الزوائد (١/١٨٩).

فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص.

وكل ما ذكرته في ذلك، فإنه مأثور عن الصحابة – رضي الله عنهم – بالأسانيد الثابتة لفظه أو معناه، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضرني ذلك، قلت لهم: وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا، يغفر الله له خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والتائب وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولى بل موجب هذا الكلام أن من أعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما قال من صمت نجا.

وأما السؤال الثاني: فأجبتهم أولاً بأن كل لفظ قلته هو مأثور عن النبي ﷺ، مثل لفظ: فوق السموات، ولفظ: على العرش، وفوق العرش.

وقلت: اكتبوا الجواب، فأخذ الكاتب في كتابته ثم قال بعض الجماعة: قد طال المجلس اليوم فيؤخر هذا إلى مجلس آخر فتكتبون أنتم الجواب وتحضرونه في ذلك المجلس، وأشار بعض الموافقين بأن يتمم الكلام بكتابة الجواب لئلا تنتشر أسئلتهم، واعتراضهم، وكأن الخصوم كان لهم غرض في تأخير الجواب، ليستعدوا لأنفسهم ويطالعوا ويحضروا من غاب من أصحابهم، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم ليتمكنوا من الطعن، والاعتراض فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة، وقمنا على ذلك وقد أظهر الله من قيام الحجة، وبيان الحجة، ما أعز به السنة والجماعة، وأرغم به أهل البدعة والضلالة، وفي نفوس كثير من الناس أمور لا يحدث في المجلس الثاني وأخذوا في تلك الأيام يتأملونها ويتأملون (ما أجبت) به في مسائل تتعلق بالاعتقاد، مثل المسألة الحموية في الاستواء والصفات الخبرية وغيرها.

(**فصل**) فلما كان المجلس الثاني بعد صلاة الجمعة ثاني عشر رجب وقد أحضروا أكبر شيوخهم ممن لم يكن حاضرًا ذلك (اليوم) وبحثوها فيما بينهم، واتفقوا وتواطئوا وحضروا بقوة واستعداد غير ما كانوا عليه، لأن المجلس الأول أتاهم بغتة، وإن كان أيضًا بغتة للمخاطب الذي هو المسئول والمجيب والمناظر، فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة التي طلب تأخيره إلى هذا اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة، خطبة ابن مسعود – رضي الله عنه – ثم قلت: إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف، وقال لنا في القرآن: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية١٥٩].
وقال: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٥].

وربنا واحد، وكتابنا واحد، ونبينا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين، وهو متفق عليه بين السلف فإن وافق الجماعة، فالحمد لله، وإلا فمن خالفني بعد ذلك كشفت الأسرار وهتكت الأستار، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول.

وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس، فإن للسلم كلامًا، وللحرب كلامًا، وقلت: لا شك أن الناس يتنازعون فيقول هذا: أنا حنبلي، ويقول هذا: أنا أشعري، ويجري بينهم تفرق (وفتن) واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها، وأنا قد أحضرت ما بين اتفاق المذاهب فيما ذكرته وأحضرت كتاب "تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري" تأليف الحافظ أبي القاسم بن عساكر، وقلت: لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا، وقد ذكر فيه لفظة الذي ذكره في كتاب "الإبانة"، فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة، سأل الأمير عن معنى المعتزلة، فقلت: كانوا الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق المليّ، وهو أول اختلاف حدث في الملة، هل هو كافر أو مؤمن؟ فقالت الخوارج: إنه كافر، وقالت الجماعة، إنه مؤمن، فقال طائفة: نقول: هو فاسق لا مؤمن ولا كافر، ننزله منزلة بين المنزلين، وخلدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري، وأصحابه، فسموا معتزلة.

فقال الشيخ الكبير: نحسبه ورد ليس كما قلت، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون: مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين، لأجل تكلمهم في ذلك، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد، ثم خلفه بعد واصل بن عطاء هكذا قال، وذكر نحوًا من هذا، فغضب عليه وقلت: أخطأت، وهذا كذب مخالف للإجماع، وقلت له: لا أدب ولا فضيلة، لا تأدبت معي في الخطاب ولا أصبت في الجواب، قلت: الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون، وبعدها في أواخر المائة الثانية، وأما المعتزلة، فقد كانوا قبل ذلك بكثير في زمن عمرو بن عبيد، بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام، ولا تنازعوا فيها، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد، فقال: هذا ذكره الشهرستاني في كتاب "الملل والنحل".

فقلت: الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين، لم سُمّوا متكلمين لم يذكره في اسم

المعتزلة، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة، وأنكر الحاضرون عليه وقال: غلطت، وقلت في ضمن كلامي: أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها، وأيضًا فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء: إنه متكلم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام، وقلت أنا وغيري: إنما هو واصل بن عطاء، قلت: وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد، وإنما كان قرينه، وقد روي أن واصلاً تكلم مرة بكلام، فقال عمرو بن عبيد: لو بُعث نبي (ما كان) يتكلم بأحسن من هذا.

وفصاحته مشهورة، حتى قيل إنه كان ألثغ، فكان يحترز عن الراء، حتى قيل له: أمر الأمير أن يحفر بئر في قارعة الطريق، فقال: أوعز القائد أن يقلب قليباً في الجادة.

قال الشيخ المتقدم: لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر، ومن أكبر أئمة الإسلام، ولكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء.

فقلت: أما هذا فحق، وليس هذا من خصائص أحمد، بل ما من إمام إلا وقد انتسبت إليه أقوام هو منهم بريء، قد انتسب إلى مالك أقوام هو منهم بريء، وانتسب إلى الشافعي كذلك، وانتسب إلى أبي حنيفة كذلك.

وقد انتسب إلى عيسى أناس هو منهم بريء، وكذلك إلى موسى، وكذلك إلى علي بن أبي طالب، ونبينا صلى الله عليه وسلم قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم، وذكر فى كلامه أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام، فقلت: المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، هؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر، وأهل جبلان فيهم شافعية وحنبلية، وأما الحنبلية المحضة، فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم، وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية، وتكلمت على لفظ الحشوية، وقلت: هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة، فإنهم يسمّون الجماعة والسواد الأعظم الحشوية، كما تسميهم الرافضة: الجمهور، وحشو الناس: هو عموم الناس وجمهورهم، وهم غير الأعيان المتميزين، يقولون: هذا من حشو الناس، كما يقال: هذا من جمهورهم. وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد، وقال: كان عبد الله بن عمر حشويًا، فالمعتزلة سمّوا الجماعة، حشوًا، كما تسميهم الرافضة الجمهور، وقلت: لا أدري في المجلس الأول أو الثاني أول من قال إن الله جسم: هشام بن الحكم الرافضي، وقلت لهذا الشيخ: من

في أصحاب الإمام أحمد من الأعيان حشوي بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم؟ أبو داود؟ المروذي؟ الخلال؟ أبو بكر عبد العزيز؟ أبو الحسن التميمي؟ ابن حامد؟ القاضي أبو يعلى؟ أبو الخطاب؟ ابن عقيل؟ ورفعت صوتي وقلت: سمهم، قل لي من هم من هم؟

أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة، وتندرس معالم الدين؟ كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون: إن القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وإن الصوت والمداد قديم أزلي من قال هذا، أو في أي كتاب وجد هذا عنهم ؟ قل لي.

وكما نقل عنهم "أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم، وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ من أنه كبير الجماعة وشيخهم، وإن فيه من العقل والدين، ما يستحق أن يُعامل بموجبه، وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه، فإنه لم يكن حاضرًا في المجلس الأول، وإنما أحضروه في الثاني، انتصارًا به، وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس أنه اجتمع به، وقال له: أخبرني عن هذا المجلس، فقال: ما لفلان ذنب، ولا لي، فإن الأمير سأل عن شيء، فأجابه عنه، فظننته سأل عن شيء آخر، وقال: قلت لهم ما لكم على الرجل اعتراض، فإنه نصر ترك التأويل وأنتم تنصرون قول التأويل، وهما قولان للأشعري، وقال: أنا أختار قول ترك التأويل، وأخرج وصيته التي أوصى بها، وفيها: قول ترك التأويل، قال الحاكي لي: فقلت له: فبلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس، لما أشهدوا الجماعة على أنفسهم بالموافقة: لا تكتبوا عني نفيًا ولا إثباتًا، فلم ذاك؟ فقال: لوجهين:

أحدهما: أني لم أحضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول.

والثاني: لأن أصحابي طلبوني لينتصروا بي، فما كان يليق أن أظهر مخالفتهم، فسكت عن الطائفتين، وأمرت غير مرة أن تعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ فرأى بعض الجماعة أن ذلك يطول، وأنه لا يقرأ عليه إلا المواضع التي لهم عليه سؤال، وأعظمه لفظ الحقيقة، فقرأه عليه، وذكر هو بحثًا حسنًا يتعلق بدلالة، فحسنته ومدحته عليه، وقلت: لا ريب أن الله حيٌّ حقيقة، عليم حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، وهذا متفق عليه بين أهل السنة، والصفاتية من جميع الطوائف، ولو نازع بعض أهل البدع في بعض ذلك، فلا ريب أن الله موجود، والمخلوق موجود، ولفظ الوجود سواء كان مقولاً عليهما بطريق الاشتراك اللفظي فقط، وبطريق التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظًا ومعنى، أو بالتشكيك، الذي هو نوع من التواطؤ.

فعلى كل قوله: فالله موجود حقيقة، والمخلوق موجود حقيقة، ولا يلزم من إطلاق

الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور، ولم أرجح في ذلك المقام قولا من هذه الثلاثة على الآخر، لأن غرضي يحصل على كل مقصود، وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرته، وأن أعيان المذاهب الأربعة والأشعري وأكابر أصحابه على ما ذكرته، فإنه قبل المجلس الثاني اجتمع بي من أكابر الشافعية، والمنتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم ممن عظم من هذا المجلس، وخافوا انتصار الخصوم فيه، وخافوا على نفوسهم أيضًا من تفرق الكلمة، فلو ظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته، أو لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها لصارت فرقة، ولصعب عليهم أن يظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم، لما في ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم، فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت عليه الحجة وبان أنه مذهب السلف، أمكنهم إظهار القول به مع ما يعتقدونه في الباطن من أنه الحق، حتى قال بعض الأكابر من الحنفية وقد اجتمع بي: لو قلت هذا مذهب أحمد، وثبت على ذلك لانقطع النزاع، ومقصوده أن يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع، ويستريح المنتصر، والمنازع من إظهار الموافقة.

فقلت: لا والله ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاص وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة، وأئمة أهل الحديث، وقلت أيضًا: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ وكل لفظ ذكرته، فأنا أذكر به آية أو حديثًا، أو إجماعًا سلفيًا، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين اتباع الفقهاء الأربعة والمتكلمين، وأهل الحديث، والصوفية، وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية، لأبين أن ما ذكرته هو قول السلف، وقول أئمة أصحاب الشافعي، وأذكر قول الأشعري وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم، ولينتصرن كل شافعي، وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف، وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قولاً لا أصل له في كلامه، وإنما هو قول طائفة من أصحابه، فللأشعرية قولان، وليس للأشعري قولان، ولما ذكرت في المجلس جميع أسماء الله التي يسمّى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن على الأقوال الثلاثة، تنازع كبيران، هل هو مقول بالاشتراك أو بالتوطؤ؟ فقال أحدهما: هو متواطئ، وقال الآخر: مشترك لئلا يلزم التركيب، وقال هذا قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا؟ فمن قال: إن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومن قال إن وجوده قدر زائد على ماهيته، قال: إنه مقول بالتواطؤ، فأخذ الأول يرجح قول من يقول: إن الوجود زائد عن الماهية، لينصر أنه مقول بالتواطؤ.

فقال الثاني: ليس مذهب الأشعري، وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته، فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أما متكلمو أهل السنة، فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته، وأما القول الآخر، فهو قول المعتزلة، أن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، وكل منهما أصاب من وجه، فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة بالتواطؤ، كما قد قررته في غير هذا الموضع، وأجبت عن شبهة التركيب، بالجوابين المعروفين، وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس (عينها) فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنا وإن قلنا إن وجود الشيء عين ماهيته، لا يجب أن يكون الاسم مقولاً عليه، وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الأجناس، فلا اسم السواد مقول على هذا السواد، وهذا السواد بالتواطؤ، وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما، وهو المطلق الكلي، لكنه لا يوجد مطلقًا كليًا بشرط الإطلاق إلا في الذهن، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنه على ذلك تنتفي الأسماء المتواطئة، وهي (جميع) الأسماء الموجودة، وهي أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المطلق على الشيء، وعلى ما شابهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامدًا أو مشتقًا، وسواء كان جنسًا منطقيًا أو فقهيًا، أو لم يكن، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع، ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة، وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة، وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة، ليطعن في بعضها فعرفت مقصوده، فقلت: كأنك قد استعددت للطعن في حديث الأوعال – حديث العباس بن عبد المطلب[1]، وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم من قول البخاري في "تاريخه" عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف.

فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، وهو مروي عن طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، فقال:

---

(١)أخرجه الحاكم في مستدركه (١٢-٤١٠) – ح (٣٤٢٨)، وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. والروماني في مسنده (٢/٣٤٨-٣٤٩) – ح (١٣٢٩). وأبو يعلى في مسنده (١٢/٧٤) – ح (٦٧١٢). وانظر تفسير القرطبي (٨أخرجه الحاكم في مستدركه (١٢-٤١٠) – ح (٣٤٢٨)، وقالا: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. والروماني في مسنده (٢/٣٤٨-٣٤٩) – ح (١٣٢٩). وأبو يعلى في مسنده (١٢/٧٤) – ح (٦٧١٢). وانظر تفسير القرطبي (٨/٢٦٦). تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٣) – التمهيد لابن عبد البر (٧/٤١٠) – عون المعبود (٦١٣)، تحفة الاحوذي (٩/١٦٤).

أليس مداره على ابن عميرة، وقد قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف؟ فقلت: قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله في العدل عن العدل موصولاً إلى النبي ﷺ.

قلت: والإثبات مقدم على النفي.

والبخاري إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف، لم ينف معرفة الناس بهذا، وإذا عرف غيره كإمام الأئمة الإسناد كانت معرفته وإثباته مقدمًا على نفي غيره، وعدم معرفته.

ووافق الجماعة على ذلك، وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة، ولكن لها تعلق بما أجبت به في مسائل، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة، فأحضر بعض أكابرهم كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي، فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف، فقلت: لعلك تعني قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

فقال: نعم، قد قال مجاهد والشافعي، يعني: قبلة الله.

فقلت: نعم هذا صحيح عنهما، وعن غيرهما، وهذا حق وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومن عدها من آيات الصفات فقد غلط، كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة، يقال: أي وجه تريد؟ أي: أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه، أي: هذه الجهة، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨]، ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

أي: تستقبلوا وتتوجهوا، والله أعلم.

هذا آخر ما علقه الشيخ فيما تعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطان والقضاة والفقهاء وغيرهم بالقصر.

(كتاب السلطان بإرسال الشيخ إلى مصر)

وفي يوم الاثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعمائة، وصل كتاب السلطان بالكشف عما وقع للشيخ تقي الدين في ولاية سيف الدين جاغان، وفي ولاية القاضي إمام الدين، وبإحضاره وإحضار القاضي نجم الدين بن صصري إلى الديار المصرية، وطلب نائب السلطان الشيخ وجماعة من الفقهاء، وسألهم عن تلك الوقعة، قرئ عليهم المرسوم، فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية، وكتبه عنهم صاحب الديوان محيي الدين (بن فضل

الله).

وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان توجه الشيخ تقي الدين، والقاضي نجم الدين بن صصري إلى مصر على البريد، وخرج مع الشيخ خلق كثير، وبكوا وخافوا عليه من أعدائه، وأخبرت أن نائب السلطنة كان قد أشار على الشيخ بترك التوجه إلى مصر، وأنه يكاتب في ذلك، فامتنع الشيخ من ذلك ولم يقبل.

وذكر أن في توجهه إلى مصر مصالح كثيرة، وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ قال: ولما توجه الشيخ في اليوم الذي توجه فيه من دمشق المحروسة، كان يومًا مشهودًا غريب المثل في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته، حتى انتشروا من باب داره إلى قريب "الجسورة" فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزل منها، وهم ما بين باكٍ وحزين، ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغال فيه.

ودخل الشيخ مدينة غزة يوم السبت، وعمل في جامعها مجلسًا عظيمًا.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة.

وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابرالدولة بالقلعة لمحفل الشيخ، وأراد الشيخ أن يتكلم، فلم يمكن من البحث والكلام على عادته وانتدب له الشمس بن عدلان خصمًا، احتسابًا، وادعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول:

إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، وسئل جوابه.

فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه.

فقيل له: أجب، ما جئنا بك لتخطب.

فقال: ومن الحاكم فيّ؟

فقيل له: القاضي والمالكي.

قال: كيف يحكم في وهو خصمي؟ وغضب غضبًا شديدًا وانزعج.

فأقيم مرسمًا عليه وحبس في برج أيامًا.

ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجب هو وأخواه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن.

ثم إن نائب السلطنة "سيف الدين سيلار" بعد أكثر من سنة، وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة، الشافعي والمالكي والحنفي، ومن الفقهاء الباجي، والجزري، والنمراوي، وتكلم في إخراج الشيخ من الحبس، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك، فلم

يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه في ذلك مرات، وصمم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس وانصرفوا في غير شيء.

إرسال الشيخ كتاباً من سجنه إلى دمشق

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة ست وسبعمائة أخبر نائب السلطنة بدمشق، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين من الجب، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه، وأثنى عليه، وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه.

وذكر ما هو عليه في السجن: من التوجه إلى الله تعالى، وأنه لم يقبل شيئا من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطاني، ولا تدنس بشيء من ذلك.

وفي هذا الشهر أيضًا – شهر ذي الحجة – في يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ تقي الدين: شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن إلى مجلس نائب السلطنة سلار، وحضر القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي، وجرى بينهم كلام كثير، وأعيدا إلى موضعهما، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي، وظهر عليه في النقل والمعرفة، وخطأه في مواضع ادعى فيها الإجماع، وكان الكلام في مسألة العرش، وفي مسألة الكلام، وفي مسألة النزول.

وفي يوم الجمعة ثاني اليوم المذكور أحضر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة، وحضر ابن عدلان، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره، وبحث معه، وظهر عليه.

وفي اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الأوحدي بالقلعة، بكرة الجمعة، وتفرقا قبل الصلاة، وطال بينهما الكلام.

إخراج ابن مهنا الشيخ من الجب

وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى الجب، فأخرج الشيخ تقي الدين بعد أن استأذن في ذلك، فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة، وحضر بعض الفقهاء، وحصل بينهم بحث كثير، وفرقت صلاة الجمعة بينهم.

ثم اجتمعوا إلى المغرب، ولم ينفصل الأمر.

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموع النهار، وحضر جماعة أكثر من

الأولين: حضر نجم الدين ابن الرفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النمراوي، وشمس الدين بن عدلان، وجماعة من الفقهاء.

ولم يحضر القضاة، وطُلبوا، فاعتذر بعضهم بالمرض، وبعضهم بغيره، وقبل عذرهم نائب السلطنة، ولم يكلفهم الحضور، بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير.

وبات الشيخ عند نائب السلطنة.

وكتب كتابًا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة، وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهرًا.

ففرح خلق كثير بخروجه، وسروا بذلك سرورًا عظيما، وحزن أخرون وغضبوا، وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبد القوى بقصيدة منها:

فاصبر، ففي الصبر ما يغنيك عن حيل ... وكل صعب إذا صابرته هانا
ولست تعدم من جب رميت به ... إحدى اثنتين: فأيقن ذاك إيقانا:
تمحيص ذنب، لتلقى الله خالصة ... أو امتحانًا به تزداد قربانا
يا سعد، إنا لنرجو أن تكون لنا ... سعدًا، ومرعاك للورّاد سعدانا
وأن يضر بك الرحمن طائفة ... ولت، وينفع من بالود والانا
يا أهل تيمية العالين مرتبة ... ومنصبًا فرع الأفلاك تبيانا
جواهر الكون أنتم، غير أنكم ... في معشر أشربوا في العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلاً، ولو عقلوا ... لصيروا لكم الأجفان أوطانا
يا من حوى من علوم الخلق ما قصرت ... عنه الأوائل مذ كانوا إلى الآنا
إن تبتلى بلئام الناس يرفعهم ... دهر عليك لأهل الفضل قد خانا
إني لأقسم، والإسلام معتقدي، ... وإنني من ذوي الإيمان أيمانًا
لم ألق قبلك إنسانًا أسر به ... فلا برحت لعين المجد إنسانا

في أبيات كثيرة غير هذه، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه.

وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم، وجلس، فاجتمع إليه خلق عظيم، وسأله بعضهم أن يتكلم بشيء يسمونه منه، فلم يجبهم إلى ذلك بل كان يبتسم، وينظر يمنة ويسرة.

فقال له رجل: قال الله في كتابه الكريم:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فنهض الشيخ قائمًا، وابتدأ بخطبة الحاجة: خطبة ابن مسعود - رضي الله عنه - ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة١:٧].

وتكلم على تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي معنى العبادة، والاستعانة إلى أن أذّن مؤذن العصر.

وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وسبعمائة عقد للشيخ مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، واجتمع فيه القضاة وغيرهم.

وكان مما جرى في المجلس - فيما بلغني - أنه قيل للشيخ: نستغفر الله العظيم، ونتوب إليه.

فقال الشيخ: كلنا نستغفر الله العظيم، ونتوب إليه.

والتفت إلى رجل منهم، فقال له: استغفر الله العظيم وتب إليه.

فقال: أستغفر الله العظيم وأتوب، وكذلك قال لآخر، ولآخر، وكلهم يقول كذلك.

فقيل للشيخ: تُب إلى الله عز وجل من كذا وكذا - وذكر له كلام.

فقال: إن كنت قلت كلامًا يستوجب التوبة فأنا تائب منه.

فقال له قائل: هذه ليست توبة.

فرد عليه الشيخ، وجهّله، ووقع كلام يطول ذكره.

ووصل كتاب الشيخ مؤرخًا بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر، يذكر فيه أنه عقد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، بعد خروجه منها في يوم الخميس سادس الشهر، وأنه حصل فيه خير، وأن في إقامته مصالح وفوائد.

كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها

وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ، بعثها من مصر إلى والدته، وإلى أخيه لأمه: بدر الدين، وإلى غيرهما.

منها كتاب إلى والدته يقول فيه:

من أحمد ابن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقرّ الله عينها بنعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه.

سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة، ومنن كريمة، وآلاء جسيمة نشكر الله عليها، ونسأله المزيد من فضله، ونعم الله كلما جاءت في نمو وازدياد، وأياديه جلت عن التعداد.

وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد، إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور، فإنكم — ولله الحمد — ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرًا واحدًا، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعوا لنا بالخيرة، فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين، ما فيه الخيرة في خير وعافية.

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة، ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، ونحن في كل وقت مهمون بالسفر، مستخيرون الله سبحانه وتعالى، فلا يظن الظان أنا نؤثر على قربكم شيئًا من أمور الدنيا قط، بل ولا نؤثر من أمور الدين، ما يكون قربكم أرجح منه، ولكم ثم أمور كبار، نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

والمطلوب، كثرة الدعاء بالخيرة، فإن الله يعلم، ولا نعلم، ويقدر، ولا نقدر، وهو علام الغيوب، وقد قال النبي ﷺ:

"من سعادة ابن آدم استخارته الله، ورضاه بما يقسم الله، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له"(١).

والتاجر يكون مسافرًا فيخاف ضياع بعض ماله، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه، وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أخرجه الترمذي في القدر (٤/٤٥٥) — ح (٢١٥١)، وقال: حديث غريب. والشاشي في مسنده (١/٢٢٤) — ح (١٨٥). والإمام أحمد في مسنده (١/١٦٨) — ح (١٤٤٤). والبيهقي في شعب الإيمان (١/٢١٩) — ح (٢٠٣)، والبزار (٣/٣٠٥) — ح (١٠٩٧/ البحر الزخار) . والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٣٥-٢٣٦) —ح (١٧١٤).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كثيرًا كثيرًا، وعلى سائر من في البيت من الكبار والصغار، وسائر الجيران، والأهل والأصحاب واحدًا، واحدًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق

ومنها كتاب، قال فيه: بعد حمد الله تعالى، والصلاة على نبيه ﷺ. أما بعد: فإن الله — وله الحمد — قد أنعم عليَّ من نعمه العظيمة ومنته الجسيمة، وآلائه الكريمة، ما هو مستوجب لعظيم الشكر، والثبات على الطاعة، واعتياد حسن الصبر، على فعل المأمور، والعبد مأمور بالصبر في السراء والضراء، قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الأنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩-١١].

وتعلمون أن الله سبحانه منَّ في هذه القضية من المنن التي فيها من أسباب نصر دينه، وعلو كلمته، ونصر جنده، وعزة أوليائه، وقوة أهل السنة والجماعة، وذل أهل البدعة والفرقة، وتقرير ما قرر عندكم من السنة، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى والنصر، والدلائل، وظهور الحق، لأمم لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة، وغير ذلك من المنن، ما لابد معه من عظيم الشكر، ومن الصبر، وإن كان صبرًا في سراء.

وتعلمون أن من القواعد العظيمة، التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[الأنفال: من الآية١] ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣] ويقول: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف.

وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه، هم أهل الفرقة.

وجماع السنة: طاعة الرسول، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة:

"إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا،

ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أموركم"[1].

وفي السنن من حديث زيد بن ثابت، وابن مسعود — فقيهيّ الصحابة — عن النبي ﷺ أنه قال.

"نضر الله امرأً سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم[2].

وقوله: "لا يغل": أي: لا يحقد عليهن، فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم، بل يحبهن ويرضاهن.

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل: ما يتعلق بي، فتعلمون — رضي الله عنكم — إني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين — فضلاً عن أصحابنا- بشيء أصلاً، لا باطنًا ولا ظاهرًا، ولا عندي عتب على أحد منهم، ولا لوم أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة، والإجلال والمحبة، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه، ولا يخلو الرجل، إما أن

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٣/١٣٤٠) — ح (١٧١٥). وابن حبان (٨/١٨٢) — ح (٣٣٨٨). وأبو عوانة في مسنده (٤/٥٦١) — ح (٦٣٨٥). والبيهقي في الكبرى (٨/١٦٣). والإمام مالك في الموطا (٩٩٠١٢)- ح (١٧٩٦). والإمام أحمد في مسنده (٢/٣٦٧) — ح (٨٧٨٥). والبيهقي في شعب الإيمان (٥٩١٦) — ح (٧٤٩٣). والبخاري في الأدب المفرد (١/١٥٨)- ح (٤٤٢). وانظر نصب الراية للزيلعي (٣/٢٧٧).

(٢) صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/٢٦٨). ح (٦٦). والحاكم في مستدركه (١/١٦٢) — ح (٢٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين وأبو نعيم في المستخرج على مسلم (١/٣٩-٤٠) — ح (٩) — والمقدسي في المختارة (٦/٣٠٧-٣٠٨) — ح (٢٣٢٩)- والترمذي (٥/٣٣) — ح (٢٦٥٦) وحسن حديث زيد بن ثابت. والدارمي (١/٨٦) — ح (٢٢٨)، والشافعي في مسنده (١/ ٢٤٠) ، وأبو داود (٣/٣٢٣) — ح (٣٦٦٠) ، وابن ماجة (١/٨٤) — ح (٢٣٠) ، وأبو حنيفة في مسنده (١/٢٥٢)، والبزار (٥/٣٨٢) — ح (٢٠١٤)، والشاشي في مسنده (١/٣١٤) — ح (٢٧٥)، والطبراني في الأوسط (٢/٧٨) — ح (١٣٠٤) — وفي معجم الشيوخ (١/٨٣). والإمام أحمد في مسنده (١/٦٣٤) — ح (٤١٥٧)- وأبو يعلى في معجمه (١/٩٥) — ح (٨٨) ، والحميدي في مسنده (١/٤٧) — ح (٨٨). والطبراني في مسند الشاميين (١/٢٩١). وفي الصغير (١/١٨٩) — ح (٣٠٠)، وأبو يعلى في مسنده (٩/٦٢) — ح (٥١٢٦) والطبراني في الكبير (٢/١٢٦) — ح (١٥٤١)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٣٠٧) — ح (١٤٢١) وخيثمة في حديثه (١/٦٥) — وابن أبي عاصم في السنة (١/٥٤) — ح (٩٤) — والبيهقي في الاعتقاد (١/٢٤٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٦٠) — ح (٤٧٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٣٣).

يكون مجتهدًا مصيبًا، أو مخطئًا، أو مذنبًا، فالأول: مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه، مغفور له، والثالث: فالله يغفر لنا وله، ولسائر المؤمنين.

فنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل.

كقول القائل: فلان قصّر، فلان ما عمل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فلان كان سبب هذه القضية، فلان كان يتكلم في كيد فلان، ونحو هذه الكلمات، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب، والإخوان، فإني لا أسامح من آذاهم، من هذا الباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بل مثل هذا يعود على قائله بالملام، إلا أن يكون له من حسنة ممن يغفر الله له إن شاء، وقد عفا الله عما سلف.

وتعلمون أيضًا: أن ما يجري من نوع تغليظ، أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان، ما كان يجري بدمشق، ومما جرى الآن بمصر، فليس ذلك غضاضة، ولا نقصًا في حق صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا، ولا بغض، بل هو بعدما عُومل به من التغليظ والتخشين، أرفع قدرًا، وأنبه ذكرًا وأحب وأعظم، وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين، التي يصلح الله بها بعضهم ببعض، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة و النعومة، ما نحمد معه ذلك التخشين.

وتعلمون أنا جميعًا متعاونون على البر والتقوى، واجب علينا نصر بعضنا بعضًا، أعظم مما كان وأشد، فمن رام أن يؤذي بعض الأصحاب، أو الإخوان، لما قد يظنه من نوع تخشين – عُومل به بدمشق، أو بمصر الساعة، أو غير ذلك-: فهو الغالط.

وكذلك، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أُمروا به من التعاون والتناصر، فقد ظن ظن السوء و﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[يونس: من الآية٣٦] وما غاب عنا أحد من الجماعة، أو قدم إلينا الساعة، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت، وأجل، وأرفع.

وتعلمون – رضى الله عنكم -: أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء، واختلاف الأهواء، وتنوع أحوال أهل الإيمان، وما لابد منه- من نزعات الشيطان – مالا يُتصور أن عنه نوع الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا الأنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٢- ٧٣].

بل أنا اقول ما هو أبلغ من ذلك – تنبيهًا بالأدنى على الأعلى، وبالأقصى على الأدنى – فأقول:

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة والأغاليط المظنونة، والأهواء الفاسدة، وأن ذلك أمر يجل عن الوصف، وكل ما قيل: من كذب وزور، فهو في حقنا خير ونعمة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١].

وقد أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه عليّ، أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي.

والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي.

وأما ما يتعلق بحقوق الله، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم، فلو كان الرجل مشكورًا على سوء عمله، لكنت أشكر كل من كان سببًا في هذه القضية، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه، وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له.

وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم، وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم وأنتم تعلمون هذا من خلقي، والأمر أزيد مما كان وأوكد، لكن حقوق بعضهم مع بعض، وحقوق الله عليهم، هم فيه تحت حكم الله.

وأنتم تعلمون أن الصديق الأكبر في قضية الإفك، التي أنزل الله فيها القرآن، حلف لا يصل مسطح بن أثاثة، لأنه كان من الخائضين في الإفك، فأنزل الله تعالي:

﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

فلما نزلت، قال أبو بكر: بلى، أحب أن يغفر الله لي، فأعاد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق.

ومع ما ذكر من العفو والإحسان، وأمثاله، وأضعافه، والجهاد على ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة أمر لابد منه.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة/٥٤ -٥٦].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين. وصلِّ الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا.

وقد بعث الشيخ رحمه الله إلى أقاربه وأصحابه بدمشق كتبًا غير هذه.

شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وأمره بحبسه

ولم يزل بمصر يعلم الناس، ويفتيهم، ويذكر بالله ويدعو إليه، ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، إلى أن ضاق منه وانحصر، واجتمع خلق كثير من أهل الخوانق والربط والزوايا، واتفقوا على أن يشكو الشيخ إلى السلطان، فطلع منهم خلق إلى القلعة، وكان منهم خلق تحت القلعة، فكانت لهم ضجة شديدة، حتى قال السلطان: مالهؤلاء؟

فقيل له: هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقي الدين ابن تيمية، يشكون منه، ويقولون: إنه يسبّ مشايخهم، ويضع من قدرهم عند الناس، واستغاثوا منه وأجلبوا عليه، ودخلوا على الأمراء، ولم يبقوا ممكنًا.

وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له: إن الناس قد جمعوا لك جمعًا كثيرًا.

فيقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأمر من يعقد له (مجلسًا) بدار العدل.

فعقد له مجلس يوم الثلاثاء في العشر الأول من شوال، من سنة سبع وسبعمائة، وظهر توكله، وبيان حجته، ما يتجاوز الوصف، وكان وقتًا مشهودًا، ومجلسًا عظيمًا.

وقال له كبير من المخالفين: من أين لك هذا؟

فقال له الشيخ: من أين لا تعلمه.

وذكر بعض من حضر ذلك المجلس: أن الناس لما تفرقوا منه قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه.

قال: فجاء وجئت معه إلى موضع – ذكره – في دار العدل.

قال: فلما جلسنا استلقى الشيخ على ظهره، وكان هناك حجر لأجل تثقيل الحصير، فأخذه ووضعه تحت رأسه، فاضطجع قليلاً، ثم جلس وقال له إنسان: يا سيدي قد أكثر الناس عليك.

فقال: إن هم إلا كالذباب، ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه.

قال: وقام، وقمنا معه، حتى خرجنا، فأُتي بحصان، فركبه وهو يختال بذؤابته، فلم أر أحدًا أقوى قلبًا، ولا أشد بأسًا منه.

قال: فلما أكثروا الشكاية منه والملام، وأوسعوا من أجله الكلام، رسم بتسفيره إلى بلاد الشام.

فخرج للسفر ليلة الخميس ثاني عشر الشهر إلى جهة الشام، ثم رُد في يوم الخميس المذكور، وحُبس بسجن الحاكم بحارة الديلم، في ليلة الجمعة تاسع عشر شوال.

قال: ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب، يلتهون بها عما هم فيه، كالشطرنج والنرد، ونحو ذلك من تضييع الصلوات.

فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير، وحضهم على ذلك، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرًا من الزوايا والربط، والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه، حتى كان السجن يمتلئ منهم.

فلما كثر اجتماع الناس به، وترددهم إليه ساء ذلك أعداؤه، وحصرت صدورهم، فسألوا نقله إلى الإسكندرية، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عريّة، وأرادوا أن يبعد عنهم خبره، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره.

فأرسل به إلى ثغر الإسكندرية، في ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمائة.

ما ذكره البرزالي في حبس الشيخ بالإسكندرية

وذكر الشيخ البرزالي وغيره: أن في شهر شوال من سنة سبع وسبعمائة، شكا شيخ الصوفية بالقاهرة — كريم الدين الإبلي، وابن عطاء، وجماعة نحو الخمسمائة — من الشيخ تقي الدين، وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة.

فرد الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي.

وعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها، لكنه قال: إنه لا يستغاث إلا بالله، حتى لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة — بمعنى العبادة — ولكنه يتوسل به، ويتشفع به إلى الله.

فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء.

ورأى قاضي القضاة: بدر الدين، أن هذا فيه قلة أدب.

فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قد

قلت له ما يقال لمثله.

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي: الإقامة بدمشق، أو الإسكندرية بشروط، أو الحبس، فاختار الحبس.

فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرط، فأجابهم فأركبوهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال.

ثم أرسل خلفه من الغد بريدًا آخر فرده، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء.

فقال بعضهم له: ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

وقال قاضي القضاة: وفيه مصلحة له.

واستناب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه، فتحير.

فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة.

فقال نور الدين المأذون له في الحكم: فيكون في موضع يصلح لمثله.

فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمُسمّى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز، لما حُبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه.

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة.

واستمر الشيخ في الحبس يُستفتى ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المُشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

قال علم الدين: وفي ليلة الأربعاء، العشرين من شوال من سنة ثمان وسبعمائة، طلب أخوا الشيخ تقي الدين، فوجد زين الدين وعنده جماعة، فرسم عليهم، ولم يوجد شرف الدين، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين، فإنه حُمل إلى المكان الذي فيه الشيخ، وهو قاعة الترسيم بالقاهرة، ثم إنه أخرج في خامس صفر سنة تسع وسبعمائة.

قال: وفي الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا، وهي ليلة الجمعة توجه الشيخ تقي الدين من القاهرة إلى الإسكندرية، مع أمير مقدم ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه.

ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام، فحصل التألم لأصحابه ومحبيه، وضاقت الصدور وتضاعف الدعاء له.

وبلغنا: أن دخوله الإسكندرية كان يوم الأحد دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان، ونُقل ليلاً إلى برج في شرقي البلد.

ثم وصلت الأخبار: أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك، وصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه، ويتحدثون معه، وكان الموضع الذي هو فيه فسيحًا متسعًا.

* * *

كتاب الشيخ شرف الدين إلى أخيه بدر الدين

وقد رأيت كتابًا بخط الشيخ شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين بعد توجه الشيخ إلى الإسكندرية، يقول فيه:

من أخيك عبد الله ابن تيمية:

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الإمام العالم الكبير بدر الدين، والى الله عليه آلاؤه وأتبعها، وأسبغ عليه نعمه ونوّعها، وأباحه مننه وأينعها، وأيّده بالقوة والتأييد لإقامة الحق على القريب والبعيد، غير مقصّر ولا وانٍ، ولا مفتر ولا متوانٍ بالرأى السديد، والعزم الوكيد، وجمعنا وإياه في هذه الدار على طاعته، وفي دار القرار في دار كرامته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أهل ولايته إنه ذو الفضل العظيم، والمنِّ الجسيم، والطول العميم.

أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، وأصلي على سيد ولد آدم، وخير خلق الله أجمعين، وسيد رسل رب العالمين إلى الأسود والأحمر، والجن والإنس، بشيرًا للمؤمنين، ونذيرًا للكافرين أتم الصلاة وأفضلها، وأشرفها وأكملها، دائمة إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: فنحن والجماعة في نعم الله الكاملة، ومننه الشاملة، التي تفوت العد والإحصاء، وتعجز العقول عن تصورها ودركها، وتحصر الألسن عن نعتها ووصفها، فضلاً عن كتابتها، فنسأل الله العظيم أن يوزعنا شكرها، وأن يديمها علينا وعلى جميع الإخوان والمؤمنين. إنه الجواد الكريم.

فمنها: نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أمورًا، يكيدون بها الإسلام وأهله، وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب، فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة، وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا ومازالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه، يتقطعون حسرات وندمًا على ما فعلوه.

وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى الأخ، متقبلين لما يذكره وينشره، من كتاب الله وسنة رسوله والحطِّ والوقيعة في أعدائهما من أهل البدع والضلالات، والكفر والجهالات خصوصًا أخبث

الملاحدة والاتحادية، ثم الجهمية.

واتفق أنه وجد بها إبليس إلحادهم، قد باض وفرخ، ونصب بها عرشه ودوح وأضل بها فريقي السبعينية والعربية، فمزّق الله بها بقدومه الثغر جموعهم، شذر مذر، وهتك أستارهم (وكشف رمزهم الحاد والكفر وأسرارهم وفضحهم)، واستتاب جماعات منهم، وتوّب رئيسًا من رؤسائهم، وإن كان عند عباد الله المؤمنين حقيرًا، وصنف هذا التائب كتابًا في كشف كفرهم وإلحادهم، وكان من خواص خواص اللعين عدو الله ورسوله (نصير) الملحدين، واشتهر ذلك عند عموم المؤمنين، وخواصهم، من أمير وقاض، وفقيه ومفت وشيخ، وعموم المجاهدين، إلا من شذ من الأغمار الجهال مع الذلة والصغار، حذرًا على نفسه من أيدي المؤمنين وألسنتهم، وعلت كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله، ولُعنوا لعنًا ظاهرًا في مجامع الناس بالاسم الخاص، وصار بذلك عند نصير الملحد المقيم المقعد، ونزل به من الخوف والذي ما لا يعبر عنه، وهم أن يكيد كيدًا آخر، فوقع ما وقع عندكم بالشام من الأمر المزعج، والكرب المقلق، والبلاء العظيم والذل، واستعطاف من كانوا لا يلتفتون إليه بالأموال والأنفس، والتذلل حتى رق بعض الأصحاب لهم، فزجر عن ذلك، وقيل له:

ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله، إلى أمور كثيرة من المحن والبلاء، مما لا يمكن وصفه، فنسأل الله العظيم أن يجعل تمام (النقمة) عليهم، وأن يقطع دابرهم، وأن يريح عباده وبلاده منهم، وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده عليهم، وأن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يتمها علينا، وعلى سائر المؤمنين.

وغير خاف عنك سيرتنا:

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن (منه) ما يعجبك

فليس لدى المجد والكرامات إذا جئتها حاجب يحجبك

فأسأل الله العظيم، أن يعينك ويمدك، ويؤيدك بروح منه، وأن يقربك أعين المؤمنين، وأن يخزي بك الكفار والمنافقين، وأن يوفقك لما يحبه ويرضاه، وأن يتولاك في جميع الأمور، ويعينك على القيام فيها بما يرضي الله ورسوله.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى السعيدة الكريمة الطيبة التي رضي الله عنها وأرضاها، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة دارها ومأواها، وأراها وجهه الكريم في دار النعيم: الوالدة التي منحها الله تعالى — في آخر عمرها — هذه الكرامة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، والدرجة العلية، وأكمل السلام وأنماه.

وعلى جميع الأهل والإخوان، والأصحاب، والمعارف والجيران، كبيرهم وصغيرهم، قريبهم وبعيدهم، كل فرد فرد له السلام.

وغير خاف عنهم العجز عن حصرهم.

فالله تعالى يرضى عن جميعهم، ويجمعنا وإياهم — بعد نصر دين الله ورسوله — على ما يحبه ويرضاه.

وكُتب والخاطر مشغول بأمر المسلمين، لحدوث أمر يذكره لكم الشيخ عبد الله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

* * * *

قلت: بقي الشيخ بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر، مقيمًا ببرج مليح، نظيف، له شباكان: أحدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه من شاء، ويتردد إليه الأكابر والأعيان، والفقهاء يقرأون عليه ويبحثون معه، ويستفيدون منه.

إحضار الشيخ من سجن الإسكندرية إلى القاهرة

فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك، وقدومه إلى دمشق، وتوجه منها إلى مصر — وكان دخوله إليها يوم عيد الفطر، من سنة تسع وسبعمائة — نفذ لإحضار الشيخ من الإسكندرية في اليوم الثامن من شوال.

وخرج الشيخ منها متوجهًا إلى مصر، ومعه خلق من أهلها يودعونه، ويسألون الله أن يرده إليهم، وكان وقتًا مشهودًا.

ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر.

واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه، وأكرمه وتلقاه في مجلس، حفل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء وأصبح بينه وبينهم.

ولقد أخبرنى بعض أصحابنا قال:

أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي، قاضي العساكر المنصورة، فيما تذاكرت أنا وهو ذات ليلة، حين كان الشيخ تقي الدين معتقلاً في القلعة المنصورة — يعني قلعة دمشق — وقد أشاع بعض الجهلة وأرجف بعض المبغضين للسنة بأخبار مختلفة، لا حقيقة لها، لكن وقع في نفوس أصحاب الشيخ من ذلك، ما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، وما ذاك إلا من شدة الشفقة والمحبة.

فقلت له — فيما تحدثنا به: إن الناس يقولون: كيت وكيت، وإن الشيخ ربما يخرج من

القلعة ويدعى عليه، ويعزر ويطاف به.

فقال: يا فلان هذا لا يقع منه شيء، ولا يسمح السلطان — خلد الله سعادته — بشيء من ذلك، وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء وبعلمه ودينه.

ثم قال: أخبرك بأمر عجيب، وقع من السلطان في حق الشيخ تقي الدين، وذلك حين توجه السلطان إلى الديار المصرية، ومعه القضاة والأعيان، ونائب الشام "الأفرم".

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته، وهرب سلار والشنكير، واستقر أمر السلطان، جلسا يومًا (في) دست السلطنة وأبهة الملك، وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده، وقضاة مصر عن يمينه، وقضاة الشام عن يساره — وذكر لي كيفية جلوسهم منه، كحسب منازلهم — قال:

وكان من جملة من هناك ابن صصري: عن يسار السلطان، وتحته الصدر علي قاضي الحنفية، ثم بعده الخطيب جلال الدين، ثم بعده ابن الزملكاني، قال: وأنا إلى جانب ابن الزملكاني، والناس جلوس خلفه، والسلطان على مقعد مرتفع، فبينما الناس على ذلك جلوس، إذ نهض السلطان قائمًا، فقام الناس، ثم مشى السلطان، فنزل عن تلك المقعدة، ولا ندري ما به، وإذا بالشيخ تقي الدين ابن تيمية — رحمه الله — مقبل من الباب والسلطان قاصدًا إليه، فنزل السلطان عن الإيوان، والناس قيام، والقضاة والأمراء والدولة، فتسالم هو والسلطان وتكارشا، وذهبا إلى صفة في ذلك المكان، فيها شباك إلى بستان، فجلسا فيها حينًا، ثم أقبلا — ويد الشيخ في يد السلطان — فقام الناس وكان قد جاء في غيبة السلطان تلك: الوزير فخر الدين بن الخليل، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصري، فلما جاء السلطان جلس على مقعدته، وجاء الشيخ تقي الدين فجلس بين يدى السلطان على طرف مقعدته متربعًا.

فشرع السلطان يثني على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء ما سمعته من غيره قط، وقال كلامًا كثيرًا، والناس تقول معه، ومثله القضاة والأمراء.

وكان وقتًا عجيبًا، وذلك مما يسوء كثيرًا من الحاضرين من أبناء جنسه.

وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخصّ أصحابه أن يقوله.

ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أهل الذمة قد بذلوا للديوان في كل سنة سبعمائة ألف درهم، زيادة على الجالية، على أن يعودوا إلى لبس العمائم البيض، المعلمة بالحمرة والصفرة والزرقة، وأن يعفوا من هذه العمائم المصبغة كلها بهذه الألوان التي ألزمهم بها ركن الدين الشاشنكير.

فقال السلطان للقضاة ومن هناك: ما تقولون؟

فسكت الناس.

فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه، وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ويرد ما عرضه الوزير عنهم ردًا عنيفًا، والسلطان يسكته بترفق وتؤدة وتوقير.

فبالغ الشيخ في الكلام، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، حتى رجع السلطان عن ذلك، وألزمهم بما هو عليه، واستمروا على هذه الصفة.

فهذه من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية – رحمه الله ورضي الله عنه – آمين.

قال: هذا ملخص ما أخبرني به – رحمه الله –.

وكنت جلست يومًا إلى قاضي القضاة: صدر الدين قاضي الحنفية، فقال لي وهو يضحك: تحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية؟

فقلت: نعم.

فقال: والله تحب شيئًا مليحًا، وحكي لي قريبًا مما ذكر ابن القلانسي، لكن سياق ابن القلانسي أبسط وأتم.

حلم الشيخ وعفوه عمن ظلمه

وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية – رحمه الله – يذكر: أن السلطان لما جلسنا بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم.

قال: ففهمت مقصوده أن عنده حنقًا شديدًا عليهم، لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجانشنكير.

فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكنت ما عنده عليهم.

قال: فكان القاضي زين الدين بن مخلوف – قاضي الملكية – يقول بعد ذلك: ما رأينا (أفتى) من ابن تيمية، لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا.

ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان – نزل إلى القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وعاد إلى بثّ العلم ونشره، والخلق يشتغلون عليه ويقرأون، ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة، والأمراء والأكابر والناس يترددون إليه، وفيهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع.

فقال: قد جعلت الكل في حل مما جرى.

وبعث الشيخ كتابًا إلى أقاربه وأصحابه بدمشق، يذكر ما هو فيه من النعم العظيمة والخير الكثير، ويطلب فيه جملة من كتب العلم يرسل بها إليه، وقال في هذا الكتاب:

كتاب الشيخ إلى أقاربه بدمشق

تعلمون أنا بحمد الله في نعم عظيمة، ومنن جسيمة، وآلاء متكاثرة، وأياد متظاهرة لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال، ولا تدور لهم في خيال، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، إلى أن قال:

والحق دائمًا في انتصار وعلو وازدياد، والباطل في انخفاض وسفال ونفاد، وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل، وطلب أكابرهم من السلم والانقياد ما يطول وصفه.

ونحن — ولله الحمد — قد اشترطنا عليهم في ذلك من الشروط ما فيه عز الإسلام والسنة، وانقماع الباطل والبدعة، وقد دخلوا في ذلك كله، وامتنعنا، حتى يظهر ذلك إلى الفعل، فلم نثق لهم بقول ولا عهد، ولم نجبهم إلى مطلوبهم، حتى يصير المشروط معمولاً، والمذكور مفعولاً، ويظهر من عز الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم، وقد أمد الله من الأسباب التي فيها عز الإسلام والسنة وقمع الكفر والبدعة، بأمور يطول وصفها في كتاب.

وكذلك جرى من الأسباب التي هي عز الإسلام وقمع اليهود والنصارى، بعد أن كانوا قد استطالوا وحصلت لهم شوكة، وأعانهم من أعانهم على أمر فيه ذل كبير من الناس، فلطف الله باستعمالنا في بعض ما أمر الله به ورسوله، وجرى في ذلك مما فيه عز المسلمين، وتأليف قلوبهم، وقيامهم على اليهود والنصارى وذل المشركين وأهل الكتاب مما هو من أعظم نعم الله على عباده المؤمنين، ووصف هذا يطول.

وقد أرسلت إليكم كتابًا أطلب ما صنفته في أمر الكنائس، وهي كراريس بخطي، قطع النصف البلدي، فترسلون ذلك إن شاء الله تعالى، وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المزي فإنه يقلب الكتب ويخرج المقلوب، وترسلون أيضًا من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط القاضي أبي الحسين، إن أمكن الجميع، وهو أحد عشر مجلدًا، وإلا فمن أوله مجلدًا، أو مجلدين، أو ثلاثة، وذكر كتبًا يطلبها منهم.

ولم يزل الشيخ مستمرًا على عادته من (الاشتغال بتعليم الناس) ونفعهم وموعظتهم والاجتهاد في سبل الخير.

قيام جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامع مصر

(وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصارًا للشيخ ثم صفحه هو عمن آذوه)

فلما كان في رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة جاء رجل — فيما بلغني — إلى أخيه الشيخ شرف الدين، وهو في مسكنه بالقاهرة، فقال له: إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ، وتفردوا به وضربوه.

فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وكان بعض أصحاب الشيخ جالسًا عند شرف الدين، قال: فقمت من عنده، وجئت إلى مصر، فوجدت خلقًا كثيرًا من الحسينية وغيرها رجالاً وفرسانًا يسألون عن الشيخ، فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر، واجتمع عنده جماعة، وتتابع الناس، وقال له بعضهم: يا سيدي، قد جاء خلق من الحسينية، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا.

فقال لهم الشيخ: لأي شيء؟ قال: لأجلك.

فقال لهم: هذا (ما يجوز).

فقالوا: نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب دورهم، فإنهم شوشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس.

فقال لهم: هذا ما يحل.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك يحل؟ هذا شيء لا نصبر عليه، ولابد أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا.

والشيخ ينهاهم ويزجرهم.

فلما أكثروا في القول قال لهم: إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لي، فهم في حل منه، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني، فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله، فالله يأخذ حقه إن شاء كما يشاء.

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟

قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه.

قالوا: فتكون أنت على الباطل وهم على الحق؟ فإذا كنت تقول: إنهم مأجورون فاسمع منهم ووافقهم على قولهم.

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد المخطئ له أجر.

فلما قال لهم ذلك، قالوا: فقم واركب معنا، حتى نجيء إلى القاهرة.

فقال: لا، وسأل عن وقت العصر، فقيل له: إنه قريب، فقام قاصدًا إلى الجامع لصلاة العصر.

فقيل له: يا سيدي قد تواصوا عليك ليقتلوك، وفي الجامع قد يتمكنون منك، بخلاف غيره، فصلِّ حيث كان.

فأبى إلا المضي إلى الجامع والصلاة فيه.

فخرج وتبعه خلق كثير لا يرجعون عنه، فضاقت الطريق بالناس، فقال له من كان قريبًا منه: ادخل إلى هذا المسجد — مسجد في الطريق — واقعد فيه حتى يخف الناس، لئلا يموت أحد من الزحام.

فدخل ولم يجلس فيه، ووقف وأنا معه، فلما خف الناس خرج يطلب الجامع العتيق فمر في طريقه على قوم يلعبون بالشطرنج على مسطبة بعض حوانيت الحدادين، فنفض الرقعة وقلبها، فبُهت الذي يلعب بها والناس من فعله ذلك.

ثم مشى قاصدًا للجامع، والناس يقولون: هنا يقتلونه، الساعة يقتلونه.

فلما وصل إلى الجامع، قيل: الساعة يُغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويُقتلون.

فدخل الجامع ودخلنا معه، فصلى ركعتين، فلما سلّم منهما أذّن المؤذن بالعصر، فصلى العصر، ثم افتتح بقراءة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة:٢)، ثم تكلم في المسألة التي كانت الفتنة بسببها إلى آذان المغرب.

فخرج أتباع خصومه، وهم يقولون: والله لقد كنا غالطين في هذا الرجل لقيامنا عليه، والله إن الذي يقوله هذا، هو الحق، ولو تكلم هذا بغير الحق لم نمهله أن يسكت، بل كنا نبادر إلى قتله، ولو كان هذا يبطن خلاف ما يظهر لم يخف علينا، وصاروا فرقتين يخاصم بعضهم بعضًا.

قال: ورحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبتنا عنده.

واقعة أخرى في أذى الشيخ بمصر

وقال الشيخ علم الدين: وفي العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وقع أذى في حق الشيخ تقي الدين بمصر، وظفر به بعض المبغضين له في مكان خال، وأساء عليه الأدب، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له، فلم يجب إلى ذلك.

وكتب إليّ المقاتلي يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر، يعرف بالمبدي، حصل منه إساءة أدب ثم بعد ذلك طلب وتودد، وشفع فيه جماعة، والشيخ ما تكلم ولا اشتكى، ولو حصل منه شكوى أهين ذلك غاية الإهانة، لكن قال: أنا ما أنتصر لنفسي.

وأقام الشيخ بعد هذا مدة بالديار المصرية.

خروج الشيخ إلى الشام مع الجيش المصري

ثم إنه توجه إلى الشام، صحبة الجيش المصري قاصدًا (الفراة)، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس، وتوجه منه إلى دمشق، وجعل طريقه على عجلون، وبعض بلاد السواد، وزرع، ووصل إلى دمشق في أول يوم من شهر ذي القعدة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسروا سرورًا عظيمًا بمقدمه وسلامته وعافيته. وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جُمع.

وقد توفي في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم.

ترجمة الشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين

منهم الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، المعروف بابن شيخ الحزاميين.

تُوفي يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

وكان رجلاً صالحًا، ورعًا، كبير الشأن، منقطعًا إلى الله، متوفرًا على العبادة والسلوك.

وكان قد كتب رسالة وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ، والحث على اتباع طريقته، وأثنى فيها على الشيخ ثناء عظيمًا.

وهذه نسخة الرسالة التي كتبها:

(كتاب نفيس جدًا للشيخ عماد الدين في الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله وبحمده، تقدس في علوه وجلاله، وتعالى في صفات كماله، وتعاظم في سُبُحات فردانيته وجماله، وتكرم في إفضاله وجمال نواله، جل أن يُمثَّل بشيء من مخلوقاته، أو يُحاط به، بل هو المحيط بمبتدعاته، لا تصوره الأوهام ولا تقله الأجرام ولا يعقل كنه ذاته البصائر ولا الأفهام.

الحمد لله مؤيد الحق وناصره (ودامغ) الباطل وكاسره، ومعز الطائع وجابره، ومذل

الباغي ودائره، الذي سعد بحظوة الاقتراب من قدسه من قام بأعباء الاتباع في (بنانه) وأسه، وفاز بمحبوبيته في ميادين أنسه، من بذل ما يهواه في طلبه من قلبه وحسه، وتثبت في مهامه الشكوك منتظرًا زوال لبسه، وسبحانه وبحمده له المثل الأعلى، والنور الأتم الأجلى، والبرهان الظاهر في الشريعة المثلى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي شهدت لوحدانيته الفِطر، وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر، وظهرت أحكامه في الآي والسور، وتم اقتداره في تنزل القدر.

وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، الذي شهدت بنبوته الهواتف والأحبار، فكان قبل ظهوره ينتظر، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حنين الجذع وانقياد الشجر، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الخشية والحذر، والعلم المنور، فهم قدوة التابع للأثر.

وبعد: فهذه رسالة سطرها العبد الضعيف الراجي رحمة ربه وغفرانه وكرمه وامتنانه أحمد بن إبراهيم الواسطي، عامله الله بما هو أهله، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

إلى إخوانه في الله السادة العلماء: والأئمة الأتقياء، ذوي العلم النافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، الذين كساهم الله كسوة الاتباع، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع.

السيد الأجل العالم الفاضل فخر المحدثين، ومصباح المتعبدين المتوجه إلى رب العالمين، تقي الدين أبي حفص عمر بن عبد الله بن عبد الأحد بن شقير.

والشيخ الأجل، العالم الفاضل السالك الناسك، ذي العلم والعمل، المكتسي من الصفات الحميدة أجمل الحلل، الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الأحد الآمدي.

والسيد الأخ، العالم الفاضل، السالك الناسك، التقي الصالح، الذي سما نور قلبه لائح على صفحات وجهه، شرف الدين محمد بن المنجي.

والسيد الأخ، الفقيه العالم النبيل، الفاضل فخر المحصلين، زين الدين عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي.

والسيد الأخ الفاضل، السالك الناسك، ذي اللب الراجح والعمل الصالح، والسكينة الوافرة، والفضيلة الغامرة، نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ.

وأخيه السيد الأخ، العالم التقي الصالح الخير الدين، العالم الثقة الأمين الراجح، ذي السمت الحسن، والدين المتين في اتباع السنن، فخر الدين محمد.

والأخ العزيز الصالح، الطالب لطريق ربه، والراغب في مرضاته وحبه، العالم الفاضل، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله بن نجيح.

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام (الأمة) الهمام، محيي السنة، وقاطع البدعة، ناصر الحديث، مفتي الفرق، الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية الطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلى قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأمة حذوهم وسبلهم، فذكرهم بها الشيخ، فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولموات حذوهم محييًا، ولأعنة قواعدهم مالكًا: الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العلى درجته، وأدام توفيق السادة المبدو بذكرهم وتسديدهم، وأجزل لهم حظهم ومزيدهم:

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نوائب الحق جأشه، واحتسب لله ما بذله من نفسه في إقامة دينه وما احتوشته من ذلك وحاشه واحتذى حذو السُّبّق الأولين، من المهاجرين والأنصار والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم، فما ضرهم من خذلهم ولا من خالفهم مع قلة عددهم في أول الأمر.

فكانوا مع ذلك كل منهم مجاهد بدين الله قائم، ونرجو من كرم الله تعالى أن يوفقنا لأعمالهم، ويرزق قلوبنا قسطًا من أحوالهم، وينظمنا في سلكهم، تحت سجعتهم ولوائهم، مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أذكركم رحمكم الله بما أنتم به عالمون، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات:٥٥).

وأبدأ من ذلك بأن أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، وهي وصية الله تعالى إلينا وإلى الأمم من قبلنا، كما بين سبحانه وتعالى قائلاً وموصيًا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾(النساء: ١٣١).

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب، بحسب الأوقات والأحوال، من الأقوال والأعمال، والإرادات، والنيات.

وينبغي لنا جميعًا أن لا نقنع من الأعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين يدي الله تعالى بحقائقها، ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية، تترامى إلى أوطان القرب، ونفحات المحبوبة والحب، فالسعيد من حظي من ذلك بنصيب، وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريبا بخصوص التقريب فيكتسي العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم للعزيز، فالحب والخشية ثابتان في الكتاب العزيز والسنة المأثورة، قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وفي الحديث: "أسألك حبك وحب من أحبك، وحب عمل من يقربني إلى حبك".

وفي الحديث: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله"[(١)].

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية، في مقام أعلى من مقام، ونصيب أرفع من نصيب، فلتكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بذروته وذراه، فالهمم القصيرة تقنع بأيسر نصيب، والهمم العلية تعلو مع الأنفاس إلى قريب الحبيب لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل، والعاقل لا يقنع بأمر مفضول عن حال فاضل، ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة، وتحصيل المقامات الباطنة، فليس من الإنصاف الانصباب إلى الظواهر والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر.

وليكن لنا جميعًا بين الليل والنهار ساعة، نخلو فيها بربنا جل اسمه، وتعالى قدسه، نجمع بين يديه في تلك الساعة همومنا، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا، فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه، فمن كان له مع ربه حال، تحركت في تلك الساعة عزائمه، وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره، وطارت إلى العلى زفراته وكوامنه، وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد في قبره، حين خلوه عن ماله حبه فمن لم يخل قلبه ساعة من نهار، لما احتوشه من الهموم الدنيوية، وذوات (الآصار)، فليعلم أنه ليس له ثم رابطة علوية، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبية، فليبكِ على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه.

فإذا حصلت لله تلك الساعة، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع.

فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار، نعبده فيها حق عبادته، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته، وذلك طريق لنا جميعا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ، فالفقيه إذا لم ينفذ في عمله حصل له الشطر الظاهر، وفاته الشر الباطن، لاتصاف قلبه بالجمود، وبعده في العبادة، والتلاوة عن لين القلوب والجلود، كما قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾(الزمر: ٢٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٤) – ومسلم (٩٠١).

وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا، ويتميز به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة، والذوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها، ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها.

فيتعين علينا جميعًا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود، ولقائه بذوق الإيقان، لنعبده كأننا نراه، كما جاء في الحديث[١].

وبعد ذلك الحظوة في هذه الديار (بلقاء) رسول الله ﷺ، غيبًا في غيب، وسرًا في سر، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها، فتبقى البصيرة شاخصة إليه، تراه عيانًا في الغيب، كأنها معه ﷺ، وفي أيامه، فيجاهد على دينه، ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته.

وكذلك من سلك في طريق النفوذ يرجى له أن يلقى ربه بقلبه غيبًا في غيب، وسرًا في سر فيرزق القلب قسطًا من المحبة والخشية، والتعظيم اليقيني، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق، وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ، ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد، ويبقى له كيفية أخرى زائدة على الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار، والقوة في الإعلان والإسرار.

فلا ينبغي لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية، بشواغل الدنيا وعمومها، فنقطع بذلك - كما تقدم - بالشيء المفضول عن الأمر المهم الفاضل، فإذا سلكنا في ذلك برهة من الزمان، ورزقنا الله تعالى نفوذًا، وتمكنا في ذلك النفوذ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى.

وليكن شأن أحدنا اليوم: التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية والتوجهات القلبية، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الآخرين، فيفوته المطلوب، ومتى اجتهد في التعديل فإنه إن شاء الله تعالى بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم، حصل جزءًا من الآخر، ثم بالصبر على ذلك تجتمع الأجزاء المحصلة، فتصير مرتبة عالية عند النهاية - إن شاء الله تعالى.

هذا، وإن كنتم - أيدكم الله تعالى - بذلك عالمين، لكن الذكرى تنفع المؤمنين.

(فصل) وأعلموا - أيدكم الله - أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود، لكن من

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرف أحوال الناس، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية، فأنتم إن شاء الله تعالى في حق هذه الأمة أولى، كما قال تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١).

أصبحتم إخواني تحت سنجق رسول الله ﷺ ، إن شاء الله تعالى، مع شيخكم وإمامكم، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره — رضي الله عنه — قد تميزتم عن جميع أهل الأرض، فقهائها وفقرائها، وصوفيتها، وعوامها: بالدين الصحيح.

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الإحداث، في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء، نصرتم الله ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله.

وأنتم أيضًا في مقابلة من لم ينفذ في عمله من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ ، وجمُد على مجرد تقليد الأئمة فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتخاذ أقوال الأئمة تأسيًا بهم لا تقليدًا لهم.

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء والتصدية، ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطائها، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء.

فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضًا كما تجاهدون من سبق حفظهم من دين الله ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه، تُقوموِّن من الدين ما عوجوه، وتصلحون منه ما أفسدوه.

وأنتم أيضًا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنيع باللباس، والإطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم، ولبس البقيار والأكمام الواسعة في حضرة الدرس. وتنميق الكلام، والعدو بين يدي المدرس راكعين، حفظًا للمناصب، واستجلابًا للرزق والإدرار.

فخلط هؤلاء في عبادة الله غيره وتألهوا سواه، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون، يجتمعون لغير الله بل للمعلوم، ويلبسون للمعلوم، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم، فضيعوا كثيرا من دين الله وأماتوه، وحفظتم أنتم ما ضيعوه، وقومتم ما عوجوه.

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات، كاليونسية، والعربية، والصدرية، والسبعينية، والتلمسانية.

فكل هؤلاء بدّلوا دين الله تعالى وقلبوه، وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ .

فاليونسية يتألهون شيخهم، ويجعلونه مظهرًا للحق، ويستهينون بالعبادات، ويظهرون بالفرعنة والصولة، والسفاهة والمحالات، لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة، وقبلتهم الشيخ يونس، ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل، يؤمنون بألسنتهم، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية يجعلون الوجود مظهرًا للحق، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه، ولا ناطق في الأشخاص غيره، وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر، فيجعل الأمر كموج البحر، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله، فينطق على لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية.

فمن العابد، ومن المعبود؟ صار الكل واحدًا.

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزوايا.

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضًا تنصرون الله ورسوله، وتذبون عن دينه، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا، وعلى تقويم ما عوجوا فإن هؤلاء محوا رسم الدين وقلعوا أثره، فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا، بل بالغوا في هدم الدين ومحو أثره، ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بمهما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام.

وكذلك جهاد كل من ألحد في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته كائنًا في ذلك ما كان من فتنة وقول، كما قيل:

إذا رضي الحبيب فلا أبالي أقام الحي أم جد الرحيل

وبالله المستعان.

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله، بما أمكن، وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ ، لأن اليوم له سبعمائة سنة، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك ودُثر.

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون في وجوه العامة، مما أحدثوا من تعظيم الموالد والقلندس، وخميس البيض، و(الشعانين)، وتقبيل القبور والأحجار والتوسل عندها، ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية، وإنما بُعث رسول الله ﷺ ليُوحَّد الله ويُعبد وحده، (ولا يتألّه) معه شيء من مخلوقاته، بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد، فأنتم

بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك.

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء، أهل الكيد والضرار لأولياء الله، أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة.

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى واليهود، والرافضة والمعتزلة والقدرية، وأصناف أهل البدع والضلالات؛ لأن الناس متفقون على ذمهم، يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون، بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء فلا يجاهدون، وتأخذهم في الله اللائمة، لحفظ مناصبهم، وإبقاء على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين في وجوه مثل هؤلاء — حق القيام — سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء إن شاء الله بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا — أيده الله — حق القيام، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصبرًا يا إخواني على ما أقامكم الله فيه، من نصرة، وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه، واستعينوا بالله، ولا تأخذكم فيه لومة لائم، وإنما هي أيام قلائل، والدين منصور، قد تولى الله إقامته ونصره، ونصرة من قام به من أوليائه، إن شاء الله ظاهرًا وباطنًا.

وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأموال والأفعال والأقوال، عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله ﷺ ، فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله، كما قال خبيب حين صلب على الجذع:

وذلك في ذات الإله وأن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد عرفتم ما لقي رسول الله ﷺ من الضر والفاقة في شِعب بني هاشم، وما لقي السابقون الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة، وما لقي المهاجرون والأنصار في أُحد، وفي بئر معونة، وفي قتال أهل الردة، وفي جهاد الشام والعراق، وغير ذلك.

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله، حبًا له وشوقًا إليه، فكذلك أنتم رحمكم الله، كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته بفعله وبقوله وبخطه وبقلبه وبدعائه.

كل ذلك جهاد، أرجو أن لا يخيب من عامل الله بشيء من ذلك، إذ لا عيش إلا في ذلك، ولو لم يكن فيه إلا همتكم، مزاحمة لأهل الزيغ، مشوشة لهم، تبغضونهم في الله، وتطلبون استقامتهم في دين الله، وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى.

(فصل) ثم اعرفوا إخواني حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك، واعرفوا طريقكم إلى ذلك، واشكروا الله تعالى عليها، وهو أن أقام لكم ولنا في هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذي فتح

الله به أقفال القلوب، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقل بين هذه الفرق، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول ﷺ .

ومن العجيب أن كلا منهم يدعي أنه على دين الرسول، حتى كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقواما يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا.

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبعمائة من الهجرة من بين لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته، وبين لكم بهذا النور المحمدى ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم، وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وهم بالشام إن شاء الله تعالى.

(فصل) ثم إذا علمتم ذلك فاعرفوا حق هذا الرجل الذي هو بين أظهركم وقدره، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره، فمن وقع دين الرسول ﷺ من قلبه بموقع يستحقه، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله، يقوم معوجهم، ويصلح فسادهم، ويلم شعثهم جهد إمكانه في الزمان المظلم، الذي انحرف فيه الدين، وجهلت السنن، وعهدت البدع، وصار المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، فإن أجر من قام بإظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف، وخطره لا يعرف، هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعى الظاهر، فهنا قوم عرفوه من حيثية أخرى من الأمر الباطن، ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وعظمة ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغير ذلك مما لا يمكن شرحه في كتاب.

فشيخكم - أيدكم الله تعالى — عارف بذلك، عارف بأحكام الله الشرعية، عارف بأحكام القدرية، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

فالناس يحسون بما يجرى في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب،

ينتظرون ما تجرى به الأقدار، يشعرون بها أحيانا عند تنزلها.

فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطاهم مع الخالق، واشتغال أوقاتهم بهم، فإنهم كما حكي عن الجنيد- رحمه الله — أنه قيل له: "كم تنادي على الله تعالى بين الخلق؟ فقال: أنا أنادي على الخلق بين يدى الله".

فالله الله في حفظ الأدب معه، والانفعال لأوامره، وحفظ حرماته في الغيب والشهادة، وحب من أحبه، ومجانبة من أبغضه وتنقصه ورد غيبته، والانتصار له في الحق.

واعلموا - رحمكم الله — أن هنا من سافر (إلى) الأقاليم وعرف الناس وأذاهم وأشرف على غالب أحوالهم، فوالله، ثم والله، ثم والله، لم يُر تحت السماء مثل شيخكم، علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحلما، في حق نفسه، وقياما في حق الله عند انتهاك حرماته أصدق الناس عقدا وأصحهم علما وعزما، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفا، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد ﷺ .

ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة المحمدية (وسننها) من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا الاتباع حقيقة.

وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة، فلا ندعي فيه العصمة عن الخطأ، ولا ندعي إكماله لغايات الخصائص المطلوبة، فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة، لا يتم الكمال إلا بهاتيك الخصوصية، وهذا القدر لا يجهله منصف عارف، ولولا أن قول الحق فريضة، والتعصب للإنسان هوى، لأعرضت عن ذكر هذا — لكن يجب قول الحق — إن ساء أو سر، والله المستعان.

إذا علمتم ذلك — أيدكم الله تعالى — فاحفظوا قلبه، فإن مثل هذا قد يدعى عظيما في ملكوت السماء، واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وده لكم، وحبه إياكم بمهما قدرتم عليه، فإن مثل هذا يكون شهيدا، والشهداء في العصر تبع لمثله، فإن حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها، وربما يفطن لها الأذكياء منكم، وربما سمحت نفسي بذكرها، كيلا أكتم عنكم نصحي.

وتلك الخصوصية: هي أن ترزقوا قسطا من نصيبه الخاص المحمدي مع الله تعالى، فإن ذلك إنما يسري بواسطة محبة الشيخ للمريد، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأتيه معه، وحفظ قلبه وخاطره، واستجلاب وده ومحبته، فأرجو بذلك لكم قسطا مما بينه وبين الله تعالى، فضلا عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته إن شاء الله تعالى.

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة بحفظ تلك الساعة في

الصلوات الخمس والتهجد أن يفتح لكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونبأه إن شاء الله تعالى.

وإنما ذكرت حفظ الساعة — وإن كان في الصلوات الخمس كفاية، إذا قام العبد فيها لحق الله تعالى – وذلك لأن الصلوات قد تهجم على العبد وقلبه مأخوذ في جوانب الظاهر، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها، فإذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرف فيها نصيب قلبه من ربه، فإذا جاءت الصلوات، عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة، وبالله المستعان.

(فصل) وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذي أنزله على رسول الله ﷺ ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذي يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى، والحظوة بقربه، ثم عرفتم اجتماع الأمرين في شخص معين، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصراط المستقيم، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر والباطن في وجوه المنحرفين، بنصر الله تعالى ودينه، ويقوم معوجهم ويلم شعثهم، ويصلح فاسدهم، ثم سمعتم بعد ذلك طعن طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم، فإنه لا يخفى عنكم محق هو أو مبطل، إن شاء الله تعالى.

وبرهان ذلك أن المحق طالب الهدى والحق بغرض عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذي أنكره، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلطف عن ذلك النقص الذي رآه فيه أو بلغه عنه، فإن وجد هناك اجتهادا أو رأيا أو حجة، قنع بذلك وأمسك، ولم يفش ذلك إلى غيره، إلا مع إقامة ما بينه من الاجتهاد أو الرأي أو الحجة، ليسد الخلل بذلك، فمثل هذا يكون طالب هدى، محبا ناصحا، يطلب الحق، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتفويضه، كما يروم أستاذه تقويمه، كما قال بعض الخلفاء الراشدين — ولا يحضرني اسمه: "إذا اعوججت فقوموني"[(١)].

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب، فإن الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به، ويتهم نفسه أحيانا ويتعرف أحواله من غيره، مما عنده من النصفة وطلب الحق، والحذر من الباطل، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال.

ومن براهين المحق: أن يكون عدلا في مدحه، عدلا في ذمه، لا يحمله الهوى — عند وجود المراد– على الإفراط في المدح، ولا يحمله الهوى– عن تعذر المقصود — على نسيان

---

(١) هو قول الخليفة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — أخرجه: محمد بن راشد في الجامع (١١/٣٣٦). وعزاه الطبري لابن إسحاق برقم (٤١٦). وانظر الثقات (٢/١٥٧). السيرة النبوية (٨٢١٦).

الفضائل والمناقب، وتعديد المساوي والمثالب.

فالمحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه، وأثنى عليه، ثابت على ذم مَنْ ثلبه وحط عليه.

وأما من عمل كراسة في عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف، في هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئا من فضائله، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل، بل المقصود تلك المثالب، ثم أخذ الكراسة يقرؤها على أصحابه واحدا واحدا في خلوة يوقف بذلك همهم عن شيخهم، ويريهم قدحا فيه، فإني استخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل وأقول انتصارا لمن ينصر دين الله، بين أعداء الله في رأس السبعمائة، فإن نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال ورقة بن نوفل: "لئن أدركني يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا"[1]، ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تعدي الحدود والإخلاد إلى الهوى.

أقول: مثل هذا – ولا أعين الشخص المذكور بعينه – لا يخلو من أمور: أحدها: أن يكون ذا سن تغير رأيه لسنه، لا بمعنى أنه اضطراب، بل بمعنى أن السن إذا كبر يجتهد صاحبه للحق، ثم يضعه في غير مواضعه، مثلا يجتهد أن إنكار المنكر واجب، وهذا منكر، وصاحبه قد راج على الناس، فيجب على تعريف الناس ما راج عليهم، ويغيب عنهم المفاسد في ذلك.

فمنها: تخذيل الطلبة، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم، ليأخذوا عنه، فمتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصا حرموا فوائده الظاهرة والباطنة، وخيف عليهم المقت من الله أولا، ثم من الشيخ ثانيا.

المفسدة الثانية: إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهار بالجهاد أو التوجه في وجوههم لنصرة الحق: أن في أصحابنا من ثلب رئيس القوم بمثل هذا، فإنهم يتطرقون بذلك إلى الاشتفاء من أهل الحق ويجعلونه حجة لهم.

المفسدة الثالثة: تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرفها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب، فإن ذلك ظلم وجهل.

والأمر الثاني من الأمور الموجبة لذلك: تغير حاله وقلبه، وفساد سلوكه بحسد كان كامنا فيه، وكان يكتمه برهة من الزمان، فظهر ذلك الكمين في قالب صورته حق ومعناه باطل.

---

(١) أخرجه البخاري (٣). ومسلم (١٦٠).

(**فصل**) وفي الجملة – أيدكم الله – إذا رأيتم طاعنا على صاحبكم فانتقدوه في عقله أولا، ثم في فهمه، ثم في صدقه، ثم في سنه، فإذا وجدتم الاضطراب في عقله، دلكم على جهله بصاحبكم، وبالقول فيه وعنه، ومثله قلة الفهم، ومثله عدم الصدق أو قصوره، لأن نقصان الفهم يؤدي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه، ومثله العلو في السن فإنه يشيخ فيه الرأى والعقل كما (تشيخ) فيه القوى الظاهرة الحسية، فاتهموا مثل هذا الشخص واحذروه وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة.

وصفة الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه، أن تسألوه عن مسألة سلوكية أو علمية، فإذا أجاب عنها أوردوا على الجواب إشكالا متوجها بتوجيه صحيح، فإن رأيتم الرجل يروح يمينا وشمالا، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة، وحكايات ليست في المعنى حتى ينسى رب المسألة سؤاله، حيث توهه عنه بكلام لا فائدة فيه، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه، ولا على مدحه، فإنه ناقص الفطرة، كثير الخيال، لا يثبت على تحرى المدارك العلمية، ولا تنكروا مثل إنكار هذا، فإنه اشتهر قيام ذي الخويصرة التميمي إلى رسول الله ﷺ ، وقوله له: "اعدل فإنك لم تعدل – إن هذه قسمة لم يرد بها وجه الله تعالى[1]" أو نحو ذلك.

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول ﷺ ، فإنه قال:

"لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة"، وإن كان ذلك في اليهود والنصارى لكن لما كانوا منحرفين عن نهج الصواب، فكذلك يكون في هذه الأمة من يحذو حذو كل منحرف وجد في العالم، متقدما كان أو متأخرا حذو القذة بالقذة[2]، حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍ لدخلوه.

يا سبحان الله العظيم، أين عقول هؤلاء؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم، الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة يشم المؤمنون فيها رائحة الاسلام؟ وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدعاة إلى الباطل وإقامته، ودحض الحق وأهله ما لا يحصر في كتاب.

ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمّة بإقامة رجل قوي الهمة ضعيف التركيب، قد فرق

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠). ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

نفسه وهمه في مصالح العالم، وإصلاح فسادهم والقيام بمهماتهم وحوائجهم ضمن ما هو قائم بصدد البداع والضلالات وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق؟

فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وحده، وهو منفرد بين أهل زمانه، قليل ناصره كثير خاذله وحاسده والشامت فيه!!

فمثل هذا الرجل في هذا الزمان، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه، أيقال له: لم ترد على الأحمدية؟ لم لا تعدل في القسمة؟ لم تدخل على الأمراء؟ لم تقرب زيدا وعمرا؟

أفلا يستحي العبد من الله؟ يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبء الثقيل؟ ولو حوقق الرجل على هذه الجزئيات وجد عنده نصوص صحيحة، ومقاصد ونيات صحيحة!! تغيب عن الضعفاء العقول، بل عن الكُمّل منهم حتى يسمعوها.

أما رده على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه الذي لا يدري ما يقول، أفيقوم دين محمد بن عبد الله الذي أنزل من السماء إلا بالطعن على هؤلاء؟ وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل؟ لا يقول مثل هذا إلا تائه أو مسن أو حاسد.

وكذا القسمة للرجل، في ذلك اجتهاد صحيح، ونظر إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم، كما خص الرسول ﷺ الطلقاء بمائة من الإبل، وحرم الأنصار! حتى قال منهم أحداثهم شيئا في ذلك، لا ذوو أحلامهم، وفيها قام ذو الخويصرة، فقال ما قال.

وأما دخوله على الأمراء، فلو لم يكن كيف كان شم الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص؟ ولو فتش المفتش، لوجد هذه الكيفية التي عندهم من رائحة الدين، ومعرفة المنافقين، إنما اقتبسوها من صاحبكم.

وأما تقري زيد وعمرو، فلمصلحة باطنة، لو فتش عنها مع الإنصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة، ونفرض أنك مصيب في ذلك، إذ لا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء والخطأ جار على غيرهم، أيذكر مثل هذا الخطأ في مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام؟

لا يذكر مثل هذا في كراسة ويعددها، ثم يدور بها على واحد واحد، كأنه يقول شيئا، إلا رجل يسأله الله العافية في عقله، وخاتمة الخير على عمله، وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب، بحيث لايبقى معشره يعيبه بعلمه وتصنيفه (أولو) العقول والأحلام، ونستغفر الله العظيم من الخطأ والزلل في القول والعمل، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

هذا آخر الرسالة التي سماها مؤلفها: (التذكرة والاعتبار، والانتصار للأبرار).

فرحم الله من قام بحمل الإصرار، وتصحيح التوبة النصوح بالاستغفار إلى عالم الأسرار، نفع الله من وقف عليها، وأصغى إلى ما يفتح منها ولديها، آمين.

* * *

(فتاوى الشيخ بدمشق وبعض اختياراته التي خالفت فيها المذاهب الأربعة أو بعضها)

ثم إن الشيخ — رحمه الله — بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره بها، لم يزل ملازما للاشتغال والأشغال، ونشر العلم وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة وغيرها، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية.

ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم.

ومن اختياراته التي خالفهم فيها، أو خالف المشهور من أقوالهم:

القول بقِصر الصلاة في كل ما يسمى سفرا، طويلا كان أو قصيرا، كما هو مذهب الظاهرية، وقول بعض الصحابة.

والقول بأن البِكر لا تستبرأ، وإن كانت كبيرة، كما هو قول ابن عمر، واختاره البخاري صاحب الصحيح.

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء، كما يشترط للصلاة كما هو مذهب ابن عمر، واختيار البخاري أيضا.

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقدا أنه ليل، فبان نهارا لا قضاء عليه، كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض الفقهاء بعدهم.

والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة، كما (هو) في حق القارن والمفرد، كما هو قول ابن عباس — رضي الله عنهما — ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل، رواه عنه ابنه عبد الله، وكثير من أصحاب الإمام أحمد لا يعرفونها.

والقول بجواز المسابقة بلا محلل، وإن خرج المتسابقان.

والقول باستبراء المختلعة بحيضة، وكذلك الموطوءة بشبهة، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين.

والقول بجواز عقد الرداء في الإحرام، ولا فدية في ذلك، وجواز طواف الحائض، ولا شيء عليها، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهرا.

والقول بجواز بيع الأصل (بالعصر) كالزيتون بالزيت، والسمسم بالشيرج.

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمى ماء مطلقا كان أو مقيدا.

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره، كالخاتم ونحوه، بالفضة متفاضلا وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة.

والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير، قليلا كان أو كثيرا.

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء.

والقول بجواز التيمم في مواضع معروفة.

والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة.

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

وكان يميل أخيرا لتوريث المسلم من الكافر الذمي، وله في ذلك مصنف وبحث طويل.

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلاقل: قوله: بالتكفير في الحلف بالطلاق.

وأن طلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة.

وأن الطلاق المحرم لا يقع.

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة منها:

قاعدة كبيرة سماها: "تحقيق الفرقان بين التطابق والإيمان" نحو أربعين كراسة.

وقاعدة سماها: "الفرق المبين بين الطلاق واليمين" بقدر النصف من ذلك.

وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة، مجلد لطيف.

وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة؟

وقاعدة سماها "التفصيل بين التكفير والتحليل".

وقاعدة سماها "اللمعة".

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا ينحصر ولا ينضبط.

وله في ذلك جواب اعتراض، ورد عليه من الديار المصرية، وهو جواب طويل في ثلاث مجلدات، بقطع نصف البلدي.

وكان القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي — رحمه الله — في يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر من سنة ثماني عشرة وسبعمائة قد اجتمع بالشيخ وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، تقبل الشيخ إشارته وعرف نصيحته، وأجاب إلى ذلك.

وكان قد اجتمع إلى القاضي جماعة من الكبار حتى فعل ذلك.

فلما كان يوم السبت، مستهل جمادى الأولى من هذه السنة، ورد البريد إلى دمشق، ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأفتى فيها، وصنف فيها والأمر بعقد مجلس في ذلك.

فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة، وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان، ونودي بذلك في البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور.

ثم إن الشيخ عاد إلى الافتاء بذلك وقال: لا يسعني كتمان العلم.

فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة، وقرئ عليهم كتاب السلطان.

وفيه فصل يتعلق بالشيخ، بسبب الفتوى في هذه المسألة، وأُحضر وعُوتب على فتياه بعد المنع، وأُكد عليه في المنع من ذلك.

سجن الشيخ بسبب فتياه في الطلاق

فلما كان بعد ذلك بمدة، في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب من سنة عشرين وسبعمائة، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب والقضاة، وجماعة من المفتين، وحضر الشيخ، وعاودوه في الإفتاء بمسألة الطلاق، وعاقبوه على ذلك، وحبسوه بالقلعة، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما.

ثم ورد مرسوم السلطان بإخراجه، فأخرج منها يوم الإثنين يوم عاشوراء، من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وتوجه إلى داره.

ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدرس بالحنبليَّة أحيانا، ويقرأ عليه في مدرسة بالقصاعين، في أنواع العلم.

وكنت أتردد إليه في هذه المدة أحيانا، وقرأت عليه "قطعة من الأربعين للرازي" وشرحها لي، وكتب لي على بعضها شيئا، وكان يقرأ عليه في تلك المدة من كتبه، وهو يصلح فيها، ويزيد وينقص.

ولقد حضرت معه يوما في بستان الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ، وكان قد عمل وليمة، وقرأت على الشيخ في ذلك اليوم أربعين حديثا، وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين، وأخذ الشيخ بعد ذلك في الكلام في أنواع العلوم، فبهت الحاضرون لكلامه، واشتغلوا بذلك عن الأكل.

ومما حفظت من كلامه في ذلك المجلس قوله:

"يقول الله تعالى في بعض الكتب: أهل ذكري أهل مشاهدتي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب"(١).

وحصل في ذلك المجلس خير كثير، وكان فيه غير واحد من المشايخ، واستمر الشيخ بعد ذلك على عادته.

الكلام على شدّ الرحال إلى القبور

فلما كان في سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شدّ الرحال وإعمال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين، وظفروا للشيخ بجواب سؤال في ذلك، كان قد كتبه من سنين كثيرة، يتضمن حكاية قولين في المسألة، وحجة كل قول منهما.

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير، ذكره في كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" وغيره، وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به.

وكثر الكلام، والقيل والقال، بسبب العثور على الجواب المذكور وعظم التشنيع على الشيخ، وحرف عليه، ونقل عنه ما لم يقله، وحصل فتنة طار شررها في الآفاق، واشتد الأمر، وخيف على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية بالديار المصرية والشامية وكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى، وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة، وجبن من كانت له همة.

وأما الشيخ – رحمه الله – فكان ثابت الجأش، قوي القلب، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه.

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ، فقال أحدهم ينفى، فنفي القائل.

وقال آخر: يقطع لسانه، فقطع لسان القائل.

وقال آخر: يعزر، فعزر القائل، وقال آخر: يحبس، فحبس القائل.

أخبرني بذلك من حضر هذه المشورة، وهو كاره لها.

واجتمع جماعة آخرون بمصر، وقاموا في هذه القضية قياما عظيما، واجتمعوا بالسلطان، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك.

* * *

---

(١)لم أجده.

أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق

ولما كان يوم الإثنين بعد العصر السادس من شعبان من السنة المذكورة، حضر إلى الشيخ من جانب نائب السلطنة بدمشق مِشَدُّ الأوقاف، وابن خطير، أحد الحجاب (وأخبراه): أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون في القلعة، وأحضرا معهما مركوبا.

فأظهر الشيخ السرور بذلك، وقال: أنا كنت منتظرا ذلك، وهذا فيه خير عظيم.

وركبوا جميعا من داره إلى باب القلعة، وأخليت له قاعة حسنة وأجري إليها الماء، ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورسم له بما يقوم بكفايته.

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك، وبمنعه من الفتيا.

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له في فعل ما يقتضيه الشرع في أمرهم.

وأوذي جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعزز جماعة، ونودي عليهم، ثم أطلقوا، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية، فإنه حبس بالقلعة، وسكنت القضية.

* * *

وهذه صورة الفتيا ومواقعة البغاددة له وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على محمد وآله.

أما بعد: فهذه فتيا أفتى بها الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباسى أحمد ابن تيمية- رضي الله عنه.

ثم بعد مدة، نحو سبع عشرة سنة، أنكرها بعض الناس، وشنّع بها جماعة عند بعض ولاة الأمور، وذكرت بعبارات شنيعة ففهم منها جماعة غير ما هي عليه، وانضم إلى الإنكار والشناعة وتغير الألفاظ أمور، أوجب ذلك كله مكاتبة السلطان — سلطان الإسلام بمصر — أيده الله تعالى، فجمع قضاة بلده، ثم اقتضى الرأي حبسه، فحُبس بقلعة دمشق المحروسة، بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وفي ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم، ولا وقف على خطه الذي أنكر، ولا ادُّعي عليه بشيء.

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا، وأوقف عليها بعض علماء بغداد، فكتبوا عليها بعد تأملها، وقراءة ألفاظها.

وسُئل بعض مالكية دمشق عنها، فكتبوا كذلك، وبلغنا أن بمصر من وقف عليها فوافق.

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذي كتب عليه أهل بغداد، وبذكر الفتيا، وجواب الشيخ المذكور عليها، وجواب الفقهاء بعده.

وهذه صورة السؤال والأجوبة:

المسئول من إنعام السادة العلماء، والهداة الفضلاء، أئمة الدين، وهداة المسلمين، وفقهم الله لمرضاته، وأدام بهم الهداية، أن ينعموا ويتأملوا الفتوى وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه، وصورة ذلك:

ما يقول السادة العلماء، أئمة الدين، نفع الله بهم المسلمين، في رجل نوى السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، مثل نبينا محمد ﷺ وغيره، فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة؟، وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

"من حج ولم يزرني فقد جفاني"[١]، "ومن زارني بعد موتي، كمن زارني في حياتي"[٢] وقد روي عنه ﷺ (أيضا) أنه قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"[٣]. أفتونا مأجورين رحمكم الله.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين:

---

(١) له أصل وليس موضوعا: قال الحافظ العجلوني:
قال الصغاني كابن الجوزي : موضوع لكن ذكره بلفظ (من حج البيت) لكن قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس: أسنده عن ابن عمر، وهو عند ابن عدي وابن حبان في الضعفاء، وفي غرائب مالك للدارقطني، وفي الرواة عن مالك للخطيب قال الحافظ العجلوني: فلا ينبغي الحكم عليه بالوضع فتدبر.
انظر كشف الخفاء (٢/٣٢٠)- ح (٢٤٦٠)- التلخيص الحبير(٢/٢٦٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٥/٢٤٦).
والطبراني في الأوسط (٣/٣٥١)- ح (٣٣٧٦)، والكبير (١٢/٤٠٦)-ح(١٣٤٩٦)، والجندي في فضائل المدينة (١/٣٩)- ح(٥٢).
وانظر كشف الخفاء للعجلوني(٢/٣٢٨-٣٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (١/٣٩٨)- ح (١١٣٢) ومسلم (٢/١٠١٤)-ح(١٣٩٧).

أحدهما: وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية، كأبي عبد الله، وأبي الوفاء بن عقل، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين — أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر، لأنه سفر منهي عنه، ومذهب مالك والشافعي وأحمد: أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر[١] فيه.

والقول الثاني: أنه يقصر، وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم، كأبي حنيفة[٢]، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، كأبي حامد الغزالي، وأبي الحسن بن عبدوس الحراني، وأبي محمد بن قدامة المقدسي، وهؤلاء يقولون: إن هذا السفر ليس بمحرم، لعموم قوله ﷺ : "زوروا القبور"[٣].

وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث، بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله:

"من زارني بعد مماتي، فكأنما زارني في حياتي"، رواه الدارقطني[٤].

وأما ما ذكره بعض الناس من قوله: "من حج ولم يزرني فقد جفاني"[٥]، فهذا لم يروه أحد من العلماء، وهو مثل قوله:

"من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة"[٦].

فإن هذا أيضا باتفاق العلماء لم يروه أحد، ولم يحتج به أحد، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني ونحوه.

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جوار السفر لزيارة القبور بأنه ﷺ كان يزور مسجد

---

(١) انظر الشرح الكبير ومعه حاشية الدسوقي (٣٥٨/١) — الكافي لابن عبد البر (٤٣٩/١). شرح المهذب للنووي (٣٤٤/٤-٣٤٥).

(٢) انظر الهداية للميرغناني (٨٨/١).

(٣) أخرجه ابن ماجة (٥٠٠/١) — ح (١٥٦٩) والطبراني في الصغير (١١٨/٢)- ح (٨٨١). والأصبهاني في العظيمة (٢٩)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني (٥٣٤/١).

(٤) ضعيف : أخرجه الدارقطني في سننه (٢٧٨/٢) — برقم (١٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٨) — ح (٤١٥١) .
وانظر التلخيص الحبير (٢٦٦/٢) — كشف الخفاء (٣٢٩/٢)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ١٤٧).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) باطل لا أصل له: قال الهروي: قال ابن تيمية: إنه موضوع، وقال النووي: إنه باطل لا أصل له. انظر المصنوع (١٨٤/١). برقم (٣٣٦).

قباء.

وأجاب عن حديث "لا تشد الرحال" بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب.

وأما الأولون، فإنهم يحتجون بما في الصحيحين، عن النبي ﷺ أنه قال:

"لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"(١).

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به، فلو نذر أن يشد الرحل ليصلي بمسجد، أو مشهد، أو يعتكف فيه ويسافر إليه غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة.

ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام لحج أو عمرة، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء.

ولو نذر أن يأتى مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف، وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه، وأحمد، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجبا بالشرع.

أما الجمهور، فيوجبون الوفاء بكل طاعة، كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة- رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال:

"من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"(٢).

والسفر إلى المسجدين طاعة، فلهذا وجب الوفاء به.

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره، حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاثة، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة، لأن ذلك ليس بشد رحل، كما في الحديث الصحيح: "من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، لا يريد إلا الصلاة فيه، كان كعمرة"(٣).

قالوا: ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن

(١) تقدم تخرجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٦٣/٦) – ح (٦٣١٨).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٤٨/٥) – ح (١٠٠٧٥)، وابن ماجة (٤٥٣/١) – ح (١٤١٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٨/١-٣٤٩) – ح (٤٠١٦). والطبراني في الكبير (٧٥/٦) – ح (٥٥٥٩) . انظر كشف الخفاء للعجلوني (٣٦/٢) – برقم (١٦٠٨).

أعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة.

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع المخالفة للسنة والإجماع.

وبهذا (يظهر بطلان) حجة أبى محمد المقدسي، لأن زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل، ولأن السفر إليه لا يجب بالنذر.

وقوله: بأن الحديث الذي مضمونه "لا تشد الرحال" محمول على نفي الاستحباب، يجاب عنه بوجهين:

أحدهما – أن هذا – إن سلم فيه: أن هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قربة ولا طاعة، ولا هو من الحسنات، فإذا من أعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أن ذلك طاعة، كان ذلك محرما بإجماع المسلمين، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة، ومعلوم أن أحدا لا يسافر إليها إلا لذلك.

وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب.

الوجه الثاني: أن هذا الحديث يقتضي النهي، والنهي يقتضي التحريم، وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة، باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها، بل مالك – إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة، كره أن يقول الرجل: زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم، أو مشروعا، أو مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم أهل المدينة.

والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسُنة، لما سُئل عن ذلك، لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث، إلا حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

"ما من رجل مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام"[1].

وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه[2].

وكذلك مالك في الموطأ، روي عن عبد الله بن عمر:

"أنه كان إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩٠-٤٩١) – ح (٤١٦١).

وانظر كشف الخفاء للعجلوني (٢/٢٥٣) – تحفة المحتاج (٢/١٩٠) – التلخيص الحبير(٢/٢٦٧).

(٢) الحديث (٢٠٤١) – من حديث أبي هريرة.

السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف".

وفي سنن أبي داود، عن النبي ﷺ أنه قال:

"لا تتخذوا قبري عيدا، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم"[١].

وفي سنن سعيد بن منصور: "أن عبد الله بن حسن بن علي بن أبى طالب رأى رجلا يختلف إلى قبر النبي ﷺ، فقال له: إن رسول الله ﷺ قال: "لا تتخذوا قبرى عيدا، وصلوا علي، فإن صلاتكم حيثما كنتم تبلغني" فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء".

وفي الصحيحين عن عائشة: عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته:

"لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما فعلوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدا"[٢].

وهم دفنوه ﷺ في حجرة عائشة – رضي الله عنها – خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء، لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذه مسجدا، فيتخذ قبره وثنا".

وكان الصحابة والتابعون – لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد، إلى زمن الوليد بن عبد الملك، لا يدخل أحد إليه، لا لصلاة هناك، ولا تمسح بالقبر، ولا دعاء هناك، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه في المسجد.

وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا على النبي ﷺ، وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة، ولم يستقبلوا القبر.

وأما الوقوف للسلام عليه، صلوات الله عليه وسلامه، فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة أيضا، ولا يستقبل القبر.

وقال أكثر الأئمة: يستقبل القبر عند الدعاء.

وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة، تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها: واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ، ولا يقبله.

وهذا كله محافظة على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/٤٩) – ح (٤٢٨).

وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/١٥٠) – ح (٧٥٤٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٥٧٧) – ح (٦٧٢٦) والإمام أحمد في مسنده (٢/٣٦٧) – ح (٨٧٩٠)، وأبو يعلى في مسنده (١/٣٦١) – ح (٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).

﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾(نوح:٢٣).

قالوا: "هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا على صورهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها".

وقد ذكر البخاري في صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس.

وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف وذكره وثيمة وغيره في قصص الأنبياء، من عدة طرق.

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع.

وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور: أهل البدع من الرافضة ونحوهم، الذين يعطلون المساجد، ويعظمون المشاهد، يدعون بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه، ويعبد وحده لا شريك له، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا، فإن الكتاب والسنة، إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: من الآية٢٩].

وقال تعالى:﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة: من الآية١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة: من الآية١٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ [البقرة: من الآية١١٤].

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح: أنه كان يقول:

"إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك"[1].

هذا آخر ما أجاب به شيخ الإسلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وله من الكلام في مثل هذا كثير، كما أشار إليه في الجواب.

ولما ظفروا في دمشق بهذا الجواب كتبوه، وبعثوا به إلى الديار المصرية وكتب عليه قاضي الشافعية:

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧٧/١) – ح (٥٣٢).

قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية، فصح — إلى أن قال: وإنما (المحرف) جعله: زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية بالإجماع مقطوع بها.

هذا كلامه، فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الإسلام، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما ذكر فيه قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى.

والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها، ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة في الفتيا، ولا قال: إنها معصية، ولا حُكي الإجماع على منع منها، والله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية.

ولما وصل خط القاضي المذكور إلى الديار المصرية، كثر الكلام وعظمت الفتنة، وطلب القضاة بها، فاجتمعوا وتكلموا، وأشار بعضهم بحبس الشيخ، فرسم السلطان به وجرى ما تقدم ذكره.

ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها في هذا الموضع.

انتصار علماء بغداد للشيخ في مسألة شدّ الرحال للقبور

وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد، فقاموا في الانتصار له، وكتبوا بموافقته، ورأيت خطوطهم بذلك.

وهذا صورة ما كتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى: بعد حمد الله السابغة نعمه، السابقة مننه، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنه حيث قد منّ الله تعالى على عباده، وتفضل برحمته على بلاده بأن وسد أمور الأمة المحمدية، وأسند أزمّة الملة الحنيفية، إلى من خصصه الله تعالى بأفضل الكمالات النفسانية، وخصص بأكمل السعادات الروحانية، محيي سنن العدل، ومبدي سنن الفضل المعتصم بحبل الله، المتوكل على الله، المكتفي بنعم الله، القائم بأوامر الله، المستظهر بقوة الله، المستضيء بنور الله، أعز الله سلطانه، وأعلى على سائر الملوك شانه، ولازالت رقاب الأمم خاضعة لأوامره، وأعناق العباد طائعة لمراسمه، ولازال موالي دولته بطاعته مجبورا، ومعادي صولته

بخزيه مذموما مدحورا.

فالمرجو من ألطاف الحضرة المقدسة — زادها الله تعالى علوا وشرفا — أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وصفوة الأصفياء، وعماد الدين ومدار أهل اليقين، حظ من المناية السلطانية وافر، ونصيب من الرحمة والشفقة، فإنها منقبة لا يعادلها فضيلة، وحسنة لا يحيطها سيئة، لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى.

ولا ريب أن المملوك وقف على ما (سئله) الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية، وما أجاب به.

فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسب ما اقتضاه الحال من نقله الصحيح وما أدى إليه البحث من الإلزام والالتزام، لا يداخله تحامل، ولا يعتريه تجاهل، وليس — فيه والعياذ بالله — ما يقتضي الإزراء والتنقيص بمنزلة الرسول ﷺ.

وكيف يجوز للعلماء أن يحملهم العصبية: أن يتفوهوا بالإزراء والتنقيص في حق الرسول ﷺ؟

وهل يجوز أن يتصور منصور: أن زيارة قبره ﷺ تزيد في قدره، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه؟

حاشا للرسول من ذلك.

نعم لو ذكر ذاكر ابتداء، وكان هناك قرائن تدل على الإزراء والتنقيص، أمكن حمله على ذلك، مع أنه كان يكون كناية لا صريحا فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدل؟

مع أن المفهوم من كلام العلماء، وأنظار العقلاء: أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجردها، حتى لو حلف: أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها.

لكن القاضي ابن كجٍّ – من متأخري أصحابنا — ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها.

وهو منفرد به، لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح.

والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله ﷺ.

"لا تشد الرحال.. إلى آخره" أنه لا يجوز شد الرحال إلى غير ما ذكر أو وجوبه، أو ندبيته، (فإن فعله) كان مخالفا لصريح النهي، ومخالفة النهي معصية — إما كفر، أو غيره — على قدر المنهي عنه ووجوبه، وتحريمه، وصفة النهي والزيارة أخص من وجه، فالزيارة بغير شد غير منهي عنها، ومع الشد منهي عنها.

وبالجملة، فما ذكره الشيخ تقي الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه، لم يستحق عليه عقابا، ولا يوجب عتابا.

والمراحم السلطانية أحرى بالتوسعة عليه، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه وللآراء الملكية علو المزيد.

حرره ابن الكتبي الشافعي، حامدا الله على نعمه .ا.هـ

جواب آخر

الله الموفق.

ما أجاب به الشيخ الأجل الأوحد، بقية السلف، وقدوة الخلف، رئيس المحققين، وخلاصة المدققين، تقي الملة والحق والدين.

من الخلاف في هذه المسألة: صحيح منقول في غير ما كتاب من كتاب أهل العلم، لا اعتراض عليه في ذلك، إذ ليس في ذلك ثلب لرسول الله ﷺ ولا غض من قدره ﷺ .

وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في إكماله، وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا.

ومن المدونة ومن قال: على المشي إلى المدينة، أو بيت المقدس، فلا يأتيهما أصلا إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما، فليأتهما؟

فلم يجعل نذر قبره ﷺ طاعة يجب الوفاء بها، إذ من أصلنا: أن من نذر طاعة لزمة الوفاء بها، كان من جنسها ما هو واجب بالشرع، كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن.

قال القاضي أبو إسحق إسماعيل بن إسحاق، عقيب هذه المسألة، ولولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما، ولو كان نذر زيارة طاعة لما لزمه ذلك.

وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه، والشيخ ابن سيرين في تنبيهه.

وفي المبسوط قال مالك: ومن نذر المشي إلى مسجد من المساجد ليصلي فيه قال: فإني أكره ذلك له، لقوله ﷺ : "لا تعمل المطي، إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس، ومسجدي هذا".

وروى محمد بن المواز في الموازية: إلا أن يكون قريبا، فيلزمه الوفاء لأنه ليس بشد رحل.

وقد قال الشيخ أبو عمرو بن عبد البر في كتابه "التمهيد": يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة بأنه سفر منهي عنه إلى الكفر، فمن كفره بذلك من غير موجب، فإن كان مستبيحا ذلك فهو كافر، وإلا فهو فاسق.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن على المازري، في كتاب "المعلم": من كفر أحدا من أهل القبلة فإن كان مستبيحا ذلك فقد كفر، وإلا فهو فاسق، يجب على الحاكم إذا رفع أمره إليه أن يؤدبه، ويعزره بما يكون رادعا لأمثاله، فإن ترك مع القدرة عليه، فهو آثم، والله تعالى أعلم.أ.هـــ

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي، الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية، رحمة الله على منشئها.

أجاب غيره فقال

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين.

ما ذكره مولانا الإمام العالم العامل، جامع الفضائل والفوائد، بحر العلوم ومنشأ الفضل جمال الدين، كاتب خطه أمام خطي هذا جمَّل الله به الإسلام، وأسبغ عليه سوابغ الإنعام، أتى فيه بالحق الجلى الواضح، وأعرض فيه عن إغضاء المشايخ، إذ السؤال والجواب اللذان تقدماه، لا يخفى على ذي فطنة وعقل، أنه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه، ولم يبق عليه في ذلك إلا أن يعترضه معترض في نقله، فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم، والمعترض له بالتشنيع، إما جاهل لا يعلم ما يقول، أو متجاهل يحمله حسده وحمية الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول. أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد، وعصمنا من مخائل النكد، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورضوانه، عبد المؤمن بن عبد الخالق الخطيب غفر الله له وللمسلمين أجمعين.

وأجاب غيره فقال

بعد حمد الله الذي هو فاتح كل كلام، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أعلام الهدى ومصابيح الظلام.

يقول أفقر عباد الله، وأحوجهم إلى عفوه: ما حكاه الشيخ الإمام البارع الهمام، افتخار الأنام، جمال الإسلام، ركن الشريعة، ناصر السنة، قامع البدعة، جامع أشتات الفضائل، قدوة العلماء الأماثل، في هذا الجواب من أقوال العلماء، والأئمة النبلاء — رحمة الله عليهم

أجمعين – بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، بل أوضح من النيرين، وأظهر من فلق الصبح لذى عينين، والعمدة في هذه المسألة: الحديث المتفق على صحته ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته.

وذلك: أن صيغة قوله ﷺ . "لا تشد الرحال" ذات وجهين، نفي ونهي، لاحتمالها لهما، فإن لحظ معنى النفي (فمقتضاه): نفي فضيلة واستحباب شد الرحال، وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة إذ لو فرض وقوعهما لامتنع رفعهما، فتعين توجه النفي إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما، وهذا عام في كل ما يعتقد أن إعمال المطي وشد الرحال إليه قربة وفضيلة: من المساجد وزيارة قبور الصالحين، وما جرى هذا المجرى، بل أعم من ذلك وإثبات ذلك بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفي المقدر في صدر الجملة لما بعد "إلا" وإلا لما افترق الحكم بين ما قبلها وما بعدها، وهو مفترق حينئذ لا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الإباحة، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر، بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفي، وبنى على ذلك جواز القصر.

وإن كان النهي ملحوظا، فالمعنى نهيه عن أعمال المطي وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاض بتحريمه أو كراهته، على حسب مقتضى الأدلة، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر، لكونه منهيا عنه، وممن قال بحرمته: الشيخ الإمام أبو محمد الجويني من الشافعية، والشيخ أبو الوفاء بن عقيل من الحنابلة، وهو الذي أشار القاضي عياض من المالكية إلى اختياره.

وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور، فمحمول على ما لم يكن فيه شد رحل وإعمال مطي، جمعا بينهما.

ويحتمل أن يقال: لا يصلح أن يكون غير حديث "لا تشد الرحال" معارضا له، لعدم مساواته إياه في الدرجة، لكونه من أعلى أقسام الصحيح، والله أعلم.

وقد بلغني أن رزئ وضيق على المجيب، وهذا أمر يحار فيه اللبيب ويتعجب منه الأريب، ويقع به في شك مريب.

فإن جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء، وليس حاكما بالغضّ من الصالحين والأنبياء، فإن الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على صحة رفعه إليه، هو الغاية القصوى في تتبع أوامره ونواهيه، والعدول عن ذلك محذور، وذلك مما لا مرية فيه.

وإذا كان كذلك فأي حرج على من سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ومال

فيها إلى بعض أقوال العلماء؟ فإن الأمر لم يزل كذلك على ممر العصور، وتعاقب الدهور. وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء الهوى المفضي بصاحبه إلى التّوى. فإن من يقتبس من فوائده، ويلتقط من فرائده، لحقيق بالتعظيم، وخليق بالتكريم، ممن له الفهم السليم، والذهن المستقيم، وهل حكم الظاهر عليه في الظاهر، إلا كما قيل في المثل السائر، وقول الشاعر: الشعير يؤكل ويذم:

جزى بنوه الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

غيره

وحديث ألذه، وهو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق رائع، ويلحن أحيانا، وخير الحديث ما كان لحنا

وقال الله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة: من الآية٢).

وقال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: من الآية٨).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(الأحزاب:٧٠-٧١).

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: من الآية٤٠).

ولولا خشية الملالة، لما نكبت عن الإطالة

نسأل الله الكريم أن يسلك بنا وبكم سبيل الهداية، وأن يجنبنا وإياكم مسلك الغواية، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين، محمد النبي وآله الطاهرين وأصحابه الكرام المنتخبين.

هذا جواب الشيخ الإمام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام بن البتي الحنبلي — رحمه الله تعالى.

قال المؤلف: ومن خطه نقلت.

جواب آخر لبعض علماء أهل الشام المالكية

الحمد لله، وهو حسبي.

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع، وأما من سافر إلى مسجد النبي ﷺ ،

ليصلي فيه ويسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه – رضي الله عنهما – فمشروع، كما ذكر باتفاق العلماء.

وأما لو قصد إعمال المطي لزيارته ﷺ ، ولم يقصد الصلاة، فهذا السفر فيه خلافا للعلماء: وأن منهم من قال: إنه منهي عنه، ومنهم من قال: إنه مباح، وأنه على القولين ليس بطاعة ولا قربة، فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حراما بالإجماع، وذكر حجة كل قول منهما، أو رجح أحد القولين، لم يلزمه ما يلزم من تنقص، إذا لا تنقص في ذلك ولا إزراء بالنبي ﷺ .

وقد قال مالك – رحمه الله – لسائل سأله: إنه نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال: إن كان أراد مسجد النبي ﷺ فليأته وليصل فيه، وإن كان أراد القبر فلا يفعل، للحديث الذي جاء "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد"(١). والله أعلم.

كتبه أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي.

كذلك يقول عبد الله بن أبي الوليد المالكي.

قال المؤلف – رحمه الله -: نقلت هذه الأجوبة كلها من خط المفتين بها.

قال: ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد، وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الملة الإسلامية، ومعز الشريعة المحمدية، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية، المالكية، الناصرية، ألبسها الله تعالى لباس العز المقرون بالدوام، وحلاها بحلية النصر المستمر بمرور الليالي والأيام، والصلاة والسلام على النبي المبعوث إلى جميع الأنام، صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام.

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحا للسائلين، ورفدك ما برح مبذولا للوافدين، من عودته مسألتك وحدك، لم يسأل أحدا سواك، ومن منحته منائح رفدك، لم يفد على غيرك. ولم يحتم إلا بحماك، أنت الرب العظيم الكريم الأكرم، قصد باب غيرك على عبادك محرم، أنت الذي لا إله غيرك، ولا معبود سواك، وعز جارك وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك، وعظم

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٧) – ح (٢٧٧٢)، والنسائي في الكبرى (١/٥٤٠) – ح (١٧٥٤)، والإمام مالك في الموطأ (١/١٠٨-١٠٩)- ح (٢٤١) والإمام أحمد في مسنده (٧١٦) – ح (٢٣٨٩٩)، والحميدي في مسنده (٢/٤٢١) – ح (٩٤٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٨١٢)- ح (١٠٠١). والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٩١-٩٢) – ح (٢٩٧٥).

بلاؤك، ولا إله غيرك، ولم تزل سنتك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك، تفضلا منك عليهم، وإحسانا من لدنك إليهم، ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكرا، ولإنعامك في جميع التقلبات شكرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

اللهم وأنت العالم الذي لا تعلم، وأنت الكريم الذي لا تبخل، قد علمت يا عالم السر والعلانية، أن قلوبنا لم تزل ترفع إخلاص الدعاء صادقة، وألسنتنا في حالتي السر والعلانية ناطقة، أن تسعفنا/ بإمداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية الناصرية بمزيد العلا والرفعة والتمكين، وأن تحقق آمالنا فيها بإعلاء الكلمة في ذلك، برفع قواعد دعائم الدين، وقمع مكايد الملحدين، لأنها الدولة التي برئت من غشيان الجنف والحيف وسلمت من طغيان القلم والسيف.

والذي ينطوي عليه ضمائر المسلمين، ويشتمل عليه سرائر المؤمنين: أن السلطان الملك الناصر للدين ممن قال فيه رب العالمين، وإله السموات والأرضين: الذي بتمكينه في أرضه حصل التمكين لملوك الأرض وعظماء السلاطين، في كتابه العزيز الذي يتلى، فمن شاء فليتدبر:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (الحج: من الآية٤١)، وهو ممن مكنه الله تعالى في الأرض تمكينا، يقينا لا ظنا، وهو من يعنى بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: من الآية٥٥).

والذي عهده المسلمون، وتعوده المؤمنون، من المراحم الكريمة، والعواطف الرحيمة، إكرام الدين، وإعظام علماء المسلمين.

والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة – وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة – قوله ﷺ .

"الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

وقوله ﷺ : "الأعمال بالنيات"[(١)]، فهذان الحديثان مشهوران بالصحة، ومستفاضان في الأمة.

ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل، والإمام المكرم النبيل، أوحد الدهر وفريد العصر، طراز المملكة الملكية، وعلم الدولة السلطانية، لو أقسم مقسم بالله العظيم القدير أن هذا الكبير، ليس له في عصره مماثل ولا نظير، لكانت يمينه برة، غنية عن التكفير، وقد خلت من وجود مثله السبع الأقاليم، إلا هذا الإقليم، يوافق على ذلك كل منصف جُبل على الطبع السليم، ولست بالثناء عليه أطريه، بل أطنب مطنب في مدحه والثناء عليه، لما أتى على بعض الفضائل التي هي فيه: أحمد ابن تيمية، درة يتيمة يتنافس فيها، تشترى ولا تباع، ليس في خزائن الملوك درة تماثلها وتواخيها، انقطعت عن وجود مثله الأطماع.

لقد أصمّ الأسماع، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع، سماع رفع أبي العباس — أحمد ابن تيمية — إلى القلاع.

وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه، إلا أنه يكون أمرا قد لبس عليه، ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه، والتطويل على الحضرة العالية لا يليق، أن يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق، قد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه في هذا الزمان، منصب يوسف الصديق، صلى الله على نبينا وعليه، لما صرف الله وجوه أهل البلاد إليه حين أمْحلت البلاد، واحتاج أهلها إلى (القوت) المدخر لديه، والحاجة بالناس الآن إلى قوت الأرواح المشار في ذلك الزمان إليها، لإخفاء أنها للعلوم الشريفة، والمعاني اللطيفة.

وقد كانت في بلاد المملكة السلطانية، حرسها الله تعالى تكل إلينا جزافا بغير أثمان منحة عظيمة من الله للسلطان، ونعمة جسيمة، إذ خص بلاد مملكته، وإقليم دولته، بما لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان، وكان قد وفَد الوافدون من سائر الأمصار، إلى تلك الديار، فوجدوا صاحب صواع الملك قد رفع القلاع، ومثل هذه الميرة لا توجد في غير تلك البلاد لتشترى أو تباع، فصادف ذلك جدب الأرض ونواحيها جدبا أعطب أهاليها، حتى صاروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات كالأموات، والذي عرض للمالك بالتضييق على صاحب صواعه، مع شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح، لعله لم يتحقق عنده أن هذا الإمام من أكابر الأولياء، وأعيان أهل الصلاح، وهذه نزعة من نزعات الشيطان، قال الله سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

مُبِينًا﴾ (الاسراء:٥٣).

وأما إزراء بعض العلماء عليه في فتواه، وجوابه عن مسألة شد الرحال إلى زيارة القبور، فقد حمل جواب علماء هذه البلاد إلى نظرائهم من العلماء، وقرنائهم من الفضلاء، وكلهم أفتى: أن الصواب في الذي به أجاب، والظاهر بين الأنام، إن إكرام هذا الإمام، ومعاملته بالتبجيل والاحترام فيه قوام الملك، ونظام الدولة، وإعزاز الملة، واستجلاب الدعاء، وكبت الأعداء، وإذلال أهل البدع والأهواء، وإحياء الأمة وكشف الغمة، ووفور الأجر، وعلو الذكر، ورفع الباس، ونفع الناس، ولسان حال المسلمين، نال قول الكبير المتعال: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف:٨٨).

والبضاعة المزجاة هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام، والميرة المطلوبة: هي الإفراج عن شيخ الإسلام، والذي حمل على هذا الإقدام قوله عليه السلام: "الدين النصيحة" والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الكرام، وسلم تسليمًا.

هذا آخر هذا الكتاب.

قال المؤلف: ووقفت على كتاب آخر من بغداد أيضا، صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

اللهم فكما أيدت ملوك الإسلام، وولاة الأمور، بالقوة والأيد، وشيدت لهم ذكرا، وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذخرا، وللمكسور العائذ بأكناف بابهم جبرا، فاشدد اللهم منهم بحسن معونتك لهم أزرا، واعل لهم مجدا وارفع قدرا، وزدهم عزا وزودهم على أعدائك نصرا، وامنحهم توفيقا مسددا، وتمكينا مستمرا.

وبعد فإنه لما قرع أسماع أهل البلاد المشرقية، والنواحي العراقية التضييق على شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس — أحمد ابن تيمية — سلمه الله، عظم ذلك على المسلمين، وشق على ذوي الدين، وارتفعت رءوس الملحدين، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية، عظم هذه النازلة من شماتة أهل البدع وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل، وأئمة العلماء، أنهوا حال هذا الأمر الفظيع والأمر الشنيع، إلى الحضرة الشريفة السلطانية، زادها الله شرفا، وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب الشيخ — سلمه الله في فتاويه — وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه، وحملوا ذلك إلى بين يدي مولانا ملك

الأمراء، أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره، غيرة منهم على هذا الدين، ونصيحة للإسلام وأمراء المؤمنين.

والآراء المولوية العالية، أولى بالتقديم، لأنها ممنوحة بالهداية إلى الصراط المستقيم.

وأفضل الصلاة وأشرف التسليم، على النبي الأمي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا.

وفاة الشيخ رحمه الله بالقلعة وما كتب بها قبل موته

ثم إن الشيخ – رحمه الله تعالى – بقي مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما، ثم توفي إلى رحمة الله ورضوانه، وما برح في هذه المدة مكبا على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين.

وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة، تشتمل على نفائس جليلة ونكتا دقيقة ومعاني لطيفة، وبين في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير.

وكتب في المسألة التي حبس بسببها عدة مجلدات:

منها: كتاب في "الرد على ابن الإخنائي" قاضي المالكية بمصر، تعرف "بالإخنائية"، ومنها كتاب كبير حافل في الرد على بعض قضاة الشافعية، وأشياء كثيرة في هذا المعنى أيضا.

وفاة الشيخ عبد الله أخي الشيخ

وفي هذه المدة التي كان الشيخ فيها بالقلعة توفي أخوه الشيخ الإمام العالم العلامة، البارع، الحافظ، الزاهد، الورع، جمال الإسلام، شرف الدين، أبو محمد عبد الله، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وصلي عليه ظهر اليوم المذكور بجامع دمشق، وحمل إلى باب القلعة، فصلي عليه مرة أخرى، وصلى عليه أخواه وخلق من داخل القلعة، وكان الصوت بالتكبير يبلغهما، وكثر البكاء في تلك الساعة، وكان وقتا مشهودا.

ثم صلي عليه مرة ثالثة ورابعة، وحمل على الرءوس والأصابع إلى مقبرة الصوفية، فدفن بها، وحضر جنازته جمع كبير، وعالم عظيم، وكثر الثناء والتأسف عليه.

وكان – رحمه الله – صاحب صدق وإخلاص، قانعا باليسير، شريف النفس، شجاعا مقداما مجاهدا، بارعا في الفقه، إماما في النحو، مستحضرا لتراجم السلف ووفياتهم، له في ذلك يد طولى، عالما بالتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وكان رحمه الله شديد الخوف والشفقة على أخيه شيخ الإسلام.

وكان يخرج من بيته ليلا، ويرجع إليه ليلا، ولا يجلس في مكان معين، بحيث يقصد فيه، ولكنه يأوي إلى المساجد المهجورة، والأماكن التي ليست بمشهورة.

وكان كثير العبادة والتأله والمراقبة والخوف من الله، ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه ووفاته.

ومولده في اليوم الحادى عشر من المحرم سنة ست وستين وستمائة بحران.

وسمع من ابن أبي اليسر، والجمال عبد الرحمن البغدادي، وابن الصيرفي، والشيخ شمس الدين، وابن البخاري وخلق كثير.

وحدث وسمع الكتب الكبار.

وقد سئل عنه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، فقال: هو بارع في فنون عديدة في الفقه والنحو والأصول، ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم، حسن العبادة، قوي في دينه، جيد التفقه، مستحضرا لمذهبه استحضارا جيدا، مليح البحث، صحيح الذهن، قوي الفهم.

معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة

قلت: ومازال الشيخ تقي الدين – رحمه الله – في هذه المدة معظما مكرما، يكرمه نقيب القلعة ونائبها إكراما كثيرا، ويستعرضان حوائجه ويبالغان في فضائلها.

وكان ما صنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده، وكتبه بعض أصحابه، واشتهر، وظهر.

فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب ولا ورقة، ولا دواة، ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه يكتبها بِفحمٍ، وقد رأيت أوراقا عدة بعثها إلى أصحابه، وبعضها مكتوب بفحم، منها ورقة يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونحن لله الحمد والشكر في نعم متزايدة متوافرة، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الإسلام، وهو من نعم الله العظام. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح:٢٨)، فإن الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله، الذي بعث به رسله، وأنزل كتبه.

ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

والذي سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد ﷺ وحده بل مخالفة لدين جميع المرسلين: إبراهيم، وموسى والمسيح، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين.

وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب، وجزعوا من ظهور "الإخنائية" فاستعملهم الله تعالى حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم، وألزمهم بتفتيشه ومطالعته، ومقصودهم إظهار عيوبه، وما يحتجون به، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم، وظهر لهم جهلهم وكذبهم وعجزهم، وشاع هذا في الأرض، وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يظهروا علينا فيه عيبا في الشرع والدين، بل غاية ما عندهم: أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين، والمخلوق كائنا من كان، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله، لم يجب، بل ولا يجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين.

وقول القائل: إنه يظهر البدع، كلام يظهر فساده لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس، فإن الذي يظهر البدعة، إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك، وهو أولى بالجهل بسنة الرسول، واتباع هواهم بغير هدى من الله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية١٨-١٩).

وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ثم ذكر الشيخ في الورقة كلاما، لا يمكن قراءة جميعه، لانطماسه.

وقال بعده:

وكانوا يطلبون تمام الإخنائية، فعندهم ما يطمهم أضعافها، وأقوى فقها منها، وأشد مخالفة لأغراضهم، فإن الزملكانية قد بين فيها من نحو خمسين وجها: أن ما حكم به ورسم به، مخالف لإجماع المسلمين وما فعلوه — لو كان ممن يعرف ما جاء به الرسول، ويتعمد مخالفته — لكان كفرا وردة عن الإسلام، لكنهم جهال دخلوا في شيء ما كانوا يعرفونه، ولا ظنوا أنه يظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم والأمر أعظم مما ظهر لكم، ونحن ولله الحمد، على عظيم الجهاد في سبيله.

ثم ذكر كلاما وقال: بل جهادنا في هذا مثل جهادنا يوم قازان، والجبلية، والجهمية، والاتحادية، وأمثال ذلك، وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

* * *

ومنها ورقة قال فيها:

ورقة أخرى مما كتبه الشيخ في السجن

ونحن ولله الحمد والشكر، في نعم عظيمة، تتزايد كل يوم، ويجدد الله تعالى من نعمه نعما أخرى، وخروج الكتب كان من أعظم النعم، فإني كنت حريصا على خروج شيء منها، لتقفوا عليه، وهم كرهوا خروج الإخنائية، فاستعملهم الله تعالى في إخراج الجميع، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق.

فإن هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس، فإذا ظهرت (لمن) كان قصده الحق هداه الله، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله، واستحق أن يذله الله ويخزيه.

وما كتب شيئا من هذا ليكتم عن أحد، ولو كان مبغضا، والأوراق التي فيها جواباتكم غسلت.

وأنا طيب وعيناى طيبتان أطيب ما (كانت).

ونحن في نعم عظيمة لا تحصى ولا تعد، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

ثم ذكر كلاما، وقال:

كل ما يقضيه الله تعالى ففيه الخير والرحمة والحكمة، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو القوي العزيز العليم الحكيم، ولا يدخل على أحد ضرر إلا من ذنوبه.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء:٧٩).

فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائما على كل حال، ويستغفر من ذنوبه، فالشكر يوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم، ولا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له "إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له"[(١)].

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده بأكثر من ثلاثة أشهر: في شهر شوال، قبل وفاته بنحو شهر ونصف.

ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق، حمل إلى القاضي علاء الدين القونوي، وجعل تحت يده المدرسة العادلية.

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين.

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين، أو إحدى وثمانين ختمة، انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

٥٤-٥٥)، ثم كملت عليه بعد وفاته، وهو مسجى.

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء، يختم في عشرة أيام، هكذا أخبرني أخوه زين الدين.

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما، وأكثر الناس ما علموا بمرضه، فلم يفاجأ الخلق إلا نعيه، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن، ودخل إليه أقاربه وأصحابه وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق وصلوا عليه، وحمل على الرءوس، رحمه الله ورضي عنه.

ما كتبه العلماء في وفاة الشيخ

قال الشيخ علم الدين: وفي ليلة الاثنين، لعشرين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه، الحافظ الزاهد القدوة، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد، ابن شيخنا الإمام المفتي، شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم، ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي بقلعة دمشق التي كان محبوسا فيها.

وحضر جمع إلى القلعة، فأذن لهم في الدخول، وجلس جماعة قبل الغسل، وقرأوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا.

وحضر جماعة من النساء (ففعلن) مثل ذلك ثم (انصرفن).

واقتصر على من يغسله ويعين في غسله، فلما فرغ من ذلك أخرج، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه، والكلاسة وباب البريد، وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة.

وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار، أو نحو ذلك، ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلي عليه أولا بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام، ثم صلي عليه بجامع دمشق، عقيب صلاة الظهر، وحمل من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك وصار النعش على الرءوس، تارة يتقدم وتارة يتأخر، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام، وكل باب أعظم زحمة من الآخر.

ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام، لكن كان المعظم من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة، ومن باب الفراديس، ومن باب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل.

وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن، وحمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله — رحمهما الله — وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير.

وغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، أو من (أعجزه) الزحام.

وحضرها نساء كثير بحيث (حُزرن) بخمسة عشر ألفا، وأما الرجال فحزروا بستين ألفا وأكثر، إلى مائتي ألف، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به.

وقيل: عن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم، وقيل: إن الخيط الذي فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء وتضرع، وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد.

وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا، ورؤيت له منامات كثيرة صالحة ورثاه جماعة بقصائد جمة.

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول، بحران سنة إحدى وستين وستمائة.

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبد الدايم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، والفخر علي، وابن شيبان، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكي، وخلق كثير.

وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطباق والإثبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، واشتغل بالعلوم.

وكان ذكيا كثير المحفوظ، فصار إماما في التفسير، وما يتعلق به، عارفا بالفقه، واختلاف العلماء، والأصول، والنحو، واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما تكلم معه فاضل في فن إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفا به متقنا له.

وأما الحديث فكان حافظا له مميزا بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله، متضلعا من ذلك.

وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الفروع والأصول كمل منها جملة وبيضت، وكتبت عنه، وجملة كثيرة وجملة كملها ولكن لم تبيض.

وأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره مثل القاضي الخُوَى، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، وابن الزملكاني، وغيرهم.

ووجدت بخط الشيخ جمال الدين بن الزملكاني: أنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات الثلاثة من نظمه، وهي:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وهذا الثناء عليه، وكان عمره نحو الثلاثين سنة.

وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر، وسماع الحديث والطلب من نحو خمسين سنة، وله فضائل كثيرة.

وأسماء مصنفاته وسيرته، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات، وأحواله: لا يحتمل ذكرها جميعها هذا الكتاب.

ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز الشريف، وبلغنا خبره بعد موته بأكثر من خمسين يوما، لما وصلنا إلى تبوك، وحصل التأسف لفقده -رحمه الله تعالى-.

قلت: وقد قيل: إن الخلق الذين حضروا جنازة الشيخ كانوا أزيد مما ذكر.

ومن الجنائز العظيمة في الإسلام: جنازة الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فإن الذين حضروه وصلوا عليه، كانوا أكثر من ألف ألف إنسان.

وقد قال الإمام أبو عثمان الصابوني: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني. فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا وقال: سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

قال أبو عبد الرحمن، على إثر هذه الحكاية: إنه حزر الحزار أن المصلين على جنازة أحمد، فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف، سوى الذين كانوا في السفن.

وقد وجد بخط الشيخ أبيات، قالها بالقلعة، وهي:

أنا الفقير إلى رب السموات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير، إن جاءنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس في دفع المضرات
وليس لي دونه مولى يدبرني ... ولا شفيع إلى رب البريات
إلا بإذن من الرحمن خالقنا ... رب السماء كما قد جاء في الآيات
ولست أملك شيئا دونه أبدا ... ولا شريك أنا في بعض ذراتي
ولا ظهير له كيما أعاونه ... كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له آتي
فمن بغى مطلبا من دون خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملء الكون أجمعه ... ما كان منه، وما من بعده يأتي
ثم الصلاة على المختار من مضر ... خير البرية من ماض ومن آتي

وله أيضا:

إن لله علينا أنعما ... يعجز الحصر عن العد لها
فله الحمد على أنعمه ... وله الحمد على الشكر لها

وقد مُدح الشيخ – رحمه الله – بقصائد كثيرة في حياته، ورثي بأكثر منها بعد وفاته.

فمن القصائد التي مدح بها: قصيدة نجم الدين إسحق بن أبي بكر بن ألمى التركي وهي:

ذراني من ذكرى سعاد وزينب ... ومن ندب أطلال اللوى والمحصب
ومن مدح آرام سَنَحْن برامة ... ومن غزل في وصف سرب وربرب
ولا تنشداني غير شعر إلى العلا ... يظل ارتياحا يزهدني ويطبي
وإن أنتما طارحتماني، فليكن ... حديثكما في ذكر مجد ومنصب
بحب الأعالي، لا بحب أم جندب ... أقضي لبانات الفؤاد المعذب
خلقت امرءا جلدا على حمل الهوى ... فلست أبالي بالقلى والتجنب
سواء أرى للوصل تعريض جؤذر ... وإعراض ظبي ألمس الثغر أشنب
ولم أصب في عصر الشبيبة والصبا ... فهل أصبون كهلا بلمّة أشيب؟
يعنفني في بغيتي رتب العلا ... جهول، أراه راكبا غير مركبي
له همة دون الحضيض محلها ... ولي همة تسمو على كل كوكب

فلو كان ذا جهل بسيط عذرته ... ولكنه يدلي بجهل مركب
يقول: علام اخترت مذهب أحمد ... فقلت له: إذ كان أحمد مذهب
وهل في ابن شيبان مقال لقائل ... وهل فيه من طعن لصاحب مضرب؟
أليس الذي قد طار في الأرض ذكره ... فطبقها، ما بين شرق ومغرب؟
إمام الهدى الداعي إلى سنن الهدى ... وقد فاضت الأهواء من كل مسغب
أتوا بعظيم الإفك، وانتصروا له ... بكل مقال بالدليل مكذب
وقالوا: كلام الله خلقا، وكذبوا ... بما صح نقلا عن أبي ومصعب
وأصبح أهل الحق بين معاقب ... وبين معد للأذى مترقب
فقام بما يوهي ثبيرا ويذبلا ... قيام هزبر للفريسة مغضب
ولم ينته عنهم، ولما يصده ... عقوبة ذي ظلم، وجور معذب
إلى أن بدا الاسلام أبلج ساطعا ... وكشف عن ظلمائهم كل غيهب
وهدم من أركانهم كل شامخ ... ودوخ من شجعانهم كل قرهب
ومزقتهم أيدي سبا، فتفرقت ... كتائبهم ما بين شرق ومغرب
وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم ... على دينهم طعن امرئ جاهل غبي
هم الظاهرون القائمون بدينهم ... إلى الحشر، لم يغلبهم ذو تغلب
لنا منهم في كل عصر أئمة ... هداة إلى العليا، مصابيح مرقب
فأيدهم رب العلا من عصابة ... لإظهار دين الله أهل تعصب
وقد علم الرحمن أن زماننا ... تشعب فيه الرأي أي تشعب
فجاء بحبر عالم من سراتهم ... لسبع مئين بعد هجرة يثرب
يقيم قناة الدين، بعد اعوجاجها ... وينقذها من قبضة المتعصب
فذاك فتى تيمية، خير سيد ... نجيب أتانا من سلالة منجب
عليم بأدواء النفوس يسوسها ... بحكمته، فعل الطبيب المجرب
بعيد من الفحشاء والبغي والأذى ... قريب إلى أهل التقى، ذو تحبب
يغيب، ولكن عن مسار وغيبة ... وعن مشهد الإحسان لم يتغيب
حليم كريم مشفق، بيد أنه ... إذا لم يطع في الله، لله يغضب
يرى نصرة الإسلام أكرم مغنم ... وإظهار دين الله أربح مكسب
وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا ... ضلالة كذاب ورأي مكذب
ولم تلق من عاداه غير منافق ... وآخر عن نهج السبيل منكب

لقد حاولوا منه الذي كان رامه ... من المصطفى قدما حيي بن أخطب
ولكن (رأوا) من بأسه مثلما رأى ... من المصطفى في حربه رأس مرحب
تمسك، أبا العباس بالدين واعتصم ... بحبل الهدى، تقهر عداك وتغلب
ولا تخش من كيد الأعادي، فما هم ... سوى حائر في أمره ومذبذب
جنودهم من طامع ومذلل ... مسيلمة منهم من يلوذ بأشعب
وجندك من أهل السماء ملائك ... يمدك منهم موكب بعد موكب
وكل امرئ قد باع لله نفسه ... فليس إذا يصغى لقول مؤنب
ليوث، إذا أهل الضلال تجمعوا ... فكل فتى منهم يعد بمقنب
لئن جحدت علياء فضلك حسد ... لعمر أبي، قد زاد منهم تعجبي
وهل ممكن في العقل أن يجحد السنا ... ضحى، وضياء الشمس لم يتحجب؟
أيا مطلبا حزناه من غير مهلك ... وكم مهلك صد الورى دون مطلب
بعزم تقي الدين أحمد تتقى ... صروف زمان بالقوادح مرعب
وفي الجدب نستقي الغمام بوجهه ... فنصبح في روض كناد مخصب
ربيب المعالي، يافع الجود والندى ... فتى العلم، كهل الحلم، شيخ التأدب
مفصل ما قد حاز من جهل الهنى ... وإيضاحه للفهم غير مقرب
بسيط معان في وجيز عبارة ... بتهذيبه تعجيلا كل مهذب
وليس له في العلم والزهد مشبه ... سوى الحسن البصري وابن المسيب
ومن رام حبرا غيره اليوم في الورى ... فذاك الذي قد رام عنقاء مغرب
أليس هو الندب الذي بانتصاره ... حبا الدين حبى، بالإمامة قد حبى
وجاهد في ذات الإله بنفسه ... وبالمال والأهلين والأم والأب
ووازره في حالتيه ابن أمه ... فذلك عبد الله، نعم الفتى الأبي
عقاب المعالي، ضغيم الغابة، الذي ... فرى كل ذي غي بناب ومخلب
هما ناصرا دين الإله، وحاميا ... حمى خير خلق الله من نسل يعرب
مقيمان كالإسلام في دار غربة ... فيا حبذا في الله حسن التغرب
خدمتهما مني بعقد منضد ... بفكر سوائي درة لم تنقب
تشنف سمع الدهر حسنا إذا اغتدى ... به الناظم التركي أفصح معرب
وما جئت في مدحيهما متطلبا ... به عرضا يفنى، ولا نيل منصب
ولكنني أبغي رضا الله خالقي ... وأرجو به غفران زلة مذنب

واجعلــــه لي في المعـــــاد ذخـــــيرة أفـــوز بهـــا في الحشر من خطبة الوبى

نجزت، وهي سبعة وستون بيتا.

صورة فتيا قدمت في مجلس الشيخ تقي الدين — رضي الله عنه —

فأجاب في المجلس بهذا الجواب وهو (تقدير القدر)

السؤال

أيـــا علمـــاء الـــدين، ذمي دينكم تحـــير دلـــوه بأوضـــح حجـــة

إذا مـــا قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضـــه مني، فما وجه حيلتي؟

دعـــاني، وسد الباب عني، فهل إلى دخـــول ســـبيل؟ بيـــنوا لي قضيتي

قضى بضلالي، ثم قال: ارض بالقضا (فمـــا) أنا راض بالذي فيه شقوتي

فـــإن كنت بالمقضِ، يا قوم راضيا فـــربي لا يرضـــى بشـــؤم شكيتي

فهل لي رضا، ما ليس يرضاه سيدي فقد حرت دلوني على كشف حيرتي

إذا شـــاء ربي الكفـــر مني مشيئة فهـــل أنـــا عاص في اتباع المشيئة؟

وهل لي اختيار أن أخالف حكمه؟ فـــبالله فاســـقوا بالـــبراهين علتي

الجواب

الحمد لله رب العالمين:

ســـؤالك يـــا هـــذا، سؤال معاند تخاصـــم رب العرش، باري البرية

وهـــذا ســـؤال، خاصم الملأ العلا قـــديما بـــه إبلـــيس أصـــل البلية

ومـــن يك خصما للمهيمن يرجعن علـــى أم رأس هاويـــا في الحفـــيرة

ويدعـــي خصـــوم الله يوم معادهم إلى الـــنار طـــرا، معشـــر القدرية

ســـواء نفـــوه، أوسعوا ليخاصموا بـــه الله، أو مـــاروا بـــه للشريعة

وأصـــل ضلال الخلق من كل فرقة هـــو الخـــوض في فعـــل الإله بعلة

فإنهمـــو لم يفهمـــوا حكمـــة له فصـــاروا علـــى نوع من الجاهلية

وإن مـــبادئ الشـــر في كـــل أمة ذوو ملـــة قدســـية نـــبوية:

بخوضـــهم في ذلكم، صار شركهم وجـــاء دروس البيـــنات بفتـــرة

فـــإن جمـــيع الكون أوجب فعله مشـــيئة رب الخلـــق باري الخليقة

وذات إلـــه الخلـــق واجـــبة بمـــا لهـــا مـــن صـــفات واجب قديمة

مشـيئته مـع علمـه، ثم قـدرة   لـوازم ذات الله قاضـي القضـية

فقولك، لم قد شاء؟ مثل سؤال من   يقـول: فلـم قد كان في الأزلية؟

وذاك سـؤال يـبطل العقل وجهه   وتحـريمه قـد جاء في كل شرعة

وفي الكون تخصيص كثير يدل من   لـه نـوع عقـل: أنـه بـإرادة

وإصـداره عـن واحد بعد واحد   أو القـول بالتجويـز رمـية حيرة

ولا ريـب في تعلـيق كل مسبب   بمـا قـبله مـن علـة موجبـية

بـل الشأن في الأسباب، أسباب ما ترى   ومصدرها عن حكم محض المشيئة

وقـولك: لم شاء الإله؟ هو الذي   أزلَّ عقـول الخلـق في قعر حفرة

فـإن المجـوس القـائلين بخالـق   لـنفع، ورب مـبدع للمضـرة

سـؤالهم عـن علة الشر، أوقعت   رءوسـهم في شـبهة المثـنوية

وإن ملاحـيد الفلاسـفة الألى   يقولـون بالفعـل القـديم بعلـة

بغـوا علـة للكـون بعد انعدامه   فلـم يجـدوا ذاكم، فضلوا بضلة

وإن مـبادئ الشـر في كـل أمة   ذوي ملـة مـيمونة نـبوية:

بخوضهمو في ذاكم، صار شركهم   وجـاء دروس البيـنات بفتـرة

ويكفـيك نقضا، أن ما قد سألته   مـن العـذر مردود لدى كل فطرة

فأنـت تعـيب الطاعنين جميعهم   علـيك، وتـرميهم بكـل مذمة

وتـنحل مـن والاك صفو مودة   وتـبغض مـن ناواك من كل فرقة

وحـالهم في كـل قـول وفعلـة   كحالـك يـا هذا، بأرجح حجة

وهـبك كففت اللوم عن كل كافر   وكـل غـويٍّ خـارج عن محجة

فيلـزمك الإعـراض عن كل ظالم   على الناس في نفس، ومال، وحرمة

ولا تغضـبن يوما على سافك دما   ولا سـارق مـالا لصـاحب فاقة

ولا شـاتم عرضا مصونا، وإن علا   ولا نـاكح فـرجا على وجه غية

ولا قاطـع للـناس نهـج سبيلهم   ولا مفسد في الأرض في كل وجهة

ولا شـاهد بالـزور إفكـا وفرية   ولا قـاذف للمحصـنات بـريبة

ولا مهلـك للحرث والنسل عامدا   ولا حـاكم للعـالمين برشـوة

وكـف لسان اللوم عن كل مفسد   ولا تأخـذن ذا جـرمة بعقـوبة

وسـهل سـبيل الكـاذبين تعمدا   علـى ربهـم، مـن جـاء بفرية

وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم   يروم فساد النـوع، ثم الرياسـة

وجادل عن الملعون، فرعون، إذ طغى … فأغرق في اليم انتقاما بعصبة

وكل كفور مشرك بإلهه … وآخر طاغ كافر بنبوة

كعاد، ونمرود، وقوم لصالح … وقوم لنوح، ثم أصحاب الأيكة

وخاصم لموسى، ثم سائر من أتى … من الأنبياء محييا للشريعة

على كونهم إذ جاهدوا الناس إذ بغوا … ونالوا من العاصي بلوغ العقوبة

وإلا فكل الخلق في كل لفظة … ولحظة عين، أو تحرك شعرة

وبطشة كف، أو تخطي قديمة … وكل حراك، بل بكل سكينة

همو تحت أقدار الإله وحكمه … كما أنت فيما قد أتيت بحجة

وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل … فعال ردى، طردا لهذي المقيسة

فهل تمكنن رفع الملام جميعه … عن الناس طرا عند كل قبيحة؟

وترك عقوبات الذين قد اعتدوا … وترك الورى الإنصاف بين الرعية

فلا تضمنن نفس ومال بمثله … ولا تعقبن عاد بمثل الجريمة

وهل في عقول الناس، أو في طباعهم … قبول لقول النذل، ما وجه حيلتي؟

ويكفيك نقصا: ما يجسم ابن آدم … صبي، ومجنون، وكل بهيمة:

من الألم المقضي في غير حيلة … وفيما يشاء الله أكمل حكمة

إذا كان في هذا له حكمة، فما … ظن بخلق الفعل، ثم العقوبة؟

وكيف؟ ومن هذا عذاب مولد … عن الفعل فعل العبد، عبد الطبيعة

كآكل سم، أوجب الموت أكله … وكل بتقدير لرب البرية

فكفرك يا هذا، كسم أكلته … وتعذيب نار، مثل جرعة غصة

ألست ترى في هذه الدار من جنى … يعاقب، إما بالقضا، أو بشرعة؟

ولا عذر للجاني بتقدير خالق … كذلك في الأخرى بلا مثنوية

وتقدير رب الخلق للذنب موجب … كتقدير عقبى الذنب إلا بتوبة

ومن كان من جنس المتاب لرفعه … عواقب أفعال العباد الخبيثة

كجبرية تمحي الذنوب، ودعوة … تجاب من الجاني، ورب شفاعة

وقول حليق الشعر: إني مقدر … عليّ، كقول الذيب، هذي طبيعتي

وتقديره للفعل يجلب نقمة … كتقديره الآثار طرا بعلة

فهل ينفعن عذر الملوم، لأنه … كذا طبعه، أم هل يقال لعثرة؟

فنرضى من الوجه الذي هي خلقه … ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

ومعصـية العـبد المكلـف تركه لمـا أمـر المـولى، وإن بمشـيئة
فـإن إلـه الخلـق حـتى مقاله بـأن العـباد في جحـيم وجـنة
كمـا أنهـم في هـذه الدار هكذا بـل الـبُهْم في الآلام أيضا ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الفـروق بعلـم ثم أيـدٍ ورحمـة
يسوق أولي التعذيب للسبب الذي يقـدره نحـو العـذاب بعـزة
ويهـدي أولي التنعيم نحو نعيمهم بأعمـال صدق، في رجاء وخشية
وأمـر إلـه الخلـق تـبين ما به يسـوق أولي التنعـيم نحو السعادة
فمـن كان من أهل السعادة أثرت أوامـره فـيه بتيسـير صـنعة
ومـن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمـر ولا نهـي بتقديـر شـقوة
ولا مخـرج للعـبد عما به قضى ولكـنه شـاء بخلـق الإرادة
ومـن أعجب الأشياء: خلق مشيئة بهـا صـار مختار الهدى والضلالة
فقـولك: هل أختار ترك الحكمة؟ كقـولك: هل أختار ترك المشيئة؟
وأخـتار أن لا أخـتار فعل ضلالة ولـو نلت هذا الترك فزت (بتوبة)
وذا ممكـن، لكـنه مـتوقف علـى من يشاء الله من ذي المشيئة
فدونك، فافهم ما به قد أجبت من معـان، إذا انحلـت بفهـم غريزة
أشـارت إلى أصل تشير إلى الهدى ولله رب الخلـق أكمـل مدحـه
وصـلى إلـه الخلـق، جل جلاله على المصطفى المختار (خير البرية)
أم الـذنبُ والتعذيبُ أوكدُ للذي طبيعـته فعـل الشـرور الشنيعة؟
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى ينجـيك مـن نـار الإله العظيمة
فدونك رب الخلق، فاقصده ضارعا مـريدا بـأن يهديك نحو الحقيقة
وذلـل قياد النفس للحق، واسمعن ولا تعرضـن عـن فكرة مستقيمة
ومـا بـان مـن حق فلا تتركنه ولا تعـص مـن يدعو لأقوم رَيْعة
ودع ديـن ذا العـادات، لا تتبعنه وعُـجْ عـن سـبيل الأمة الغضبية
ومـن ضـل عن حق فلا تقفونه وزن مـا علـيه الـناس بالمعدلية
هـنالك تـبدو طالعات من الهدى تبشـر مـن قـد جـاء بالحنفية
بملـة إبـراهيم، ذاك إمامـنا وديـن رسـول الله خـير الـبرية
فـلا يقبل الرحمن دينا سوى الذي بـه جـاءت الرسل الكرام السجية
وقـد جاء هذا الحاشر الخاتم الذي حـوى كل خير في عموم الرسالة

وأخـــبر عـــن رب العباد بأن من غـــدا عـــنه في الأخرى بأقبح جَنْيَة
فهـــذي دلالات العـــباد لحائـــر وأمـــا هـــداه فهـــو فعل الربوبية
وفقد الهدى عند الورى لا يقيل من غدا عنه، بل يجزي بلا وجه حجة
وحجـــة محـــتج بتقديـــر ربـــه يـــريد عـــذابا، كاحتجاج مريضة
وأمـــا رضـــانا بالقضـــاء فإنمـــا أمـــرنا بـــأن نرضـــى بمثل المصيبة
كســـقم، وفقـــر، ثم ذل، وغـــربة ومـــا كـــان من سوء، بدون جريمة
فأمـــا الأفاعـــيل الـــتي كرهت لنا فـــلا ترضـــى مســـخوطة لمشيئة
وقـــد قال قوم من أولي العلم: لا رضا بفعـــل المعاصي والذنوب الكريهة
وقـــال فـــريق: ترتضـــي لقضائه لهـــا، ومـــا فـــيها فيلقى بسخطة
كما أنهـــا للـــرب خلـــق، وأنهـــا لمخلوقـــة، ليست كفعـــل الغريـــزة

تمت بحمد الله وعونه، وهي مائة وأربعة وثمانون بيتا، بل هي مائة وخمسة أبيات.

* * *

الحمد لله رب العالمين

قال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار: أنا المظفر هناد بن ابراهيم النسفي يقول: سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن عبد السلام بن الواثق يقول:

سمعت بعض الصالحين يقول: رؤي بعض الصالحين في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي.

قيل: من وجدت أثر أهل الجنة؟ قال: أصحاب الشافعي.

فقيل: فأين أحمد بن حنبل؟

قال: سألتني عن أكثر أهل الجنة، ما سألتني عن أعلى أهل الجنة، أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة، وأصحاب الشافعي أكثر أهل الجنة.

(مراثي العلماء والشعراء لشيخ الإسلام ابن تيمية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه، أمين الدين عبد الوهاب بن سلار الشافعي — رضي الله عنه — يرثي الشيخ تقي الدين، الإمام أحمد ابن تيمية:

كـــل حـــي لـــه الممـــات ورود لـــيس في الدنـــيا لمـــرء خلـــود
كـــل خـــلٍّ مفـــارق لخلـــيل كـــل وصـــل إلى انفصـــال يعـــود

ليس يبقى إلا إله البرايا … دائم الملك والبقا، لا يبيد

عين، سحي بمدمع ليس يرقا … وسهاد دائما، وأجفان جودا

بالجرح بمهجتي، ليس يبرا … أو يجودوا بطيفهم، أو يعودوا

هل لما بي من مسعد، أو معين؟ … عزَّ صبري، وفرط حزني يزيد

ويك نفسي، تعاملي باصطبار … فالذي قد قضى بهذا مريد

قد رزئنا إمام علم ودين … عدم المثل في الزمان فريد

يالحزن عليه، عمَّ البرايا … بالنار لها بقلبي وقود

كان شيخ الإسلام عقلا ونقلا … سنن البدع عنده مردود

كان في العلم والشجاعة فذا … وهو في الزهد والعفاف يسود

كان بالعرف آمرا، لا للحظ … وعن النكر للعباد يذود

كان لله ذاكراً كل وقت … وعن اللهو والضلال بعيد

مات لله صابرا وسط سجن … يوم الاثنين، سره مشهود

وتولاه الأبرار غسلا ودفنا … أبيض الوجه، في الثرى ملحود

حين وافى على الرءوس مسجى … والبرايا من كل حي وفود

صحت من فرط ما بدا لي: مهـ … ـلا، لك في جنة الخلود خلود

يا لها من رزية طاش فيها … كل أب وتقشعر الجلود

يا ابن تيمية، عليك سلامي برحم … كل وقت يمضى، ووقت يعود

يا ابن عبد الحليم، حلمك يسمو … يا ابن عبد السلام، سلمك جود

يا إمام العلوم، من للفتاوى؟ … ولحل الأشكال جبرا تفيد؟

ولفهم الكتاب والنقل بحر … في معانيهما مصيب شديد

يا بشوشا لكل من رام نفعا … إن من نال من جناك سعيد

كل وقت مضى لديك سماعا … ذاك عند التحقيق عمر جديد

ليت شعري، أيامنا باجتماع … بك، هل تبدو لنا، أو تعود؟

طبت تربا، وقدست منك روح … ومنحت النعيم مهما تريد

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط والدي يقول:

أنشد الشيخ الإمام العالم، مسند الشام، بهاء الدين القاسم بن محمود بن عساكر، أبقاه الله تعالى، لنفسه في شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية هذين البيتين، في يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين وسبعمائة، بمنزله بدمشق.

تقي الدين أضحى بحر علم ... يجيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفع ... فقل ما شئت في الحبر المحيط

وأيضا وجد بخطه في ابن تيمية يقول:

أنشدنا الشيخ صلاح الدين القواس من لفظه ونظمه، في شوال سنة ست وسبعمائة ببعلبك، بمسجد الحنابلة:

قالوا: ابن تيمية في السجن، قلت لهم ... لا يعجزنكم الأفكار بالقلق
مات الموفق والقاضي الإمام أبو ... يعلى، ومات أبو الخطاب والخرقي
ولابن حنبل الصديق نور الهدى ... حتى القيامة مثل البدر في الغسق
وفضله بين أهل الفضل مشتهر ... وإصبعاه من الزنديق في الحدق

تم والحمد لله وحده.

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلي يقول:

أنشدنا الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل، أوحد دهره، وفريد عصره، إمام المحققين، وقدوة أئمة المحدثين، تقي الدين أبو الثناء محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي، المحدث سامحه الله تعالى لنفسه.

يرثي الشيخ الإمام العلامة، والبحر الفهامة، حجة الإسلام، وقدوة الأنام، تقي الملة والحق والدين، أحمد ابن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني — قدس الله روحه — ونور ضريحه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ولم ير الشيخ — رحمه الله —:

قف بالربوع الهامدات وعدد ... واذر الدموع الجامدات وبدد
واحبس مطيك في المنازل ساعة ... واسأل ولاتك في سؤالك معتد
واقطع علائقك التي هي فتنة ... واتبع سبيل أولي الهداية تهتد
ودع صباك، ودع أباطيل المنى ... واهجر دنيات الأمور وسدد
واقنع من الدنيا القليل، ولازم الفعل ... الجميل وسر (سير) مجرد

وتـوخ فعـل الخـير واصحب أهله ... متحبـبا متجنـبا أهـل الـددد
لا تعـتبن مفارقـا يبكـي علـى ... أحـبابه، وارحمـه إن لم تسـعد
ودع المـروع بالـبعاد وعذلـه ... فالعـذل أمضـى مـن فعـال مهند
مـاذا الوقـوف عن السرى، وصحابنا ... سـاروا وصـاروا بالعـراء الفدفـد؟
لا اخضـر بعدهم العقيق، ولا شدت ... ورق الحمـائم فـوق بـرقة ثهمـد
أمـا أنـا فلأبكـين فـإن ونى ... دمعـي، سفكت حشاشة القلب الصدي
أيـن المعين على الخطوب إذا عرت؟ ... أيـن المسـاعد عـند فقـد المسعد؟
أو مـا درى من كنت تعرف قد مضى ... لسـبيله في ضـنك لحـد مؤصـد؟
أيـن المحامـي عـن شـريعة أحمد؟ ... أيـن المحقـق نهـج مـذهب أحمـد؟
مـات الإمـام العـالم الحـبر الذي ... بهـداه عـالم كـل قـوم يهـتدي
مـن للـيهود وللنصـارى بعـده ... يـرميهم بمقالـة المتسـدد؟
سـل عـنه ديـان الـيهود، أما غدا ... مـتلفعا بصـغاره المـتهود؟
نشـأت علـى فعـل التقـى أطواره ... فعـنت لـه الـتقوى وأعطت عن يد
ورث الـزهادة كابـرا عـن كابـر ... والعلـم إرثـا سـيدا عـن سـيد
قـف إن مـررت بقاسيون على ثرى ... فـيه ضـريح العـالم المتفـرد
واعجـب لقـبر ضـم بحـرا زاخرا ... بالفضـل يقـذف بـالعلا والسـؤدد
بشـر يبشـر بـالغنى مـن جـاءه ... يسـر يسـر فـؤاد عـان مـزهد
كانـت بـه أرض الشـام أميـنة ... مـن مـبطل مـتهول مسـتلدد
لـو تسـتطيع بـنات نعـش أن ترى ... يـوما يسـير بـنعش مـيت ملحـد
كانـت تسـير بنعشـه وتحطـه ... فـوق السـماك وفـوق فـرق الفرقد
مـات الـذي جمـع العلوم إلى التقى ... والفضـل والـورع الصـحيح الجـيد
شـيخ الأنـام تقـي ديـن محمـد ... وجمـال مـذهب ذي الفضـائل أحمد
ودعـت قلـبي يـوم جـاء نعـيه ... فـتقاعدي، يـا عـين بي، أو انجدي
سـقت العهـاد عـراص قـبر حله ... جسـد حـوى خلقـا وحسـن تودد
يـا مـبلغ العـذال فـرط صـبابتي ... وتقلقـي يـوم الـنوى وتسـهدي
مـا بعـد رزئـك في الـزمان رزية ... تصـمي المقاتـل بالفـراق ولا تدي
بـددت شمـل الملحـدين جمـيعهم ... وجمعـت شمـل ذوي التقـى المتبدد
يـا مـن تـرى أقـواله مبيضـة ... في كـل ذي قـول ووجـه أسـود

يـا كالـئ الإسـلام مـن أعدائـه وسمـام كـل أخـي نفـاق ملحـد
يـا واحـد الدنـيا الـذي بعلـومه يمـتاز في الإسـلام كـل مـوحد
يـا حامـل الأعـباء عـن مستنصر يـا كاشـف الغمـام عـن مستنجد
يـا طـارد الشـبهات عـن متـردد يـا دافـع الفاقـات عـن مسـترفد
قـرت عـيون مجاوريـك وقد غنوا بجـوار قـبرك عـن وثـير المـرقد
فكأنمـا تلـك اللحـود حدائـق تـزهو بنـرجس زهـرها الغض الندي
يـا خـاتم العلمـاء صح بموتك الـ ـخـبر الـذي يـرويه كـل مجـود
الـيوم قـبض العلـم، قـولا واحدا مـن غـير مـا منع، وغـير تردد
لـو لم يكـن خـتم الأئمـة أحمـد بشـرت أهـل الخـافقين بأحمـد
خـوض الكـرائه لم يـزل مـن دأبه فـيه الفـوارس في المضـايق تهـتدي
شـيخ إذا أبصـرته في محفـل تقـذى بـرؤيته عـيون الحسـد
ذو المنقـبات الغـر والشـيم الـتي يفـنى الـزمان وذكـره لم يـنفد
يـامن يـروم لـه عـديلا في الورى قـد رمـت كالعـنقاء مـا لم يوجد
كـم بـين رئـبال الفـلاة وثعلـب كـم بـين شـعواء البـزاة وجدجد؟
أرح المطـي، ولا تكـن كمحـاول صـيد الـنجوم مـن المـياه الـركد
قـد كـان شمسـا للصـحاب منيرة بضـيائها، في كـل قطـر، نهـتدي
والـيوم أدركهـا الكسوف فأظلمت طـرق الهـدى للسـالك المتـردد
لهفـي علـى تلـك الشمائل والندى والجـود والهـدى القـويم الأرشـد
هجـم الحمـام فـلا مفـر لهـاربٍ والمـوت في الدنـيا لـنا بالمرصـد
مـات الصـديق ومـات من عاديته وتمـوت أنـت كمـثله، وكـأن قَدِ
وإذا مضـى أقـران عمـرك فانتظـر في يـومك الناعـي، وإلا في غـدِ
لكـن لـنا عـن كـل خـلٍ سلوة بمصـاب سـيدنا الـنبي محمـد
صلى عليه الله مـا هجر الكـرى جفـن التقي القانـت المتهجـد

تمت والحمد لله، وعدتها ستة وخمسون بيتا.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وأيضا للدقوقي، رحمه الله تعالى:

مـا كـفء هذا الرزء جفن تسجم أبـدا، ولا قلـب يـذوب ويـألم
رزء أصـم جمـيع أسمـاع الـورى سـبق الحـدوث بـه القضـاء المبرم
رزء يجـل عـن الـبكاء، لأنـه لا رزء مـنه في الـبرية أعظـم
يتضـاءل اللسـن الفصـيح لذكره ويجـل قـدرا في الـنفوس ويعظـم
رزء لـه هـوت الـنجوم وكورت شمـس الضـحى، والصـبح ليل معتم
مـن عظـم مـوقعه، وفادح خطبه لم يـدر قـس مـا البـيان وأكـتم
لكـنما تجـري الأمـور بكـل ما يقضـي بـه رب السـماء ويحكـم
والأمـر أعظـم أن يقـوم (ببعضه) دمـع (يصـوب ولم يخالطـه دم)
ذا الخطـب أعظم أن يداوى بالأسى هـذا المصـاب أجـل ممـا تعلـم
كـل يدافـع حـتفه عـن أنفـه حـتى يفاجـئه الحمـام المـؤلم
أعـيا الأنـام، فمـا لهـم من ملجأ يـؤويهم عـند الخطـوب، ويعصـم
والمـوت وِرْد للجمـيع، وكلـهم في مـاء ذاك الـورد حـتما يقـدم
مـن أخطأتـه يد الحوادث في الصبا لابـد (تدركـه إذا هـو) يهـرم
سـيان في حكـم (القضـاء) مؤجل في نفسـه، ومعجـل يـتقدم
أأخـي، لا تـبعد، فلـيس بخالـد أحـد، ولا حـي علـيها يسـلم
لا تعـذل الباكـي علـى أحـبابه واعـذره، وارحمـه، لعلـك تـرحم
للخطـب يدخـر الصديق، ولا أرى في الـناس يـوم الـبين خـلا يرحم
لا تحسـبوا وُرْق الحمـام سـواجعا يـوم الـرحيل، ولا المطايـا تـدرم
... فتشـتكي (ألم) السـرى والـورق تذكـر إلفهـا، فتـرنم
مـا حاربت أيدي الردى في (مأزق) إلا غـدت أقـرانه تتخـرم
مـن ذا يطـيق مـع الفراق تجلدا؟ قـل لي، وقـد (مات الإمام الأعظم)
أودى فـريد الدهـر أوحـد عصره ومضـى التقـي العـارف المتوسـم
شـيخ يسـود بجـده وبجـده وسـواه في هـذين صـفر معـدم
شـيخ كـأن الله أودع سـره فـيه، فمـا تلقـاه إلا يعلـم
الـيوم اكشـف عـن غوامض سره الـيوم مـنه يفسـر المـتعجم
قـد كـان يؤثـر مـن أتـاه بقوته ويظـل طـول نهـاره لا يطعـم
ويجـود بالموجود منه، ويرشد الـ ـجـنف العصـي بهديـه، ويقـوم

ظهرت له شيم التقى فكأنه ... بطهارة الأثواب نسكا محرم

وإذا تقاعست الرجال، فإنه ... يوم النزاع العالم المتقدم

من ذا يرى للمشكلات يحلها ... والواقعات، ومن به يستعصم؟

وعلى النصارى الملحدين إذا أتو ... من ذا يرد، ومن يجيب ويفهم؟

يشتاقه الإرسال في إسناده ... والنسخ والمنسوخ، ثم المحكم

وبكته عنعنة الحديث وطرقه ... وبيان ما يحوى عليه المعجم

هذا الذي للدين منه معلل ... وممنوع، ومجنس، ومعلم

هذا الإمام الحجة الحبر الذي ... تنفى به شبه الشكوك، وتحسم

فضل وزهد (لا يعد) وعفة ... وديانة ورزانة وتحلم

لك يا ابن مجد الدين طود باذخ ... في الفضل ممنوع الجوانب أيهم

أقسمت ما وصف امرؤ بصيانة ... في نفسه، إلا وصونك أعظم

أبدى مصلاك البكاء، وحسبه ... يبكي عليك، وحقه يتندم

أسفا على ما فاته من ورده ... والليل ساج، والخلائق نوم

حسدوه إذ وجدوه أعلم منهم ... ورأوه أفضلهم، وإن كانوا عموا

عقلوه إذ عقلوه، ليث كباشهم ... والليث يعقل من سطاه ويلجم

تبكي عليه جوامع، ومجامع ... ومناقب، ومراتب تتهدم

وزكت خلائقه الشراف وكرمت ... منه المعارش، وهو منها أكرم

جمعت له أشتات كل فضيلة ... تروي مدائح شاردات حوم

ملأت فضائله البلاد، ففضله ... كالشمس، نور ضيائها لا يكتم

ولقد دعوت الشعر يوم نعيه ... فأبى علي، فلم أطق أتكلم

أنى يجيب؟ ومن لوازم حقه ... أن لا يجيب، وفكره مستقسم

وأخذت أكتب ما أقول وأدمعي ... بين السطور كعقد در ينظم

نفد المداد، فساعدته مدامعي ... فعصى علي، فساعد الدمع الدم

حال المداد عن السواد، كأنه ... دمع المحاجم صب فيه العندم

جادت ضريحا بالشام غمامة ... تسقي ثراه على المدى وتدوم

وسقى قبورا جاورته من الرضا ... تحت التراب سحاب (عفو) مثجم

طوبى لمن أمسى مجاور تربة ... من أجلها الجار المجاور يكرم

أمسى وتحت الأرض عرس إذ ثوى ... فيها، وفوق الأرض فينا مأتم

هــذا وأمــلاك الســماء تحفــه ... في كــل يــوم لا تمــل وتســأم
يــا أرض صــرت بــه كروضة جنة ... لنزيلــها في كــل يــوم موســم
لســواه تشــقيق الجــيوب، وإنمــا ... شــق الجــيوب علــيه ممــا يلــزم
ســعدت بــه ارض أقــام برمســها ... ميــتا وهــذا المــيت حــي مكــرم
نقلــت إلى جــنات عــدن روحــه ... والحــور والــولدان فــيها تخــدم
جســمانه تحــت العــراء، وروحه ... في مقعــد الصــدق الرضــا تتــنعم
لــو كــان للقــبر المحــيط بجسمه ... يــوما لســان ناطــق يــتكلم
لســمعت بشــراه بمــن وافى إلى ... عرصــائه مــن خــير ضــيف يقدم
هــو في جــوار الله أشــرف مــنزل ... والله أرأف بالعــباد وأرحــم
تبكــي لــه الســبع الطواف وسعيه ... والحجــر، والبــيت العتــيق، وزمزم
وتعطــل المحــراب مــن مــتهجد ... بالذكــر في أســحاره يتــرنم
والخلــق إن نســبوا إلــيه كــواحد ... في أمــة، وهــو الفــريد الأعلــم
أضحت سطور الفضل يصعب فهمها ... كــالخط أصّــله الغــريب المــبهم
فأبــان مشــكلها، وأوضــح رمزها ... فغــدت بتنقــيط الفضــائل تعجــم
إن كــان قــد أمســى رهــين مودّاً ... زَلُــخ الجــوانب جــدره مــتهدم
فلــرب عــان قــد أعــان وأكمــه ... هــدى، فأرشــده، ولا يتــبرم
وضــريحه كالمســك، ينشــق عرفه ... مــن كــان مــن حــنق علــيه يسلم
إن كــان هــذا الــرزء يعظم ذكره ... شــرفا، ويُــنْجَد في الــبلاد ويــتهم
فالصــبر أكــرم ملــبس يخــتاره ... حــر بصــير، بالعــواقب مســلم
وعلى النبي مــن الإلــه صلاتــه ... مــا سارت الأظعــان سوقــا تَــرْزِم

قال الشيخ أبو بكر أحمد الدريبي — رحمه الله —:

كان على النسخة التي نقلت منها نسختي هذه ما صورته:

نقلتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة، أوحد عصره وفريد دهره، أبي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي، البغدادي — قدس الله روحه —.

وقال أيضا: شاهدت الأصل المنقول عنه ما صورته:

سمع على الولد السعيد أبو الخير سعيد بن عبد الله الذهلي الحريري جميع هذه القصيدة الموسومة: بمرثاة الشيخ العالم الرباني تقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني، بقراءة الشيخ الإمام الأوحد الفاضل المحقق الكامل، جمال الدين أبي أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد

السامري، وذلك في يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة.

وكتب ناظمها محمود بن علي بن محمود الدقوقي حامدا ومصليا:

توفي ناظم هذه المرثاة الشيخ تقي الدين الدقوقي يوم الاثنين العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ودفن يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد، وحملت جنازته على الرءوس — رحمه الله —.

وأيضا للدقوقي — رحمه الله تعالى —:

مضى عالم الدنيا عز فقده ... وأضرم نارا في الجوائح بعده
فدمعي طليق فوق خدي مسلسل ... أكفكفه حينا، وجفني يرده
ويرجو التلاقي، والفراق يصده ... وما حيلة الراجي إذا خاب قصده
مضى الطاهر الأثواب، ذو العلم والحجى ... ولم يتدنس قط بالإثم برده
مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي ... أقر له بالعلم والفضل ضده
بكته بلاد الشام طرا وأهلها ... جامعها وانماع للحزن صلده
يحن إليه في النهار صيامه ... ويشتاقه في ظلمة الليل ورده
ويبكي له نوع الكلام وجنسه ... ويندبه فصل الخطاب وجده
حمى نفسه الدنيا، وعف تكرما ... ولما يصعر للدنيات خده
ولم يجتمع زوجان من شهواتها ... لديه، وبين الناس قد صح زهده
ويؤثر عن فقر، وفيه قناعة ... ويعجبه من كل شيء أشده
عليم بمنسوخ الحديث وحكمه ... وناسخه، فخر الزمان ومجده
قؤول، فعول، طيب الجسم طاهر ... إمام، له من كل حكم أسده
فما قال في دنياه هجرا ولا هوى ... ولا زاغ عن حق تبين رشده
علوم كنشر المسك من كل سيرة ... يشيد دين المصطفى ويجده
فلله ما ضم التراب، وما حوى ... من الفضل فليفخر على الأرض لحده
فيا نعشه: ماذا حملت من امرئ ... جميع الورى فيه، وفوقك فرده؟
وكان لنا بحرا من العلم ذاخرا ... فما باله لم يصف مذ غاب ورده
وما مات من تبقى التصانيف بعده ... مخلدة، والعلم والفضل ولده
وخلف آثارا حسانا حميدة ... إذا عددت زادت على ما نعده
ولست مطيقا شرح ذاك مفصلا ... ولكن على الإجمال بعكس طرده

لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا ... يراعي وداد الخل إن خان أوده
قضى نحبه والله راض بفعله ... ولله فيما قضى فيه حمده
يدل تراب القبر من جاء زائرا ... إليه بطيب فيه يعبق نده
ولا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه ... ولكنه حسن الثناء ومجده
وكان لأهل العلم تاجا مكللا ... يحوطهم من مبطل خيف حقده
وما كان إلا التبر عند امتحانه ... بين لعين الحاذق النقد نقده
وكان يقول الحق والحق حلوه ... مرير لهذا كان يكره رده
وفي الحق لم تأخذه لومة لائم ... ولا خاف من غمر تشدد حرده
وما كان إلا السيف غارت يد العلا ... عليه، فردته كما غار غمده
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذي ... يروق لمن لم يؤنس الدهر رشده
لقد فقدت منه المحافل زينها ... ولما يفارق علمه الجم وجده
وخضبت الأقلام بعد مدادها ... عليه دما، قد فاض في الطرس مده
فللدهر ما ضم الثرى من محقق ... ويا لك من عضب تثلم حده
وكان إماما يستضاء بنوره ... وبحرا من الأفضال قد غيض عده
وكنت أرجي أن أراه، ونلتقي ... ولكن قضاء الله، من ذا يرده؟
نرى الموت مألوف الطباع وربما ... يعل بالمألوف من لا يوده
فآه على تفريق شمل مجمع ... وحر فؤاد بأن، مذ بان برده
ألا إنها نفس، وللنفس حرة ... وقلب وقد يشجي ويضنيه وجده
ولست بناس عهد خل تغيبت ... محاسنه، والخل يحفظ عهده
وما عذر دمع لا يجيش بدمعه ... غداة فأي عنه الصديق ورفده
يروم الأماني، والمنايا تصده ... وما حيلة الراجي إذا حار قصده
عليك أبا العباس فاضت مدامعي ... وقلبي لبعدي عنك أجج وقده
على مثلك الآن المراثي مباحة ... وإن غاض دمعي، فالدماء تمده
شددت عرى الإسلام شدة عارف ... قوي على الأعداء، لم يأل جهده
تركت لهم دنياهم ترك عالم ... علا قدره عند الإله ومجده
وكنت لمجموع الطوائف مقتدي ... وعقدا لهذا الدين أبرم عقده
وكنت ربيعا للمريد وعصمة ... فمذ صرت تحت الأرض صوح ورده
جمعت علوم الأولين مع التقى ... إلى الورع الشافي الذي صاح حمده

وكـنت تقـي الـدين معنى وصورة قـؤولا، وخـير القـول عندك جده
رحلـت وخلفـت القلوب جريحة تـذوب وجـيش الصبر قد قل جنده
علـيك سـلام الله حـيا وميـتا مـدى مـا بـدى نجم وأشرق سعده

تمت وهي اثنان وخمسون بيتا

تقـي الـدين لمـا مـت أضحت لـك الدنـيا تصـيح بانـتحاب
وكنت البحر فوق الأرض تمشـي فعـاد البحـر مـن تحت التـراب

وللإمام المحدث الفقيه الفاضل تقي الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجعبري مرثاة في شيخ الإسلام تقي الدين أبى العباس أحمد ابن تيمية — رحمة الله عليه :

جـلَّ رزئـي وقـل مني اصطباري يـا لقومـي مـن قاصـم الأعمـار
مـن معـيني علـى نـوائب دهري وملماتـه، ومـن أنصـاري؟
قـد سـقتني الأيـام جـرعة صبر عـز صـبري لهـا، وبان اصطباري
فدموعـي مـثل الغمـام انسـجاما ونواحـي في اللـيل مـثل القمـاري
يـا عـذولي، أقصـر، فإنـك خلو مـن شـجوني فـلا احترقت بناري
طـاب كـأس المـنون صرفا أدرها لا كؤوسـا ممـزوجة مـن عقـار
لسـت أبغـي الحـياة بعـد، ولكن بغـيتي أن أمـوت في الأبـرار
بعـد سـبع مـن المـئين وعشريـ ـن خـريفا مـن هجـرة المختار
مـع شـان للعقـد عشـرون إذ ذا ك يـوم الاثـنين بعـد نصف النهار
مـدفن الحـبر محـرز العلـم حقا تـرجمان الكـتاب والآثـار
أحمـد، أحمـد المـناقب والوصـ ـف ابـن تيمـية الكـريم النِّجار
التقـي النقـي، ذي المجـد والسـ ـؤدد والمكـرمات، والإيـثار
إن يكـن جسـمه تغـيب في التـر ب فمعـناه نشـره كالعـرار
كـان قطـبا، وعالمـا وإمامـا وشـيخا لـوحده بالفخـار
جابـرا لليتـيم، بـرا، رحـيما علمـه مشـرق علـى الأمصـار
لم أجـد بعـده معيـنا علـى الدهر معيـنا سـوى عـيون جـواري
فـنهاري مـن فقـده مـثل ليلـي بعـد لـيل بوصـله كالـنهار
يـا ابـن تيمـية، ويا أوحد العصـ ـر، ويـا سـيدا غـريب الـديار
كـنت كالكهـف ملجـأ لمخيف مـن ضـلال، وناصـرا باقـتدار

إن دعــوت الــبكاء بعــدك والصب ... وأجــاب الــبكاء وولى اصـــطباري
فرجائــي أن يــنقطع مــن وصــال ... ســوف يبقــى حــزني مدى الأعمار
كــنت حــبا للمـــتقين إمامــا ... فالــق مــا قــد وحــدت من ستار
غافــر الــذنب قابل التوب ذي الطو ... ل، العزيــز المهــيمن الغفــار
وعلــى نفســك الــزكية مــني ... يــا منائــي ومنتهــى أوطــاري
كــل وقــت تحــية، وســلام ... مــا أضــاءت كــواكب الأســحار

تمت والحمد لله وحده.

* * *

للشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرئ في الشيخ تقي الدين ابن تيمية يرثيه:

عظــيم المصــاب وزادت الأفكــار ... وجــرت بحكــم فــراقك الأقــدار
يــا أوحــدا في حلمــه وعلــومه ... خلــت الــبقاع، وقلــت النصــار
أعلــى تقــي الــدين يحسن صبرنا ... ولمــثله تتهــتك الأســتار
تجــري لعظــم فــراقنا عــبراتنا ... أســفا علــيه، كأنهــا أمطــار
لهفــي علــى بحــر العلوم وغوصه ... يحــوي الجواهــر باهــر زخــار
ينــثال مــنه إلى القلــوب جواهــر ... والــدر مــن فــيه السـنى نــثار
ولــه بتفســير الكــتاب غــوائب ... جلــبت لــه، وكــذلك الأخــبار
حــبر، لبــيب، أوحــد في عصرنا ... ســل مــا تشــاء، لــه بــه أخــبار
غلــب الملــوك مهابــة وشــجاعة ... لــيث يهــاب لقــاءه الكفــار
مــا كــان إلا شــامة في شــامنا ... وعلــيه مــن تقــوى الإلــه شــعار
ولــه مــن الله الكــريم عــناية ... ولــه مــن الصــبر الجمــيل دثــار
مــا كــان إلا درة مكــنونة ... لا يعتــريه تــدنس وغــبار
لا يلــوين إلى الحطــام تعففــا ... وعلــيه مــن تقــوى الإلــه وقــار
مــا كــان إلا حــبر أمــة أحمــد ... شخصــت لعظــم مصــابه الأبصار
ومجاهــد في الله حــق جهــاده ... بحــر الــندى ونــواله مــدرار
ولــه الــزهادة والعــبادة مــنهج ... وبســنة الهــادي لــه استبصــار
حــاز العلــوم: أصــولها وفروعها ... وبكــل مــا يــروى لــه آثــار
يلــوي مــن الدنــيا، وما يعنى بها ... وزواه عــنها الــواحد القهــار

لمـا اقتـناه هـداه مـنهاج الهدى وعطـاء ربـك وافـر مكـثار
نـزل القضـاء بـه فـآنس رحمة مـن ربـه لا تدفـع الأقـدار
بكـت السـماء عليه يـوم فراقه أسـفا، وجـاء الغـيث والأمطـار
وبكـى الشـام، ومدنـه وبقاعـه لمـا قضـى، وكـذلك الأمصـار
أو مـا نظـرت إلـيه فـوق سريره حفـت بـه مـن ربـه الأنـوار
والـناس مـن بـاك علـيه بحـرة ودمـوعهم فـوق الخـدود غـزار
وهـم ألـوف، ليس يحصي جمعهم إلا إلـه غافـر سـتار
نـزلوا بـه، كالـبدر في إشـراقه فتباشـرت بقدومـه الأقطـار
عـبد الحلـيم، وجـده، سعدوا به وأخـوه عـبد الله والأبـرار
ولمـثل هـذا سـارعوا أهل التقى فـازوا بمـا فـازت بـه الأخـيار
الله يكـرمه بأفضـل رحمـة في جـنة مـن تحـتها الأنهـار
أكـوابها موضـوعة، وقـبابها مـرفوعة حفـت بهـا الأنـوار
وكؤوسـها قـد أدهقت وقصورها قـد أشـرقت مـن فـوقها الأستار
وصـحافها مـن فضـة، ولباسهم مـن سـندس، وطعامهـا أطـيار
والحـور في تلـك الخـيام بـبهجة لكـنهن علـى المـدى أبكـار
عـربا لأصـحاب الـيمين، فليتـنا مـنهم إذا صـرنا إلى مـا صـاروا
وعلـى الأرائـك ينظـرون نعيمهم وعلـيهم كـأس الـرحيق تـدار
ووجـوههم مـثل الصـباح إذا بدا للناظـرين، كـأنهم أقمـار
ويمـتعون بنظـرة قدسـية مـن ربهـم، سـبحانه الجـبار
في عمـر عيسى، والجمال كيوسف وبطـول آدم، كلـهم أبـرار
ثم الصـلاة علـى الـنبي محمـد فهـو الرسـول المصـطفى المختار
هـادي الـورى وإمامهم وشفيعهم أنصـاره الأمـلاك والأنصـار
صـلى علـيه الله مـا اهتـز الثرى فـرحا، إذا مـا جـادت الأمطـار

تمت، وهي واحد وأربعون بيتا.

من قصائد الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوخي الدمشقي، مرثية في الشيخ — رحمه الله تعالى -:

خشـعت لهيـبة نعشـك الأبصار لمـا علـيه تـبدت الأنـوار

وبه الملائكة الكرام تطوفت … زمرا، وحفت حوله الأبرار
فكساه رب العرش نورا ساطعا … فكأنما غشى النهار نهارُ
ولأمة الإسلام حول سريره … سام إلى رب السماء جوار
ولهم دموع من خشوع نفوسهم … ودموعها فوق الخدود غزار
وسروا به فوق الإران، وتحته … منهم يمين أنامل ويسار
ولرحمة الرحمن ظل سجْسج … يغشاهم، وسكينة ووقار
فلكم عيون من تموج مائها … حزنا تأجج في الجوانح نار
كان الممات زفاف عرس حياته … وبه النفوس مع الدموع تثار
إن كان من أهل وجيران نأى … فله دنا من ذي الجلال جوار
أو كان عن دار الفناء رحيله … فلديه في دار البقاء ديار
أو كان أزعج عن ذرى أوطانه … فله بخلد في الجنان قرار
ما كن إلا علم روضت … منه بصيب قطره الأقطار
كالغيث أقلع بعد سحٍّ غيمه … وتخلقت من بعده الآثار
ما كان إلا طود علم باذخ … من دون وزن حصاته القنطار
ما كان إلا بحر جود، كفه … تياره بنواله زخار
ما كان إلا ديمة معروفها … بهباته لعافته مدرار
ما كان إلا البدر عند كماله … وافاه من نقص التمام سرار
ما كان إلا خير أمة أحمد … في العصر، لم تسمح به الأعصار
حبر، وبحر للمكارم، والتقى … والجود، والإحسان فيه بحار
ولكم لأحمد في المحامد رتبة … من طولها تتقاصر الأفكار
وله مناقب ما لحصر صفاتها … عد، ولا حد، ولا مقدار
وله الشعور بكل علم نافع … عقلا، ونقلا، في الأنام شعار
وله التزهد، والتعبد والتقى … ما بين أرباب الدثور دثار
وله، إذا فخر الفخور بزينة الـ … ـدنيا بتشعيب الحياة، فخار
ولأشرف الأشياء علم نافع … لا درهم يغني، ولا دينار
إن أظلمت سبل النهى لسكونه … فلذكره في الخافقين منار
ولقد علا الإسلام جل مصابه … لكنها لا تدفع الأقدار
لو كان في الدنيا يدوم مخلدا … بشر، لخلد أحمد المختار

ولكل حي خلع ثوب حياته   علما بأن ثوب الحياة معار
فيم النجاة؟ وكل حي ميت   إلا الإله الواحد القهار
ولقد أسفت على فراقي أحمدا   إذ ليس لي قضيت به الأوطار
لو كان يُفد هان عند فدائه الأ   موال، والأولاد، والأعمار
قد كان مغناطيس أفئدة الورى   أنسا، ولكن في القليل نفار
ما كنت أحسب أن يوم وفاته   يبدو المصون وتهتك الأستار
بكر النساء من الستور ثواكلا   ومن الخدور النهد والأبكار
والناس أمثال الجراد، لهم على الـ   ـتابوت منه تهافت ودوار
فكأنه يعسوب نحل نحوه   حيا وميتا للنفوس مطار
ملأت محاسنه البلاد، ونوهت   بحديث معجز فضله الأمصار
وجرى بأفواه الأنام ثناؤه   فالأرض روضة ذكره معطار
يفنى الزمان وينقضي وبأحمد   وحديثه تتحدث السمار
فأحله الرحمن دار أمانة   ليزول من خوف عليه حذار
وحباه ظلا صافيا في جنة   فيحاء، تجري تحتها الأنهار

تمت وهي ثلاثة وأربعون بيتا.

وله أيضا يرثي شيخ الإسلام – رضي الله عنه –:

لمصاب البر التقي الإمام   كل دمع من الورى في انسجام
والبواكي لهم عليه نواح   كفقيدات صادحات الحمام
مات يوم الاثنين، والسر فيه   غير خاف على ذوي الأفهام
موته عظّم المهيمن فيها   قدره في عموم جمع الأنام
حفه الناس أجمعون: رجالا   ونساء، سعيا على الأقدام
ومشوا تحت نعشه، وهو من فو   ق رؤوس الأعيان (والحكام)
يسبلون الدموع من خشية اللـ   ـه، وحزنا كمسبلات الغمام
وضجيج العباد سرا وجهرا   كدوي في سامق الجو سام
يا له مكفهر يوم عبوس   عاث في غابر السهي والسنام
كم به عاين الهلاك قوي   ذو نشاط لفرط كظ الزحام
يا لها من رزية، كان فيها   يوم بؤس في طوله فوق عام

جلّ فيه المصاب، حتى لقدر ... قّ تعثيره على الأوهام
كان شيخ الإسلام في العلم والزهـ ... ـد وحلّ مشكلات الكلام
فقد الناس منه بحرا عليما ... هديه كالأئمة الأعلام
منه حب الكتاب والسنة المثلى ... جرى في عروقه والعظام
بلغ الأوج من سماء المعالي ... وتسامى علما على كل سامي
وطوى ذكره البلاد انتشارا ... فهو حتى لعاد في الناس نامي
كان جبر الكسير إن هاضه الدهر ... وعون العاني، وحطم الحطام
كان حب الدنيا إليه بغيضا ... فوق بغض الصحيح ثوب السقام
كان لا يرهب الملوك ولا ير ... غب فيما لهم من الأنعام
كان وترا في الفضل فذا، وكل النـ ... ـاس جاءوا بشفعهم والتؤام
كان سمحا، بمثله الدهر ضنا ... في ليالي الزمان والأيام
كان سطرا في جبهة يقرا ... في البرايا، وشامة في الشآم
كان نفعا لكل من خاف ضرا ... في سبيلي حلاله والحرام
لم يكن ذا تأنق في متاع ... ولباس، ومشرب، وطعام
كان يخشى داء، ويرجو دواء ... وشفاء لكل داء عقام
كان في الله ذا انتقام ولا يو ... جد يوما لنفسه ذا انتقام
كان برا يُهدى به ذو ضلال ... كان بحرا، يروى به كل ظام
كان كالليث بالنوائب فتكا ... كان كالغيث بالمواهب هام
في يديه وصدره كل بحر ... زاخر بالنوال والعلم طام
أي ندب، شهم، شجاع، جواد ... (أروع) ماجد سريُّ همام
قام لما تذبذب النا ... س، عليهم لما نبا كل حام
كم له في حنادس الخطب والخلـ ... ـق نيام حتى الضحى من قيام
وجميع الأنام من شدة الخو ... ف نيام من الردى في منام
وبنو فارس قد افترسوا النا ... س افتراس الأسود سرح الشوام
ودمشق الشآم بعد انبساط ... من ضواحي رستاقها في انضمام
إذ غزانا على العلوج قزان ... وغزانا من فارس بالطغام
فأعاد العزيز منا ذليلا ... ذا صغار، ينقاد كالأنعام
فنضاه الجبار، جل ثناه ... في وجوه العدى كحد الحسام

فحمانا بالله من كل طاغ لا برمح، وصارم، وسهام
يا له — حين فر كل كمي من حماة الإسلام — عنا محامي
يا ابن تيمية، عليك خصوصا وعموما، تحيتي وسلامي
يا سليل العلا، عليك القوافي قد بكت في الطروس بالأقلام
يا فقيد المثال: علما، وحلما وقريب المرمى، بعيد المرام
يا بطيء الإحجام إن عز خطب وسريع القيام والإقدام
يا محلى، وكاسيا كل فضل ومعرى من كل عار وذام
كف طرفي إن لذ من بعد مرآك لأجفانه لذيذ المنام
وبودي — بفقد شخصك — لوحام على أيكتي حمام حمامي
ولعمري، يا من له في فؤادي لحد ذكر، دوامه بدوامي
إن حللت الثرى فروحك حلت يا ابن عبد السلام، دار السلام
فسقى تربة حواك ثراها كل مزن بوابل ورهام
وإذا سحت السواري بسح والغوادي، جدناك بالدمع دام

تمت بحمد الله وعونه، وعدتها اثنان وخمسون بيتا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

للإمام نجم الدين إسحق بن ألمى التركي، يجيب صدر الدين بن الوكيل في قصيدة هجا بها شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية وزعم أنه لما خرج من دمشق في محنته الأولى مطرت السماء:

من مبلغ عني الخبيث مقالة كالسيف أقصم ظهره بفرنده
أزعمت إذا غاب الإمام همى الغمام؟ كذبت، بل بكت السماء لفقده
أو ما ترى شمس الضحى في مأتم والجو قد لبس الحداد لبعده؟
فليدخلن لأرض مصر إمامنا بسكينة حفت به من عنده
وليرجعن إلى دمشق مؤيدا حقا، كما عاد الحسام لغمده
وترى بعينك ما يسوؤك من علا يفنى الزمان، ولا نفاد لمجده
أظللت من حمق به مشتبها أين الثعالب في الثرى من أسده
محضتكما أيدي الزمان، فكنت كالزبد الجفاء، وكان خالص زبده
فاستر معايبك التي سارت بها الركبان في غور الوجود ونجده

فكفـــاك مقـــتا أن تكـــون محاربا ... لـــــولي رب العـــــالمين وعـــــبده

تمت وهي عشر أبيات.

تـــب إلى الله أيهـــا الإنســـــان ... فلمـــن تـــاب روضـــة وجـــنان

ولمـــن تـــاب في القـــيامة فـــوز ... ونعـــيم، وقاصـــرات حســـان

تـــب إلى الله من جميـــع المعاصي ... فلمـــن تـــاب عنـــده غفران

وللشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن الخياط الجوخي الدمشقي، يرثي شيخ الإسلام ابن تيمية – رضي الله عنه أيضا -:

بمصـــرعك الناعـــي أصم وأسمعا ... وصـــم الصفا من صدمة الحزن صدعا

فكم مقلة جفت جمودا من الأسى ... وكـــم مهجـــة سالت مع الدمع أدمعا

وكم ثاكل بالنوح والندب رجعت ... وكـــم فاضـــل بالنظم والنشر سجعا

ولم يبق ذو علم، وزهد من الورى ... لفقـــدك إلا كاســـف البـــال موجعا

تنكـــرت الدنـــيا على كل عارف ... رأى مـــنك مأهـــول المـــنازل بلقعا

جعلـــت لمن أخلى مضيفا ومربعا ... فـــؤادي وأجفـــاني مضـــيفا ومربعا

فـــيا أحمد المحمود، قد كنت للهدى ... مـــنارا، وللشـــرع الحنيفـــي مشرعا

وللـــدين والدنـــيا ضـــياء وبهجة ... إذا لاح وجـــه الخطـــب أسود أسفعا

رميـــنا بـــرزء منك، لم تستطع له ... يـــداي، شـــديد الأيد والكيد مدفعا

رحلـــت عن الأوطان رحلة نازح ... إلـــيهن لم تـــزمع مدى الدهر مرجعا

لقـــد كـــنت عن شر بطيئا ووانيا ... وفي طلـــب الخيرات عجلان مسرعا

وللحلـــم طودا راسخا باذخ الذرى ... وللجـــود والإحســـان والعلـــم منبعا

وركـــنا لـــدين الله حـــين تهدمت ... قـــواعده مـــنه وَهَـــى وتضعضـــعا

وروض عـــلاء ناضـــرا عاد ممعرا ... وصـــوح مـــنه كـــل ما كان ممرعا

ومجمـــع شمـــل شتت الشمل فقده ... وأنـــواع أشـــتات الـــنوائب جمعـــا

وحـــبرا حـــوى حيـــزومه وبنانه ... بحـــار الـــندى والجود والعلم أجمعا

سرى ذكره في الأرض شرقا ومغربا ... سرى نشر عرف المندل الرطب ضوعا

وجـــازت مساعيه الكواكب عدة ... مـــع القطـــر إذ فاتـــت رمالا ويرمعا

فيا حلمه، ما كان في القلب أوجعا ... ويـــا يـــومه مـــا كان في العين أفظعا

ويـــا لك من خطب جليل وحادث ... عدمـــنا بـــه الشهم الجواد السميدعا

ومـــن يوم بؤس عابس الوجه كالح ... ســـبانا هماما، يـــؤمن الروع أروعا

مطـــيعا لرب العرش لم يعص أمره ... ومـــنه لـــه في العصـــر لم نر أطوعا

منيـــبا إلـــيه، قائمـــا بحـــدوده ... إلى حـــين ولى مـــنذ نشـــا وترعرعا

(هزبر) ومقدام على (العرف كله) ... ملـــيكا لمـــنع المنكـــرات ممـــنعا

شـــجاع جـــلال في جدال بحوثه ... بعـــيد جـــبانا كـــل من كان أشجعا

يصول بسيف العلم في معرك النهي ... وأرمـــاح شـــرع الجهل أقبلن شرعا

وفي عصـــره كـــم من إزالة بدعة ... ومنكـــر فعـــل قـــد أجـــاد وأبدعا

ومـــا كان إلا الشمس في ليل باطل ... يـــرينا بـــنور مـــنه للحـــق مطلعـــا

فكم من ظلام الظلم زحزح غيهبا ... بســـاطع نور العدل من حين شعشعا

وكـــم مـــن كـــرامات له ومناقب ... يضـــيق بهـــا وســـع الـــزمان توسعا

وكـــم من طريق في المباحث مبهم ... بإيضـــاحه أضـــحى لســـارية مهيعا

وكـــم سامها النقصان والخفض حاسد ... وخـــص كمـــالا زائـــدا وتـــرفعا

تـــولى عـــن الدنيا حميدا، ولم يكن ... لزخـــرفها المذمـــوم يـــبدي تطلعـــا

وعـــاش إلى أن مات، لم يعط نفسه ... بتأمـــيل مـــا في دار دنـــياه مطمعـــا

إمـــام علـــيم، خاشـــع، متواضع ... لهيـــبته تنضـــي النواظـــر خشـــعا

سحاب علوم روض الأرض فضله ... وألبســـها بـــرد البـــيان الموســـعا

ونضـــر مـــنها بالفضـــائل أوجها ... وتـــوجها تـــاج المعـــالي المرصـــعا

وخلفهـــا مـــن بعـــد صيب صوبه ... علـــيها رياضـــا للعقـــول، وأقلعـــا

كـــذا المزن، أنى جاد بالوابل الثرى ... وروى صـــداها حـــتى أن يتقشـــعا

فللـــه مفقـــود فقـــدناه نافـــع ... لـــنا مـــنه – غـــير الله – لم نر أنفعا

شـــغفنا بـــه في الله حبا، فلم يدع ... هـــواه لغـــير الله في القلـــب موضعا

علـــيك، أبـــا العباس، أحمد لم يزل ... فـــؤادي بـــتذكار الفـــؤاد مـــروعا

إلى أن يـــريني الله وجهـــك سافرا ... بنضـــرته يـــوم المعـــاد مـــبرقعا

تمت وهي ثلاثة وأربعون بيتا.

مرثية للشيخ برهان الدين أبي إسحق إبراهيم ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم التبريزي، يرثي شيخ الإسلام، وهي ثالثة ثلاث مرات، عدة أبياتها ثمانون بيتا:

لفقد الفتى التيمي تجري المدامع … وتصدع بالنوح الحمام الصوادع

فتغرق جفنا، قد تقرح بالبكا … وتضرم نيرانا حوتها الأضالع

وبالماء يطفي كل نار، ونارنا … مؤججها بين الضلوع المدامع

وأما الحمام الصادحات فإنها … حمام حمام للقلوب صوادع

على ماجد جلت مآثره التي … لها في قلوب العارفين مواقع

علوم، وأخلاق كرام، وسؤدد … وجود، ومجد باذخ، وتواضع

وزهد، وإيثار، وتقوى وعفة … وتلك سجايا حازها وهو يافع

هو الحبر: أما المشكلات فحلها … يسير لديه، وهو في الحل بارع

وأما عقود الدين، فهي وثيقة … لديه، وعنها بالرماح ينازع

إمام، بكته أرضه وسماؤه … بكاء حزين، حزنه متتابع

وما لهما لا يبكيان لفقد من … عن الله لم يقطعه في الكون قاطع

وحق لمن كانت جوامعهم له … جوامع، يبكوا فقده، والجوامع

ولو بكت الدنيا، وما كان حقها … فواحدها قد كان، والشمل جامع

وقد أصبحت ثكلى تُعزى بفقده … ومن بعده هالت عليها الفجائع

ولولا ابتغاء الأجر كان اصطبارنا … الجميل قبيحا، إنما الصبر نافع

ومغيره لولا حرارة وعظه … عليه قديما، حرقته المدامع

ومازال في حق ابن تيمية الفتى الـ … إمام تقي الدين أحمد ضائع

أما كان شمسا في المطالع يُجتلى؟ … فغادت عليه فاختبته المطالع

وشامة خد الشام قد كان علمه الشـ … ـريف على الخد المكرم طابع

ونجم هدى للسالكين إذا سروا … وبدر منير في الدياجي طالع

وقد غاب البدر عنه ولم يشم … لشائمه برق على الشام لامع

ولا افتر ثغر الشام من فرط حزنه … على من عليه مدمع العين هامع

وبدر الدجى إن غاب لم تشرق الدنا … ولو أشرقت فيها النجوم الطوالع

ومن مودعات الله كان استرده … ولابد يوما أن ترد الودائع

ولكن به عاشت نفوس ومتعت … قلوب وأبصار، ولذت مسامع

أجـــاب لداعـــي ربه مسرعا، كما ... أجابـــوه أهـــل الاحتـــباء وسارعوا
دعـــــاه إلـــــيه ربــــه فأجابــــه ... ومـــن يدعـــه المـــولى إليه يسارع
وأصـــبح جـــارا للـــذي عز جاره ... كمـــا كـــان يمضي ليله وهو راكع
تـــبارك مـــن حلاه بالزهد والتقى ... ورصـــع ذاك الحلـــى مـــنه التواضع
وملكـــه قلـــبا مـــنيرا، وكيف لا ... وفـــيه مـــن الســـر المصون ودائع
وتـــوجه تاجـــا من الزهد والتقى ... لمعـــناه تـــيجان الملـــوك خواضع
ومـــالي إذا بالغت في وصف سيد ... حـــوى كـــل فضل في الأنام منازع
وما أنا وحدي واصف بعض وصفه ... فكـــم فـــيه وصاف وبالحق صادع
ومـــن بابـــه قد خصه الله دون من ... ســـواه وفضل الله ذي العرش واسع
إذا قـــيل: قـــد قال ابن تيمية الفتى ... مقـــالا: فكـــل للـــذي قال سامع
ونـــور الهدى والعلم والزهد والتقى ... علـــيه، علـــى رغم الحواسد ساطع
ومـــــا ذاك إلا أنـــــه لنبـــــيه ... نـــبي الهـــدى في كـــل شيء متابع
وفي الله لم تأخـــذه لـــومة لائـــم ... ولـــيس لـــه في نصـــرة الحق وازع
لـــه راعـــدا مـــثل الهلاك إذا بدأ ... تشـــير إلـــيه حـــيث كان الأصابع
وإن كـــان في تقـــوى سواه تنازع ... فمـــا في تقـــى هـــذا التقي منازع
إمـــام، عظـــيم، عـــالم، ومعلـــم ... صـــبور، شـــكور للمهـــيمن طائع
وأتـــاه ذو العـــرش المجـــيد مواهبا ... ولـــيس لمـــا يعطيه ذو العرش مانع
أمـــا كان في وقعات غازان جائلا ... بعـــزمه لـــيث، لم تـــرعه الوقائـــع
يقـــول لجيش المسلمين: ألا أبشروا ... بنصـــر علـــى الأعداء، والنصر واقع
فأصـــبح جيش المسلمين (مؤيدا) ... وغـــازان لاقـــى حـــتفه وهو راجع
تصـــانيفه في كـــل علـــم بديعـــة ... وفـــيها لأهـــل الابـــتداع بدائـــع
ولم يبـــتغ (شـــيئا) سوى وجه ربه ... وفي زخـــرف الدنـــيا عدته المطامع
فـــيا فوز من يحوي تصانيفه، ولا ... يـــزال لهـــا في كـــل وقـــت يطالع
علـــوما لمن يبغي النجاة اعتنى بها ... وللـــناس في تلـــك العلـــوم مـــنافع
وذو الفضـــل يؤتيه المهيمن فضله ... ولا حاصـــد إلا لمـــا هـــو زارع
فـــيا ثلمة في الدين، لم يرج سدها ... وخـــرقا عظـــيما، ما له الدهر راقع
فـــإن انتقاص الأرض من علمائها ... ســـيوف حـــداد للظهـــور قواطع
ويـــا محـــنة أربـــت على كل محنة ... وقارعـــة، غابـــت لـــديها القوارع

فكم شنت شملا بينه بعد جمعه ‏ وليس لما قد فرق البين جامع

كما فاق في الآفاق بالعلم والتقى ‏ وشاع له في الناس ما هو شائع

كذلك لم يسمع بمثل جنازة ال ‏ إمام تقي الدين أحمد سامع

مشيعها ضاق الفضا بازدحامهم ‏ ورصت بمن صلى عليه الجوامع

وزُف على الأعناق فوق سريره ‏ زفاف عروس نحو حب تسارع

وأودعه الأحباب عند وداعه ‏ لمن لم تخب يوما لديه الودائع

وعادوا من التوديع حرقى جوانح ‏ وغرقى جفون غرقتها المدامع

ومازالت النسوان يبكين فقده ‏ إلى أن نضت من دمعهن البراقع

فلو أنه يُفدى فدته نفائس ‏ النفوس، ولكن القضا لا يدافع

هنيئا لرمس ضم بحر فضائل ‏ فطوبى لقوم جاوروه وضاجعوا

فلابد من فضل (عظيم) ورحمة ‏ (تحيى) بها طول المقام المضاجع

وإني (بتذكاري) حلاوة عيشه ‏ (مدى الدهر ما استمرت لدى بقائع)

على أني بتذكاري صب مولع ‏ ولست لعذالي عليه أطاوع

ولولا التقى كان التصبر يتقى ‏ على رزئه لو أن صبرا يطاوع

وكيف يطيع الصبر في رزء سيد ‏ به لخطوب الدهر، كنا ندافع

فإن شئتمو يالائمينا فإننا ‏ لكم نتناسى ذكره ونصانع

فآتوا، ولن تأتوا بحبر مؤيد ‏ يضارعه، هيهات، عز المضارع

وإن عمكم عجز بإظهار سيد ‏ يناويه إن شئتم صلوا أو فقاطعوا

فقد وضحت أعذار كل من انتهى ‏ إلى السيد التيمي، وخاب المنازع

ثمانون عاما قد كسرت بحبها ‏ ومن جيش تسعين طلعن طلائع

فلم أر في عمري الذي طال مثله ‏ وما أنا في رؤيا المماثل طامع

ثلاث مرار قد نظمت بهذه ‏ له، ولي النظم الجموع مطاوع

فمن أجل ذا طالت وطابت لسامع ‏ وود من استجلى سناها يراجع

ومن حقه أنا نموت صبابة ‏ كمامات أحباب على الموت تابع

وإنا لنرجو أن نَقوم بحقه ‏ إلى حين يأتي حيننا وننازع

عسى الله في الجنات يجمعنا به ‏ فكل امرئ منا بذلك طامع

فلا أوحشت منه مواضعه التي ‏ به أهلت، واليوم عنّا بلاقع

وكان بها يتلو القرآن مفسرا ‏ غوامضه، حتى تنير المواضع

ولا بـــرحت تهمى سحائب رحمة عليـه كمـــا تهمـــي علـــيه المدامع

تمت والحمد لله وحده.

للشيخ شمس الدين الذهبي مرثية في الشيخ — رحمه الله -:

يـــا موت خذ من أردت، أو فدع محـــوت رســـم العلـــوم والـــورع
أخـــذت شيخ الإسلام وانفصمت عـــرى التقـــى، واشتفى أولو البدع
غيـــبت بحـــرا مفســـرا، جـــبلا حـــبرا، تقـــيا، مجانـــب الشـــبع
فـــإن يحـــدث، فمســـلم ثقـــة وإن يناظـــر، فصـــاحب اللمـــع
إن يخـــض نحـــو ســـيبويه يفـــه بكـــل معـــنى في الفـــن مختـــرع
وصـــار عـــالي الإســـناد حافظة كشـــعبة، أو ســـيعد الضـــبعي
والفقـــه فـــيه، فكـــان مجـــتهدا وذا جهـــاد، عـــار مـــن الجـــزع
وجـــوده الحاتمـــي مشـــتهر وزهـــده القـــادرى في الطـــبع
أســـكنه الله في الجـــنان ولا زال علينـــا في أجمـــل الخلـــع
مـــع مالك، والإمام أحمد، والنعـ ـمـــان، والشـــافعي، (والنخعي)
مضـــى ابـــن تيمـــية، ومـــوعده مـــع خصـــمه يـــوم نفخـــة الفزع

تمت وعدتها أحد عشر بيتا.

للشيخ زين الدين عمر بن حسان الدين أقش الشبلي يرثى الشيخ تقي الدين — رضي الله عنه -:

هـــل بعـــد بعدك طرف دمعه راق أم هـــل لداء أخى الأحزان من راق؟
بعـــدت عنا، فللأحشاء نار جوى تشـــب فـــيها بإزعـــاج وإحـــراق
إنـــا إلى الله مـــن خطب غدا مثلا عـــم الأنـــام بأوجـــال وإشـــفاق
كـــدنا من الحزن أن نقضي عليك أسى لمـــا بـــرزت لـــنا من فوق أعناق
لمـــا خـــرجت بيوم الدفن في أمم كأنـــه كـــان يوم الكشف عن ساق
وقلـــت: مات إمام المسلمين، فيا عـــين اذرفي، إن رعيتي حفظ ميثاق
لهفـــي علـــى ناصر للدين وهو إلى الغايـــات من كل فضل خير سباق
حوى فنون النهى، صدقا بلا كذب وحـــاز علم الورى في طيب أخلاق
لهفـــي على حجة الإسلام، كان له مـــناقب حازهـــا في حسن أعراق
بحار علم حوى، في صدره، وغدا ببحـــر جـــود لـــوافي المـــال نفاق

يـــزداد حـــزني علـــيه كـــل آونة ولـــيس يطفـــي لهـــيبي فيض آماق
غاضت بحار علوم الدين يوم ثوى ذاك الإمـــام بلحـــد تحـــت أطباق
نسعى إلى الدفن (مشيا) فوق أرجلنا وقـــل لـــو كان مشيا فوق أحداق
يا جامع الفضل قد جف الكتاب بما قـــد كـــان من بسط آجال وأرزاق
والمـــوت بعدك لا يُبقي على أحد لم يـــبق إلا الإلـــه الـــدائم الباقـــي

تمت، وهي خمسة عشر بيتا.

وقال بعضهم في شيخ الإسلام تقي الدين – قدس الله روحه -:

الحمـــد لله حمـــدا دائمـــا أبـــدا مـــباركا طيـــبا يســـتغرق العـــددا
ثم الصـــلاة علـــى الهـــادي وعترته وصـــحبه وذويـــه الصـــفوة السعدا
بهـــم وهم خير مأمول وأكرم مرجو وأعظـــم مقصـــود لمـــن قصـــدا
قـــد أنجـــز الله للأبـــرار ما وعدوا مـــن رفـــع نازلة مست إمام هدى
وأصـــلح الله ذات الـــبين وانفرجت شـــدائد فككـــت أهـــوالها الزردا
وأغمـــد الله ســـيفا كـــان مشتهرا وأطفـــأ الله جمـــرا كـــان قد وقدا
وألـــف الله ما بين القلوب على التـــ ـــقوى، وعرفها طرق الهدى وهدى
فأصـــبح الـــناس في صفو بلا كدر مـــن بعـــدما كان كل عيشه نكدا
وعـــدا علـــى الله حقا نصر ناصره كـــذا علـــيه بـــه القرآن قد شهدا
ولم تكـــن محنة، بل (منحة) جمعت لطفـــا خفـــيا، ولطفـــا للعيون بدا
فـــيها بصـــائر للمستبصـــرين بهـــا تُـــنبي لمن غاب عنها من لها شهدا
فداومـــوا شكر نعما كالحيا وكفَتْ علـــى الورى وكفت كل الأنام ردى
فـــيا لهـــا نعمـــة عمت سلامة من بالـــروح يُفدى وقلت أن تكون فدا
فهو الإمام الذي مازال عند ذوي الـــ إحكـــام في ســـائر الأحكام مجتهدا
إن قـــيل من هو؟ فاطرب عند ذاك وقل نجـــل ابـــن تيمية فاشدد به عضدا
أو قـــيل مـــن ولد هذا الكريم؟ فقل مـــن ولـــد مجد علا، أكرم به ولدا
مـــولى، لـــه في جـــلاد أو مجادلـــة لـــواء نصـــر وتوفـــيق قـــد انعقدا
تهـــاب مجلســـه العالي الملوك، ومن يخشى سطاه، ومن لم يرهب الأسدا
من أجل تعظيمه للحق لو وقف الليـــ ـــث الهصـــور لديه راح مرتعدا
وكـــونه تـــرك الدنـــيا وزينـــتها زهـــدا ولا ســـبدا أبقـــى ولا لبدا

تصغي المسامع (ليتا) عند منطقه ... كأنما السمع بالألفاظ قد عقدا
تذكر الله ذكراه ورؤيته ... تذكار واجد ما قد كان قد فقدا
ترى ازدحاما على أبوابه أبدا ... إما لكسب علوم، أو لنيل جَدى
لم يدع يوما على من خاض في دمه ... بغيا، ولا لام ذا لوم ولا حقدا
وربما استغفر الله العظيم لمن ... عمدا عليه اعتدى، أو قتله اعتمدا
كذا يكون فتى الفتيان، لا رجل ... يكون كالنمر الضاري إذا حردا
هذي المكارم لا قُعبان من لبن ... لا يكفيان لبعض الجائعين غدا
له صفات كنشر الروض تالدة ... غب العماد عليك الريح مفتقدا
أو كالنجوم التي تهدي أخا سفر ... ليلا، إذا ظل في الظلماء منفردا
عليه ألباب أرباب التقى عكفت ... ومجتني الشهد لم يعكف عليه سدى
من للمسائل، إن أعيت غوامضها ... يحل مشكلها المستصعب العقدا؟
ومن إذا رُصّ بالسادات مجلسه ... يكون في صدره صدرا إذا قعدا؟
يكاد يسلب ألباب الرجال بما ... يرويه مما يزيد المهتدين هدى
من العلوم التي عن ربه صدرت ... ومن حديث عن المختار قد وردا
وعن صحابته والتابعين، ومن ... أئمة ساد من عنهم روى سندا
أم من يشنف أسماع الأنام بما ... يربو على الدر منثورا ومنتضدا

سوى الإمام تقى الدين أحمد تا ... ج العارفين، وقاه الله كل ردى
ومن يحدث عن بحر، فلا حرج ... عليه، بل هو مأثوم إذا اقتصدا
وكم بمصر وبالشام الشريف فتى؟ ... لكن بمجموع هذا الحبر ما وجدا
كفاه آية تأبيد سعاية من ... سعى، ولم يستطع يؤذى له جسدا
لكنه حين حاز السبق من صغر ... وفاق كل كبير فاق وانفردا
وحاز علما لدنيا، ومنقبة ... تفتتت منه أكباد العدى حسدا
فأجمعوا كيدهم يبغون فتنته ... فما أعان عليه ربه أحدا
ولم يطق حاسد فى الأرض قاطبة ... بأن يمد بمكروه إليه يدا
وكان سيفا على الأضداد مشتهرا ... فحاولوا أن يكون السيف منغمدا
ومن يصد سنا شمس إذا طلعت ... أو يحجب البدر إن شق الدجى وبدا

ونور ربك لا يطفى، وإن حرص الخـ ... ـــب اللئيم على الإطفاء واجتهدا؟

وقـد درى كـل ذى خـبر بأن له ... مـن فـيض بحـر عطايا ربه مددا

وقـد علمـتم بـه لمـا ادعاه إلى ... مصـر الـذين علمتم ما بها وجدا

فاسترشـد الله فى الإصدار عن بلد ... نـبا بـه، واسـتخار الله، ثم غـدا

فاخـتار مسـراه مـولاه ووفقـه ... فـيه، وهـيا لـه مـن أمره رشدا

وسـار، والله يكلـؤه ويحرسـه ... وكـيف لا؟ وعلـيه كـان معتمدا

والشمس ما حجبت بالغيم عن بلد ... إلا أن سـناها غـيره بلـدا

فالـدر لو لزم الأصداف ما ارتفخ اللبـ ... ـــات، وارتكب التيجان واقتعدا

لم يـبق تـوديعه يوم الرحيل لذى ... صـبر وذى جلـد صبرا ولا جلدا

كـأن حاديـه يـوم اسـتقل بـه ... مسـيره نحـو مصر بالقلوب حدا

فاسـتعبرت أعـين كـادت لفرقته ... تبـيض حـزنا وأولاها البكا رمدا

هـذا، وكـم قد قضى ظام إليه ولم ... يقضـى له قبل وشك البين أن يردا

ومـا يضـر فـتى حالـت منيـته ... دون الأمـانى إذا ما عد فى الشهدا

فحـل مصـر عزيـزا عند مالكها ... وفى مهماتـه أضـحى لـه عضدا

لتشـرق الدولـة الغـرا بـه، وإذا ... أضـل جهـل جهول بالعلوم هدى

ويأمـر الـناس بالتقوى ويخبرهم ... بسـنة المصـطفى، فعـلا ومعتقدا

ولايـزال بأعلـى فـرق منـبره ... منزهـا أحـدا فى ملكـه صـمدا

وفى مجالسـه اللاتـى يحـف بهـا ... ملائـك الذكر تحصى من لها شهدا

يدعـو لسيدنا السلطان ناصر ديـ ... ـــن الله نجـل قلاوون الفتى أبدا

بـأن يـدوم لـه فى الملـك أربعة ... عـز، ونصر، وتأبيد، وكبت عدى

حـتى يملكـه الله العـراق فيمحو ... الشرك، والرفض منها، والذى مردا

وعـاد من مصر نحو الشام فى دعة ... مصـالحا، مصلحا ما كان قد فسدا

فحـين وافى دمشـق الشام محترزا ... مـن حـل عقد وداد للورى عقدا

روى صـدى مهج قد طالما ظمئت ... إلـيه شـوقا، وجلى للقلوب صدا

وجاءنـا بعـد يـأس مـثل عافية ... جـاءت علـيلا، فلما مسّته هدى

ولاح شمـس على روض وسح ندى ... والشمس عادتها فى الروض رفع ندى

واخضـر روض الأمانى ثم فاح شذا ... بـان الحمـى، وتغنى ورقه، وشدا

وصفق (النهر) والأغصان قد رقصت ... مسـرة بفـتى مـن مصر قد وردا

وســر أهــل التقــى من كل طائفة ... أن عــاد أكــرم ممــا كان حين بدا

وأنجــح الله فى الدنــيا مقاصــده ... وســوف يؤتــيه أجر الصابرين غدا

فادعــوا لــه، ولمن كان السفير له ... حــتى ألم بكــم مــن بعد ما بعدا

وحقــق الله مــا أملــتموه لــه ... وصــار كــل بكــل عيشــه رغدا

فقــل لقــوم شقوا: زال الشقاء إلى ... أعــدائكم، وبقيــتم أنــتم السعدا

عــين اصــابت، ولكن عين عائفة ... ألا تــروه رقــاد المــوت قد رقدا

والله مــا خــيب الله الــدعاة لــه ... مــن كــل عبد له يدعو إذا سجدا

لكــن أجاب وأعطى فوق ما طلبوا ... فالحمــد لله حمــدا دائمــا أبــدا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجى:

قال: أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الشيخ الإمام سعد الدين أبو محمد سعد الله بن نجيح فى مدح شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية — قدس الله روحه ونور ضريحه ورحمه وعفا عنه:

أيهــا الماجــد الــذى فاق فخرا ... وسمــا رفعــة علــى الأقــران

يــا إمامــا أقامــه الله للعــالمين ... هاديــا باللطــف والإحســان

يــا غريب المثال، يا موضح الإشــ ... ــكــال بالبيــنات والــبرهان

يــا تقــي الدنــيا مع الدين، يا من ... خــص بالفضــل واكــتمال المعاني

لا تحمــل العــواد إن أكثــروا التر ... داد أو أقدمــوا بــلا اســتئذان

أنــت روح الوجود فى عصرك الآ ... ن وقلــب الــورى، وعــين الزمان

والــبرايا إذا اعتــبرت جمــيعا ... مــنك أضــحوا بمــنزل الجــثمان

وإذا الــداء خامــر الروح والقلــ ... ــب تعــدى الــداء إلى الأبــدان

فجديــر بســائر الصحب إن هم ... أطنــبوا فى الســؤال للــرحمن

أن (يــدم) ظلــك الظلــيل عليهم ... ســالما مــن طــوارق الحــدثان

بالــنبى الهــادى محمــد المبعوث ... بالمعجــزات والقــرآن

وبأصــحابه مــع الآل والأزواج ... والــتابعين بالإحســان

صـلوات الإلـه تتـرى علـيهم وعلـيه مـا أشـرق الـنيران

عدتها ثلاثة عشر بيتا.

يـا من له فطنة فاقت ذوى الفطن يـا ذا المـناقب والأفضـال والمنن
يـا من أواليه فى سرى وفى علنـى لا تلجـنى فى انجـذابى من بنى الزمن

وله رحمه الله

ولا اغترابى عن الأهلين والوطن

يـا مـن لـدين هواه بت معتقدا ومـن بـذيل هـواه ظلـت معتضدا
كن لى عذيرا فلا نلت العدات غدا ولا تلمنـى إذا أصبحـت منفـردا

عن الوجـود بلا خـل ولا سكن

كـم جهـد مثلى أن يخفى تململه عـن الوشـاة، وأن يخفـى تحملـه
إن ثم دمعى بأسـرارى يحـق لـه فـبى من الوجـد ما إن لـو تحملـه

رضوى لذاب جوى، أو بذيل لفنى

لكـن قلـبى، وإن ضاقت مسارحه لمـا حـوته مـن الـبلوى جوارحه
بـه غريـم غـرام لا يبارحـه ولى مـن الفكـر ندمـان أطارحـه

ما بى، فأفهـم ما يشكو ويفهمنى

شـغلت فـيه بـه عمن سواه فما ألـوى على صرف دهر جار أو رحما
ولا أبالـى أذاع السـر أم كتمـا وكيف أصبـح بالأغيـار (ملتئمـا)

وبعض ما بى عن أباى يشغلنى

هذا ولو أضرمت فى القلب نار غضى مـا ازددت إلا ابتهاجا بالهوى ورضا
لكـن جوهر صبرى مذ غدا عوضا أنشدت قـول الفتى الجبلى متعضـا

به ومن مثل قول السيد الحسن

مخاطبا لجهول بات يؤلمه عذلا، ويلحاه فما ليس يعلمه
عنى ملامك إنى لست أفهمه ورب وقت وجودى فيه أسأمه

دع الأجانب بل روحى تزاحمنى

تمت

* * *

وله فيه أيضا رحمه الله ورضى عنه

يا عالما جل عن ضد يضاهيه وفاق أقرانه فيما يعانيه
ياذا الفضائل، يا زين الأمائل، يا مردى المماثل، يا موهى مناريه
إيضاح فضلك لا يحتاج تكملة لكن مفصله عن ذاك مجزيه
يا من إذا رمت أن أحصى مناقبه نظما ونثرا وأنشيه وأرويه
حصرت لولا سجاياه تهذبنى لما ظفرت بمعنى من معانيه
محرر المجد فى مدحيك لخص لى هداية أرشدت إرشاد تنبيه
يا عمد المقتدى حقا ومقنعه فيما يروم، وكافيه ومغنيه
ويا نهاية طلاب الرعايا من وسيط علم، وخبر أنت حاويه
يا غنية المبتغين الرشد مانحهم فتوح غيب أتى من عند باريه
أبديت تعجيز أهل النظم فاعترفوا بالعجز عن كنه ما أصبحت تبديه
لله كم ميت علم أنت تنشره من بعد ما كادت الأيام تطويه
وكم حصون ضلال أنت هادمها قهرا، وكم قول غاو أنت موهيه
بينت إفساد ما قد حللوه لهم تبين تحريم لا تبين تنزيه
من الدياثة، حيث الجعل يبذله المسـ ـكين من كفه، كيما يكافيه
وقمت بالحق فى ذا العصر مجتهدا فى نصره مبطلا دعوى أعاديه
يا حجة الله فى هذا الزمان على الـ ـوجود ما بين قاصيه ودانيه
يا من براه إله العرش داعية إلى الهدى بطليف من تأتيه
يا كاشف المشكلات المعضلات لنا بأبلج مستنير من فتاويه
يا من أبى مقولى إلا مدائحه ولو مدحت سواه كنت أعنيه
ومن حدانى إلى أنى أخاطبه بالمدح، حتى كأنى لا أناجيه
إلا مخافة ذى محل وذى حسد يلحى، فيعرب عما فيه من فيه

تمت

وإن تعـــرض ذو ضـــغن تلوث له ... فـــذلكن الـــذى لمتـــننى فـــيه

وله أيضا يذكر ذل الخصوم رحمه الله

لئن نافقوه، وهو فى السجن، وابتغوا ... رضـــاه، وأبـــدوا رقـــة، وتـــوددا

فـــلا غـــرو إن ذل الخصوم لبأسه ... ولا عجـــب إن هـــاب سطوته العدا

فمـــن شـــيمة العضـــب المهند أنه ... يخـــاف ويرجـــى، مغمـــدا ومجردا

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

أيـــا مـــن مناقـــبه فاخـــره ... ويـــا مـــن مواهـــبه غامـــره

ويـــا مـــن ســـحائب إفضـــاله ... بآمـــال آمالهـــا ماطـــره

ويـــا مـــن لـــه همـــة لم تـــزل ... بـــنجح مقاصـــده ظافـــره

ويـــا مـــن عـــزائمه لا تـــنى ... إلى درجـــات العـــلا ســـائره

ويـــا لـــيث حـــرب إذا ما سطا ... تـــذل لـــه الأســـد الكاســـره

ويـــا طـــور حلـــم إذا مـــا جنى ... علـــيه امـــرء يســـتثنى عـــاذره

وإن نـــال مـــنه بســـوء المقـــ ... ـــال وقـــبح الفعال غدا غافره

ويـــا بحـــر علـــم تكـــاد البحا ... ر تفـــيض بأمـــواجه الزاخـــره

ويـــا مـــن أدلـــته بالنصـــو ... ص لأخصـــامه (أبـــدا) قاهـــره

ويـــا مـــن بـــراهين أقـــواله ... كشـــمس الضحى إذ بدت سافره

ويـــا مـــن عـــوارف عـــرفانه ... تفـــوق علـــى الأنجـــم الزاهـــره

ويـــا مـــن صـــوارم آرائـــه ... لأعـــناق أعدائـــه باتـــره

ويـــا قـــدوة يقـــتدى العارفـــو ... ن بـــنور هدايـــته الوافـــره

ويـــا مـــن قصـــده بهـــدى الطا ... لـــبين يـــؤيد باطـــنه ظاهـــره

ويـــا داعـــى الخلـــق فى عصـــره ... إلى الحـــق بـــالحجج الباهـــره

ويـــا مـــن مكـــارم أخلاقـــه ... زكـــت بعناصـــره الطاهـــره

ويـــا مـــن بدائـــع أوصـــافه ... تعـــين علـــى مدحـــه شـــاعره

ومـــاذا عســـى يـــبلغ المادحـــو ... ن مـــن القـــول بـــالفطن القاصره

وبحمدك قد أعيا الواصفيـ ـن وصير أذانهم حائره
ولكن ذلك جهد المقل فكن بالقبول له جابره
أيا من دعائى ويا من ولائى وفاتح أثنيتى العاطره
لعلياء حضرته دائما تردد وارد صادره
لعمرك إن كان حظى غدا من الله فى دار الآخره
كما هو عندك فى هذه فتلك إذا كرة خاسره

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

الله نشكر مخلصين، ونحمد وله نعظم دائمًا، ونُوحد
وبذيله الضافي نلوذ ونلتجي وإليه نسعى مخبتين ونحفد
وبه نصول ونستعين على العدى إذ لا سواه لنا إله نعبد
فله الثنا والمجد، إذ هو أهله وله الجلالة والبقاء السرمد
مولى حيانا في فتور زماننا بفتى يثقف ديننا ويسدد
أعني تقى الدين، أكمل سيد لدعائم الشرع الشريف يشيد
العالم الورع المحقق، والذى من دون رتبته السهى والفرقد
من جاد بالنفس النفيسة منه فى ذات الإله ولم يرعه تهدد
من لم يخف فى الله لومة لائم كلا، ولم يرجعه عنه مفند
حبر حباه الله جل جلاله بصفات مجد فى علاه تخلد
هو بحر علم، طود حلم راسخ فى الحق لا وان ولا متردد
صدر لديه تحبب وتألف للمؤمنين ورأفة وتودد
وكذلك فيه على المنافق غلظة وتمنع، وتصعب، وتشدد
هو قائم لله يهدى خلقه أبدا إلى سبل النجاة ويرشد
فلذاك أصبح للبرية قدوة فى العصر إذ هو فيه قطب مفرد
لك يا أبا العباس، إذ عن فرقة من قبل، قد كانت لحقك تجحد

ضاقت بهم سعة الفضا مذ عاينوا / لك كل يوم رفعة تتجدد

ورأوك ممتازا بحسن مناقب / ليست لغيرك فى زمانك توجد

فعراهم الحسد المضل فأصبحوا / ولديهم منه المقيم المقعد

إن يحسدوك فغير بدع منهم / جم الفضائل لا محالة يحسد

راموا بلوغ مقامك العالى، وما / علموا بأنك فى المعالى أوحد

فدعا بهم داعى قصورهم: اخلدهم / ومع الخوالف ما حييتم فاقعدوا

لما نأت عزماتهم عن شأوك السا / مى، وصدوا عن حماه وأبعدوا

هموا بأمر لم ينالوا منه ما / طلبوا، لقد ضلوا ولما يهتدوا

ورموك بالإفك الفظيع، وأطنبوا / بالقول فيما زوروا، وتقلدوا

وبغوا عليك بما افتروه تعمدا / وسجية الباغين أن يتعمدوا

لم يتركوا شيئا به يتوصلوا / طمعا إلى ما قرروه وأكدوا

غلا نحوه، وبالغوا فى جهدهم / لكن سعدت، وإنهم لن يسعدوا

حتى إذا ما استيأسوا من نيل ما / كانوا جميعا حاولوا وتقصدوا

خافوا سطاك فأجمعوا آراءهم / أن يودعوك السجن، ثم يخلدوا

فأبى إلهك أن ينالوا منك ما / راموا وهل يزكو لباغ مقصد

ما ذاك إلا حال يوسف حذته / إرثا حباك به الكريم المرفد

فبلغت فيه من الرياضة فوق ما / تختاره، وصفا لديك المورد

ثم انقضت أيام خلوتك التى / كمل العلاء بها وتم السؤدد

وبرزت كالإبريز فارق كيره / فاحتار فيه الجهبذ المستنقد

وظهرت كالصبح المنير إذا بدا / فى الأفق فانقشع الظلام الأسود

وشهرت كالعضب المجرد مقسما / فى غير هام عداته لا يغمد

فهناك أعقد للجدال مجالس / كانوا أرادوا أنها لا تعقد

فرأوا نكولا عن جدالك خيفة / وتذبذبت آراؤهم وتفندوا

حتى إذا أمروا بذاك وأيقنوا … أن الخميس، ولا خلاف، الموعد

حشدوا عليك جموعهم وتحزبوا … وتواثبوا وتحفلوا وتجردوا

وحموا عصابتك الحضور وجادلوا … إذ هم لك أفردوا

فنهضت معتصما بربك واثقا … متوكلا تثني عليه وتحمد

وإليه أخلصت التوكل موقنا … أن ليس يخذل من به يستنجد

ثم استخرت الله واستفتحته … فيما تروم من الأمور وتقصد

فحباك منه عواطفا ولواطفا … يفنى الزمان وذكرها لا ينفد

وأتاك نصر الله والفتح الذى … بهما جميعا كنت منه توعد

فوثبت وثبة ثائر لله لم … يحفل بما حشدوا، ولا ما جندوا

أبديت من كنز العلوم غوامضا … مكنونة، لولاك كانت تفقد

أسمعتهم منها لما لم يسمعوا … وأتيتهم منها بما لم يعهدوا

أسندتها ورويتها نصا، كما … جاءت معنعنة، فيالك مسند

حصرت صدورهم عن استفهامها … وتحيروا لسماعها وتبلدوا

وبداهم ما لم يكونوا يحسبوا … مما يسوؤهموا ومما يكمد

فاسعد بها من محنة فى طيها … منح أقر لها الجحود الملحد

نلت الفخار بها وحزت مآثرا … سر الصحاب بها وغم الحسد

وغدوت فيها كابن حنبل تاليا … تقفو جميل جماله وتجدد

أخمدت نار جهالة، ما خلتها … لولا جهادك واجتهادك، تخمد

أرضيت ربك إذ أضفت كلامه … حقا إليه، وليس فيه تردد

وكذاك أثبت العلوم والاستوا … من غير تكييف وحصر يوجد

ونزول خالقنا إلى أدنى سما … ليلا، كما صح الحديث المسند

وذكرت أسماء الإله، ولم تزغ … ميلا إلى ما حرفوه وألحدوا

ورويت أخبار الصفات وآيها … مرا، كما نقل الثقات وجودوا

ونصــرت ملة أحمد الهادى، وقد أيــدت ســنته، فأنــت مــؤيد
وأقمت مذهب أحمد الثبت الصبو ر علــى الأذى، فلك الهنا، يا أحمد
أوضــحت منهجه السوى، وأنه مــذ كــان، فهو المستقيم الأرشد
وأثــرت محنــته، وقمــت مقامه فى العصــر ترغم شانئيك وتكمد
فاحمــد إلهــك، إنــه لك ناصر وأبشــر، فعاضــدك الــنبى محمد
المصــطفى الطهــر الزكى المجتبى الهاشمــــى الأبطحــــى الســـيد
خير الورى وأجل من وطئ الثرى وأبــر مــبعوث بــه يسترشــد
صلى عليه الله ما سجعت ضحى ورق علــى أعــلا الغصون تغرد
وعلــى صــحابته الكــرام وآله والــتابعين لهديــه وبــه هــدوا
والحمــــد لله العمــــيم نــــواله والحمــد (أفضل) ما يقال وأوكد

وله أيضا يمدحه رحمه الله ورضى عنه:

الحــق حصــحص لا عــذر لمعتذر وقــد تحققــه مــن كــان ذا بصر
وفــاح عرف شذاه فى الوجود فظــ ــل الكون فى أرج من نشره العطر
ولاح لألاؤه فى الأفــق، فانقشــعت غــياهب الإفك من خوف ومن حذر
وفــر يدبــر يمشى القهقهرى وهنا لــه توابــع تسـعى مــنه فى الأثر
مذبذبــون لضــعف العزم تحسبهم ســفرا (أصــابهم) جبن عن السفر
ضــاقت بهــم سعة الأقطار حين سما سمــو قــدر تقــى الدين فى البشر
وفــاق أنــداده فى العصــر قاطــبة بــالعلم، والحلم، والتفسير، والنظر
وامــتاز بالــدرجات العاليات على شــيوخ أشــياخهم فى سالف الدهر
كانــوا يظــنون أن العلــم منحصر فــيهم إلى أن أتــاهم أحمــد الأثر
ركــن الشريعة محيى العدل ناصر ديــ ــن الحق، مستنصر بالآى والخبر
فقــل بالــنص والإجمــاع جمعهــم فأصــبحوا بعد ذاك الحصر فى حصر

لا يهتدون إلى رشد، وإنهمو لفي ضلال، وفي غي، وفي سعر

قد حملوا حسدا من عند أنفسهم له فهم منه، في هم، وفي فكر

تبا لهم، ما الذى نالوا بسعيهم؟ وما عسى بلغوا فى ذاك من وطر؟

أيستطيعون أن يمحوا ما كتبت يد المهيمن بعد الذكر فى الزبر؟

أم يقدرون على تبديل ما نفذت به نوافذ أمر الله من قدر؟

بل كلما أوقدوا للحرب نار غضى بالكيد منهم طفاها منزل السور

ورد كيدهم فيه وأرجعهم بالتعس والنكس والخذلان والدبر

واختاره للورى داع إلى سبل الخيـ ـرات والنفع نهاء عن الضرر

واختصه منه بالزلفى وثبته بالحزم، والعزم، والتأييد، والظفر

وكم مناقب مجد قد حباه بها وزاده بسطة فى العلم والعمر

وكم له فى ذرى العلياء مرتبة منيفة نالها من بارئ الصور

وكم له من أياد فى العطاء غدت تربى على العارض الهطال بالمطر

وهمة فى المعالى غير دانية تزرى إذا ابتديت بالصارم الذكر

وكم له من كرامات مبينة سناؤها كضياء الشمس والقمر

وحسبنا عود أهل العود معجزة ما مثلها عبرة تبقى لمعتبر

رءوس كل ضلالات ومحدثة وبدعة نشأت فى البدو والحضر

لما استقر لديهم علو همته وأن سيرته من أكمل السير

وأن دعوته للناس كلهم إلى الهدى باجتهاد غير مختصر

وأنه قائم لله منتصب فى نصرة الدين لا يخشى من الخطر

خافوا سطاه، فمذ حلوا بساحته وشاهدوا مخبرا يوفى على الخبر

وعاينوا وجهه الهادى، وقابلهم منصور عزم برب العرش مقتدر

وجاءهم بأسانيد معنعنة عن الهداة الثقات القادة الغرر

وقام بالحجج المقبول شاهدها مميزا بين عرف القول والنكر

مــــبرهنا بــــدلالات مـــــنورة يهــدى لعــرفانها مــن كان ذا نظر

فأذعــنوا عــنوة للأمــر حين رأوا نــور الحقــيقة بــاد غــير مستتر

ولم يســـعهم ممـــاراة، ولا جـــدل لكـــنهم ســـلموا تســـليم منقهـــر

وهـــذه شـــيمة بـــين الورى عرفت فـــيمن يخالفـــه مـــن ســـائر البشر

إذ قلمـــا فـــاء مـــنهم للهدى أحد حـــتى يـــرى فـــيه أنواعاً من العبر

فالحمـــــد لله كالـــــــه وناصـــــره ومجتبـــيه وواقـــيه مـــن الغـــير

وأكمـــل الصـــلوات الراعيات على رســـوله المصطفى المختار من مضر

محمـــد الســـيد الهـــادى وعتـــرته وصـــحبه الأكـــرمين الأنجم الزهر

صـــلى الإلـــه عليهم كلما سجعت حمـــائم الـــدوح بالألحان فى السحر

تمت والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

وله أيضا فى تبيين عدم قيام الأصحاب مع الشيخ، حين يعظم الخطب، ويقع الحرب:

ســبرت خـــلال الأصـــفياء تدبرا ومـيـــزت أحوال الصحاب تأملا

فشـــاهدتهم فى السلم من تلق منهم تجـــده محـــبا يدعـــى صحة الولا

وعند نزول الخطب حاولت أن أرى أخـــا ثقة إن أدبر (الحرب) أقبلا

فلـــم ألـــق إلا لأنمـــا متـــبرما ولم أر إلا شـــــاتما مـــــتعقلا

فلمـــا تحققـــت الـــتخلف منهم شـــطبت عليهم شطبة الصب لا إلى

تمت

وله أيضا فيمن أبدى عذلا فى حبه ومتابعته جهلا:

ســـيان إن عذل الواشون أو عذروا لا خـــير عـــندهم مـــنه ولا خبر

لامـــوا على حبه جهلا، وما عقلوا وعـــنفوا فيه عدوانا، وما شعروا

ولـــو رأوا حســـنه الزاهى بأعينهم كمـــا أراه أقلـــوا اللوم واقتصروا

ولـــو تجلـــت معانيه الحسان لهم وشـــاهدوها كمـــا شاهدتها بهروا

لكـــنه مـــذ بـــدا لألاؤه غشيت أبصـــارهم فانثنوا منه وما نظروا

تمت والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله.

– مرة أخرى لغيره –

فقــد الأنــام فــوائدا وفضــائلا فقــدوا من العلم الشريف جلائلا
فى مــوت بحر العلم والحبر الذى ســلك العلــوم مذاهــبا ودلائلا
أعــنى تقــى الــدين أوحد عصره قــد كــان حقا بالفضائل عاملا
قــد أودع القــبر الشريف علومه عجــبا لوســع القبر بحرا سائلا
قــد كــان لا يحتاج طالب علمه كثــر السؤال، وليس يلقى سائلا
قــد كــان ركنا فى المواعظ جملة بحــرا عمــيقا إن أردت مسائلا
وإذا رآك يكــون حقــا باديــا لــك بالســلام مواردا ومسائلا
يــا رب، فارحمه وبل ثراه بالغيــ ــث الكريم، معاودا ومواصلا
يــا رب، وافعــل ذا بكل موادد ومجــاور قــبر الإمــام مــؤملا
يــارب، وارحمــنا، وكــل مشيع صــلى علــيه، أو أتــاه مقــبلا
مــن كــان مســرورا به وبعلمه مــن بعده، فالحزن أضحى عاجلا
زكــى الإلــه ثــراه، فضلا منه فى كــل الــزمان، وزاد غيثا هاطلا
بعــد السلام على النبى المصطفى أعلــى الــبرية فى المعــاد منازلا
وعلــى الصــحابة والقرابة كلهم والــتابعين أواخــرا وأوائــلا

تمت

وقال بعضهم فى شيخ الإسلام – رحمه الله ورضى عنه وجعل الجنة مأواه –:

دموعــي على صحن الخدود تسيل وصــبرى قصــير والغرام طويل
على فقد من قد كان للدين ناصحا وكــافح أهل الشرك وهو فضيل
لفقــد تقــي الدين ضاقت مذاهبى وفى كــبدى نــار الفراق تجول
إمــام كــريم، كــان لله عابــدا وفى زهــده شــرح هناك يطول
لقــد كان للإسلام كهفا ومسعدا إذا مــا أصــاب المسلمين نزول
وكــان على حكم المهيمن صابرا وفى كــل مــا يلقــى إليه حمول
بشــرع رســول الله قد كان قائما وعــن ســنة الرحمن ليس يحول

وجاهـد فى الـرحمن حق جهاده ... وكـان لـه صـبر علـيه جميل
لقـد بكـت الدنـيا حقيقا لفقده ... ويبكـيه علـم نافـع وأصـول
وفى أرض مصـر يالها من عجائب ... لديه جرت، وهو الصبور الحمول
ألا يـوم الاثـنين الذى كان قبضه ... ففـيه عـزاء المسـلمين جزيل
وفى سـجنه يـتلو ثمـانين ختمة ... قـراءة تـرتيل وقصـد سـبيل
وفى مـوته دقـت بشـائر رحمة ... أتـاه مـن المـولى رضا وقبول
وسـار إلى رب قـديم مهـيمن ... عظـيم كـريم لـيس ذاك قليل
علـيه سـلام الله مـا لاح بارق ... ومـا سـار غيث بالسماء هطول

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نظمه العبد الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته بدر الدين حسن بن محمد النحوى الماردانى فى الشيخ الإمام العالم العامل الأوحد، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام تقى الدين أحمد ابن تيمية — تغمده الله برحمته ورضى عنه:

ألا أيهـا القلب الذى عدم الصبرا ... أفق طالما جرعت من لوعة صبرا
ويا عبرات الجفن أظهرت بالأسى ... لـنا عـبرا بالدمع أسطرها نقرا
أيـا مـن خطـب الليالى مخاطب ... وشيمتها فى الناس أن تظهر الغدرا
وهل خالد فى الدهر عمرو وخالد ... لعمـرك لا يبقى، ولو أمل العمرا
قضـى ماجد، ما مثله اليوم واحد ... وأبقـى جميل الفعل من بعده ذكرا
دمـا لـو بكته دمنة الربع والدما ... وأمطرت الشعرى العبور لها العبرا
أو اغـبروجه الأرض يـوم مصابه ... لقل، وجل الخطب من فقده قدرا
فـتى ألف المعروف، والجود عادة ... تعـودها طفلا، وكان بها أحرى
كـأن لم يقـل يوما مقالا، فتنثنى ... إلى قـوله الأسمـاع طائعـة قهرا
ولا ظهـرت بـين الأنـام علومه ... ولا طرزت شاما ولا جملت مصرا
دعـانى ظلال الصبر فى صبر فقده ... فأرسل رسل الدمع من مقلتي تترا
سـننت، تقـى الدين، أحمد سنة ... وأوسعت فى كسب العلا بالندى صدرا

أيـــا شـــافعي الوقت فى ضبط نقله ... نثرت على الأيام من لفظاتك الدرا
قـــنعت وفى الدنـــيا زهدت ديانة ... وفارقتها واخترت ضرتها الأخرى
أفضـــت علـــى الأيام بحر مكارم ... وعلـــم، فأربحت المتاجر والأجرا
عجـــبت لقـــبر ضم جسمك تربه ... أيحوي الثرى فى تربه الشمس والبحرا؟
نقلـــت مـــن الدنيا إلى ظل روضة ... وحزت الذى أملت بالمقلة السهرا
وشـــاهدت فى حسن الزيادة نضرة ... وألبســـت وشيا عند نظرتها نظرا
تـــدرعت أثـــواب المحامد والتقى ... كعرضك بيضا وابتدلت بها خضرا
لـــئن نقـــل الأعـــداء عنك ضلالة ... روايـــة نقـــل ما أحاطت بها خبرا
وإن أودعـــوك السجن منهم جهالة ... فقد زدت قدرا عندما نقصوا قدرا
فمـــا يختفى إلا الجواهر فى الورى ... ومن ظلم الأصداف يستخرج الدرا
أيـــا ســـائلي، عن علمه، وصفاته ... هو البحر فاعجب فيه من يصف البحرا
هـــو الغـــيث، يثني عنه كل لطيمة ... من الروض بل تزكو لأوصافه بشرا
ســـما حاتما جودا، وفاخر عاصما ... ففاق لمن يقرى الضيوف ومن يقرا
أيـــا بطـــل، يـــوم الجـــدال مجدلاً ... فـــوارس علـــم من فواضله قهرا
إذا قـــال فى علـــياك أمعـــن قائل ... فما حاط من معشار ما نلته العشرا
ومـــاذا يقـــول المادحون بوصفه ... وقدرك فوق الشعر جل عن الشعرى
تفـــردت فى علـــم وزهـــد وفطنة ... فضلت بها فى الفضل بين الورى ذكرا
أعـــدت نهـــار الجهل ليلا مسودا ... وكافـــر لـــيل الكفر صيرته فجرا
نظمـــت علـــى جيد الزمان قلائدا ... بفضلك نظما من علومك أو نثرا
لقـــد كنت فى يوم الفخار وفى الوغى ... شـــجاعا يرد الليث عن سبله قهرا
سيوفك بيض مثل عرضك فى الورى ... إذا اســـود ليل النقع، صيرتها حمرا
كأنـــك قـــد أفرغت فى فرد قالب ... تلاشى فلم يصبر على قلبه أخرى
فجـــئت على الأيام فردا ومن رأى ... مـــثالك من كنز المكارم قد أثرى

فأقســـم بالقرآن فى العصر صادقا … بأنك قد شرقت من دهرك العصرا

ســقاك حيا من وابل الغيث سحرة … وحيا ندى قد ضم من كفك البحرا

ونـــور نـــوار الـــربيع ربـــوعه … واطلـــع فى أرجائه الزهر والزهرا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

وله ايضا فيه — رحمه الله ورضى عنه — آمين:

أبى الـــيوم ســـر الكون أن يتكتما … وصـــبغ مشيب الدمع أن يتكلما

وكـــل مصـــون من شجون ولوعة … به تم فرط الحزن والدمع (قد) نما

قضـــى ومضى مولى سما كل ماجد … فـــأوحش ربع المكرمات وأظلما

غمامـــة جـــود أقلعت بعد صوبها … وبـــدر ســـعود غـــاب لما تتمما

وبحـــر علـــوم غـــاض زاخر يمه … وركـــن معـــال قد وهى وتهدما

عيونى مصاب الخطب لما تحققت … بهـــا الدمع من جفنى تعندم عندما

أيـــا فاضل العصر الذى فى صفاته … تأخـــر من فى الفضل عندما تقدما

قضـــيت جمـــيل الفعل أوحد ملة … حمى الدين والإسلام عزما وسلما

ليهـــنك كـــم جدلت يوما مجادلا … وكلمـــته بـــاللفظ مـــنه تكلمـــا

نثـــرت علـــى فرق الزمان جواهرا … ودرا علـــى جـــيد الليالى تنظما

بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى … وجودك والإحسان أربحت مغنما

سبقت إلى الغايات فى الفضل للورى … علـــى قـــدم، مقدامها قد تقدما

مضـــى علـــم فى الناس صبر معلم … فـــأوحش من ربع المدارس معلما

فأصبح درس الفضل والعلم دارسا … يـــود بـــأن يشكو الجوى وتكلما

فـــتى لـــو قلامـــات الأظافر قلما … لكـــان شـــبيه مـــثله اليوم قلما

فلـــو أنصـــفته الباكـــيات لفقده … بكـــته دما من فيض أجفانها الدما

متى صير المعراج للخلد فى الدجى … بـــأوراده، لمـــا تســـلم ســـلم

فكـــم جادلـــت أقواله من معاند … تقاصـــر عـــنه، حين أقدم أحجما

وكـــم ردعـــت آراؤه من مخالف عـــن الدين بحثا، حين سلم أسلما
لبســـت تقـــى الدين ثوب نقاوة من الفضل عن مولى سواك تحرما
تخـــيرت ما يبقى على كل هالك فأربحـــت من تلك التجارة مغنما
لقـــيت الـــذى قدمـــته من صنائع مـــن الخير أو ماجدت من تكرما
وفى الحشـــر تلقى كل نفس نفائسا وتجـــزى الـــذى فى الناس أجرم
تأخـــرت عن نيل المناصب رفعت ومـــثلك فى أيامـــنا (مـــا تقدما)
بنـــيت على الإسلام ركنا ومعصما يقـــبل مـــنه المجـــد كفا ومعصما
أقمـــت قـــنادل الدين منك بعزمة وأطفـــأت نار الشرك منك فأظلما
صبرت على حمل الأذى منك راضيا وأعرضت عن فعل الأعادى تكرما
شهرت على أهل البدائع فى الورى صـــوارم شرك الكفر منها تصرما
وقفـــت علـــى يوم الجلاد شجاعة بعـــزم يـــرد المشـــرفى مـــثلما
إذا بكـــت الأبطـــال خوف قبيلة ضحكت بثغر فى (الوغى) قد تبسما
ولمـــا تـــبدى نـــور نعشك لامعا تمـــنت بـــنات النعش أن تتحطما
وودت بـــأن تدنو الثريا إلى الثرى نـــثارا علـــيه، رفعـــة وتعظمـــا
نـــزلت علـــى أهـــل المقابر رحمة وأنقـــذتهم من ظلمة الظلم والظما
ســـقى قبرك الوسمي فى كل سحرة ســـحائب رضوان به الروض وسما
ورف علـــيه الأقحـــوان مفلجـــا وأطلـــع فيه الروض نجما وأنجما

تمت والحمد لله رب العالمين.

قصيدة للشيخ الإمـــام جـــمال الدين عبد الـــصمد بن ابراهيم بن الخليـــل بن ابـــراهيم بن الخليل الحنبلى، يرثى شيخ الإسلام والمسلمين أبا العباس أحمد ابن تيمية — قدس الله روحه —.

وعدتها ثمانية وأربعون بيتا:

عـــش مـــا تشاء، فإن آخره الفنا المـــوت مـــا لابـــد منه ولا غنى
والدهـــر إن يـــوما أعان، فطالما بالســـوء عـــان، فعونه عين العنا

لا بد من يوم يؤمك حتفه … حتما، نأى الأجل المقدر، أو دنا

للنفس سهم من سهام نوائب … ترمى فتضمى من هناك ومن هنا

من غره الأمل المديد، فإنه … غر، لأن طعامه لن يسمنا

شمس الحياة تضيفت، ومشيبه … ضيف يجر من المنية ضيفنا

من حين أوجد كان نفس وجوده … فى الكون بالعدم المحقق مؤذنا

يا من يعد الدهر صاحب دهره … ويعد فيه للإقامة موطنا

أوما رأيت الموت كيف سطا بمن … فى الخلق عن محض العلوم تكونا

ندب مباح الصبر حظر بعده … فلم استحال وكان شيئا ممكنا؟

بذ الأنام، مع البذاذة فضله … إذ لم يكن بسوى التقى متزينا

ترك الجميع على الجموع، فلم يهب … تلك الجموع ولا استراب ولا ونى

ولكم مقامات له فى الحق، لا … بيض الظبا يخشى، ولا سمر الفنا

بالعرف يأمر، ناهيا عن منكر … متقربا، وهو البعيد عن الخنا

ويخص أوقات الخصاصة بالندى … فيعم عادا، فقره أعلا الغنا

فبخير ما سنن، وبالسنن اقتدى … والشكر والذكر الجميلين اقتنى

ما جار عن نهج الصواب وما اعتدى … وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى

إما تبارزه، تجده مبرزا … فى أى علم شئت، حبرا متقنا

وإذا تجاريه، فما السيل انبرى … إما جرى فى بحثه متفننا

متزهدا، متعبدا، متهجدا … متخشعا، متورعا، متدينا

فى كل عصر سيد، هو حجة الـ … ـبارى على كل الخلائق فى الدنا

ونرى أحق من استحق، فحاز ذا … من للإمامة لم يزل متعينا

شيخ الأنام وحجة الإسلام من … أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى

أعنى أبا العباس أحمد، بل تقـ … ـى الدين حقا والعليم الممعنا

فى الله ليس يخاف لومة لائم … ويرى النوى فيه نهايات المنى

لمـــا تحقـــق أن كـــل مخلـــف ... يغـــنى، وإن كان النفيس، المثمنا
لم يدخـــر قـــوتا لأجـــل غد، ولا ... أبقـــى لـــه إرثا سوى حسن الثنا
صـــدر حـــوى فى صدره لكماله ... مـــن كـــل علـــم معلوى معدنا
ظهـــرت ولايـــات الـــولاية بعده ... واســـأل لتصـــبح بالحقائق موقنا
واسمـــع مقالـــة أحمـــد مـــتوعدا ... أعـــداءه: يـــوم الجنائـــز بينـــنا
فأحـــق مـــا يبكـــى علـــيه فقده ... مـــا مـــوت هذا الحبر رزءا هينا
فـــيض الـــنفوس يقل فيه، فلا تلم ... وأعـــن عـــيونا فـــض فيه أعينا
يـــا مـــن أعاد أولى التشدق علمه ... خرســـا، وأنطـــق بالثناء الألسنا
يـــا دوحـــة الفضل التى فى أصلها ... طـــيب، وزاكى فرعها حلو الجنا
يا حبر، بل يا بحر، كم حيرت من ... حـــبر تصـــير ذا الفصاحة ألكنا
يـــا خـــاتم الفضلاء، علمك معجز ... بهـــر الورى، فصدرت عنه مؤمنا
إن كـــان ذا حفظـــا، فوقتك ضيق ... عـــنه، ولـــو كـــان الزمان له أنا
لكـــنه مـــن فضـــل ما هو قاذف ... بالحـــق مـــن نور الولاية والسنا
أسســـت بنيانا على تقوى ورضـــ ... ـــوان، فلا سيما قد ارتفع البنا
غـــبرت، يـــا مـــن لا يشق غباره ... فى أوجـــه الفضـــلاء قـــدما قبلنا
جاهـــدت فى ذات المهيمن صابرا ... عـــند الأذى، فأتت بشارات الهنا
إن الـــذين يجاهـــدون عـــدونا ... فيـــنا، ســـنهديهم إليـــنا ســـبلنا
الله قـــد أثـــنى علـــى العلماء فى ... نـــص الكتاب وأنت أولى من عنا
لا غـــرو إن كـــنت ابتليت بحاسد ... فالحـــر ممـــتحن بـــأولاد الـــزنا
أشـــكو إليك وأنت أصل شكايتى ... مـــن فـــرط ضر فى افتقادك مسنا
قـــد عـــبرت عـــبراتنا من حزننا ... وبمـــا نجن من الجوى نطق الضنى
سقيا لتلك الروح من سحب الرضا ... وتـــبوأت جـــنات عدن مسكنا
لـــو كـــان فيها الموت يقبل فدية ... كـــان الأنـــام فـــدى، وأولهم أنا

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة نظم الشيخ عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومى الأصل الدمشقى الحريرى، المعروف بالمتيم، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية، وهو أحد أصحابه — رضي الله عنه وأرضاه -:

لقــد عذبــوا قلــبى بــنار المحبة	وذاب فــؤادى مــن فراق الأحبة
وزاد غرامى فى اشتياقى إلى الحمى	وهــيج ليلــي حنــينى ولــوعتى
فــيا غظم أحزانى ووجدى عليهمو	ويا طول أشواقى إليهم ووحشتى
فلــم أنــس أيامــا تقضت بقربهم	ومــن عيشــتى، لما تولوا تولت
ملأت النواحى من نواحى وكيف لا	أنــوح على قوم همو خير جيرتى؟
ومــن عجــبى أن أحــن إلــيهم	وقد سكنوا قلبى وروحى ومهجتى
ذكــرت فلــم أنسَ زمان وصالهم	أأنســى لــيال بالعذيب تقضت؟
مــنازل أحــبابى مــواطن سادتى	مطالــع أقمــارى شروق أهلتى
معاهــد أفراحــى ديــار سعادتى	مواســم أرباحــى أويقات لذتى
مضت وانقضت عنى كأن لم أكن بها	ومــا ذاك إلا مــن ترادف غفلتى
أعلــل روحــى بالغويــر، وبانة	ومــا شــوقها إلا لســكان رامة
إذا لم يلــح لى بــارق من حماهمو	فيا خيبة المسعى، ويا طول شقوتى
وإن لم أقــض العمــر بين خيامهم	فلا عشت فى الدنيا ولا نلت منيتى
وإن لم أشاهد حسنهم فى مشاهدى	فقــد فاتنى سؤلى، ومت بحسرتى
وإن لم أجد نور الهدى من خبائهم	يضــئ به قلبى، فيا عظم حيرتى
لغــير رضــاهم ما تمنت مطامعى	ولا لســواهم مــا حلا لى تلفتى
يقولون لى: لم لا سلوت (هواهمو)؟	فقلــت: دعونى، ما بليتم بمحنتى
ولا ذقــتم ما ذاق قلبى من الجوى	ولا مسكم ضرى، ونارى وحرقتى

فهــل لى جــنان أن يهم بغيرهم وهــل لى لسان أن يفوه بسلوتى
وحاشاى أن أسلو هواهم، وحبهم يذكــرنى حفــظ العهود القديمة
فهــم سر أسرارى، ونور مناظرى وروحى وريحانى وأنسى وبهجتى
وهــم عين أعيانى، وقلبى، وقالبى وهم منتهى قصدى ومشهد رؤيتى
وهــم فى معانــيهم حياتى حقيقة وهــم فى مغانــيهم، أهل مودتى
وهــم فى تجلــيهم شموس إذا بدوا وهــم فى تجنيهم رياضى ونزهتى
وهــم أيــنما كانوا نهاية مقصدى وهــم أيــنما حلوا مرادى وبغيتى
وهــم نــور أنوارى وسر حقائقى وهــم أنس تأنيسى ومأمن خيفتى
تــرى يشــتفى قلبى برؤيتهم على ريــاض الهــنا يوما، وتبرد غلتى؟
وتحــيا بهــم روحــى حياة هنيئة مســرمدة التنعــيم فى روض جنة
إذا سمحــوا لى نظــرة من جمالهم فقد نلت من رضوانهم كل وصلة
علــيهم ســلام الله ما هبت الصبا ومــا ناحت الأطيار شوقا وحنت
وقــد آن أن أبــدى خفايا صبابتى وأظهــر للعــذال أصــل رزيتى
وأبكــى على من كان يجمع شملنا علــى طاعــة الرحمن فى كل لمحة
وأنــدب أحــزانى بما قد أصابنى وأنثــر أشــجانى بنظم قصيدتى
فقــدت إمامــا كان أوحد عصره وقــد فجعــت فــيه جميع البرية
فقــدت إمامــا، لم يــزل متوكلا علــى الله لا يصغى إلى غير سنة
فقــدت إمامــا كان بالعلم عاملا وكــان حقــيقا قامعا كل بدعة
أتــى بكــتاب الله والســنة التى علــت وارتقت حقا على كل ملة
أتــى بأحاديث الرسول وشرحها وعمــن رواها بالمتون الصحيحة
أتــى بعلــوم العــالمين جمــيعها بــزهد، وتأيــيد، وديــن، وقوة
أتــى بأصول الدين، والفقه مجملا وفصــلها تفصــيلاً من غير شبهة
أتانــا بأحــوال الرســول حقيقة وســيرته تســمو على كل سيرة

أتانا بأحوال الصحابة كلهم ... والتابعين الملة المستقيمة
أتانا بأوصاف الأئمة كلها ... وصنف كتبا فى صفات الأئمة
أتانا بوصف الصالحين وحالهم ... وما هم عليه من جميل العقيدة
وعلمنا شرع الرسول ودينه ... بأفصح ألفاظ وأصدق لهجة
وأعلمنا أن النجاة من الهوى ... تمسكنا بالسنة النبوية
وحذرنا من كل زيغ وبدعة ... وعن كل طاغ خارج عن محجة
وناظر أرباب العقائد كلهم ... وبين من قد ضل من كل فرقة
ورد على أهل الضلال جميعهم ... بأوضح برهان وأبلغ حجة
وبين تكذيب اليهود وخبثهم ... وما بدلوا فى الملة الموسوية
وأخبرهم عن سر أسباب كفرهم ... فتعسا لهم من أمة غضبية
وأظهر أيضا للنصارى ضلالهم ... وما أحدثوا فى الملة العيسوية
وباحثهم حتى تبين أنهم ... سكارى حيارى بالطباع الخبيثة
ورد على كتب الفلاسفة الأولى ... بمنقول أحكام ومعقول حكمة
وقرر إثبات النبوات عندهم ... وجال عليهم كرة بعد كرة
ورد على جهم وجعد بن درهم ... وبشر المريسى عمدة الجهمية
زنادقة، كم أهلكوا من عوالم ... بسوء اعتقادات النفوس السقيمة
وجادل أهل الاعتزال جميعهم ... وسل عليهم سيفه بالأدلة
يقولون: قول الله من بعض خلقه ... لقد كبكوا فى قعر نار حمية
وباحث أشياخ الروافض واثنى ... يقاتلهم بالدرة العمرية
لأنهمو عادوا خواص محمد ... وسبوا، فهم فى الأصل شر الخليقة
بغوا وافتروا جهلا فهم أنجس الورى ... وأكذب خلق الله من كل فرقة
وهم خصماء الله، تبا لدينهم ... وبعدا لهم من عصبة ثنوية
فكم أحدثوا فى ديننا من ضلالة ... فلا مرحبا بالفرقة القدرية

ورد علـــى قـــوم، تربت نفوسهم على النفي والتعطيل من غير حجة

ورد علـــى قـــوم وشـــتت شملهم وهـــم أهـــل تشـــبيه أتوا بكبيرة

ورد علـــى أهـــل التناســـخ عندما تجـــروا وخاضوا فى أمور عظيمة

ومـــزقهم فى كـــل واد، لأنهـــم يقولـــون لا شـــئ سوى البرزخية

وقـــد أنكـــروا أمر المعاد بقولهم نفـــوس نأت عنا وفى الغير حلت

وجاهـــد أهـــل الاتحاد، وردهم إلى أشرف المسرى وأهدى طريقة

وأنقـــذهم من ظلمة الجهل والعمى بـــنور وبـــرهان وديـــن النصيحة

ورد علـــى أهـــل الحلـــول، فإنهم يـــرون تجلى الحق فى كل صورة

وقـــد زعمـــوا أن التجلى مظاهر ولا ســـيما فى صـــورة أمـــردية

فمـــن أجـــل هـــذا يرقصون ديانة وفى رقصـــهم جاءوا بكل قبيحة

يـــرون شهود المرد والرقص قربة فـــياويلهم من خزى يوم الفضيحة

ورد علـــى أتـــباع إبلـــيس عندما رآهـــم وقـــد مالـــوا إلى الجبرية

وكم قد طوى فى علمه من طوائف حـــرورية مـــنهم علـــى حشوية

مطايـــا بنـــيات الطريق سرت بهم إلى أن أناخـــوا فى عراص القطيعة

وفى بحـــر آراء العقائـــد اغـــرقوا رمـــتهم خيالات العقول السخيفة

وكـــم قد أراهم كلهم سبل الهدى وكـــم قـــد نهـــاهم مرة بعد مرة

فمن كان قطب الكون فى حال عصره سواه؟ ومن كان قد فاز بالبدلية؟

شـــجاع همـــام بـــارع فى صفاته يـــروم مـــراما فى المراقـــى العلية

تـــزهد فى كـــل الوجـــوه، وغيره يـــدور علـــى الدنـــيا بنفس دنية

يجود على المسكين فى حال عسره بأطمـــاره فى حـــب بارى البرية

ويلقـــى لمـــن يلقاه بالبشر والرضا بأوصـــافه الحســـنى، ونفس زكية

ويدعـــو لمن قد نال من ثلم عرضه ولم ينـــتقم ممـــن أتـــى بالأذيـــة

يســـارع فى الخيرات سرا وجهرة ويلهـــو عن اللذات فى كل طرفة

يجاهـــد فى الله الكـــريم بجهـــده بصـــدق وإخـــلاص وعزم ونية
ويأمـــر بالمعـــروف حـــبا لـــربه وينهـــى عـــن الفحشاء نهيا بهمة
تقـــى نقـــى، طاهر الذيل مذ نشا كـــريم السجايا، ذو صفات حميدة
أليس الذى قد شاع فى الكون ذكره وعـــم الـــبرايا بالفتاوى العظيمة؟
فمـــن كـــان تـــاج العارفين لوقتنا وشـــيخ الهدى؟ قل لى، بغير حمية
هو الحبر والقطب الذى شاع ذكره وفـــاح شـــذاه كالعـــبير المفتت
إذا مـــا ذكـــرنا حالـــه وصـــفاته كأنـــا حللـــنا فى نعـــيم وروضة

* **

تهـــنأ أبـــا العباس بالقرب والرضا لقـــد نلـــت ما ترجو بكل مسرة
ألا يـــا تقـــى الدين، يا فرد عصره بروقك قد لاحت كشمس مضيئة
وبانـــت لكل الناس أوصافك التى بـــرزت بهـــا مثل العيون الغزيرة
ظهـــرت بأنـــواع العلوم وجنسها وســـارت بها الركبان فى كل بلدة
فأظهـــرت ما قد كان للناس خافيا بكـــل معـــان والفـــنون الغريبة
وأوضـــحت إشكالا، وبينت مبهما وأبـــديت أســـرارا بنفس عليمة
وكم غصت فى بحر المعارف غوصة ولجـــت فاستخرجت كل يتيمة
ظهـــرت بإحســـان وحسن سماحة وديـــن، وتوحـــيد، وكل فضيلة
خرجت من السجن الذى كان ضيقا إلى دار فـــوز فى ريـــاض فسيحة
وقد نلت من مولاك ما كنت راجيا وأشـــهدك المعـــنى بعـــين قريرة
حملت على النعش الذى كان تحته مـــئين ألـــوفا فى بكـــاء وضجة
وصلى عليك (الحاضرون) جميعهم بحسن اعتقاد فيك، يا شيخ قدوة
وأمـــا النســـاء المؤمـــنات فإنهن خرجن حيارى، فوجة بعد فوجة
ومعهـــم أبكـــار تحجـــبن بالتقى يـــنحن بأكـــباد علـــيك حـــزينة
صبرت على الأحكام طوعا وطاعة وذقـــت مـــن الآلام طعـــم البلية

وكـنـت حمـولا للـنوائب كلها صـبورا على الأقدار فى دار غربة
وأوسـعت صدرا للمقادير عندما شهدت جمال الحب فى كل خلوة
ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذى تطـوف به الأنوار فى روض جنة
وعايـنت موجـودا تعالت صفاته وشـاهدت محـبوبا بعين البصيرة
فلا أوحش الرحمن منك، ولا خلت ربـوعك من تلك العلوم الجليلة
ولا أقفرت منك الطلول، ولا نأت ديـارك من تلك الصفات الجميلة
ولا سـكنت يـوم الوداع دموعنا ولا اكتحلت فيك الجفون بغمضة
ولا احتجـبت أسماعنا عنك ساعة ولا أيسـت مـنك العيون بنضرة
لقـد كنت روحا للقلوب وراحة وقـوتا وأنسـا للنفوس النفيسة
تمسـكت بالدين الحنيفى والهدى وبالعـروة الوثقى وأصل الشريعة
ظهـرت إلى الدنيا بأحسن مظهر ورحت إلى الأخرى بأكمل روحة
وودعتـنا توديـع من غير راجع وفارقتـنا والـدار غـير بعـيدة
شـربت بكـأس العارفين مدامة حقيقـتها مـن سر عين الحقيقة
وجدت بكأس الفضل منك تكرما علـى تـابعين السـنة الأحمدية
فسبحان من أعطاك من فضل جوده لقـد نلـت قـربا لا ينال بحيلة
لقـد عشـت محبوبا ومت مكرما علـيك مـن الرحمن أزكى تحية
ومـا بـرحت تعلوك أنوار أنسه ومازلـت فى عـز وقـر ورفعة
ومـأواك جـنات النعيم مع الذى تفـرد مـن بين الورى بالوسيلة
نبى الهدى خير الورى صاحب اللوا شـفيع على الإطلاق فى كل أمة
علـيه صـلاة الحـق ثم سـلامه علـى عدد الأنفاس فى كل طرفة
وبعـد، فللـه المحامـد كلـها علـى ما أرانا من وضوح المحجة
وهـا أنـا يـا ربى عبـيد متيم عسـاك تـرى حالى وتغفر زلتى

تمت، وعدتها مائة وسبعة وعشرون بيتا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وله أيضا — رحمه الله — يرثي شيخ الإسلام ابن تيمية مرة أخرى:

لله عيشـــا تقضـــى بالثنـــيات ... مـــع جـيرة لـــذّلي فـــيهم صـــباباتي

مـــا كـــان أهـــنا زمـــانى فى ربوعهمـــو ... والســـعد يســـعى بمـــا فـــيه إرادتـــى

والكـــأس تجلـــى بأنـــواع السرور، وفى ... قـــرب الأحـــبة تـــبدو لى ســـعادتى

إذا تجلـــوا علـــى قلـــبى بحســـنهم ... كـــأننى فى نعـــيم وســـط روضـــاتى

قـــد كـــنت فى قـــربهم والوصـــل مقترنى ... لم يخطـــر الصـــد والهجـــران فى ذاتـــى

والـــيوم أصـــبحت أبكـــى بعـــد بعدهم ... لمـــا تـــناءوا نـــأت عـــنى مســـراتى

وغـــاب مـــذ غـــاب عـــن عينى جماهمو ... راحـــى وروحـــى، وريحـــانى وراحاتى

ولا صـــفا بعـــدهم عيشـــى بمـــنهلة ... ومـــذ تولـــوا تـــولى طـــيب لذاتـــى

ياســـادة ملكـــوا قلـــبى بلطفهـــم ... مـــا ضـــرهم لـــو أعـــادوا لى أويقاتى؟

فهمـــو مـــرادى، وهـــم سؤلى وهم أملى ... وهـــم نهايـــة مقصـــودى وغاياتـــى

وهـــم ســـرورى، وهم سمعى، وهم بصرى ... وهـــم نعيمـــى، وروضـــاتى وجناتـــى

وهـــم حياتـــى، وهم أنسى، وهم شرفى ... وذكـــرهم لم يـــزل فى القلـــب جلواتى

لهفـــى علـــى زمـــن ولى ومـــا ظفـــرت ... روحـــى بمـــا ترتجـــى يـــوم الاثيلات

لمـــا ســـروا وفـــؤادى فى هـــوادجهم ... ناديـــت مـــن حرقـــى: يا عظم لوعاتى

مـــا كـــنت أعلـــم قـــربى فى محبـــتهم ... حـــتى رمـــتنى إلى الأبعـــاد راياتـــى

فانـــدب علـــى ما مضى من عيشنا وصفا ... وابـــك علـــى ما جرى، يا قلبى العاتى

واذكـــر مصـــارع قـــوم، كيف قد شربوا ... بعـــد الـــزلال بكاســـات المنـــيات

فأصـــبحوا فى الثـــرى تبلـــى وجـــوههم ... تحـــت الـــتراب، فـــيا عظم المصيبات

وأنـــت مـــن بعـــدهم تســـرى وجوههم ... إمـــا بـــدار هـــوان أو بجـــنات

أقـــول مـــا قالـــه العـــبد المنـــيب، وقد ... أودى بـــه الســـجن فى بـــر وطاعـــات

أنـــا الذلـــيل، أنـــا المسكين، ذو شجن ... أنـــا الفقـــير إلى رب الســـموات

أنا الكسير، أنا المحتاج، يا أملى … جُدْ لي بفضلك، واعف عن خطياتى

أنا الغريب، فلا أهل ولا وطن … أنا الوحيد، فكن لى فى ملماتى

أنا العبيد الذى مازلت مفتقرا … إليك، يا سيدى فى كل حالاتى

مالى سواك، ومالى عنك منصرف … ذكراك فى القلب قرآنى وآياتى

أنت القدير على جبرى بوصلك لى … أنت العليم بأسرارى الخفيات

أدعوك يا سيدى، يا مشتكى حزنى … يا جابرى، يا مغيثى فى مهماتى

فانظر إلى عبرتى وارحم صبا جسدى … يا راحم الخير يا بارى البريات

مازال مفتقرا فى باب سيده … مازال مبتليا بالامتحانات

مازال يتبع آثار الرسول على النـ … ـهج القويم بأعلام الدلالات

يهدى لسنته، يفتى بشرعته … يرعى لحرمته فى كل ساعات

قطب الزمان وتاج الناس كلهمو … روح المعانى، حوى كل العبادات

حبر الوجود، فريد فى معارفه … أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات

حوى من المصطفى علما ومعرفة … وجاءه منه إمداد السنوالات

ما جاءه سائل إلا ويمنحه … إما بجود، وإما بالمداراة

ماذا أقول؟ وقولى فيه منحصر … فى وصف أخلاقه؟ كلت عباراتى

فى علمه، ما علمنا من يناسبه … إلا أئمتنا أهل العنايات

فى زهده، ما سمعنا من يشاكله … إلا رجال مضوا أهل الكرامات

فى جوده، ما وجدنا من يماثله … غير البرامك كانوا فى سعادات

يجود، وهو فقير، إن ذا عجب … هو الذى ما سمعنا فى الحكايات

تلوح شمس المعالى فى شمائله … وفى صفا وجهه نور الهدايات

بحر المعارف تاهوا فى بدايته … أهل المعانى وأرباب النهايات

قطب الحقائق، حاروا فى فضائله … أهل التصوف وأصحاب الرياضات

أعجوبة الدهر، فرد فى فضائله … علامة الوقت فى الماضى وفى الآتى

وا لهف قلبى على من كان يجمعنا ... على فنون المعانى والإشارات
فارقت من كان يروينى برؤيته ... إذا تبدى بدا سر العبادات
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة ... فيطرب الكون من طيب الروايات
ويطنب الذكر فى إحسان حسنهم ... فيرقص القلب شوقا نحو سادات
أفضى إلى الله والجنات مسكنه ... عليه من ربه أزكى تحيات
ثم الصلاة على خير الأنام ومن ... قد خصه الله من بين البريات
اختاره لليلة الإسرا لحضرته ... حتى تجلى له رب السموات
فهو الشفيع الذى ترجى شفاعته ... عند الشدائد فى يوم المجازاة
عليه منى سلام الله ما همعت ... سحب الغمام وجادت بالزيادات
والحمد لله حمدا لا انقطاع له ... أرجو به من إلهى محو زلاتى

تمت وعدتها خمسة وخمسون بيتا.

وسئل الناظم لهذه القصيدة عن عمره، فقال: نحو التسعين، ومولده ببلاد الروم. وتوفى فى يوم الأربعاء سادس شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ودفن بباب الصغير - رحمه الله تعالى ورضى عنه -.

هذه الأبيات وجدت بخط الشيخ تقى الدين ابن تيمية - رحمه الله - وذكروا أنها من نظمه أخيرا:

أنا الفقير إلى رب السموات ... أنا المسكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسى وهى ظالمتى ... والخير إن جاءنا من عنده يأتى
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة ... ولا عن النفس فى دفع المضرات
وليس لى دونه مولى يدبرنى ... ولا شفيع إلى رب البريات
إلا بإذن من الرحمن خالقنا ... إلى الشفيع كما قد جاء فى الآيات
ولست أملك شيئا دونه أبدا ... ولا شريك أنا فى بعض ذراتى
ولا ظهير له كيما أعاونه ... كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لى وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصف له ذاتى

وهـــذه الحال حال الخلق أجمعهم وكلـــهم عـــنده عـــبد لـــه آتى

فمـــن بغـــى مطلبا من دون خالقه فهو الجهول الظلوم المشرك العاتى

وهذان البيتان فى بعض النسخ:

وإن قدمت على الرب الكريم فقد نلـــت النعـــيم الذى فيه مسراتى

فـــلا تغـــرنك الدنـــيا وزينـــتها وافهـــم معاني كلامى فى أماراتى

والحمـــد لله مـــلأ الكـــون أجمعه مـــا كـــان فيه وما من بعده يأتى

ثم الصـــلاة على المختار من مضر خـــير الـــبرية من ماض ومن آتى

تمت والحمد لله وحده.

مرثية

فى الشيخ تقى الدين ابن تيمية – رحمه الله – نظمها رجل اسمه جمال الدين محمود ابن الأمير الحلبى، وأرسلها من حلب المحروسة:

يـــا دموعى سحى كسحب الغمام هـــاطلات علـــى الخدود سجام

لفـــراق الشـــيخ الإمـــام المفدى ابـــن تيمـــية ونجـــل الكـــرام

زاهـــد، عابـــد، تقـــى، نقـــى فهمـــه لا يقـــاس بالأفهـــام

ابـــن تيمـــية يتـــيمة دهـــره مالـــه مـــن مســـاوم ومســـامى

فجمعـــت فـــيه كـــل أهل البرايا جمعهـــا للعلـــوم والأحكـــام

أوحـــد فى العلوم والفضل والزهـــ ـــد، لا يرائـــى فى ملة الإسلام

بحـــر علـــم يغـــوص كـــل لبيب فى معانـــيه، حـــار كـــل الأنـــام

فـــاق بـــالعلم والفضـــائل الخلـــ ـــق، فأضـــحى إمام كل إمام

إن يكـــن غـــاب شخصه وتوارى ومضـــت روحـــه لـــدار السلام

فمناقـــبه والفضـــائل تبقـــى فى ممـــر الدهـــور والأعـــوام

ســـيد قـــد عـــلا بعلـــم وحلـــم فعـــداه لديـــه كالأنعـــام

كـــم رمـــوه الحساد بالكيد والبـــ ـــلى، وهو لا ينثنى عن الإقدام

طالـــب الحـــق لا يخـــاف الحيف وهـــو يحمـــى عن ذروة الإسلام

لا يخاف الملوك أيضا، ولا الخلـــ ـــق، ولا العبـيد مــع اللوام
كـــم ملـــك أتـــى بحـــزم وعزم وهـــو فى الله مســـرع الإقـــدام
ولغــــازان إذ أتـــــاه بقلـــــب مـــا أســـود الغابات مع ضرغام
فـــتلقاه بالبشاشـــــة والـــــرحـــ ــــب والعطايا، والعز والإكرام
أخـــذ العهـــد مـــنه للناس جميـــ ـــعـــا بأمـــان لكـــل أهل الشآم
نفـــس صـــادق تقـــبله اللـــــ ــــــه، فأطاعـــته كل تلك الأنام
وحمـــاهم فى الحمـــى بخشـــوع وخضـــوع للـــواحد العـــلام
قـــل لمـــن رام للفخـــار ويبغـــى رتـــبة قـــد علـــت بحد الحسام
هـــو فى رتـــبة النبـــيين، فـــاعلم هكـــذا أخـــبر الـــنبى التهامـــى
فقدتـــه الـــدنى، مع الدين والعلـــ ـــم، وكـــل الـــزهاد والأيتام
كـــم فتاوى أتته، مع كل شخص أعجـــزت كـــل عـــالم صمصام
حلـــها كالنســـيم فى الحال، وجلى لصـــداها مـــن علـــة الأســـقام
كـــان بحـــرا للناس، من غاص فيه فـــاز بالـــدر مـــنه، لا بالحطـــام
أوحـــد الخلـــق فى التفاســـير طرا والأحاديـــث، والعلـــوم الـــتمام
شيخ كل الإسلام فى الزهد والنســـ ـــك والعبادات، والتقى، والصيام
كـــان شمس الضحى، ونيل البرايا وإمـــام العلـــوم، والاحتشـــام
صـــدره، للعلـــوم، والقلب للرب ويـــداه للـــبذل والإنعـــام
ولديـــه أهـــل العلـــوم تـــداعت إذ حـــوت حـــوله فى الازدحـــام
تبتغـــى مـــن جـــنى معانـــيه نطقا يستضـــئ مـــنه دياجـــى الظلام
فـــيروى قلـــوبهم بعلـــوم فتـــراهم ســـكرى بغـــير مـــدام
كلمـــا رمـــت ســـلوة عن هواه قـــادنى الشـــوق نحـــوه بـــزمام
لا تلمـــنى علـــى المديح، ودعنى فهـــو شـــيخى، وبغيتى، وغرامى
خجـــل الـــبدر من سناه فأضحى يعتـــريه النقصـــان عـــند التمام

كـــل مـــن مـــات فى هواه بوجد … مـــا علـــيه فى حـــتفه مـــن ملام

اســـتمع يـــا عذول، بالله، وافهم … لمعانـــــيه فى جمـــــيع نظامـــــى

قـــد تســـاوى فى الحـــق كل وزير … عـــنده، مـــع رذالـــة الأعـــوام

فضـــله شـــاع بـــين كـــل البرايا … بعلـــوم شـــبه الـــبحار الطوامى

كـــان بدرا يضئ فى الناس بالعلـــ … ـــم إمامـــا، فـــياله مـــن إمام

حســـدوه عـــند الوفاة على الخلـــ … ـــق، فلم يخل منهمو فى الحمام

نقلـــته أيـــدى المنـــية بالحـــق … بجـــنان الخلـــود، والدمـــع دامى

ياله ـــا ســـاعة، لقـــى الله فـــيها … حـــار فـــيها المـــنى ونيل المرام

فهـــو فى جـــنة النعـــيم مفـــدى … بـــين حـــور، كلؤلـــؤ فى الخيام

قـــدس الله روحـــه، مـــع أخـــيه … مـــا أضـــاء الصـــباح بالابتسام

يـــا نســـيم الصـــبا بـــالله بلـــغ … لحبـــيبى تحـــيتى وســـــلامى

وتعـــرض علـــى المحـــبين ذكرى … وشـــجونى وشـــقوتى وســـقامى

ثم صـــف مـــا أكابـــد الآن فـــيه … مـــن هموممـــى ولـــوعتى وهيامى

وتقـــول العبـــيد: محمـــود أضحى … بدمـــــوع وعـــــبرة كالغمـــــام

تمت والحمد لله وحده، وهى إحدى وخمسون بيتا.

للشيخ علاء الدين أبى الحسن، على بن محمد بن سلمان، بن حمائل بن غانم المقدسى — رحمه الله — يرثى شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية — رضي الله عنه —:

أى حـــبر مضـــى، وأى إمـــام … فجعـــت فـــيه ملـــة الإســـلام

بحر جود وعلم، قد غاض من بعـــ … ـــد ما فاض نداه، وعم بالإنعام

زاهـــد، عابـــد، تـــنزه فى دنـــيا … ـــه عـــن كل ما بها من حطبام

كـــان كـــنزا لكـــل طالـــب علم … ولمـــن خـــاف أن يرى فى حرام

ولعاف، قد جاء يشكو من الفقـــ … ـــر لديـــه يـــنال كـــل مـــرام

حـــاز علمـــا مالـــه مـــن مساو … فـــيه، مـــن عالم، ولا من مسام

ولم يكـــن فى الدنـــيا له من نظير … فى الـــبرايا فى الفضل، والأحكام

كـــان فى علمـــه وحـــيدا فـــريدا لم يـــنالوا مـــا نـــال فى الأحلام
عـــالم فى زمانـــه، فـــاق بالعلـــ ـــم جمـــيع الأئمـــة الأعـــلام
كـــل مـــن فى دمشـــق ناح عليه بـــبكاء، مـــن شـــدة الآلام
حملـــوه علـــى الرقاب إلى القبـــ ـــر، وكادوا أن يهلكوا بالزحام
مـــا يـــرى عـــند يومه عندما سا ر علـــى الـــنعش نحو دار السلام
فجـــع الناس فيه فى الغرب والشر ق، وأضـــحوا فى الحزن كالأيتام
كـــل مـــن فى الوجود فيه مصاب فيعـــزى بـــه جمـــيع الأنـــام
أعظـــم الله أجـــرهم فـــيه إذا صا ر علـــى الرغم فى الثرى والرغام
صـــار جـــار الإلـــه، رب السموا ت، الـــرحيم، المهـــيمن، العلام
كان وقت الحروب بالطعن والضر ب ســـريع القـــدوم والإقـــدام
لا يهـــاب الهـــول العظـــيم بقـــو ل الحـــق فى نقضـــه، وفى الإبرام
تابـــع ســـنة الرســـول، علـــيه مـــن إلـــه الســـماء أزكى سلام
قـــائم فى نصـــر الشـــريعة بالعلـــ ـــم، وبالفضـــل منه كل القيام
كـــم بـــنور العلـــم أخـــرج قوما مـــن ضـــلال، ومن عظيم ظلام
نـــال مـــا نـــال من شريف مقال بعلـــوم شـــتى، وعظـــم مقـــام
طـــبق الأرض بالفـــتاوى اللواتى هـــى مـــنقذات الورى من الآثام
حســـدوه إذ مـــا لـــه مـــن نظير مـــن بـــنى دهـــره الكبار الكرام
خصـــه بالكمـــال مـــن كل علم ربـــنا، ذو الجـــلال والإكـــرام
لـــو يفـــدى بالـــروح كنا جميعا قـــد فديـــناه مـــن هجوم الحمام
قـــدس الله روحـــه وســـقى قبـــ ـــرا حـــواه هـــاطلات الغمام
ورضـــى عـــنه ربـــنا وترضـــا ه، ومـــلاه بالنعـــيم النامـــى
فلقـــد كـــان نادرا فى بنى الدهـــ ـــر، وحســـنا فى أوجه الأيام

تمت والحمد لله رب العالمين، وعدتها ثلاثون بيتا.

قصيدة من القصائد التى رثى بها شيخ الإسلام، تقى الدين ابن تيمية، وهى لرجل جندى بالديار المصرية يقال له: بدر الدين، محمد بن عز الدين أيدمر المغيثى، رجل فاضل له محفوظات متنوعة، وفيه ديانة وصلابة فى دينه.

ارسلها وذكر أنه عرضها على الإمام أبى حيان:

خطب دنا، فبكى له الإسلام ... وبكت لعظم بكائه الأيام
وبكت بعبرتها السماء فأمطرت ... فى غير فصل تسمح الأعوام
وبكت له الأرض الجليدة بعدما ... أضحى عليها وحشة وقتام
وتزلزلت كل القلوب لفقده ... وتواترت من بعده الآلام
ولمؤمنين الجن حزن شامل ... ونياحة نطقت بها الأحلام
وتفجع الدين القويم لفقده ... وبقى غريبا يبتلى ويصام
مذ مات ناصره الذى أوصافه ... أبدا تكون على سواه حرام
لتقى دين الله وصف باهر ... وخصائص خضعت لها الأفهام
ومواهب من ذى الجلال تمده ... فيتم فخر شامخ ومقام
وغدا تقى الدين أحمد ماله ... حد فتحمل فقده الأجسام
العالم الحبر الإمام، ومن غدا ... فى راحتيه من العلوم زمام
ذو المنصب الأعلى الذى نصبت له ... فى الأرض فى أقطارها الأعلام
بحر العلوم، وكنز كل فضيلة ... فى الدهر فرد، فى الزمان إمام
حبر تخيره الإله لدينه ... ختم لأعلام الهدى وختام
فوقى بأحكام الكتاب، فكم له ... فى نصر توحيد الإله قيام؟
والسنة البيضاء أحيا ميتها ... فغدت عليها حرمة وحجام
وأمات من بدع الضلال عوائدا ... لا يستطيع لدفعها الصمصام
أس الفضائل، والذى لا تهتدى ... لفنونه وعلومه الأوهام
وأناله رب السموات العلا ... فى العلم سبقاً ما إليه مرام
ونفوذه فى العلم قول محمد ... صلى عليه الخالق العلام

إن المنزه ربنا سبحانه … يقضى بما تأتى به الأحكام

يبدى لكم فى كل قرن قادم … للدين من تهدى به الأقوام

فلئن تأخر فى القرون لثامن … فقد تقدم فى العلوم أمام

فاق القرون سوى الثلاث فإنها … خير القرون يزينهن تمام

وسوى ابن حنبل إنه علم الهدى … حبر إمام، صابر قوام

لكن أحمد مثل أحمد، قد حوى … علما وزهدا فى العلوم تؤام

حدث بلا حرج وقل عن زهده … ما شئت، لا رد، ولا آثام

هجر المطاعم والملابس، والدنى … ولعزمه فى تركها إحزام

نزر المآكل، والمنام، ولا يرى … لبنى الدنى فى قلبه إعظام

وتراه يصمت لا لعي دائما … إلا لعلم يقتنى ويرام

وإذا تكلم لا يراجع هيبة … وسكينة، وكلامه إيرام

ألقى عليه مهابة من ربه … فخطابه الإجلال والإكرام

وإذا دنا فترى الرجال ذليلة … فكأنها فى نفسها إحجام

بشر يعظم بالقلوب، وقدوة … أبدا يعظم، وهو بعد غلام

منن يخص بها المهيمن من يشا … من خلقه، والجاهلون نيام

وجفا العباد لشغله بحبيبه … فوداده للأقربين سلام

وله مقام فى الوصول لربه … ومقامه نطقت بها (الأقلام)

وله فتوح من غيوب إلهه … وتحزن، وتمسكن وكلام

وتصوف وتقشف وتعفف … وقراءة وعبادة وصيام

وعناية، وحماية، ووقاية … وصيانة، وأمانة، ومقام

وله كرامات، سمت وتعددت … ولها على مر الدهور دوام

من رد عن أرض الشآم بعزمه … من صد وجه الكفر وهو حسام

من رد غازان الهمام بحسرة … من خلص الأسرى، وهم أيتام

من قام بالفتح المبين مؤيدا … فى كسروان، وهم طغاة عظام

من جد فى بدع الضلال وحزبه … وأذلهم بعد الرضاع فطام

من صار فى سنن الرسول ونصرها … حتى استقر لأمرهن نظام

من قام فى خذل الصليب ودينه … لما (تداعوا) للبأس، وقاموا

فوهوا وردوا خائبين بذلة … وعليهم فوق الوجوه ظلام

فالأمر بالمعروف يفقد بعده … والفاعلون النكر ليس يلاموا

فكأن أشراط القيامة قد دنت … وانحل من سرج الزمان حزام

فالعلم فينا ليس يقبض سرعة … كلا، ولا يأتى حماه حمام

لكن بقبض الراسخين ذهابه … وزواله، وبقى رعاع طغام

لله ما لاقى تقى الدين من … محن تتابعه، وهن ضخام

ومكاره حفت بكل شديدة … ومواقف زلت بها الأقدام

ومكائد نصبت له، وحبائل … قصدا إليه، فردها الإقدام

فحكى ابن حنبل فى فنون بلائه … بجنان ثبت، ليس فيه ذؤام

وبسجنه، وبحصره، ونكاله … حتى رثى العذال واللوام

فأراد رب العرش، جل جلاله … للقائه مذ حانه الإعدام

وأتاه آتى الموت، يخطب نفسه … فأجابه طوعا له القمقام

فخلت مرابعه، وأوحش ربعه … وتقوضت عند الرحيل خيام

وتفجعت كل القلوب بفقده … وغدا عليها ذلة وسقام

ومضت جنازته الشريفة بعد ما … سد المسالك صارخ وزحام

وأتت روايات الشآم بجمعها … خبرا صحيحا، ليس فيه أثام

أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا … والله، لا تحصيهم الأقلام

فعليه افضل رحمة تهدى له … ومن الإله تحية وسلام

ما دامت الأفلاك فى دوراتها … أو ناح من فوق الغصون حمام

تمت، وعدتها ستة وستون بيتا.

* * *

مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرى، فى الشيخ تقى الدين - رضي الله عنه:-

عـــن التبصـــر، والـــزمان رمـــانى بســـهامه، وتـــرادفت أحـــزانى
أصـــبحت مكتئـــبا لفقـــد أحـــبة جـــبلت جبلـــتهم على الإحسان
لا صـــبر لى عنهم، وكيف تصبرى عـــن سادة رحلوا عن الأوطان؟
إن أوحشـــوا نظرى، فقلبى موطن وعمـــارة الأوطـــان بالســـكان
خلـــت الـــديار، فأصبحوا فى بلقع يـــا وحشـــتاه لفـــرقة الإخوان
لمـــا سمعـــت بأن أحمد قد قضى نحـــبا علـــى التوحـــيد والإيمان
ولقـــاء رب، لا مـــرد لحكمـــه ســـبحانه مـــن قـــادر مـــنان
عظمـــت مصـــيبتنا لسيد عصرنا فى شـــرح ســـيد أحمـــد بـــيان
والعلـــم حـــاز أصـــوله وفروعه وغـــرائب التفســـير للقـــرآن
ويناظـــر الفقهـــاء فى أقـــوالهم ويجيـــبهم بالثـــبت والتبـــيان
غلـــب الملـــوك بثبـــته وجـــنانه وشـــجاعة بلغـــت إلى غـــازان
أفديـــه مـــن بطـــل يلاقى عصبة مـــنهم، لا عـــون، ولا أعـــوان
مـــن ذا يقـــوم مقامـــه فى عصرنا إذ مـــا مضـــى فى سالف الأزمان
ولـــه الـــزهادة والعـــبادة مـــنهج وكـــذا يكـــون العـــالم الـــربانى
ســـارت ركائـــبه إلى دار الجـــزا متمســـكا بمـــواعد الـــرحمن
أو مـــا نظـــرت إلـــيه فوق سريره حفـــت بـــه الأنـــوار بالإمكان؟
والنســـا من حول الجنازة أحدقوا كـــل يجـــود بعـــبرة الـــنكلان
وهمـــو ألوف ليس يحصى جمعهم إلا إلـــــه عـــــم بالغفـــــران
نـــزلوا بـــه كالـــبدر فى إشـــراقه فتباشـــرت بقدومـــه القمـــران
عـــبد الحلـــيم أبـــوه سيد عصره وأخـــوه عـــبد الله حـــبر ثـــان
المجـــد حـــاز المجد فى عصر مضى فى الجـــرح والـــتعديل والبرهان

ولمـــثل هـــذا سارعوا أهل التقى فـــازوا بأرفـــع رتـــبة وأمـــان
فى جـــنة أنـــوارها قـــد أشرقت وقطـــــوفها للطـــــائفين دوان
أكـــــوابها موضـــــوعة وقـــبابها مـــن لؤلـــؤ مـــرفوعة البنـــيان
والـــنور يغشـــى أهلها وهمو على تلـــك الأســـرة فى رضى وأمان
ولباســـهم مـــن سندس وخيامهم قـــد ألبســـوا من أحسن التيجان
ولأهلـــها مـــا يشـــتهون وشغلهم بـــالله لا بالحـــور والغلمـــان
مـــنهم تقـــى الـــدين فاز بزهده وبصـــبره فى طاعـــة الـــرحمن
ثم الصـــلاة علـــى الـــنبي محمـــد خـــير الأنـــام، ومعدن الإحسان
هـــاد وأول شـــافع، ومشـــفع ولـــه الوســـيلة مظهـــر الإيمـــان
مـــاحن مشـــتاق إلى وادى مـــنى وتطوفـــوا بالبـــيت والأركـــان

تمت والحمد لله رب العالمين، وعدتها واحد وثلاثون بيتا.

مرثاة للشيخ برهان الدين إبراهيم، ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمى، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ومولده فى أوائل سنة سبع وتسعين وستمائة، وتوفى فى رمضان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة:

جودي بانسجام الدمع يا مقلة العانى إلى أن تروى الأرض من فيض أجفانى
وذق يـــا فـــؤادى كـــل يوم وليلة مـــرارة أشـــواق ولـــوعة أشجان
إلى أن أرى وجـــه ابن تيمية الذى بـــه الله مـــن أهـــل الضلالة نجانى
ومـــن لى بأن ألقاه والموت قد أتى فغيـــبه فى التـــرب عن كل إنسان
فـــيا وحشـــة الدنيا لأنوار وجهه ويـــا لهـــف إخوانى عليه وجيران
يحـــق لعـــين لا ترجـــى لقـــاءه إلى الحشـــر أن ينهل بدمعها القانى
لقـــد عم أهل الأرض رزء مصابه ولم يـــنج فيهم منه قاص ولا دانى
لقـــد كانـــت الدنيا به ذات بهجة ونـــور، وإشـــراق، وروح وريحان
ومـــا كـــان إلا آيـــة فى زمانـــه وفى كـــل (علم) حاز ليس له ثان
إمـــام هـــدى، يدعو إلى دين ربه دعـــاء نصـــوح مشفق غير خوان

فمذهبه: ما جاء عن خير مرسل ... وأصحابه، والتابعين بإحسان

أتى بعلوم حيرت كل واصف ... على أنه يهدى بها كل حيران

فكم مبطل وافاه يبغى جداله ... فأنصفه فى البحث من غير عدوان

ويكشف عنه شبهة بعد شبهة ... إلى أن يبين الحق أحسن تبيان

فيصبح عن تلك المقالة معرضا ... ولو كان من أحبار سوء ورهبان

يغار على الإسلام من كل بدعة ... ومازال منها هادما كل بنيان

وفى الله لم تأخذه لومة لائم ... ولم يخش مخلوقا من الإنس والجان

ولم ينتقم فى الدهر يوما لنفسه ... ولكنه يؤذى فيعفو عن الجانى

وأما سخاء الكف فالبحر دونه ... ولم يك فى بذل العطايا بمنان

ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم ... به رجح الشجعان فى كل ميزان

فمن جاهد الأعداء فى الدين مثله؟ ... ومن سل سيف العزم فى وجه غازان؟

ومن قال للناس: اثبتوا يوم شقحب ... فإن الأعادى فى انهزام وخذلان

فمن خشى الرحمن بالغيب واتقى ... إله البرايا، خانه كل سلطان

وما ضره إن طال فى السجن مكثه ... إذا كان فى نسك وطاعة الرحمٰن

منيبا إلى مولاه، يقطع وقته ... بنقل أحاديث، وتفسير قرآن

ولم يك مشغوفا بحب رياسة ... ولا شد بغلات، ولا حسن غلمان

وما كان مشغولا بجاه ومنصب ... ولا رفع بنيان ولا غرس بستان

ولكن بعلم نافع وعبادة ... وزهد، وإخلاص، وصبر وإيمان

وفى موته قد كان للناس عبرة ... لما شاهدوا من غير زور وبهتان

إذا انتشروا مثل الجراد، وكاد أن ... تزيغ عقول من رجال ونسوان

وسار على أعناقهم نحو قبره ... يجاور مولى، ذا امتنان وغفران

إلى الذهب الباقى دعاه إلهه ... فذاك له خير من الخزف الفانى

دعاه إلى جنات عدن وطيبها ... ومتعه فيها بحور وولدان

فنسأل رب العرش يجمع شملنا ... به فى جنان الخلد من بعد حرمان

ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا ... ويروى برؤيا وجهه كل ظمآن

تمت ولله الحمد، وهى خمسة وثلاثون بيتا.

للشيخ الإمام المحدث الفاضل، الأديب البارع، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى الحنبلى، مدرس المدرسة التبشيرية ببغداد.

يقول: قال العبد الفقير: عبد المؤمن، بن عبد الحق، حين بلغه وفاة الشيخ الإمام العالم، بقية العلماء المجتهدين، تقى الدين أحمد ابن تيمية الحرانى — رحمه الله ورضى عنه — وبوأه الجنة، بمنه وكرمه آمين:

طبت مثوى يا خاتم العلماء ... فى مقام الزلفى، مع الأتقياء

أولياء الرحمن والسادة الغـ ... ـر، الهداة، الأئمة، الصلحاء

ويح للموت، كم طوى بك من علـ ... ـم غزير، وفطنة، وذكاء

وبيان يشفى القلوب من الغـ ... ـى، ويجلو عنها صدى الغياء

أين تلك العلوم والمنطق الصا ... ئب عند السؤال والإفتاء؟

أين ذاك الخلق الجميل وحسـ ... ـن البشر للزائرين عند اللقاء؟

رمدت مقلة الفضائل مذ مـ ... ـت، وقرت عيون أهل الشقاء

حين لا عالم يرد الذى قا ... لوا، وما نمقوه للإغواء

من ضلال أهل فلسفة اليو ... نان والاعتزال، والإرجاء

وذوى الرفض من يدينون بالطعـ ... ـن على الصالحين، والإزراء

من لحل الشكوك بعدك والمردو ... د من شبهة، وقول هراء؟

من لتبين مشكل قصرت عنـ ... ـه عقول لما به من خفاء؟

من لقمع الخصم المجادل فى الديـ ... ـن عنادا من ملة عوجاء؟

من ترى للغريب بعدك يلقـ ... ـاه بوجه طلق، وفضل حياء؟

ضاع من بعدك الغريب فما يلـ ... ـقى معينا له على اللأواء

أيما عالم نعاه لنا النا ... عى وحبر قد صين فى الغبراء؟

أى حـبر قـد غيبته المـنايا في رجـا حفـرة مـن الأرجاء
أعلـم الـناس كلـهم بكـتا ب الله، جـل اسمـه بغـير مراء
بمعانـيه والعلـوم الـتى فـيـه، وأدرى بالسـنة الغـراء
مـن أحاديث سيد الرسل يرويـه كـبار الأئمـة، النـبلاء
مـن صـحيح ومن سقيم وأخبا ر الـرواة الـثقات والضـعفاء
وبآثـار صـحبه وفـتاو ى مـن أتـى بعدهم من العلماء
وبإجمـاعهم ومـا اخـتلفوا فيـه مـن الحكم سادة الفقهاء
حالـه، إن نظـرت فـيه، تجـد مـثل أحـوال سـادة الأولـياء
قانـع الـنفس بالـدنى من العيـش، غنـيا يعـد فى الفقراء
مؤثـر بالـذى لديـه لعـافـية علـى نفسـه بغير رياء
ورع طاهـر، ونسـك وإخـبات، وشـكر فى شـدة ورخـاء
والتقى والعفاف، والزهد فى الدنيـا حـلاه، والصبر عند البلاء
لم يـزل جاهـدا يجاهد فى اللـه قبـيل الضـلال والأهواء
بجـنان ثـبت، وجـأش قـوى وفـؤاد راس لـدى الهـيجاء
يـزع الخصم بالجواب عن الشك ويـدلى بالحجـة البيضـاء
صـابرا نفسـه إلى أن قضى اللـه بمـا قضـى على الأنبياء
ولقـد أضـمروا لـه السوء قوم للـذى حملـوا مـن البغضـاء
حسـدا مـنهم لمـا خصه اللـه بـه مـن ملابس الفضلاء
فاسـتحلوا مـنه الذى حرم اللـه لمـا أضمروا من الشحناء
حـرفوا قـوله كمـا حرف القـوم نصـوص القرآن للإغواء
ورمـوه بكـل قـول شـنيع بـين الكـذب ظاهـر الافتراء
عجـزوا عـنه مـرة بعد أخرى فاسـتعانوا علـيه بالإغـراء
هـل يبارى العضب الصقيل كهام صـدئ فى ضـرابه ومضـاء

أم تجـارى الحمـير فى حلبة السبا ق جـوادا مضـمر الأحشـاء

لم يـنالوا مـنه الـذى أملـوه بـل رمـى الله جمعهـم بالفناء

يـا تقى الدين الذى صدقت فيـ ـه، وحقـت مخايـل الآبـاء

عـند تلقيـبه كـذلك، قد كنـ ـت وسـميت أحسن الأسماء

يـا ابـن تيمية لقد فزت فى الدنـ ـيا بذكـر باق، وحسن ثناء

وكـذا أنـت يعلم الله فى الأخـ ـرى مـع الصالحين والشهداء

بـوئت روحك الشريفة فى الجنـ ـة أعـلا مـنازل السـعداء

وسـقى قـبرك الرضـا وأتـا ك الـروح فى كـل بكرة وعشاء

وتـوالت علـيك مـن نعم اللـ ـه ورضـوانه صنوف العطاء

آخرها وعدتها ثمانية وأربعون بيتا.

للشيخ زين الدين، ابن الشيخ حسام الدين، أقش الشبلى، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية — رضي الله عنه —:

لـو كـان يقـنعنى عليك بكائى لجـرت سـوابق عبرتـى بدماء

أو كـنت فى يـوم انتقالك للبلى صـخرا لزدت على بكى الخنساء

لكـن أصـبر عـنك نفسى كأنما للحـزن، خـوف شماتة الأعداء

أتـرى علمـت وأنت أفضل عالم مـا عـندنا مـن لـوعة وبلاء؟

أسـفى علـى تلك الديانة والتقى والجـود آذن قـربه بثـناء

أسفى عليك نفى الكرى عن ناظرى مـن فـرط أحزانى وفرط عنائى

أسـفى علـيك، وما التأسف نافع صـبا علـيك مقلقـل الأحشاء

غاضت بحار العلم بعدك، والورى فى غفلـة، يـا سـيد العلمـاء

بـأبى، وحيدا مات منفردا عن الأ حـباب، كـان بقـية الصلحاء

بحـر العلوم، حوى الفضائل كلها وسمـا سمـو كـواكب الجوزاء

متفـردا فى كـل علـم دونـه لعلـو رتبـته ذوى العلـياء

بالفضـل قـد شهدت له أعداؤه وبـه سمـا فضـلا على النظراء

شـيخ العلـوم وتابع السلف الذى ... تـبعوا الرسـول بشـدة ورخاء

وإمـام أهل الأرض، والمبدى لهم ... سـنن الهـدى عن صحة الأنباء

ذو الصالحات وذو الشجاعة والتقى ... والجـود، والـبركات، والآلاء

مـن كـان لا يثنى لطالب جوده ... حـتى يـبلغه لكـل رجـاء

يجفـو المضاجع راكعا أو ساجدا ... أو ذاكـرا لله فى الظلمـاء

كالصـبر فى حـنك العدو مذاقه ... والـذ مـن شـهد إلى الجلساء

المـانح، البحـر، الإمـام، العالم ... الحـبر، الهمـام، وحجة الفقهاء

الواهب المال الجزيل وغامر الضيـ ... ـف النزيـل بوافـر النعماء

المحسن الكافى السؤال وحاسم الـ ... ـداء العضال، وكاشف الغماء

صدر المدارس والمجالس أحمد المحـ ... ـمـود فى عـود، وفى إيـداء

وإذا المسـائل فى الفتاوى أفحمت ... أهـل العلـوم وحجـبت بخفاء

أنـت تقـى الدين أظهر ما اختفى ... مـنها، وأبـداه لعـين الرائـى

فتـرى سـهاها فى الخفاء بكشفه ... كالشـمس مشـرقة بصحو سماء

ويـرى البصـير الحـق فيما قاله ... والحـق لا يخفـى على البصراء

سـجنوه خشـية أن يرى متبذلا ... صـونا، فـنال مـنازل الشهداء

للمؤمـنين لـه، وعـند عدوهم ... ذاك الكسـير، وعـزة الخلفـاء

فى المحـدثين أتـى بفضـل باهر ... ومـناقب أربـت علـى القدماء

أي خاشـع أى شـاكر أى ذاكر ... لله فى الإصـباح والإمسـاء

أى زاهـد، أى حامـد، أى باذل ... للمسـلمين نصـائح النصـحاء

خـير الصـفات صـفاته، وثناؤه ... بالجـود بـين الـناس خير ثناء

ويظـل يسـأل جـوده عن سائل ... ذى فاقـة ليـبره بعطـاء

وتـراه يشـرق وجهـه مـتهللا ... للسـائلين لـه شـروق ذكـاء

بـادى التبسـم عـند بذل نواله ... لطفـا إلى الفقـراء والضـعفاء

أربى علـــى فضـــل البرامكة الألى وطـــوت مكارمه حديث الطائى
مـــن جـــاء يســـأله يشاهد عنده بـــذل الملـــوك، وعيشـــة الفقراء
يـــربى علـــى سح السحائب جوده وكـــذا تكـــون مواهب الكرماء
والجـــود يـــرفع أهلـــه بين الورى أبـــدا، ويهـــوى البخل بالبخلاء
ولـــه إذا اصـــطدم القتال شجاعة قامـــت بنصـــر الدين فى الهيجاء
ســـل عـــنه غازانـــا، وسل أمراءه لمـــا أتـــوا بطلائـــع الأســـراء
والمغـــل قـــد ملكوا البلاد وأهلها كـــم فـــك مـــن عان بغير عناء؟
وكـــذا بشـــقحب التتار قد أقبلوا كـــالطم فى أمـــم بغـــير مـــراء
والمسلمون على النزول قد أجمعوا والمغـــل عـــنهم نظـــرة للرائـــى
مـــن حرض السلطان والأمرا على تـــرك الـــنزول، سواه عند مساء؟
قـــال اثبـــتوا فلكم دليل النصر قد وافى، فكـــان النصـــر عـــند لقاء
وأتـــى جـــبال الكسروان، فأذنت بـــدمارها مـــن بعـــد طول بقاء
ولـــه بكـــل مديـــنة ذكـــر أتـــى كالمســـك فهـــو معطر الأرجاء
ســـير لـــه نظمتها، سارت بها الر كـــبان، دون قصـــائد الشـــعراء
وإذا إمـــام المســـلمين وشـــيخهم ولى، وعـــز علـــى عـــزاه عزائى
أدعـــو إلـــه العـــرش يجمـــع بيننا فى جـــنة الفـــردوس، فهو رجائى
وعلـــيه مـــن رب الســـماء تحية تبقـــى لـــه أبـــدا بغـــير فـــناء

تمت، وهى اثنان وخمسون بيتا.

وله أخرى على قافية القاف نحو خمسة عشر بيتا تقدم ذكرها:

وقال الشيخ المؤلف – رحمه الله -: وقد رثى الشيخ – رضي الله عنه – بقصائد كثيرة غير هذه، وفيما ذكرنا كفاية.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مرثاة فى شيخ الإسلام العالم الربانى أحمد ابن تيمية الحرانى، للشيخ شمس الدين الحنبلى،

من أهل الصالحية ومولده قريبا من سنة إحدى وسبعمائة بسفح قاسيون:

خطـــب جســـيم هائـــل جلـــل ... قـــد عزمته العزا، وابيضت المقل
والوقت قبض، فلا صبر، ولا جلد ... أتـــى وصرف الليالى سابق عجل
والأمـــر معظـــم، والأفكار حائرة ... وقد أحاطت بنا الأهوال والوجل
كأنما الشمس فى جو السما كسفت ... وضـــوؤها بـــائن عنها ومنفصل
والجـــو فى مـــأتم، كالليـــل منظره ... كأن جنح الدجى فى الليل منسبل
فدمعتى بدمى، يا سعد، قد مزجت ... كأنمـــا فى فـــؤادى الـــنار تشتعل
أمســـى، وأصبح والأحزان تكمدنى ... وحســـرتى بدوام الدهر (تتصل)
قد زادنى أسفى، واشتد بى جزعى ... وأيقـــنت أن حياتى حثها الأجل
وا رحمـــتا لقلـــوب قطرت أسفا ... لقـــد عراها مصاب حادث جلل
وســـاءها فقد من كان الأنيس لها ... وخاب عند رجاها القصد والأمل
يـــا باكـــيا طـــول الليـــل منتحبا ... لا يعتـــريه علـــى طول البكا ملل
زد فى الـــبكاء بدمـــع هاطل همل ... عســـى بدمعك حر الوجه ينغسل
واعلـــم بأن السما والأرض باكية ... علـــى ابن تيمية، والسهل والجبل
هـــذا الإمـــام التقـــى السيد الألـــ ... ـــمعـــي، اللوذعى الجامع، الوجل
حـــبر، إمـــام، تقى، زاهد، ورع ... لـــيث همام، حصور، أوحد، بطل
العلـــم، والحلـــم والآداب: شيمته ... واللطف والجود والإحسان مكتمل
مـــاذا يقـــول فصـــيح فى مناقـــبه ... والـــزهد منهجه، والعلم والعمل
لقـــد حـــبى الله أيـــام الـــزمان به ... علـــومه أبحـــر، والخلـــق تنتهل
قد كان كالشمس للدنيا إذا طلعت ... والـــيوم، لا عوض عنه، ولا بدل
نـــال الهدايـــة فى مـــبدا هدايـــته ... وفى نهايـــته الإرشـــاد والجمـــل
قـــد كـــان معتصـــما بالله منتصرا ... وواثقـــا، مكتفـــى بـــالله، متكل
لله در أبى العـــباس مـــن رجـــل ... مـــا أن يرى فى البرايا مثله رجل

تــالله لا عــاذل بالعــذل يعذلنى عــنه، وحاشاى أن يلهينى العذل
يــا سيد العصر كم خلفت من كبد حرى عليك، وعين دمعها هطل؟
ليــبكين علــيك العلم من أسف ليــبكين علــيك الفقــه والجدل
ليبكيــنك أقــوام إذا وفــدوا مــن الــبلاد بعلــم أمره شكل
لتبكيــنك دار كــنت تســكنها وتشتكى فقدك الأسحار والأصل
فــازوا بعلمك أقوام، وقد سعدوا إذ عن جناب حماك الرحب ما عدلوا
وشــاع ذكــرك فى الدنيا بأجمعها فأنت فى الناس مضروب بك المثل
دانــت لعلمك أهل الأرض قاطبة فأنت مفتى الورى فى كل ما جهلوا
شــبهت علمــك بالبحر المحيط: كما البحر المحيط بكل الأرض مشتمل
وإن تكــن فى مجال الدرس كنت به ليــثا تصول، ومن ألفاظك الأسل
تــروى الخلاف وتأتى بالأصول وعن أهــل الحديث بما قالوا وما نقلوا
وذكــر علمــك فى الآفاق منتشر علــى ممــر الليالى، ليس ينفصل
كــم قــد أتتك فتاوى لا عداد لها أجــبت أربابها عن كل ما سألوا؟
وكم أجبت النصارى عن مسائلهم بمخــرقات علــوم عــنك تنتقل
وكم قمعت، فدتك النفس من بدع وكــنت فــيها بأمر الله تستطل؟
وكــم تواضــعت عن علم ومعرفة تقــى، وقــدرك بالجوزاء منتعل
لقــد رويــت من الآثار أوضحها كمــا روتها الثقات السادة الأول
من ذا يضاهيك فيما قد خصصت وبحر علمك منه العارض الهطل؟
قد كنت أعجوبة فى الدهر مدهشة وكــان درسك فيه العقل ينذهل
وكــان يــومك يــوما آمنا عجبا والناس للنعش بالهامات قد حملوا
والخلق لا يهتدوا من عظم ما ازدحموا فكــم دمــوع تراها وهى تنهمل
يا رحمة نزلت فى الأرض وانتشرت علــى جمــيع الذى فى تربه نزلوا
ســقت ثراك الغوادى طيب وابلها كما ضريحك من تحت (الثرى) خضل
كمــا حبــيت بــدار الخلد منزلة حللــتها وعلــيك الحلى والحلل

وتاجــك النور والنعلان من ذهب ... وهكــذا عن فتى شيبان قد نقلوا
قــل للذى سره موت الإمام: لقد ... يكفـيك جهلك يا من غره الأمل
أمــا علمت بأن الموت ما سلمت ... مــنه ملوك بنى الدنيا ولا الرسل
أيــن الملــوك وأبناء الملوك، لقد ... صـالت عليهم صروف الدهر والعلل
وعــن قليل ترى الدنيا وقد رحلت ... فلــيس يغــنى ولايات ولا دول
ولــيس يغنى المسئ يوم اللقا ندم ... إذا أثقلــت ظهره الأوزار والزلل
وإنمــا المتقــى ترجــى النجاة له ... لأنــه خائــف مــن ربــه وجل
ولم يــزل فى قــيام الــدين مجتهدا ... وإن خــلا فى الدياجى فهو مبتهل
قــل لــلألى كتبوا علياه واجتهدوا ... إن الذى علموا بعض الذى جهلوا
والله، لســت بمحــض مدحه أبدا ... ولــو أتــيت بما ضاقت به السبل
علــيه مــنى سلام الله ما صلحت ... ورق علــى فنن، فى نوحها زجل

تمت، وهى سبعة وخمسون بيتا.

(بهامش الأصل: كذا وجدت فى الأصل، لم تعز هذه القصيدة):

يــا قوم توبوا إلى الرحمن وابتهلوا ... فقــد قضــى رجل ما مثله رجل
يــا قــوم استغفروا الرحمن خالقنا ... قــد غار بحر علوم موجه العمل
(روى أحاديــث الصــحيح وعنه ... ســائر) أخــبار رســل الله تنتقل
والعلم والحلم والزهد المكين ومن ... مــا فى مقالاتــه ريــب ولا زلل
كــم بدعــة قــد محاها ثم أبطلها ... وكــم أزاح لــنا من منكر عملوا
كــم قــام فى أمر دين الله مجتهدا ... ولم يكــن عــنده فى أمــره ملل
كــم نــار شر طفاها وهو مبتسم ... (لم يعر أين) ولا خوف ولا وجل؟
كــم أظهــر الحــق لما قل ناصره ... وكــم أبــان لهم أمرا له جهلوا؟
كــم طــوق الناس فى أعناقهم مننا ... مــا ليس يحمله سهل ولا جبل؟
قــد كــان ذا مورد عذب لقاصده ... والــناس تصــدر مــنه ثم ترتحل
مــن قبلهم جا إلى غازان مبتسما ... علــى الجواد وكل الخلق قد نزلوا

حـــتى إذا جـــاءه والخلــق تنظره قـــام الجمـــيع ولم يأخذهمو كسل
فقـــال جهـــرا له، والخلق تسمعه: هل أنت محمود بالإسلام متصل؟
قالت له: الشام، يا محمود دار تقى ومعقـــل الأنبـــياء، عنها فارتحلوا
يكفـــيكم مـــا رأيـــتم من جنازته ونعشـــه فـــوق روس الخلق ينتقل
إن كـــان فـــوق رءوس حملوه فقد أولاهـــم نعمـــا ما ليس تنحمل
قـــد كـــنت أرجوه لى ذخرا وآمله وأرتجـــيه إذا ضـــاقت بى الحيل
قـــد كـــان ذا رحـــل للناس كلهم يا أيها الناس كفوا قد قضى الأجل

تمت وهى ثمانية عشر بيتا.

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصغر العباد، عبد الله بن حامد، إلى الشيخ الإمام العالم العامل قدوة الأفاضل والأماثل، مجمل المجالس والمحافل، المحامى عن دين الله والذاب عن سنة رسول الله ﷺ، والمعتصم بحبل الله الشيخ المبجل المكرم، أبى عبد الله، أسبغ الله عليه نعمه، وأيد بإصابة الصواب لسانه وقلمه، وجمع له بين السعادتين، ورفع درجته فى الدارين، بمنه ورحمته.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ثم وافانى كتابك، وأنا إليك بالأشواق، ولم أزل مسائلا ومستخبرا الصادر والوارد، عن الأنباء، طاب مسموعها وسر ما يسر منها.

وما تأخر كتابى عنك هذه المدة، مللا ولا خللا بالمودة، ولا تهاونا بحقوق الإخاء حاشى لله أن يشوب الإخوة فى الله جفاء.

ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام (إمام الدنيا)، رضي الله عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته وإخوانه، وأقاربه وعشريته، والخصيصين به، لما فى نفسى من المحبة الضرورية التى لا يدفعها شئ على الخصوص، لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته، التى تزلزل أركان المبطلين، ولا يثبت فى ميادينها سفسطة المتفلسفين، ولا يقف فى حلباتها أقدام المبتدعين من المتكلمين.

وكنت قبل وقوفي على مباحث (إمام الدنيا) — رحمه الله —، قد طالعت مصنفات المتقدمين، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة ونظار أهل الإسلام، فرايت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات، التي يأنف المسلم الضعيف فى الإسلام، أن يخطر بباله، فضلا عن القوى فى الدين، فكان يتعب قلبى ويحزننى ما يصير إليه الأعظم من المقالات السخيفة، والآراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد العامة.

وكنت أفتش على السنة المحضة فى مصنفات المتكلمين أصحاب الإمام أحمد — رحمه الله — على الخصوص — لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات إمامهم فى أصول العقائد، فلا أجد عندهم ما (يكفى).

وكنت أراهم يتناقضون، إذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه، أو يعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم، فإذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية، وحنابلة بغداد، وكرامية خراسان، أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين فى المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلى والنقلى، فيسوؤني ذلك، وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه إلا الله، حتى قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئا عظيما، لا أستطيع شرح أيسره.

وكنت ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع إليه، وأهرب إلى ظواهر النصوص، ألقى المعقولات المتباينة، والتأويلات المصنوعة لنبو الفطرة عن قبولها.

ثم قد تشبثت فطرتى بالحق الصريح فى أمهات المسائل، غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولا وتصميما للعقد عليه، حيث لا أراه مأثورا عن الأئمة وقدماء السلف، إلى أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ الإمام (إمام الدنيا) — رحمه الله — فى يدى، قبيل واقعته الأخيرة بقليل، فوجدت ما بهرنى من موافقة فطرتى لما فيه، وعزو الحق إلى أئمة السنة وسلف الأمة، مع مطابقة المعقول والمنقول، فبهت لذلك، سرورا بالحق وفرحا بوجود الضالة التى ليس لفقدها عوض، فصارت محبة هذا الرجل — رحمه الله — محبة ضرورية، يقصر عن شرح أقلها العبارة، ولو أطنبت، ولما عزمت على المهاجرة على لقيه، وصلنى خبر اعتقاله، وأصابنى لذلك المقيم المقعد.

ولما حججت سنة ثمان وعشرين (وسبعمائة) صممت العزم على السفر إلى دمشق، لأتوصل إلى ملاقاته ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه فوافانى خبر وفاته — رحمه الله تعالى — مع الرجوع إلى العراق قبيل وصول الكوفة، فوجدت عليه ما لا يجده الأخ على شقيقه، واستغفر الله بل ولا الوالد الثاكل على ولده، وما دخل على قلبى من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والإخوان، وكما وجدته عليه، رحمه الله تعالى، ولا تخيلته قط

فى نفسى، ولا تمثلته فى قلبى إلا ويتجدد لى حزن، قديمه كأنه محدثه.

ووالله ما كتبتها إلا وأدمعى تتساقط عند ذكره أسفا على فراقه، وعدم ملاقاته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ — رحمه الله تعالى — إلا ليتحقق بعدى عن الملك الموهوم.

لكن لما سبق الوعد الكريم منكم، بإنفاذ فهرست مصنفات الشيخ — رضي الله عنه — وتأخر ذلك عنى، اعتقدت أن الاضراب عن ذلك نوع تقية، أو لعذر لا يسعنى السؤال عنه، فسكت عن الطلب، خشية أن يلحق أحدا ضرر، والعياذ بالله، بشي لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال، فإن أنعمتم بشئ من مصنفات الشيخ — رحمه الله تعالى — كانت لكم الحسنة عند الله تعالى علينا بذلك، فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى، وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر، ما لا يخفى على طالب الحق، لحرص وعدم هوى.

ولا أزال أتعجب من المنتسبين إلى حب الإنصاف فى البحث، المزرين على أهل التقليد المعقولات التى يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها، كيف يباينون ما أوضحه من الحق، وكشف عن قناعه، وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحال إليه من الآفاق، ليروا العجب.

وما أشبه حال المباينين له، من المنتسبين إلى العلم، الطالبين للحق الصريح الذى أعياهم وجدانه — بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ فى بعض المفازات، فحين أشرفوا على التلف، لمع لهم شط كالفرات، أو دجلة أو كالنيل، فعند معاينتهم لذلك، اعتقدوه سرابا، لا شرابا، فتولوا عنه مدبرين، فتقطعت أعناقهم عطشا وظمأ، فالحكم لله العلى الكبير.

وما أرسلنا الكتب المقابلة من إحدى الطرفين، ففيه تعسف، وتمهدون العذر فى الإطناب، فهذا الذى ذكرته من حالى مع الشيخ كالقطر من بحر، وإن أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه، كبيرهم وصغيرهم، كان ذلك ماضاف إلى سابق إنعامكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأنتم فى أمان الله ورعايته.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

قال الشيخ الإمام العلامة زين الدين أبو حفص، عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس، بن علي بن الوردي، الشافعى — رضي الله عنه — يرثى شيخ الإسلام، تقى الدين ابن تيمية — رضي الله عنه —:

عتا فى عرضه قوم سلاط ... لهم من شر جوهره التقاط

تقى الدين أحمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط

توفى وهو مسجون فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به أحاطوا

قضى نحبا وليس له قرين ... ولا لنظيره لف القماط

فتى فى علمه أضحى فريدا ... وحل المشكلات به يناط

وكان إلى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقة فسقوا ولاطوا

وكان يخاف إبليس سطاه ... بوعظ للقلوب هو السياط

فيالله ما قد ضم لحد ... وبالله ما غطى البلاط

همو حسدوه، لما لم ينالوا ... مناقبه فقد فسقوا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كسالى ... ولكن فى أذاه لهم نشاط

وحبس الدر فى الأصداف فخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمى له اقتداء ... فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

بنو تيمية كانوا، فبانوا ... نجوم العلم أدركها انهباط

ولكن يا ندامة حابسيه ... فشك الشرك كان به يماط

ويا فرح اليهود بما فعلتم ... فإن الضد يعجبه الخباط

ألم يكن فيكمو رجل رشيد ... يرى سجن الإمام فيستشاط

إمام لا ولاية كان يرجو ... ولا وقف عليه ولا رباط

ولا جاراكمو فى كسب مال ... ولا يعهد له بكم اختلاط

ففيم سجنتموه وغضتموه ... أما لجزا أذيته اشتراط؟

وسجن الشيخ لا يرضاه مثلى ... ففيه لقدر مثلكم انحطاط

أما والله لولا كتم سرى ... وخوف الشر لا تخل الرباط

وكنت أقول ما عندى ولكن ... بأهل العلم ما حسن اشتطاط

فمـــا أحـــد إلى الإنصـــاف يدعو وكـــل فى هـــواه لـــه انخـــراط
ســيظهر قصـــدكم يـــا حابسيه ونيـــتكم إذا نصـــب الصـــراط
فهـــا هـــو مات عنكم، واسترحتم فعاطـــوا مـــا أردتم أن تعاطـــوا
وحلـــوا واعقـــدوا مـــن غير رد علـــيكم وانطـــوى ذاك البساط

تمت والحمد لله رب العالمين.

مرثية فى الشيخ تقى الدين أبى العباس، أحمد ابن تيمية — قدس الله روحه -:

لمـــا نعـــى الشـــيخ الإمام المتقى نجـــل رئـــيس فاضـــل حبر تقى
فاضـــت محاجر مقلتى، يا حسرتى لفـــراقه فـــرقا، وزاد تقلقـــى
زفـــرات أشـــواقى أكـــاد لحرها تـــنقض مـــنى مهجـــتى بتحرقى
وتـــركت مـــن بعدى التقى بلوعة ومدامعـــى مـــن بعـــده لا ترتقى
متهـــتك الأســـتار ولهـــان الحشا أبكـــى الـــدماء عليه حتى نلتقى
حـــزنى علـــيه مدى الزمان تأسفا يـــا مقلـــتى سحى دما وترقرقى
يـــا قلـــب ذب أسفا عليه وحسرة فقلـــيل مـــا لاقيت شيب مفرقى
يـــا مهجـــتى ذوبى علـــيه صبابة وتقطعـــى لفـــراقه وتمزقـــى
يـــا مقلـــتى ســـحى بدمع هاطل مـــتحدر ســـح السحاب المطبق
يـــا ليـــتنى يـــوم الفراق حضرته حـــتى أجدد ما مضى من موثقى
وأودع الـــوجه الملـــيح بنظـــرة يحـــيا بهـــا قلب الكئيب المشفق
مـــا كـــان أهـــنا عيشـــنا بحياته يـــا لـــيت يـــوم فراقه لم يخلق
لـــو كان يفدى ما بخلت بمهجتى فى حقـــه، ولكـــنت أول من يقى
يـــا أهلـــه، لا تجـــزعوا لفـــراقه ولأجـــل كأس من حمام قد سقى
فلـــه جـــنان الخلـــد يسكنها غدا وعلـــى مناصـــبها العلـــية يرتقى
هـــو شـــيخنا، ورئيســـنا، وإمامنا لله در الطاهـــر الحـــبر التقـــى
إن قلـــت طـــود العلم فهو حقيقة فاسمـــع بهـــذا القـــول فيه وحقق

يفـتى بجمـع مـذاهب عن أربع ... لكـنه فى الفضـل آخر من بقى
هـو فى القـراءة أوحد فى عصره ... هـو فى الأصول مفيدنا والمنطقى
شـيخ الطـريقة والحقيقة عارف ... ورث الإمامـة والعلـوم، فحقق
متصـدق، متفضـل، مـتطول ... لله مـا أجـزاه مـن متصـدق
قـد كـان فيـنا وابـلا نحيا به ... وثـناؤه فيـنا كمسـك معـبق
قـد كـان فيـنا جـنة أنهارهـا ... تجـرى لـنا مـن علمه المتدفق
قـد كـان فيـنا سـيدا من سيد ... فاقطـع بهـذا القول فيه وصدق
يـا قـبره يهنـيك مـا قد حزته ... مـن زاهـد بـر زكـى متقى
قـد صـرت جـنة روضة بحلوله ... فلـك الفخـار بسـيد وموفق
فـالله يـرحمه ويجـبر كسـره ... ويغيثـنا مـن فضـله المغدودق
واجـبر بعفـوك ناظما لقريضها ... حسـنا أعـنه تفضـلا وتصدق
ثم الصـلاة علـى الـنبى محمـد ... خـير الأنام ومن لعرشك يرتقى
وألحـق بـه الآل الكرام وصحبه ... بكـرامة فلأنـت أكـرم ملحق

تمت والحمد لله رب العالمين.

مرثية فى شيخ الإسلام تقى الدين أحمد ابن تيمية، من نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن فضل الله — رحمهما الله تعالى ورضى عنهما -:

أهكـذا فى الدياجى يحجب القمر ... ويحـبس النور حتى يذهب المطر
أهكـذا تمـنع الشمس المنيرة عن ... مـنافع الأرض أحـيانا فتستتر؟
أهكـذا الدهـر لـيلا كلـه أبدا ... فلـيس يعـرف فى أوقاته سحر؟
أهكـذا السيف لا تمضى مضاربه ... والسيف فى الفتك ما فى عزمه خور
أهكـذا القـوس ترمى بالعراء وما ... تصب الرمايا، وما فى باعها قصر؟
أهكـذا يتـرك البحر الخضم ولا ... يلـوى عليه، وفى أصدافه الدرر؟
أهكـذا بتقـى الـدين قد عبثت ... أيدى العدى وتعدى نحوه الضرر
إلى ابـن تيمـية ترمى سهام أذى ... مـن الأنام، ويدمى الناب والظفر

يـد السـوابق ممتد العبادة لا ... ينـاله ملـل فيها ولا ضجر

ولم يكن مثله بعد الصحابة فى ... علم عظيم وزهد ماله خطر

طـريقه كان يمشى قبل مشيته ... بها أبو بكر الصديق أو عمر

فـرد المذاهب فى أقوال أربعة ... جـاءوا على أثر السباق وابتدروا

لما بنوا قبله عليا مذاهبهم ... بنى وعمر منها مثل ما عمروا

مثل الأئمة قد أحيا زمانهم ... كأنه كان فيهم وهو منتظر

إن يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ ... فحقه الرفع أيضا، إنه خبر

أمثله بينكم يلقى بمضيعة ... حتى يطيح له عمدا دم هدر

يكون، وهو أمانى لغيركم ... تنويه منكموا الأحداث والغير؟

والله، لو أنه فى غير أرضكم ... لكان منكم على أبوابه زمر؟

مثل ابن تيمية ينسى بمحبسه ... حتى يموت، ولم يكحل به بصر

مثل ابن تيمية ترضى حواسده ... بحبسه، أو لكم فى حبسه عذر؟

مثل ابن تيمية فى السجن معتقل ... والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر

مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى ... وليس يجلى قذى منه، ولا نظر

مثل ابن تيمية تذوى خمائله ... وليس يلقط من أفنانه الزهر

مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى ... وما تروق بها الآصال والبكر

مثل ابن تيمية يمضى وما عبقت ... بمسكه العطر الأردان والطرر

مثل ابن تيمية يمضى وما نهلت ... له سيوف ولا خطية سمر

ولا تجارى له خيل مسومة ... وجوه فرسانها الأوضاح والغرر

ولا تحف به الأبطال دائرة ... كأنهم أنجم فى وسطها قمر

ولا تعبس حرب فى مواقفه ... يوما، ويضحك فى أرجائها الظفر

حتى يقوم هذا الدين من ميل ... ويستقيم على منهاجه البشر

بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا ... يبلى اصطبارهم جهدا، وهم صبروا

تـــأس بالأنبـــياء الطهر، كم بلغت ... فـــيهم مضرة أقوام، وكم هجروا

فى يوسف فى دخول السجن منقبة ... لمـــن يكابـــد ما يلقى ويصطبر

مـــا أهملـــوا أبدا بل أمهلوا لمدى ... والله يعقـــب تأيـــيدا وينتصـــر

أيـــذهب المنهل الصافى وما نفعت ... بـــه الظمأة، وتبقى الحمأة الكدر

مضـــى حمـــيدا، ولم يعلق به وضر ... وكلـــهم وضـــر فى الناس أو وذر

طـــود مـــن الحلم لا يرقى له فنن ... كأنمـــا الطود من أحجاره حجر

بحـــر مـــن العلم، قد فاضت بقيته ... فغاضت الأبحر العظمى، وما شعروا

يا ليت شعرى هل فى الحاسدين له ... نظـــيره فى جميع القوم إن ذكروا؟

هـــل فيهم لحديث المصطفى أحد ... يميـــز الـــنقد، أو يروى له خبر؟

هـــل فيهم من يضم البحث فى نظر ... أو مـــثله من يضم البحث والنظر

هـــلا جمعـــتم له من قومكم ملأ ... كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا

قولـــوا لهم: قال هذا، فابحثوا معه ... قدامـــنا وانظروا الجهال إن قدروا

يلقـــى الأباطـــيل أسحار لها دهش ... فليقف الحق ما قالوا، وما سحروا

فليـــتهم مـــثل ذاك الرهط من ملأ ... حـــتى يكـــون لكم فى شأنهم عبر

وليـــتهم أذعـــنوا للحـــق مـــثلهم ... فآمـــنوا كلـــهم من بعد ما كفروا

يـــا طالمـــا نفـــروا عـــنه مجانبة ... وليـــتهم نفعوا فى الضيم أو نفروا

هـــل فـــيهمو صادع للحق مقوله ... أو خائض للوغى، والحرب تستعر

رمـــى إلى نحـــر غـــازان موجهة ... ســـهامه مـــن دعـــاء عونه القدر

بـــتل راهـــط والأعـــداء قد غلبوا ... علـــى الشآم، وطار الشر والشرر

وشـــق فى المرج والأسياف مصلتة ... طوائـــف كلـــها، أو بعضها التتر

هـــذا وأعداؤه فى الدور أشجعهم ... مـــثل النســـاء بظل الباب مستتر

وبعـــدها كســـروال والجبال، وقد ... أقـــام أطـــوادها، والطود منفطر

واستحصد القوم بالأسياف جهدهم ... فطالمـــا بطلـــوا طغوا وما بطروا

قالـــوا: قـــبرناه قلنا إن ذا عجب … حقا، وللكوكب الدرى قد قبروا
ولـــيس يـــذهب معـــنى منه متقد … وإنمـــا تـــذهب الأجسام والصور
لم يـــبكه ندما من لايصيب دمسا … يجـــرى بـــه وبما يهمى وتنهمر
لهفـــى علـــيك أبا العباس كم كرم … لمـــا قضيت قضى من عمره العمر
ســـقى ثـــراك مـــن الوسمى صيبه … وزار معـــناك قطـــر كلـــه قطر
ولايـــزال لـــه بـــرق يغازلـــه … حلـــو المراشـــف فى أجفانه حور
لفقـــد مـــثلك، يـــا من ماله مثل … تأســـى المحاريب والآيات والسور
يـــا وارثـــا مـــن علوم الأنبياء نهى … أورثـــت قلـــبى نارا وقدها الفكر
يـــا واحـــدا لست أستثنى به أحدا … مـــن الأنـــام، ولا أبقى ولا أذر
يـــا عالمـــا بـــنقول الفقه أجمعها … أعـــنك تحفظ زلات كما ذكروا؟
يـــا قامـــع الـــبدع اللاتى تحييها … أهـــل الزمان وأهل البدو والحضر
ومرشـــد الفـــرقة الضلال نهجهم … إلى الطريق، فما حاروا ولا سهروا
ألم تكـــن للنصـــارى واليهود: معا … مجادلا وهم فى البحث قد حضروا
وكـــم فـــتى جاهـــل غر أبنت له … رشـــد المنال فزال الجهل والضرر
مـــا أنكـــروا منك إلا أنهم جهلوا … عظـــيم قدرك، لكن ساعد القدر
قالـــوا بأنـــك قد أخطأت مسألة … وقـــد يكـــون فهلا منك تغتفر؟
غلطت فى الدهر أو أخطأت واحدة … أمـــا أجـــدت إصابات فتعتذر؟
ومـــن يكون على التحقيق مجتهدا … لـــه الثواب على الحالين، لا الوزر
ألم تكـــن بأحاديـــث الـــنبى إذا … ســـئلت تعـــرف ما تأتى وما تذر
حاشـــاك مـــا شبه فيها، وما شبه … كلاهمـــا مـــنك لا يبقـــى له أثر
عليك فى البحث أن تبدى غوامضه … ومـــا علـــيك إذا مـــا تفهم البقر
قـــدمت لله مـــا قدمت من عمل … ومـــا عليك بهم ذموك أو شكروا
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى … ومـــن سمائك تبدو الأنجم الزهر

وكـــيف تحـــذر مـــن شئ تزل به أنـــت التقى فماذا الخوف والحذر

تمت والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر البعلى الحنبلى، يمدح شيخ الإسلام والمسلمين الإمام أحمد ابن تيمية — رحمه الله ورضى عنه —:

يـــا ابـــن تيمـــية يا أفصح العلما يـــا من لاسرار دين الله قد فهما

يـــا آيـــة ظهرت فى الكون باهرة لازلـــت فى شكل دين الله منتظما

وكـــنت واســـطة فى عقـــده أبدا تزيل منه الأذى والفحش والسقما

جمعـــت مـــنه الذى قد كان فرقه قـــوم رأوه هدى منه، وكان عمى

وكـــنت أحـــرص خلق الله كلهم على التآلف، تعطى الفضل والنعما

ولســـت خـــبا لئيما باخلا شرها لكـــن تقـــيا، نقـــيا، سيد الكرما

تعفـــو عـــن الجاهل الجانى وترحمه وتكثر العدل والإنصاف للخصما

مازلـــت تغضب فى ذات الإله ولم تكـــن لنفسك يا ذا الحلم منتقما

فأنـــت حـــبر هدى أحيا الإله به مـــن ديـــنه ســـننا أماته الغشما

فى رأس سبع مئين كنت قد وجبت لك الإمامة يا مربى خلاصة العلما

وكـــل شـــئ به جل الورى هلكوا فشـــيخنا ذو التقى من شره سلما

وكـــل وصـــف كمال فى نظائره لـــه خصائصـــه لا تقتضى العدما

كـــان المـــبرز فى كل العلوم، وقد أضـــحت له فى ذرى أسنانها علما

وكـــان حاوى صفات الخير أجمعها قد جل فى كل حالات التقى قدما

لمـــا أراد عـــداه دحضه دحضوا وزاده الله عـــزا دائمـــا، وسمـــا

أضـــحت عـــوائده تـــبدى فوائده علـــى مـــوائده فى حضرة الحكما

فهـــو التقـــى بـــه أهل التقى ألفوا وأبعـــد الله عـــنه المجـــرم الـــزنما

وهـــو المحـــك الذى بان العباد به عرض بذكراه مدحا وانظر السيما

تـــرى الغـــوى حزينا ثم، منقبضا وتنظـــر المتقـــى قد سر مبتسما

فحـــبه نعمـــة فـــاز الســـعيد بها وبغضـــه نقمـــة بها الشقى وسما

فالحمــــد لله، أهـــل الحمد، خالقنا | كم قد أفاض علينا فى الورى نعما
عــــافى القلوب من الأسقام أجمعها | وعــــم بالجود من وفى ومن ظلما
كــــم أفــــرجت كــــربة عــــنا بمنته | وكـــم أعان وكم عفى وكم رحما
لا ترتجــــى غــــيره فى رفــــع نازلة | يبقى الهدى عنك والإحسان منصرما
ولا تكــــن بســــواه عــــنه مشتغلا | لكـــى تنال التقى والفوز والكرما
وكـــن محـــبا لـــه ســـاع بطاعته | فالسعى فى غير هذا يورث الندما

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تم كتاب العقود الدرية

حققه أضعف الورى

أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعى، الشهير بـــ "محمد فارس"

٢٥ شعبان ١٤٢٣هـــ

٢٠٠٢/١٠/٣١م

الكواكب الدرية

في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي

المتوفى ١٠٣٣ هـ

اعتنى به

محمد حسن محمد حسن إسماعيل





المقدمة

ترجمة المصنف

هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، مؤرخ أديب من كبار الفقهاء، ولد في طولكرم بفلسطين، وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة، فتوفي فيها سنة [١٠٣٣ هـ].

له من المؤلفات: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، ورياض الأزهار في حكم السماع والأوتار، وقلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، ونزهة الناظرين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، والكواكب الدرية [وهو كتابنا] وغيرها(١)

النسخة المعتمدة في التحقيق

لقد اعتمدنا بفضل الواحد الأحد الفرد الصمد في تحقيق هذا الكتاب على النسخة المطبوعة بمطبعة كردستان العلمية، بدرب المسمط: بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٢٩ هـ.

كتبه: طالب العلم أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي الشهير بـ [محمد فارس].

كتاب الكواكب الدرية

في مناقب الإمام المجتهد شيخ الإسلام ابن تيمية(٢)

للإمام الهمام شيخ الفضلاء المتقنين وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (رحمة الله عليه) آمين.

---

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر [٤/ ٣٥٨]، الأعلام [٧/ ٢٠٣].

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية (٦٦١ هـ ــ ٧٢٨ هـ).
شيخ الإسلام ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها فتعصب عليه جماعة من أهلها فسُجنَ مدة ونُقل إلى الإسكندرية ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتُقل بها سنة ٧٢٠ هـ وأُطلق ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. الدرر الكامنة ١/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥ ، النجوم الزاهرة: ٢٧١/٩، الأعلام ١٤٤/١.

بأمر العلامة فخر سلف الصالحين مولانا الشيخ عبد القادر التلمساني وفقه الباري وذلك بمعرفة الفقير إلى الله الغني: (فرج الله زكي الكردي) بمطبعته (مطبعة كردستان العالمية) بدرب المسمط بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٢٩ هجرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن العلماء العاملين والائمة والمجتهدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فهذه فوائد لطيفة وفرائد شريفة في مناقب شيخ الإسلام وبحر العلوم ومفتي الفرق المجتهد أحمد تقي الدين ابن تيمية لخصتها (من مناقبه) للشيخ الحافظ الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحليم بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامه المقدسي[١] (ومن مناقبه) للشيخ الإمام العالم الأوحد الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن موسى البزار[٢] (من مناقبه) للشيخ الإمام العالم أوحد الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد ابن القاضي محيي الدين يحيى بن العمري الشافعي[٣].

(فأقول وبالله التوفيق) ابن تيمية هو الشيخ الإمام العالم العامل الرباني إمام الأئمة وعلامة الأمة ومفتي الفرق، وبحر العلوم، وسيد الحفّاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر ووحيد الدهر، شيخ الإسلام، بركة الأنام، علامة الزمان، وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام

---

(١) ابن قدامة المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله الجماعيلي الأصل ثم الدمشقي الصالحي. (٧٠٥ هـ ــ ٧٤٤هـ)، حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة الدرر الكامنة ٣٣١/٣ شذرات الذهب ١٤١/٦ الأعلام ٣٢٦/٥.

(٢) عمر البزار، عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي الأزهري، الحنبلي، سراج الدين، أبو حفص (٦٨٨ ــ ٧٤٩ هـ)، محدث، مؤرخ، فقيه، أقام بدمشق. الدرر الكامنة ١٨٠/٣، هدية العارفين ٧٩٠/١، شذرات الذهب ١٦٢/٦، معجم المؤلفين ٣٠٢/٧

(٣) ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (٧٠٠ ــ ٧٤٩ هـ)، مؤرخ حجة في معرفة المماليك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام في الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ. فوات الوفيات ٧/١، الدرر الكامنة ٣٣١/١، النجوم الزاهرة ٢٣٤/١٠، الأعلام ٢٦٨/١.

العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرّاني نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، كذا ترجمه بهذه الترجمة ابن قدامة المتقدم(١) .

{واختلف} لم قيل ابن تيمية فقيل أن جده محمد بن الخضر حجّ على درب تيماء فرأى هناك طفلة، فلما رجعه وجد امرأته قد ولدت له بنتًا فقال يا تيمية يا تيمية، فلقب بذلك، وقيل إن جده محمدًا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها.

{ولد رحمه الله تعالى} بحرّان يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر بيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وبقي بحرّان إلى أن بلغ سبع سنين، ثم بعد ذلك هاجر والده به وبإخوته إلى الشام عند جور التتر، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة فابتهلوا إلى الله سبحانه، واستغاثوا به فنجوا وسلموا وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين، فنشأ بدمشق أتم إنشاء، وأزكاه وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه، وكانت مخائل النجابة عليه في صغره لائحة ودليل العناية فيه واضحة، فلم يزل منذ إبان صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد، وختم القرآن صغيرًا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمته مجالس الذكر، وسماع الأحاديث والآثار، ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية، أما دواوين الإسلام الكبار كمسند الإمام أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني(٢)، والنسائي(٣)، وابن ماجه(٤)، والدارقطني(٥)، فإنه سمع كلا منها مرات عديدة، وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين

---

(١) سبق ذكره.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، أبو داود السجستاني إمام أهل الحديث في زمانه، توفي بالبصرة. (٢٠٢ — ٢٧٥ هـ) .
تذكرة الحفّاظ ١٥٢/٢ الأعلام ١٢٢/٣.

(٣) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٤) ابن ماجة، محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله (٢٠٩ – ٣٧٣ هـ) أحد الأئمة في الحديث، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث.
وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤، تهذيب التهذيب ٥٣٠/٩، تذكرة الحفّاظ ١٨٩/٢ ، الأعلام ١٤٤/٧

(٥) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي (٣٠٦ ـ ٣٨٥ هـ) إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراءات وعقد لها أبواب. وفيات الأعيان ٣٣١/١ ، طبقات الشافعية ٣١٠/٢ ، الأعلام ٣١٤/٤.

الصحيحين للإمام الحميدي[١]، كذا قال الشيخ الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر[٢] وسمع من مشايخ كابن عبد الدائم المقدسي[٣]، وطبقته، وطلب بنفسه قراءة وسماعًا من خلق كثير، وقرأ الكتب الكبار وكتب الطباق والإثبات، ولازم السماع واشتغل بالعلوم، قال ابن عبد الهادي بن قدامة: وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ وسمع مسند الإمام أحمد مرات، وسمع الكتب الكبار والأجزاء ومن مسموعاته معجم الطبراني[٤]، الكبير، وعني بالحديث وقرأ ونسخ وانتقى وتعلم الخط والحساب في الكتاب، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ في العربية وأخذ يتأمل كتاب سيبويه[٥] حتى فهمه وبرع في النحو وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه.. انتهى.

فصل في ثناء الأئمة على ابن تيمية

فقد أكثر أئمة الإسلام في الثناء على هذا الإمام كالحافظ المزي وابن دقيق العيد، وأبي حيان النحوي، والحافظ ابن سيد الناس[٦]، والعلامة كمال الدين بن الزملكاني، والحافظ الذهبي، وغيرهم من أئمة العلماء.

(قال جمال الدين أبو الحجاج المزي عن ابن تيمية) ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه.

(وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد) لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد وقلت له ما كنت أظن أن الله بقي يخلق مثلك.

---

(١) الحميدي، فرق أمير، الحميدي (... ــ ٨٦٠ هــ). فقيه حنفي، تركي مستغرب . الأعلام ٥/ ١٩٢.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٣) لم يتم العثور على ترجمته .

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام وإليها نسبته، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز، واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة. وفيات الأعيان ٢١٥/١ ، النجوم الزاهرة ٩٥/٤ ، الأعلام ١٢١/٣.

(٥) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٦) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(وقال الشيخ إبراهيم الرقي) [١] الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم فإن طال عمره ملأ الأرض علما وهو على الحق ولابد من أن يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة.

(وقال قاضي القضاة أبو عبد الله بن الحريري[٢]) إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو.

(وقال ابو حيان[٣] شيخ النحاة لما اجتمع بابن تيمية) ما رأت عيناي مثله ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال:

لما أتينا تقي الدين لاح لنا ... داعٍ إلى الله فردًا ما له وزر

على محياه من سيما الألي صحبوا ... خير البرية نورٌ دونه القمر

حبر تسربل منه دهرنا حبرا ... بحر تقاذف من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذ عصت مضر

وأظهر الحق إذ آثاره درست ... وأخمد الشر إذ طارت له شرر

يا من يحدث عن علم الكتاب أصخ ... هذا الإمام الذي قد كان ينتظر[٤]

(وقال العلامة ابن الوردي[٥] ناظم البهجة في رحلته لما ذكر علماء دمشق وترك التعصب والحمية): وحضرت مجالس ابن تيمية، فإذا هو بيت القصيدة، وأول الخريدة، علماء زمانه فلك هو قطبه، وجسم هو قلبه يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، حضرت بين يديه يومًا فأصبت المعنى، وكناني وقبّل بين عيني اليمني، وقلت:

إن ابن تيمية في ... كل العلوم أوحد

أحببت دين أحمد ... وشرعه يا أحمد

(وقال الحافظ فتح الدين أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري[٦] بعد أن ذكر ترجمة

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٣) ابن الحريري، أبو بكر بن علي بن محمد بن علي (٧٧٧-٨٥١هـ) ، فقيه شافعي من أهل دمشق، رحل إلى القاهرة ومكة وناب في القضاء بدمشق. التبر المسبوك ١٩١ ، الضوء اللامع ٥٦/١١، الأعلام ٦٨/٢ .

(٤) وفي نسخة : كنا نحدث عن حبر يجيء فها ... أنت الإمام الذي قد كان ينتظر

(٥) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٦) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

الحافظ المزي وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث هو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضه وغدير إلى أن دب إليه من أهل بلده داء الحسد وألب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلاما أو سموه بسببه ملامًا وفوقوا لتبديعه سهامًا وزعموا أنه خالف طريقهم وفرق فريقهم يسومونه رب النون، وربك يعلم ما تكن صدورهم، وما يعلنون، ولم يزل بمجلسه إلى حين ذهابه إلى رحمة الله، وإلى الله ترجع الأمور وهو المطلع على خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

(ثم قال) قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ومدرك غاية الفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله بالقاهرة حين قدم علينا، ثم ذكر حديثًا من جزء ابن عرفة[1].

(وقال الشيخ علم الدين البرزالي[2] في معجم شيوخه) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرّاني الشيخ تقي الدين أبو العباس الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه، قرأ القرآن وبرع فيه والعربية والأصول، ومهر في علم التفسير والحديث وكان إمامًا لا يلحق غباره في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراده واعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا ودعاء الخلق إلى الله تعالى، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنة وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله تعالى خلق كثير، وجرى على طريقة واحدة من اختيار

(١) ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أبو عبد الله، (٧١٦ – ٨٠٣ هـ) إمام تونس.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى. (وقال العلامة الزملكاني[١] أحد أئمة الأعلام) لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وقد ألان الله له العلوم كما آلان لداود الحديد، كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع منه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر، فكتب فيها مجلدة كبيرة، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود فكتب فيها مجلدة كبيرة أيضًا ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

(وقال عن كتاب بيان الدليل، على بطلان التحليل) من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الإمام العالم العلامة الأوحد البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الإسلام، مفتي الأنام، سيد العلماء، قدوة الفضلاء، ناصر السنة، قامع البدعة حجة الله على العباد، راد أهل الزيغ والعناد، أوحد العلماء العالمين، آخر الأئمة المجتهدين، أبي العباس أحمد ابن تيمية، حفظ الله على المسلمين طول حياته وأعاد عليهم من بركاته، إنه على كل شيء قدير.

(وقال عن كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام) تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد، العابد القدوة، إمام الأئمة وقدوة الأمة، علامة العلماء، وراث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلمين قامع المبتدعين، محيي السنة، ومن عظمت به لله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته، وهديه الحجة، تقي الدين أحمد ابن تيمية، أعلى الله مناره، وشيد به من الدين أركانه، ثم قال.

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن العصر
هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

هـو آيـة في الخلـق ظاهرة أنـوارها أربـت علـى الفجـر

(وقال الشيخ الإمام القدوة الزاهد عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي[1]) شيخنا السيد الإمام، العلامة الهمام، محيي السنة، وقامع البدعة ناصر الحديث مفتي الفرق الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الفائق، الجامع بين الظاهر والباطن فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلى قاطن، لنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرهم ونسبت الأمة حذوهم وسبيلهم، فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولأعنة قواعدهم مالكًا، الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، فوالله ثم والله ثم والله لم يُر تحت أديم السماء مثله علما وحالا، وخلقًا واتباعًا وكرما وحلما في حق نفسه، وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علما وعزما، وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة وأسخاهم كفا، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمد ﷺ وأطال في ترجمته الشيخ.

(وقال الحافظ الناقد أبو عبد الله شمس الدين الذهبي [2]) نشأ يعني الشيخ تقي الدين رحمه الله في تصون تام وعفاف وتأله وتعبد واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره وينظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة، بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكبّ على الاشتغال، ومات والده وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم، فدرس بعده بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره وبعُد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجُمع على كرسي من حفظه، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وكان يورد الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح وكان آية من الذكاء وسرعة الإدراك رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف بحر في المنقليات هو في زمانه فريد عصره علمًا وزهدًا وشجاعة وسخاء وأمر بالمعروف ونهيًا عن المنكر وكثرة تصانيف وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها ودقيقها وجليلها، فإن ذُكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد

---

(١) الواسطي، أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود، عماد الدين الواسطي البغدادي الدمشقي. (٦٥٧ – ٧١١ هـ) فقيه كان شافعيًا، وقدم دمشق فتتلمذ لابن تيمية وانتقل إلى مذهب ابن حنبل. الدرر الكامنة ١ / ٩١ شذرات الذهب ٦/ ٢٤ الأعلام ٨٦/١ .

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول المحلي.

الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا[1] يقدم الفلاسفة فلسهم وتيسهم وهتك أستارهم، وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة، وهو أعظم من أن تصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه، ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع في مجلدين، فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته، فإنه كان رباني الأمة وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين، رأسًا في العلم يبالغ في اطراء قيامه في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد ولا لاحظتها من فقيه، قال وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقلّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة.

(ولما كان معتقلاً) بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة أن يجيز له مروياته وينص على أسماء جعله منها فكتب في عشر ورقات جعله من ذلك بأسانيدها من حفظه بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين، بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون الآخرون، وهابوا وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه وبدّعوه وناظروه، وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال ما اشتهر منه من الورع وكمال الفكر وسرعة الإدراك والخوف من الله العظيم والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله، فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها، وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم، (وأما شجاعته) فبها تُضرب الأمثال وببعضها يتشبه أكابر الأبطال.

ولقد أقامه في نوبة غازان وقام بأعباء الأمر بنفسه وقام وقعد وطلع وخرج، واجتمع بالملك مرتين، وبخطلو شاه وببولاي، وكان فندق يتعجب من إقدامه وجراته على المغول، وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته،

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه.

(وقال في مكان آخر في ترجمة طويلة) وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل وبالصحيح والسقيم مع حفظ لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي.

(وأما التفسير) فمسلم إليه وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة، وإذا رآه المقرى تحير فيه، ولفرط طول باعه في التفسير وعظمه اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالا عديدة وينصر قولاً واحدا موافقًا لما دل عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحو من أربعة كراريس أو أزيد، وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد، وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد، ثم ذكر بعض تصانيفه رحمه الله، (وكتب الذهبي [1]) طبعة بخطه يقول فيها سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد أبي العباس أحمد ابن تيمية ﷺ (وقال الشيخ علم الدين[2]) رأيت إجازة بخط الشيخ تقي الدين وقد كتب تحتها الشيخ شمس الدين الذهبي[3] هذا خط شيخنا الإمام شيخ الإسلام فرد الزمان بحر العلوم تقي الدين، مولده عاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة، وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس أو أكثر، وفسّر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجُمع، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة وشيوخه أكثر من مائتي

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٣) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يُلحق فيه.

(وما نقله) للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرًا.

وعربيته قوية جدًا، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت، وهو أحد الأجواد الاسخياء الذين يُضرب بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير من المأكل والملبس، انتهى كلام الذهبي، ولقد أنصف رحمه الله تعالى.

(وقال بعض قدماء أصحاب الشيخ ابن تيمية وقد ذكر نبذة من سيرته) أما مبدأ أمره ونشأته فإنه نشأ من حيث نشأ في حجور العلماء راشفًا كؤس المفهوم، راتعًا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، وخصوصًا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها، ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًا متألها عن الدنيا صينًا تقيًا برًا بأمه ورعا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوامًا قوامًا، ذكرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، راجعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا ترتوي من المطالعة ولا تمل من الاشتغال ولا تكلّ من البحث، وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذّاق أهلهم مقصودة بالكتاب والسنة، ولقد سمعته في بادئ أمره يقول إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي، فاستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينجلي إشكال ما أشكل، قال وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن انال مطلوبي، قال ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت بالشيخ ابن تيمية في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع المشايخ وتذاكروا، وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب، وتأثيرًا في النفوس وهيمنة مقبولة ونفعًا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التي سمعته أيامًا كثيرة، حتى كان مقاله بلسان حاله وحاله ظاهر في مقاله.

(وقال شيخ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة

المقدسي[1] في كتابه المناقب) لم يبرح شيخنا يعني ابن تيمية في ازدياد من العلوم، وملازمة للاشتغال وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبيل الخير حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والإنابة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق ونفع الخلق والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه والصفح عنه، والدعاء له وسائر أنواع الخير.

وكان رحمه الله سيفًا مسلولاً على المخالفين، وشجي في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحرًا لا تكدره الدلاء، وحبرا يقتدي به الأخيار الألباء، ضنَّت بذكره الأمصار، وضنت بمثله الأعصار، واشتغل بالعلوم، وكان ذكيًا كثير المحفوظ إمامًا في التفسير وما يتعلق به، عارفًا بالفقه واختلاف العلماء والأصلين والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما تكلم معه فاضل في فن إلا ظن أن ذلك الفن فنه ورآه عارفًا به متقنا له، وأما الحديث فكان حافظًا له مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله متضلعًا من ذلك، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع، وأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره.

(وقال الشيخ الإمام الأديب أحمد شهاب الدين بن فضل الله العمري الشافعي في تاريخه المسمى بمسالك الأبصار، في ممالك الأمصار، في ترجمة الشيخ ابن تيمية وهي طويلة تبلغ كراسة فأكثر) ومنهم أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني العلامة الحافظ الحجة المجتهد المفسر شيخ الإسلام نادرة العصر علم الزهاد تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى، هو البحر من أي النواحي جئته، والبدر من أي الضواحي رأيته، رضع ثدي العلم منذ فطم، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلطم، وقطع الليل والنهار دائبين، واتخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أن آسى السلف بهداه، ونأى الخلف عن بلوغ مداه، على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور، ونسأت منه عظماء على مشاهير الشهور، فأحيا معالم بيته القديم إذ درس، وجنى من فتنة الرطيب ما غرس، وأصبح في فضله آية إلا إنه آية الحرس، عرضت له الكدى فزخرفها، وعارضته البحار فضحضحها، ثم كان أمة وحده، وفردًا حتى نزل لحده، جاء في عصر مأهول بالعلماء، مشحون بنجوم

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

السماء، تموج في جانبيه بحور خضارم، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم، وتشرق في أنديته بدور دجنه، وصدور أسنه، إلا أن صباحه طمس تلك النجوم، وبحره طم على تلك الغيوم، ففاءت سمرته على تلك التلاع، وأطلت قسوته على تلك السباع، ثم عبيت له الكتائب فحطم صفوفها وخطم أنوفها، وابتلع غديره المطمئن جدًا ولها، واقتلع طوده المرجحن جنادلها، وأخمدت أنفاسهم ريحه وأكمدت شرارهم مصابيحه.

تقدم راكبًا فيهم إمامًا ولولاه لما ركبوا وراءه

فجمع أشتات المذاهب وشتات الذاهب، ونقل عن أئمة الإجماع فمن سواهم مذاهبهم المختلفة واستحضرها ومثل صورهم الذاهبة، وأحضرها فلو شعر أبو حنيفة بزمانه وملك أمره لأدنى عصره إليه مقتربًا، أو مالك لأجرى وراءه أشهبه ولو كبا أو الشافعي لقال ليت هذا كان للأم ولدًا وليتني كنت له أبا، أو الشيباني[١] بن حنبل لما لام عذّاره إذ غدا منه لفرط العجب أشيًا، لا بل داود الظاهري[٢] وسنان الباطني[٣] لظنا تحقيقه من منتحلة وابن حزم والشهرستاني لحشر كل منهما ذكره أمه في نحله أو الحاكم النيسابوري[٤] والحافظ السلفي[٥] لإضافة هذا إلى مستدركه، وهذا إلى رحله ترد إليه الفتاوى ولا يردها وتفد عليه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعدًا لها يعدها.

أبدا على طرف اللسان جوابه فكأنما هي دفعة من صيب

وكان من أذكى الناس، كثير الحفظ قليل النسيان، قلما حفظ شيئًا فنسيه، وكان إمامًا في التفسير وعلوم القرآن عارفًا بالفقه واختلاف الفقهاء والأصلين والنحو وما يتعلق به، واللغة والمنطق وعلم الهيئة والجبر والمقابلة وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه، وكان حافظًا للحديث مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله متضلعًا من ذلك وله

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٣) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن حمدوية بن نعيم الضبي، الطهمساني النيسابوري ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله (٣٢١ ــ ٤٠٥ هـ).

من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه الوفيات ٤٨٤/١ طبقات السبكي ٦٤/٣ ، الأعلام ٢٢٧/٦.

(٥) السلفي، أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، صدر الدين، أبو طاهر السلفي (٤٧٨ ــ ٥٧٦ هـ) حافظ مكثر، من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث، كتب تعاليق وأمالي كثيرة الأعلام ٢١٥/١.

تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة، وفتاوي مشبعة في الفروع والأصول والحديث ورد البدع بالكتاب والسنة، وأطال في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى، فاقتصرنا على ذلك خوف التطويل.

(وقال الشيخ الإمام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار[1] في كتابه الأعلام العالية في مناقب ابن تيمية) أما غزارة علومه فمعرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واشتهاره بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته، فإن فيه من الغاية التي ينتهى إليها والنهاية التي يعول عليها، ولقد كان إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجملته والدرس برحمته وهو في تفسير بعض آية منها.

وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهدتهم في دين الله وما خصوا به من بين الأمة فإنه كان رضي الله عنه من أضبط الناس لذلك وأعرفهم فيه وأسرعهم استحضارًا لما يريده، فإنه قل إن ذكر حديثًا في مصنف أو فتوى أو استشهد به أو استدل به إلا وعزاه في أي دواوين الإسلام هو، ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما، وذكر اسم راويه من الصحابة، وقل إن سئل عن أثر إلا وبين في الحال حاله وحال أكثره، وذاكره، ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله ﷺ ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه حتى كان إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم يحه غيره من حديث يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنًا من كان، ومنحه الله تعالى بمعرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل وما روي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود في كل زمان ومكان ونظره الصحيح الثاقب الصلب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه ذلك إلى الأماكن التي بها أودعوه حتى كان إذا اشتغل عن شيء من ذلك كان كأن جميع المنقول فيه عن الرسول وأصحابه والعلماء من الأولين والآخرين متصور ومسطور بإزائه يقول منه ما يشاء ويذر ما يشاء، وهذا قد اتفق عليه كل من رآه وقل كتاب من فنون العلوم إلا وقد وقف عليه، فكان الله تعالى قد خصه بسرعة الحفظ وبطء النسيان، لم يكن يقف على شيء ويسمع بشيء غالبًا

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

إلا ويبقى على خاطره إما بلفظه أو معناه وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره فإنه لم يكن له مستعارًا بل كان له شعارًا ودثارًا، جمع الله له ما خرق له العادة، ووفقه في جميع عمره لإعلام السعادة وجعل مآثره لإمامته من أكبر شهادة، حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عنى نبينا ﷺ بقوله (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها[1]) فلقد أحيا تعالى به ما كان قد درس من شعائر الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين والحمد لله رب العالمين.

(وبالجملة) فكلام الأئمة بالثناء عليه ما يطول، وفيما ذكرناه كفاية تدل على علو رتبته ورفيع شأنه ومرتبته رضي الله تعالى عنه آمين.

(وأثنى عليه كثير من الفضلاء بالقصائد في حال حياته فمن ذلك قصيدة نجم الدين إسحاق ابن أبي بكر التركي وهي[2])

ذراني من ذكرى سعاد وزينب ... ومن ندب أطلال اللوى والمحصب

ومن مدح آرام سنحن برامة ... ومن غزل في وصف سرب وربرب

ولا تنشداني غير شعر أبي العلى ... يظل ارتباط يزدهيني ويطبي

وإن أنتما طارحتماني فليكن ... حديثكما في ذكر مجد ومنصب

بحب المعالي لا بحب ابن جندب ... أفضي لبانات الفؤاد المعذب

خلقت امرأ على حمل الهوى ... فلست أبالي بالقلي والتجنب

سواء أرى بالوصل تفريض جؤذر ... أو إعراض ظبي ألعس الثغر أشنب

ولم أصب في عصر الشبية والصبا ... فهل أصبون كهلاً بلمة أشيب

يعنفني في بغيتي رتب العلى ... جهول أراه راكبًا غير مركبي

له همة دون الحضيض ... ولي همة تسمو على كل كوكب

فلو كان ذا جهل بسيط عذرته ... ولكنه يدلي بجهل مركب

يقول علام اخترت مذهب أحمد ... فقلت له إذ كان أحمد مذهب

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه [٥٦٧/٤] ــ ح [٨٥٩٢] ــ وأبو داود د [١٠٩/٤] ــ ح [٤٢٩١] ــ والطبراني في الأوسط [٥٦٢٧].

(٢) لم يتم العثور على ترجمته.

وهـــل في ابـــن شيبان مقال لقائل وهل فيه من طعن لصاحب مضرب
أليس الذي قد طار في الأرض ذكره وطـــبقها مـــا بـــين شرق ومغرب

(إلى أن قال)

إمـــام الهدى الداعي إلى سنن الهدى وقد فاضت الأهواء من كل مشعب
وأصـــحابه أهـــل الهدى لا يضرهم على طعنهم طعن امرئ جاهل غبي
هـــم الظاهـــرون القائمون بدينهم إلى الحشـــر لم يغلـــبهم ذو تغلب
لـــنا مـــنهم في كـــل عصـــر أئمة هـــداة إلى العلـــيا مصابيح مرقب
فأيـــدهم رب العلـــى مـــن عصابة لإظهـــار ديـــن الله أهـــل تعصب
وقـــد علـــم الـــرحمن أن زمانـــنا تشـــعب فـــيه الـــرأي أي تشعب
فجـــاء بحـــبر عـــالم مـــن سراتهم لســـبع مـــئين بعـــد هجرة يثرب
يقـــيم قـــناة الدين بعد اعوجاجها ويـــنقذها مـــن قبضـــة المتعصب
فـــذاك فـــتى تيمـــية خـــير ســـيد نجـــيب أتانـــا مـــن سلالة منجب
علـــيم بـــأدواء الـــنفوس يسوسها بحكمـــته فعـــل الطبـــيب المجرب
بعـــيد عن الفحشاء والبغي والأذى قـــريب إلى أهـــل التقى ذو تجشب
يغـــيب ولكـــن عـــن مساء وغيبة وعـــن مشـــهد الإحسان لم يتغيب
حلـــيم كـــريم مشـــفق بعداتـــه إذا لم يطـــع في الله لله يغضـــب
يـــرى نصـــرة الإســـلام أكرم مغنم وإظهـــار ديـــن الله أربح مكسب
وكـــم قد غدا بالقول والفعل مبطلاً ضـــلالة كـــذاب ورأى مكـــذب
لقـــد حاولـــوا منه الذي كان رامه من المصطفى قدماً حيي بن أخطب
ولكـــن رأوا مـــن بأسه مثل ما رأى من المرتضى في حربه رأس مرحب
تمســـك أبا العباس بالدين واعتصم بحـــبل الهـــدى تقهر عداك وتغلب
ولا تخش من كيد الأعادي فما هم ســـوى حائـــر في أمـــره ومذبذب
جـــنودهم مـــن طامـــع ومضـــلل مســـيلمة مـــنهم يلـــوذ بأشـــعب

وجـــندك مـــن أهل السماء ملائك يمـــدك مـــنهم موكب بعد موكب
لـــئن جحـــدت علياء فضلك حسد لعمـــر أبي قـــد زاد مـــنهم تعجبي
وهل ممكن في العقل أن يجحد السنا ضـــحى وضياء الشمس لم يتعجب
أيـــا مطلـــبًا حزناه من غير مهلك وكم مهلك صد الورى دون مطلب
ربـــيب المعـــالي يافع الجود والندى فـــتى العلم كهل الحلم شيخ التأدب
بســـيط معـــان في وجيـــز عـــبارة بتهذيـــبه تعجيـــز كـــل مهـــذب
ولـــيس لـــه معـــان في وجيز عبارة بتهذيـــبه تعجيـــز كـــل مهـــذب
ولـــيس لـــه في الزهد والعلم مشبه سوى الحسن البصري وابن المسيب
ومـــن رام حبرًا دونه اليوم في الورى فـــذاك الـــذي قد رام عنقاء مغرب
ألـــيس هـــو الحـــبر الذي بانتصاره حـــيى الدين حتى بالأمانة قد حبى
وجاهـــد في ذات الإلـــه بنفســـه وبالمـــال والأهلـــين والأم والأب
ومـــا جـــئت في مدحـــي له متطلبًا بـــه عرضًـــا يفنى ولا نيل منصب
ولكـــنني أبغـــي رضـــى الله خالقي وأرجـــو بـــه غفـــران زلة مذنب

(وقال القاسم محمود بن عساكر[١])

تقـــي الـــدين أضـــحى بحر علم يجـــيب الســـائلين بـــلا قنوط
أحـــاط بكـــل علـــم فـــيه نفـــع فقـــل مـــا شئت في البحر المحيط

وقصائد مدحه في حياته كثيرة وكذلك بعد وفاته كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فصل في تصانيف ابن تيمية
وسعة حفظه وقوة ملكته رحمة الله تعالى عليه

قد مرت الإشارة إلى ذلك في كلام الأئمة وقول العلامة ابن الزّملكاني[٢] لقد أُعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة السيارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وقد ألان له

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.
(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

العلوم كما ألان لداود الحديد، وتقدم الحافظ الذهبي[١] وما يعد أن تصانيفه الآن خمسمائة مجلد (وقال الشيخ عبد الهادي بن قدامة[٢]) للشيخ رحمه الله تعالى من التصانيف والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط، قال ولا أعلم أحدًا من متقدمي الأئمة ولا متأخريهم جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريبًا من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه وكثيرًا منها صنفه في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.

فمن ذلك ما جمعه في التفسير وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم، وذلك أكثر من ثلاثين مجلدًا، وقد بيّض أصحابه بعض ذلك وكثير منه لم يكتبوه، ولو كُتب كله لبلغ خمسين مجلدًا وكان رحمه الله تعالى يقول ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله تعالى الفهم وأقول يا معلم إبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول يا معلم إبراهيم فهمني.

(وقال أبو حفص عمر البزاري[٣] المناقب) وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على أحصائها، بل هذا لا يقدر عليه أحد لأنها كثيرة جدًا كبارًا وصغارا وهي منتشرة في البلدان، فقلّ بلد نزلته إلا ورأيت من تصانيفه، فمنها ما يبلغ عشرين مجلدًا كتخليس التلبيس من تأسيس التقديس، وما يبلغ سبع مجلدات كالجمع بين العقل والنقل، وما يبلغ ست مجلدات ككتاب تلبيس الجهمية، في تأسيس بدعهم الكلامية، وما يبلغ خمس مجلدات كمنهاج الاستقامة والاعتدال، وما يبلغ أربع مجلدات ككتاب الرد على طوائف الشيعة والقدرية، والرد على ابن المطهر[٤] الرافضي، وبين جهل الرافضة وضلالتهم وكذبهم، وما يبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى، ومجلدين كنكاح المحلل وابطال الحيل وشرح العقيدة الأصبهانية، وما يبلغ مجدًا فكثير جدا، ككتاب تفسير سورة الإخلاص مجلد، وكتاب الكلام على قوله سبحانه وتعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/٥]، مجلد نحو خمس وثلاثين كراسة، والصارم

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٣) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٤) ابن المطهر الحلي، الحسن ويقال الحسين بن يوسف بن على بن المطهر الحلي، جمال الدين ويعرف بالعلامة. (٦٤٨ ــ ٧٢٦ هــ). من أئمة الشيعة، وأحد كبار العلماء نسبته إلى الحلة في العراق مولده ووفاته فيها. الدرر الكامنة ٧١/٢ النجوم الزاهرة ٢٦٧/٩ ، الأعلام ٢٢٧/٢.

المسلول على شاتم الرسول مجلد، وكتاب المسائل الأسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية، وتنبيه الرجل العاقل، على تمويه الجدل الباطل مجلد، وله في الرد على الفلاسفة مجلدات، وقال الفروع أمرها قريب فمن قلد أحدًا من الأئمة جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه، وأما الأصول فقد رأيت أهل البدع والضلال تجاذبوا فيها وأوقعوا الناس في التشكيك في أصول دينهم فلذلك أكثرت من التصنيف في الرد عليهم.

(وبالجملة) فذكر أسماء كتبه مما يطول، وله من الرسائل والقواعد والتعاليق مالا يمكن حصره وقد ذكر كثيرًا منها الحافظ بن عبد الهادي بن قدامة(١)، وقال من الله تعالى على الشيخ بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل، قال وأخبرني في غير واحد أنه كتب مجلدًا لطيفًا في يوم وكتب غيره مرة أربعين ورقة وأكثر في جلسة، وأحصى ما كتبه في يوم وبيّضه فكان ثماني كراريس في مسألة من أشكل المسائل، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلدًا، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين فكثير جدًا، وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن تحصى، لكن دوّن منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدًا وهذا ظاهر مشهور، وقلّ أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كتب وقد لا يقدر مع ذلك على إيراد مثله.

(وقال الشيخ صالح تاج الدين(٢)) حضرت مجلس الشيخ رضي الله عنه وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر وقد نظمها شعرًا في ثمانية أبيات فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرًا، فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه فإذا هو نظم من بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتًا، وقد أبدى فيها من العلوم ما لو شرح لبلغ مجلدين كبيرين، وهذا من جملة بواهره وكم له من جواب فتوى لم يسبق إلى مثله.

(وأما سعة حفظه وقوة ملكته) فقد تقدم التنبيه عليه كثيرًا في كلام الأئمة وقد أذعن له بذلك المخالف والموافق وقال ابن عبد الهادي بن قدامة بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق، وقال سمعت أن في هذه البلاد صبيًا يقال له أحمد ابن تيمية سريع الحفظ وقد جئت قاصد لعلي أراه فقال له خياط هذه طريق كتابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يمر

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) لم يتم العثور على ترجمته.

ذاهبًا إلى الكتاب، فلما مر قيل ها هو الذي معه اللوح الكبير فناداه الشيخ وأخذ منه اللوح وكتب له من متون الحديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثًا وقال له اقرأ هذا، فلم يزد على أن نظر مرة بعد كتابته إياه ثم قال اسمعه عليّ فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما يكون، ثم كتب عدة أسانيد انتخبها فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها فقام الشيخ وهو يقول إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله، فكان كما قال.

(وقال الحافظ أبو حفص[1]) كان ابن تيمية إذا شرع في الدرس يفتح الله عليه أسرار العلوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء، ونص بعضها وتبيين صحتها وتزييف بعضها وإيضاح حجته واستشهاد بأشعار العرب، وهو مع ذلك يجري كما يجري التيار ويفيض كما يفيض البحر، ويصير منذ يتكلم إلى أن يفرغ كالغائب عن الحاضرين مغمضًا عينه، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الأبصار والعقول (ومن أعجب) الأشياء في حقه أنه لما سُجن صنف كتبًا كثيرة، وذكر فيها الآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه، وذكر أسماء الكتب التي ذكرِ ذلك فيها وفي أي موضع هو منها، كل ذلك بديهة من حفظه لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، ونقبت واختبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغيير.

(وأما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه) فإنه في ذلك من الجبال التي لا ترتقى ذواتها ولا ينال سنامها، فقلّ إن ذُكر له قول إلا وقد أحاط علمه بمنكره وذاكره وناقله أو راوٍ إلا وقد عرف حاله من جرح وتعديل بإجمال وتفصيل.

(وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه به) من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية وإبراز الدلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه وإيضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق والناسخ للمنسوخ وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتب عليها وما يحتاج فيه إليها فما لا يوصف، حتى كان إذا ذكر آية أو حديثًا وبين معانيه وما أريد به يعجب العالم الفَطِن من حسن استنباطه ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه، ولقد سئل يومًا عن (حديث لعن الله المحلل والمحلل له) فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلدًا كبيرًا، وقل أن يذكر له حديث أو حكم إلا وتكلم عليه يومه أجمع، أو نقرأ بحضرته آية من كتاب الله تعالى ويشرع في تفسيرها إلا وقضى المجلس كله فيه.

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(وأما ما خصه الله تعالى) من معارضة أهل البدع في بدعهم وأهل الأهواء في أهوائهم، ومبالغته في ذلك من دحض أقوالهم، وتزييف أمثالهم وأشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم وتبديد شملهم وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية، ومعارضاتهم النفسانية، بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية، والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية، فمن العجب العجيب، (ذكر هذا كله) الحافظ أبو حفص عمر البزار[1] وقال الحمد لله الذي منّ علينا برؤيته وصحبته، ولقد جعله الله حجة على أهل عصره (وأنا أقول) الحمد لله منّ علينا بمحبته واعتقاد أنه ممن تمسك بالكتاب والسنة والقيام بنصرهما والذب عنهما، فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة وينفعنا به آمين.

فصل في بعض مآثره الحميدة على سبيل التلخيص وإلا فبسطها يستدعي طولاً

(أما تعبده) فإنه رضي الله عنه كما قال الأئمة الناقلون عنه قلّ أن سمع بمثله أنه كان قد قطع جُلّ وقته وزمانه في العبادة حتى أنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله وما يزاوله، لا من أهل ولا من مال، وكان في ليلة منفردًا عن الناس كلهم خاليا بربه عز وجل ضارعًا إليه مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليليَّة والنهارية وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة، وكان إذا رأى في طريقه منكرًا أزاله، أو سمع بجنازة سارع للصلاة عليها أو تأسف على فواتها، ولا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه، وكان مجلسه عامًا للكبير والصغير والجليل والحقير ويرى كل منهم في نفسه أنه لم يكرم أحدًا بقدره، ثم يصلي المغرب ويقرأ عليه الدروس ثم يصلي العشاء ثم يقبل على العلوم إلى أن يذهب طويل من الليل، وهو في خلال ذلك كله الليل والنهار لا يزال يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره.

(وأما ورعه) فكان من الغاية التي ينتهى إليها في الورع، إن الله تعالى أجراه مدة عمره كأنها على الورع فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة ولا كان ناظرًا أو مباشرًا لمال وقف ولم يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر ولا كان مدخرًا دينارًا ولا درهما ولا متاعًا ولا طعامًا، وإنما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته رضي الله تعالى عنه العلم اقتداء بسيد المرسلين فإنه قال إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

فقد أخذ بحظ وافر، (وأما زهده) فقد جعله الله شعارًا من صغره، ولقد اتفق كل من رآه خصوصًا من مال إلى ملازمته أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا واشتهر عنه ذلك، حتى لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة لقال ما سمعت بمثل ابن تيمية وما اشتهر بذلك إلا لمبالغته في الزهد مع تصحيح النية، لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء، ولا سرية حوراء، ولا حرص على دينار ولا درهم، ولا رغب في دواب ولا نعم، ولا ثياب فاخرة ولا حشم، ولا زاحم في طلب الرياسات، ولا رؤي ساعيًا في تحصيل المباحات، مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره، خاضعين لقوله، وادّين أن يتقربوا إلى قلبه مهما أمكنهم مظهرين لإجلاله، فأين حاله هذا من حال من أغراهم الشيطان بالوقيعة فيه؟ أما نظروا ببصائرهم إلى صفاتهم وصفاته، وسماتهم وسماته، وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها، ومبالغته في الهرب منها، وخدمتهم للأمراء واختلافهم إلى أبوابهم، وذل الأمراء بين يديه وعدم اكتراثه بهم، وقوة جأشه في محاوراتهم، بلى والله، ولكن قتلتهم الحالقة حالقة الدين لا حالقة النعم.

(وأما إيثاره مع فقره) فكان رضي الله عنه مع رفضه للدنيا وتقلله منها، مؤثرًا بما عساه يجده منها قليلاً كان أو كثيرًا لا يحتقر القليل فمنعه ذلك عن التصدق به ولا الكثير فيصرفه النظر إليه عن الإسعاف به، فقد كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئًا نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء، وكان يستفضل من قوته الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه.

(وذكر الشيخ صالح زين الدين علي الواسطي[1]) أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة قال فكان قوتنا أنه يأتيني بكرة النهار ومعه قرص قدره نصف رطل بالعراقي فيكسره بيده لقمًا ويأكل ثم يرفع يده قبلي ولا يفرغ باقي القرص من بين يدي حتى أشبع إلى الليل، وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ، ثم بعد العشاء الأخيرة يؤتى بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقي وكنتُ أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل، حتى إني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله، وكان هذا أكلنا في غالب مدة إقامتي عنده، وما رأيت نفساً أعزّ منها في تلك المدة ولا رأيتني أجمع همّا مني فيها.

(وحكى غير واحد) ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار وتفقد المحتاجين والغرباء واجتهاده في مصالحهم وصِلاتهم ومساعدته لهم، بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه وإسداء المعروف بقوله أو فعله ووجهه وجاهه.

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(وأما كرمه) فكان رضي الله تعالى عنه مجبولاً على الكرم، ولا يتنطعه ولا يتصنعه، بل هو له سجية، وكان لا يرد من يسأل شيئًا يقدر عليه من دراهم ودنانير وثياب وكتب.

وقال الحافظ ابن فضل الله العمري[1] كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث فيهب ذلك بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه لا يأخذ منه شيئًا إلا ليهبه ولا يحفظه إلا ليذهبه.

وقال في موضع آخر كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى فينفقه جميعه آلافا ومئين لا يلتمس منه درهمًا بيده، ولا ينفقه في حاجته بل كان إذا لم يقدر يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إلى السائل وهذا مشهور عند الناس من حاله.

حكى من يوثق به قال كنت يومًا جالسًا بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله تعالى عنه فجاء إنسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجًا إلى ما يعتمّ به فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل، فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل، ولم يحتشم للحاضرين عنده، وحدث من يُوثق به أن الشيخ رضي الله تعالى عنه كان مارًا في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه فنزع ثوبًا على جلده ودفعه إليه وقال بعه بما تيسر وانفقه، واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة، وسأله إنسان كتابا ينتفع به فقال خذ ما تختار فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفًا قد اشتري بدراهم كثيرة فأخذه ومضى، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك فقال أكان يحسن بي أني أمنعه بعد ما سأله، دعه فلينتفع به، وكان رضي الله تعالى عنه ينكر إنكارًا شديدًا على من ينال شيئًا من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ويقول ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه.

(وأما لباسه) فكان رضي الله تعالى عنه متوسطًا في لباسه لا يلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر إليه، ولا أطمارًا ولا غليظه تشتهر لابسها من عالم أو عابد بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطيهم، ولم يكن يلبس نوعًا واحدًا من اللباس بل يلبس ما اتفق وحصل، ويأكل ما حضر، وكانت بذاذة الإيمان عليه ظاهرة لا يرى متصنعًا في عمامة ولا لباس ولا مشية ولا قيام ولا جلوس، ولم يسمع أنه أمر أن يتخذ له ثوب بعينه، بل كان أهله يأتون بلباسه وقت حاجته ليبدل ثيابه التي عليه، وربما اتسخت ولا يأمر بغسلها حتى يسأله أهله ذلك، وكذا كان في المأكل فما سمع أنه طلب طعامًا قط ولا عشاء ولا غداء ولو بقي

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

مهما بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل بل كان ربما يؤتى بالطعام وربما يترك عنده فيبقى زمانًا حتى يلتفت إليه، وإذا أكل لم يأكل إلا شيئًا يسيرًا، وما ذكر من ملاذ الدنيا ونعميها، ولا كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها، بل جُلّ همه وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى.

(وأما تواضعه) فما سُمع بأحد من أهل عصره مثله رحمه الله في ذلك، فكان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والفقير ويدنيه ويكرمه ويباسطه بحديث زيادة عن الغني، حتى إنه ربما خدمه بنفسه وأعانه، يحمل حاجته جبرًا لقلبه وكان لا يسأم ممن يستعتبه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ولا يجبهه ولا يتفوه بكلامٍ يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط، وكان يلزم التواضع في حضوره مع الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه ومجلس غيره.

(وأما كرامته وفراسته) فقال الشيخ الحافظ أبو حفص عمر[1] جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها، وجعلنا الشيخ المرجع فلما حضر هممنا لسؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة كما كنا فيه ويذكر أقوال العلماء فيها ثم يرجح منها ما رجحه الدليل حتى أتى على آخر ما أردنا فبقينا ومن حضرنا مبهوتين متعجبين، وكنت في صحبتي له إذا خطر لي بحث يشرع يورده ويذكر الجواب عنه من عدة وجوه.

قال وحدثني الشيخ الصالح المقري أحمد[2] قال لما قدمت دمشق لم يكن معي شيء من النفقة البتة وأنا لا أعرف أحدًا من أهلها فجعلت أمشي في زقاقٍ كالحائر، وإذا الشيخ أقبل نحوي مسرعًا فسلّم وهشّ في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم وقال أنفق هذه الآن واخل خاطرك مما أنت فيه فإن الله لا يضيعك، ثم انصرف فسألت من هذا فقيل ابن تيمية وله مدة ما اجتاز بهذا الدرب!، وكان جُلّ قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه فتحققت أن الله أظهره عليّ وعلى حالي فما احتجت بعدها إلى أحد مدة إقامتي بدمشق بل فتح الله عليّ من حيث لا احتسب، وقال وحدثني الشيخ العالم المقري تقي الدين عبد الله قال لما سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيمًا بها فقدمتها ليلاً وأنا مريض مثقل فأنزلت في بعض الأمكنة فلم ألبث أن سمعت من يناديني باسمي وكنيتي فأجبته وأنا ضيف فدخل إليّ جماعة من

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

أصحاب الشيخ فقلت كيف عرفتم قدومي هذه الساعة قالوا أخبرنا الشيخ أنك قدمت وأنت مريض فأمرنا أن نسرع بنقلك وما رأينا أحدًا جاءه ولا أخبر بشيء قال ومرضت بدمشق فلم أشعر إلا والشيخ عندَ رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض فدعا لي وقال جاءت العافية مشيت من وقتي.

(وقال الشيخ عماد الدين المطرز[1]) قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة، فسلمت عليه فرد عليّ ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا، فلما كان بعد أيام وقد نفدت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه فمنعني وأجلسني دونهم فلما خلا دفع إليّ جملة دراهم، وقال أنت الآن بغير نفقة فعجبت من ذلك.

(ولما نزل المغل بالشام) لأخذ دمشق رجف أهلها، وجاء إليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين فتوجه إلى الله، ثم قال أبشروا فإن الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثلاثةٍ ترون الرؤس معبأة بعضها فوق بعض، قال الذي حدّث فوالذي نفسي بيده ما مضى إلا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض.

(وكان الشيخ) يعود المريض، فمرض شاب بدمشق فكان يعوده في كل يوم، فجاء يومًا الشاب فدعا له فشفي سريعًا، وقال له عاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك، أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك ضيعة وتقيم ههنا؟، قال الشاب فقبلت يده وقلت يا سيدي إني تائب إلى الله، وعجبت مما كاشفه بي وبهم وكنت قد تركتهن بلا نفقة ولم يكن عرف بحالي أحد من أهل دمشق.

ومضى بعض الفضلاء متوجهًا إلى مصر ليلي القضاء وعزم على قتل رجل صالح بها إذا وصل، فلما بلغ ذلك الشيخ قال إن الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل إلى مصر حيًّا فبقي بين القاضي وبين مصر قدراً يسير وأدركه الموت.

(وذكر الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة) [2] أن الشيخ لما أفتى بمسألة الرحال للقبور اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ، فقال أحدهم ينفى فنفي القائل، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل، وقال آخر يعزر فعزر القائل، وقال آخر يحبس فحبس القائل، قال وأخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها (وبالجملة فكرامات الشيخ رحمه الله تعالى كثيرة جدًا، قالوا ومن أظهر كراماته ما سمع بأحد عاداه أو

---

(١) لم يتم العثور على ترجمته.

(٢) سبق ذكره.

نقصه إلا وابتلي ببلايا غالبها في دينه، قالوا وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج فيه إلى شرح صفته، قالوا ومن أمعن النظر ببصيرته لم ير عالمًا من أهل أي بلد شاء موافقًا له مثنيًا عليه إلا ورآه من أتبع علماء بلده للكتاب والسنة وأشغلهم بطلب الآخرة والرغبة فيها وأبلغهم في الإعراض عن الدنيا والإهمال لها، ولا يرى عالمًا مخالفًا له منحرفًا عنه إلا وهو من أكبرهم نهمة في جميع الدنيا وأكثرهم رياء وسمعة والله أعلم.

(وأما شجاعته وجهاده) فأمر متجاوز للوصف، فكان رضي الله تعالى عنه كما قال الحافظ سراج الدين أبو حفص[1] في مناقبه هو من أشجع الناس وأقواهم قلبًا، ما رأيت أحدًا أثبت جأشًا منه ولا أعظم في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم، وأخبر غير واحد أن الشيخ كان إذا حضر في عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم إن رأى من بعضهم هلعًا أوجبنًا شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة وبين له فضل الجهاد والمجاهدين، وكان إذا ركب الخيل يجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان وينكي العدو من كثرة الفتك بهم، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت، وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أمورًا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره.

(ولما ظهر السلطان بن غازان[2]) على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق فوصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشجاعة ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن، وزوال الخوف، فانتدب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي أحلامهم فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان، فلما رأى الشيخ أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة، حتى أدناه منه وأجلسه وأخذ الشيخ في الكلام معه في عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين وأخبره بحرمة دماء المسلمين وذكره ووعظه، فأجابه إلى ذلك طائعًا، وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذراريهم وصين حريمهم.

(وقال الشيخ كمال الدين بن الأنجا[3] قدس الله روحه) كنت حاضرًا مع الشيخ فجعل

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) السلطان بن غازان ٧٠٤ هـ اسمه محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو النجوم الزاهرة ٨/٥٩.

(٣) لم يتم العثور على ترجمته.

يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته مصغ لما يقول شاخص إليه لا يعرض عنه، وإن السلطان من شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فإني لم أر مثله ولا أثبت قلبًا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقيادًا لأحد منه، فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل فقال الشيخ للترجمان قل للغازان أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا، فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت، ثم خرج من بين يديه مكرمًا معززًا بحسن نيته الصالحة من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أراده، وكان أيضًا سببًا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهليهم وحفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة التجاسر، وكان يقول لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه فإن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل[1] خوفه من بعض الولاة فقال لو صححت لم تخف أحدًا أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك، (وأخبر قاضي القضاة أبو العباس) أنهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل لمَ لمْ تأكل فقال كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس، طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك فإنك تؤيده وتنصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فإنك تفعل به وتصنع، فكان يدعو عليه وغازان يؤمِّن على دعائه، ونحن نجمع ثيابنا خوفًا أن يقتل فيطرطس بدمه، ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك ونحن ما نصحبك من هنا، فقال وأنا لا أصحبكم، فانطلقنا عصبة وتأخر فتسامعت به الخوانين والأمراء فأتوه من كل فجٍّ عميق، وصاروا يتلاحقون به ليتبركوا برؤيته، فما وصل إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وأما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا، فانظر كما قال الحافظ بن فضل الله العمري[2] إلى قيامه في دفع حجة القتال واقتحامه وسيوفهم تدفق لجة البحار حتى جلس إلى السلطان محمود غازان[3] حيث لجم الأسد في آجامها، وتسقط القلوب في دواخل أجسامها، خوفًا من ذلك السبع المغتال، والنمرود المختال، والآجل الذي لا يدفع بحيلة محتال، فجلس إليه وأومأ

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نحره، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعاء منتصفٍ أكثره عليه، وغازان يؤمِّن على دعائه وهو مقبل إليه، ثم كان على هذه المواجهة القبيحة والمشاتمة الصريحة أعظم في صدر غازان المغل من كل من طلع معه من سلف العلماء في ذلك الصدر وأهل الاستحقاق لرفعة القدر، هذا مع ما له من جهاد في الله، لم يفترعه فيه طلل الوشيج، ولم يجرعه في ارتفاع النسيج، مواقع حروب باشرها، وطوائف ضروب عاشرها، وبوارق صفاح كاشرها، ومضايق رماح حاشرها، وأصناف خصوم لدى قطع جدالها قوي لسانه، وجلادها بسناسنانه، وجرت له مع غازان وقطلوشاه[1] وبولاي[2] أمور ونُوَب قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله.

(ولما قدم بعد ذلك) عام سبعمائة الشار مع غازان لفتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين ركب الشيخ البريد إلى الجيش المصري فدخل القاهرة في ناس يوم حادي عشر جمادى الأولى فاجتمع بأركان الدولة وحثهم على الجهاد وتلا عليهم الآيات والأحاديث، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب فاستقاموا وقويت هممهم وأبدوا له عذر المطر والبرد، ونودي بالغزاة وقوي العزم وعظموه وأكرموه وتردد الأعيان إلى زيارته، واجتمع به في هذه السنة ابن دقيق العيد ثم في اليوم السابع والعشرين من جمادى الأولى المذكور وصل الشيخ إلى دمشق على البريد، وأرسل الله على العدو من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج ما الله به عليم فأصاب غازان وجنوده وأهلكهم وكان سبب رحيلهم، وفرق الله بين قلوب العدو المغل والكرج والفرس والمستعربة وألقى بينهم تعاديًا وتباغضًا كما ألقى عام الأحزاب بين قريش وغطفان وبين اليهود، فأرسل الشيخ كتابا مطولا لمصر يقول فيه لما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزاء منه لبيان أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وإن لم يصنع وإن تباعدت الديار.

(وحُكي من شجاعة الشيخ) في مواقف الحروب نوبة شقحب سنة اثنين وسبعمائة ونوبة كسر وإن ما لم يسمع إلا عن صناديد الرجال والشجعان الابطال، فكان تارة يباشر القتال وتارة يحرض عليه قائمًا شاكيا سلاحه ولأمة حربه، يوصي الناس بالثبات ويعدهم بالنصر

---

(١) محمود بن قطلوشاه الرائي الحنفي ٧٧٥٠ هـ ، أقام بالشام كان عارفًا بالفنون الإلهية، عمدة في الأصول والمعقول والمنطق ، الدرر الكامنة ٦/ ٩١ ذيل تذكرة الحافظ ١/١٥٩.

(٢) لم يتم العثور على ترجمته.

ويبشرهم بالغنيمة، وركب البريد إلى مهنى بن عيسى[١] واستحضره إلى الجهاد، وركب بعدها إلى السلطان واستنصره وواجهه بالكلام الغليظ وواجه أمراءه وعساكره، ولما جاء السلطان الملك الناصر بجيوش الإسلام للقاء القتال جعل الشيخ يسمع السلطان يثبته فلما رأى السلطان كثرة التتار قال يا لخالد بن الوليد[٢]، فقال له لا تقل هذا، بل قل ياالله واستغث بالله ربك وحده تنصر، وقل يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، ثم صار تارة يقبل على الخليفة، وتارة على السلطان ويهديهما ويربط جأشهما حتى جاء نصر الله والفتح، وحُكي أنه قال للسلطان اثبت فإنك منصور فقال له بعض الأمراء قل إن شاء الله، فقال إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا فكان كما قال.

(وحكى بعض الحجاب الأمراء) قال قال لي الشيخ يوم اللقاء وقد تراءى الجمعان يا فلان أوقفني موقف الموت قال فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالذر تلوح أسلحتهم من تحت الغبار وقلت له هذا موقف الموت فدونك وما تريد، قال فرفع طرفه إلى السماء وأشخص بصره وحرك شفتيه طويلاً ثم انبعث وأقدم على القتال، وقد قيل أنه دعا عليهم وإن دعائه استجيب منه في تلك الساعة، قال ثم حال القتال بيننا والالتحام وما عدت رأيته حتى فتح الله ونصر ودخل جيش الإسلام إلى دمشق المحروسة، والشيخ في أصحابه شاكيًا سلاحه عالية كلمته قائمة حجته ظاهرة ولايته مقبولة شفاعته مجابة دعوته ملتمسة بركته، مكرمًا معظمًا ذا سلطان وكلمة نافذة، وهو مع ذلك يقول للمادحين له أنا رجل ملة لا رجل دولة، قال بعض أصحابه وقد ذكر هذه الواقعة وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين، وقد اتفق كلهم وأجمعوا على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته وسماع كلامه ونصيحته واتعظوا بمواعظه، ولم يبق من يكون بالشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة، واعتقد خيره وصلاحه ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين.

(ثم لم يزل الشيخ رحمه الله تعالى) قائمًا أتم قيام على قتال أهل جبل كسروان، وكتب إلى

---

(١) مهنا بن عيسى، مهنا (الثاني) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي، حسام الدين (... ـــ ٧٣٥ هــ) ، من آل فضل ويلقب سلطان العرب، أمير بادية الشام وصاحب تدمر. الدرر الكامنة ٣٦٨/٤ ، السلوك ٧٨٤/١ ، الأعلام ٣١٦/٧.

(٢) خالد بن الوليد، خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، سيف الله الفاتح الكبير (... ـــ ٢١ هــ) الصحابي، من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧ هــ. الإصابة ٤١٣/١ ، صفوة الصفوة ٣٣٠/١ ، الأعلام ٣٠٠/٢.

أطراف الشام في الحث على قتالهم وأنها غزاة في سبيل الله، ثم توجه هو بمن معه لغزوهم بالجبل صحبة ولي الأمر نائب الملك، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله، وكان توجه الشيخ إلى الكسروانيين أول ذي الحجة سنة أربع وسبعمائة، ورد على شيوخ روافضهم في دعواهم عصمة علي، وقال إن عليًا وعبد الله بن مسعود[(١)] اختلفا في مسائل وقعت وفتاوى أفتيا بها وعرض ذلك على النبي ﷺ فصوَّب فيها قول ابن مسعود، ثم كتب الشيخ للسلطان يخبره بأمر الفتح وعن عقائدهم.

(وهي أنهم يعتقدون) كفر الصحابة وكفر من ترضى عنهم، أو حرم المتعة، أو مسح على الخفين، ولا يقرون بصلاة ولا صيام ولا جنة ولا نار، ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير، يشتملون على إسماعيلية ونصيرية وحاكميه وباطنية وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى.

(ثم قال) وتمام هذه الفتح أمر السلطان بحرمان أهل الفساد من مشايخ الدين يصلونهم، ويتقدم إلى قراهم بأعمال دمشق وصعد وطرابلس وحمص وحماة وحلب، بأن تقام فيهم شرائع الإسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن، وتكون لهم خطباء ومؤذنون، ويقرأ فيهم الأحاديث النبوية وتكثر فيهم المعالم الإسلامية، وأطال الكلام في كتابه وحث السلطان على ذلك، وقال إن غزوهم اقتداء بسيرة علي بن أبي طالب[(٢)] في قتاله للحرورية المارقين الذين تواترعن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ونعت حالهم، وقال ﷺ فيهم (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم يقرووْن القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد، يقتلون أهل الإسلام ويرعون أهل الأوثان يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، شر قتلى تحت أديم السماء حتى قتل من قتله.

(وكان ﷺ) قائمًا في نصر الدين وإظهار الحق بأدلة أقطع من السيوف وأجمع من

---

(١) ابن مسعود، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، (... ـــ ٣٢٠ هـــ) صحابي، من أكابرهم فضلًا وعقلًا وقربا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وخادم رسول الله الأمين وصاحب سره . الإصابة ٤٩٥٥ ، صفة الصفوة ١/ ٢٠٨ ، الأعلام ٤/١٣٧.

(٢) علي بن أبي طالب، على بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن (٢٣ ق هـــ ـــ ٤٠ هـــ). أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي، وصهره، وأحد الشجعان الأبطال وأول الناس إسلامًا بعد خديجة، ولد بمكة. صفة الصفوة ١/٢٠٨ ، الإصابة ٥٦٩٠ ، الأعلام ٤/٢٩٥.

السجوف، وأجلى من فلق الصباح، وأجلب من قلق الرماح، إذا وثب في وجه خطب تمزقت على كتفيه الدرع وانتشر السرد، ولقد نافسنا ملوك جند كشخان عليه ووجهت دسائس رسلها إليه، ولما وشوا به إلى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه إنني أخبرت أنك قد أطاعك الناس وأن في نفسك أخذ الملك، فلم يكترث به، بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك والله إن ملكك ومالك المغل لا يساوي عندي فلسا، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة، إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إليّ لكاذب، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقى إليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان ممن ظاهر حاله العدالة، وباطنه مشحون بالفسوق والجهالة.

فصل في تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة

قال الشيخ الإمام العالم العامل الأوحد الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار[1] رحمه الله تعالى: من أعظم أهل عصره قوة ومقامًا وثبوتًا على الحق وتقديرًا لتحقيق توحيد الحق لا يصده عن ذلك لومة لائم ولا قول قائل، ولا يرجع عنه بحجة محتج، بل كان إذا وضح له الحق يعض عليه بالنواجذ، ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله ﷺ ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه حتى كان إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديث يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان، قال وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفًا مع الكتاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد كائنًا من كان، ولا يراقب في الأخذ بمعلومها أحدًا ولا يخاف في ذلك أميرًا ولا سلطانا ولا سوطًا ولا سيفا، ولا يرجع عنهما لقول أحد وهو متمسك بالعروة الوثقى وإليه الطول وعامل بقوله تعالى، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول.. الآية، وبقوله تعالى، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ [الشورى/١٠]، وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثير المتابعة للكتاب والسنة والإمعان في تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما، ولهذا لا يرى في مسألة أقوال العلماء إلا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة، وتحرى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول، قال وهذا أمر قد اشتهر وظهر فإنه ﷺ ليس له مؤلف مصنف ولا نص في مسألة

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

ولا أفتى إلا وقد اختار فيه ما رجحه الدليل النقلي والعقلي على غيره وتحرى قول الحق المحض، وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة، بحيث إذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة ينثلج قلبه عليها، ويجزم بأنها الحق المبين وتراه في جميع مؤلفاته إذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد، وقد سبقه الإمام الشافعي[١] رحمه الله تعالى إلى ذلك حيث قال إذا صح الحديث فهو مذهبي.

(ولما منّ الله عليه) بذلك جعل حجة في عصره لأهله، حتى أن أهل البلاد البعيدة كانوا يرسلون إليه بالاستفتاء عن وقائعهم ويتلون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه فيشفي عليلهم بأجوبته المسددة ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المتعددة حتى إذا وقف عليها كل محق ذي بصيرة أذعن بقبولها، وبأن له حق مدلولها.

فصل في محنة ابن تيمية
رحمه الله تعالى وتمسكه بطريق السلف

قلّ من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه، حيث لم يداهن الناس ويصانعهم، ولذا قلّ صديقه على حد قوله، (ما ترك الحق من صديق لعمر) وقال سفيان الثوري[٢] رحمه الله إذا رأيت الرجل يثني عليه جيرانه فاعلم أنه مداهن، وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، وأكثروا من الخوض في أبي حنيفة رحمه الله، حتى إنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال غُفر لي بكلام الناس في ما ليس في، هذا وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن وخاض فيه أقوام ونسبوه للبدع والتجسيم، وهو من ذلك برء فأول محنة كما نقله الثقات في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى، وهي جواب سؤال ورد من حماة فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن حيث رجح مذهب السلف على مذهب المتكلمين وشنع عليهم.

(فمن بعض قوله في مقدمتها) ما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره، ومن

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

المحال أن يكون خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه، ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع، أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حيوة وطلب للعلم أو تهمة في العباد يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، وليست النفوس الصحيحة أشوق إلى شيء منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة، فكيف يتصور مع قيام المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع في أولئك؟، وأما كونهم كانوا معتقدين غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم، ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يكمن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه، ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم أو أحكم، فإن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجبه اعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ من معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم، بما انتهى إليه من مرامهم، حيث يقول الإمام فخر الدين الرازي.

لعمـري قـد طفـت المعاهد كلها ... وسـيرت طـرفي بين تلك المعالم
فلـم أر إلا واضـعًا كـف حائـر ... علـى ذقـن أو قارعًـا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال وأكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال

وأرواحـــنا في وحشـــة مـــن جسومنا وحاصـــل دنـــيانا أذى ووبـــال

ولم نســتفد مــن بحثــنا طول عمرنا ســوى أن جمعــنا فــيه قيل وقال

(ويقول آخر منهم) لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات إليه يصعد الكلم الطيب، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علمًا، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

(ويقول الآخر منهم) لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي.

(ويقول الآخر منهم) أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام.

(ثم إذا حقق عليهم الأمر) لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المنقصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحى من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم.

أم كيف يكون فراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثه الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟، وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وأطال رحمه الله الكلام ثم قال:

إن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب

اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصًا ولا ظاهرًا حتى يجيء أبناء الفرس والروم وفروخ الهنود والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة، فإن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبو معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًا له من الصفات في عقولكم فصفوه به سواء كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقًا له في عقولكم فلا تصفوه به، وقد صرح طائفة منهم بما مضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأطال الكلام، ثم قال:

يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يومًا من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، ثم الرسول أخبر أن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون، ثم قال (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله) وقال في صفة الفرقة الناجية هي من كان على مثال ما أنا عليه اليوم وأصحابي، فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وإن كان قد نبغ أصل هذه المقالة في أواخر عصر التابعين، ثم أصل مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والنصارى فإن أول من قالها في الإسلام الجعد بن درهم[1]، وأخذها عنه جهم بن صفوان[2]، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان[3]، وأبان عن طالوت[4]، وطالوت عن خال

---

(١) الجعد بن درهم، (... نحو ١١٨ هـ) من الموالي مبتدع، له أخبار في الزندقة، قال الذهبي عداده في التابعين مبتدع ضال. النجوم الزاهرة ١/٣٢٢، الأعلام ٢/١٢٠.

(٢) جهم بن صفوان، جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز (.. ــ ١٢٨ هـ) من موالي بني راسب رأس الجهمية، قال الذهبي: الضال المبدع هلك في زمان صغار التابعين. خطط المقريزي ٢/٣٤٩ ، الأعلام ٢/١٤١.

(٣) أبان بن سمعان طبقات الشافعية ٩/٧٢ ، الكامل ٦/١٢١ ، البداية والنهاية ١٠/١٩.

(٤) طالوت طبقات الشافعية ٩/٧٢ ، الكامل ٦/١٢١ ، البداية والنهاية ١٠/١٩.

لبيد بن الأعصم اليهودي[1] الساحر الذي سحر النبي ﷺ، قال ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا تتجاوز به القرآن والحديث، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى جملا نافعة وأصولاً جامعة في إثبات الصفات والرد على الجهمية، وذكر من النقول عن سلف الأمة ما يطول ذكره.

(ثم قال في آخر كلامه) وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة، قسمان يقولون تجري على ظواهرها، وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها، وقسمان يسكنون.

(أما الأولون) فقسمان (أحدهما) من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة ومذهبه باطل أنكره السلف وإليه توجه الرد بالحق.

(والثاني) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر وأما عرض، فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في العبد أعراض، والوجه واليد والعين في حقه أجسام.

(فإذا كان الله) موصوفًا عند عامة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرة وكلامًا ومشيئة، وإن لم يكن ذلك عرضًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته ثابتة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه، وما أحسن ما قال بعضهم إذا قال لك الجهمي كيف استوى أو كيف ينزل إلى السماء الدنيا أو كيف يداه؟، ونحو ذلك فقل له: كيف هو في نفسه فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر، فقل له والعلم بكيفية الصفة تستلزم العلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن

(١) لبيد بن الأعصم اليهودي معجم ما استعجم ٢١١/١، الكامل ١٢١/٦ ، البداية والنهاية ١٩/١٠ ، طبقات الشافعية ٧٢/٩.

نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك، بل هذه المخلوقات في الجنة، قد ثبت عن ابن عباس[1] رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، وأخبر (النبي ﷺ أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه، وهذه الروح قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل عن الكلام في كيفية الله تعالى، من أنا نقطع بأن الروح في البدن وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تسيل منه وقت النزع كما أطلقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم، حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها، حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطأوا في اللفظ، أنّى لهم بذلك {وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها} ويقولون هي على خلاف ظاهرها قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم، استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدرة، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معاني المتكلمين (وقسم يقولون) الله أعلم ما أراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه.

(وأما القسمان الواقفان) فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله تعالى، ويجوز أن لا يكون صفة لله، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

(وقسم) يمسكون هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقريرات.

(فهذه الأقسام) الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها، والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية.

(ثم قال) فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته فإن من لم يدخل فيه هو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تلقيدًا، وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف

---

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي، هذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان، ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مؤتفك يؤفك عنه من أفك، يعلم الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بينة وإنما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العالم البصير أنهم من وجه يستحقون ما قال الشافعي ﷺ حيث قال حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ويُطاف بهم في القبائل والعشائر، ويُقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام، ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم، رحمتهم وقفت عليهم، أوتوا ذكاء، وما أوتوا زكا، وأعطوا فهومًا، وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون، ومن كان عليمًا بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعدًا. (فنسأل الله) العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

(هذا آخر الحموية الكبرى) ألفها الشيخ رحمه الله وعمره دون الأربعين سنة ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ما لا يُوصف ولا يُعبر عنه، وجرى له من المناظرات العجيبة، والمباحثات الدقيقة مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق عنه العبارة، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه.

(قال الحافظ الذهبي[١] في أثناء كلامه) في ترجمة الشيخ ابن تيمية ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له، وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قصبة من جهة القاضي الحنفي ونُودي عليه بأن لا يستفتى، ثم قام بنصرته طائفة آخرون وسلمه الله تعالى، فلما كان سنة خمسين وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يُسأل عن معتقده فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم، ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد، انتهى.

(وقال الشيخ علم الدين[٢]) وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع

(١) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية وكان الشروع فيها من أول الشهر واستمرت إلى آخر الشهر.

(وملخصها) أنه كتب جوابًا سئل من (حماة) في الصفات فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين واجتمع به سيف الدين جاغان[1] في حال نيابته بدمشق وقيامه مقام نائب السلطنة وامتثل أمره وقبل قوله، والتمس منه كثرة الاجتماع به، فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعته مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وما آلمهم بظهوره وذكره الحسن فانضاف شيء إلى أشياء، ولم يجدوا مساغًا إلى الكلام فيه لزهده، وعدم إقباله على الدنيا، وترك المزاحمة على المناصب وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه، وما يظهر فيها من غزارة العلم، وجودة الفهم فعمدوا إلى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف، ويعتقدونه الصواب، فأخذوا الجواب الذي كتبه، ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحدًا واحدًا، وأوغروا خواطرهم وحرّفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم، وحاشاه من ذلك، ووافقهم على ذلك جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية يومئذ ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفية، وطلب حضوره وأرسل إليه فلم يحضر، وأرسل إليه في الجواب أن العقائد ليس أمرها إليك وأن السلطان إنما ولاك لتحكم بين الناس، وأن انكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي، فوصلت إليه هذه الرسالة فأوغروا خاطره، وشوشوا قلبه، وقالوا لم يحضر ورد عليك، فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة فنودي في بعض البلد، ثم بادر سيف الدين جاغان، وأرسل طائفة فضرب المنادي وجماعة ممن حوله وأخرق بهم فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة، ثم طلب سيف الدين من قام في ذلك وسعى فيه، فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاختفوا.

ثم اجتمع الشيخ ابن تيمية بالقاضي إمام الدين الشافعي وواعده لقراءة العقيدة الحموية، فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بكرة النهار إلى نحو الثلث من ليلة الأحد، ميعادًا طويلاً، وقرأ فيه جميع العقيدة وبين مراده من مواضع أشكلت ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم ولا ممن حضر المجلس بحيث انفصلوا والقاضي يقول كل من تكلم في الشيخ فأنا خصمه.

وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد كل من تكلم في الشيخ نعزره، وخرج الناس

---

(١) سيف الدين جاغان، النجوم الزاهرة ٦٥/٨ ، البدر الطالع ٦٨/١.

ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره فوصل إلى داره ملأ كثير من الناس وعندهم استبشار وسرور به، وكان سعيهم في حقه أتم السعي، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحي الإنسان من الله تعالى أن يحكيها فضلا عن أن يختلقها ويلفقها، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ورأى جماعة من الصالحين في هذه الواقعة وعقيبها مرائي حسنة جميلة لو ضبطت لكانت مجلدًا تامًا، انتهى.

(ثم سكنت هذه الفتنة)، ثم بعد ذلك بمدة طويلة ظهر الشيخ نصر المنبجي[1] بمصر واستولى على أرباب الدولة القاهرة وشاع أمره وانتشر فقيل لابن تيمية إنه اتحادي، وإنه ينصر ابن عربي[2] وابن سبعين[3] فكتب إليه نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه، فتكلم نصر المنبجي مع قضاة مصر في أمره، وقال هذا مبتدع وأخاف على الناس من شره وقام معه في ذلك القاضي ابن مخلوف المالكي[4]، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير[5] فحسن القضاة للأمراء طلبه إلى القاهرة وأن يعقد له مجلس بدمشق فلم يرض نصر المنبجي وقال ابن مخلوف قل للأمراء أن هذا يخشى على الدولة منه كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب.

(فورد مكتوب السلطان) إلى دمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته، فلما كان ثماني رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء، وطلب الشيخ تقي الدين إلى القصر إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته وقال هذا المجلس عُقد لك، وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية وقال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام، فقرئت في المجلس وبحث فيها وبقيت مواضع أخرت إلى مجلس آخر.

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكورة، وحضر المخالفون ومعهم

---

(١) نصر المنبجي: الدرر الكامنة ٣/١٩٩.

(٢) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٣) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٤) ابن مخلوف المالكي طبقات المحدثين ١/٢٣٣ الوفيات ٢/٣٠٧ البداية والنهاية ١٤/٥٤ طبقات الشافعية ١/٢٩٣ ذيل التذكرة ١/١٠١.

(٥) المظفر بيبرس، بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر (... ــ ٧٠٩ هـ) من سلاطين المماليك بمصر والشام، شركسي الأصل، كان من مماليك المنصور قلاوون . النجوم الزاهرة ٨/٢٣٢ السلوك للمقريزي ٤٥١٢ الأعلام ٧٩١٢.

الشيخ صفي الدين الهندي[١]، واتفقوا على أن يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين فتكلم معه، ثم إنهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني[٢]، فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام، وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعزّ به الشيخ ابن تيمية، واختلف نُقول المخالفين للمجلس وحرّفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته، فالله المستعان، (ثم بعد ذلك) عزر بعض القضاة بدمشق شخصًا يلوذ بالشيخ وطلب جماعة، ثم أطلقوا ووقع هرج في البلد، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم رجع، فحضر عنده الشيخ وذكر له ما وقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى، فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل وأمر فنودي في البلد أنه من تكلم في العقائد حلّ ماله ودمه ونُهبت داره وحانوته، وقصد بذلك تسكين الفتنة.

وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عُقد للشيخ مجلس ثالث بالقصر ورضي الجماعة بالعقيدة، وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين بن صصري[٣] نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزملكاني[٤].

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى القاضي بإعادته إلى الحكم، وفيه إنا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين[٥] وقد بلغنا ما عقد له من المجالس، وإنه على مذهب السلف وما قصدت بذلك الاّ براءة ساحته.

فصل في توجه الشيخ إلى مصر ومحنته بها

وسبب محنته وابتلائه قيامه في الله والرد على أهل البدع والعقائد الفاسدة، فقد حثّ على غزو الكسروانيين الروافض وغيرهم من الدروز والنصيرية، وغزاهم بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم وكاتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم والأمر بإقامة شعائر الإسلام وقراءة الأحاديث ونشر السنة ببلادهم كما مر ذكره، وكان استيصالهم في المحرم سنة

---

(١) صفي الدين الهندي الدرر الكامنة ٢٠٧/٣ البدر الطالع ١٤٣/٢ طبقات الشافعية ٣٧٣/٣ .

(٢) سبق ذكره.

(٣) ابن صصري، أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين أمين حصري (٦٥٥ ــ ٧٢٣ هــ) قاض، له نظم، من العلماء بالحديث، من أهل دمشق عمل في دار الإنشاء ولي قضاء القضاء سنة ٧٠٢ هــ . فوات الوفيات ٦٢/١ ، الدرر الكامنة ٢٦٣/١ ، الأعلام ٢٢٢/١.

(٤) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

(٥) سبق ترجمته بكتاب القول الجلي.

خمس وسبعمائة، ولما كان تاسع جمادى الأولى من سنة خمس بالغ الشيخ في الرد على الفقراء الأحمدية والرفاعية بسبب خروجهم من الشريعة بعد أن حضروا نائب السلطنة وشكوا من الشيخ، وطلبوا أن يسلم لهم حالهم، وأن لا يعارضهم ولا ينكر عليهم، وطلبوا حضور الشيخ، فلما حضر وقع بينهم كلام كثير، فقال الشيخ في كلام طويل إنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد في بعضهم من التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة، فيوجد أيضًا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر والبدع في الإسلام والإعراض عن كثير مما جاء به الرسول ﷺ والكذب والتلبيس وإظهار المخارق الكاذبة مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل وغير ذلك، وإن عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة كطلي أجسامهم لدخول النار بدهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل، وقال لهم بحضرة نائب السلطنة أدخل أنا وهم النار ومن احترق فعليه لعنة الله ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء والحار بالحمام، فلما زيفهم الشيخ وأظهر تلبيسهم قال حتى لو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين وطرتم في الهواء ومشيتم على الماء لا عبرة بذلك مع مخالفة الشرع، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر والأرض أنبتي فتنبت وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون، وليس لأحد الخروج عن الشريعة ولا عن كتاب الله وسنة رسوله.

وذكر لهم قول أبي يزيد البسطامي[1] لو رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به، وأطال الكلام في ذلك بحيث انفصل الأمر من عند نائب السلطنة أن كل من خرج منهم عن الكتاب والسنة ضُربت عنقه.

ثم ظهر الشيخ المنبجي[2] بمصر وشاع أمره، فقيل للشيخ ابن تيمية إنه اتحادي فكتب إليه الشيخ نحو ثلاثمائة سطر بالإنكار عليه فاعتزّ الشيخ نصر[3] وقضاة مصر وعلمائها على ابن تيمية، وقال إنه سيئ العقيدة مبتدع معارض للفقراء وغيرهم، وطعنوا فيه عند السلطان، فورد مرسوم السلطان لدمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته فعقد المجلس للمناظرة ثامن رجب

---

(١) أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى البسطامي (١٨٨ ـــ ٢٦١ هـ) زاهد مشهور، نسبته إلى بسطان بلدة بين خراسان والعراق أصله منها ووفاته فيها.

وفيات الأعيان ١/ ٢٤٠ ، تذكرة الحافظ ٢/٥٥٩ ، صفة الصفوة ٤/ ٩٨ ، الأعلام ٣/٢٣٥.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

سنة خمس وسبعمائة بحضرة العلماء والقضاة كما مر، ولا يبعد أن يكون الروافض وغيرهم قد برطلوا عليه، ثم لم يقنع ذلك الشيخ نصر المنبجي بل اجتمع مع طائفة من علماء مصر للجاشنكير[1] الذي تسلطن بمصر، فأوهمه الشيخ نصر أن ابن تيمية يخرجهم من الملك ويقيم غيرهم وأنه مبتدع، فورد مرسوم السلطان إلى دمشق بإحضار ابن تيمية إلى مصر خامس شهر رمضان سنة خمس وسبعائة، فلما طلب إلى الديار المصرية مانع نائب الشام، وقال عقد له مجلسان بحضرتي وحضرة القضاة والفقهاء وما ظهر عليه سوء، فقال الرسول لنائب دمشق أنا ناصح لك، وقد قيل إنه يجمع الناس عليك وعقد لهم بيعة، فجزع من ذلك وأرسله إلى القاهرة على البريد.

ذكر خروجه لمصر

قالوا ولما توجه الشيخ من دمشق المحروسة لمصر في يوم الاثنين ثاني عشر رمضان سنة خمس وسبعمائة وكان يومًا مشهودًا غريب المثل في كثرة ازدحام الناس؛ لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قريب الجبوده فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزل، وهم ما بين باك وحزين ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغال فيه، ودخل الشيخ مدينة مصر غُرة يوم السبت، وعمل في جامعها مجلسا عظيمًا.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ، وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يُمكّن من البحث والكلام على عادته، وانتدب له الشمس بن عدلان خصمًا احتسابًا وادعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول أن الله فوق العرش حقيقة وأن الله يتكلم بحرف وصوت، زاد الحافظ الذهبي، وأن الله يشار إليه الإشارة الحسية، وقال أطلب عقوبته على ذلك، فقال القاضي ما تقول يا فقيه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقال له القاضي أجب ما جئنا بك لتخطب، فقال ومن الحاكم فيّ، قيل له القاضي المالكي قال كيف يحكم في وهو خصمي وغضب غضبًا شديدًا وانزعج، فأُقيم من ساعته وحُبس في برج أيامًا ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجب هو وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحيم، ثم إن نائب السلطنة سيف الدين سلار[2] بعد أكثر من سنة وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي

(١) سبق ذكره.
(٢) سيف الدين سلار، البداية والنهاية: ١١/١٤ ، الدرر الكامنة ١٧٢/١ .

والحنفي، ومن الفقهاء الباجي[١] والجزري[٢] والنمراوي[٣] وتكلم في إخراج الشيخ من الحبس فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضر ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب إلى الحضور وتكرر الرسول إليه في ذلك ست مرات، وصمم على عدم الحضور فطال عليهم المجلس وانصرفوا من غير شيء.

وفي شهر ذي الحجة سنة ست وسبعمائة طلب أخوا الشيخ تقي الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطنة، سلار وحضر القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي، وجرى بينهم كلام كثير، وأعيدا إلى موضعهما بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي، وظهر عليه في النقل وخطأه في مواضع وفي ثاني يوم أحضر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة، وحضر ابن عدلان[٤] وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره وبحث معه وظهر عليه.

وفي صفر سنةسبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة[٥] بالشيخ تقي الدين[٦] في دار الأحدى بالقلعة بكرة الجمعة وتفرقا قبل الصلاة وطال بينهما الكلام، وفي ربيع الأول من سنة سبع دخل الأمير حسام الدين مهنى بن عيسى[٧] ملك العرب إلى مصر، وحضر

(١) الباجي، علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، علاء الدين الباجي (٦٣١ ــ ٧١٤ هــ). عالم بالأصول والمنطق والحساب من أهل مصر مغربي الأصل، كان أقوى أهل زمانه مناظرة. فوات الوفيات ٢ /٧٥ ، الدرر الكامنة ١٠١/٣ ، طبقات الشافعية ٢٢٧/٦ ، الأعلام ٣٣٤/٤ .

(٢) الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزري الدمشقي، شمس الدين، أبو عبد الله (٦٥٨ ــ ٧٣٩ هــ)، مؤرخ، ودمشقي المولد والوفاة. الدرر الكامنة ٢٠١/٢، السلوك ٤٧١/٢ ، الأعلام ٢٩٨/٥ .

(٣) عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوي، عز الدين ــ ٧١٠ هــ ، فقيه شافعي من فضلاء الشافعية شارك في الفقه والأصول والعربية ، الدرر الكامنة ١٨٨/٣.

(٤) ابن عدلان، محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكناني (٦٦٣ ــ ٧٤٩ هــ) فقيه شافعي مصري، ناب في الحكم عن ابن دقيق العيد وأرسل إلى اليمن في أيام الناصر محمد بن قلاوون وتُوفى بالطاعون بمصر. طبقات الشافعية ٢١٤/٥ ، الأعلام ٣٢٦/٥.

(٥) ابن جماعة، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، الحموي، الدمشقي المصري، عز الدين (٦٩٤ــ ٧٦٧ هــ) حافظ، قاضي القضاة، ولي قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩ هــ، وجاور بالحجاز فمات بمكة. الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ ، الأعلام ٢٦/٤ .

(٦) سبق ذكره.

(٧) سبق ذكره.

بنفسه إلى الجب فأخرج الشيخ تقي الدين يوم الجمعة إلى دار نائب السلطنة بالقلعة، وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير وفرقت بينهم صلاة الجمعة، ثم اجتمعوا إلى المغرب ولم ينفصل الأمر، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان وحضر جماعة من الفقهاء كثيرة كنجم الدين بن الرفعة(١) وعلاء الدين الباجي(٢)، وفخر الدين بن أبي سعده(٣) وعز الدين النمراوي، وشمس الدين بن عدلان ولم يحضر القضاة وطلبوا واعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره وانفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السلطنة وكتب كتابًا إلى دمشق بكرة الاثنين يتضمن خروجه وأنه أقام بدار سفير بالقاهرة، وأن الأمير سيف الدين سلار(٤) رسم بتأخيره عن الأمير مهنى أيامًا ليرى الناس فضله ويحصل لهم الاجتماع به، وكان مدة مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهرًا وفرح خلق كثير بخروجه وسروا سرورًا عظيمًا، وحزن آخرون، وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبد القوي بقصيدة(٥) منها.

فاصبر ففي الغيب ما يغنيك عن حيل	وكل صعب إذا صابرته هانا
ولست تعدم من خطب رميت به	إحدى اثنتين فأيقن ذاك أيقانا
تمحيص ذنب لتلقى الله خالصة	أو امتحانا به تزداد قربانا
يا سعد إنا لنرجو أن تكون لنا	سعدا ومرعاك للزوار سعدانا
وإن يضر بك الرحمن طائفة	ولت وينفع من بالود والانا
يا أهل تيمية العالين مرتبة	ومنصبًا فرع الأفلاك تبيانا
جواهر الكون أنتم غير أنكم	في معشر شربوا في العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلاً ولو عقلوا	لصيروا لكم الأجفان أوطانا

---

(١) ابن الرفعة، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين (٦٤٥ ــ ٧١٠ هــ) فقيه شافعي من فضلاء مصر كان محتسب القاهرة وناب في الحكم.
طبقات الشافعية ١٧٧/٥ الدرر الكامنة ٢٨٤/١ ، حسن المحاضرة ١٧٦/١ الأعلام ٢٢٢/١ .

(٢) سبق ذكره.

(٣) لم يتم العثور عليه.

(٤) سبق ذكره.

(٥) الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي، أبو الربيع، نجم الدين (٦٥٧ ــ ٧١٦ هــ) ، فقيه حنبلي دخل بغداد سنة ٦٩١ هــ ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤ هــ وزار مصر.
شذرات الذهب ٣٩/٦ ، الدرر الكامنة ١٥٤/٢ ، الأعلام ١٢٧/٣.

يا من حوى من علوم الخلق ما قصرت ... عـــنه الأوائـــل مذ كانوا إلى الآنا

إن تبتلــــي بلــــئام الـــناس يـــرفعهم ... علــيك دهرًا لأهل الفضل قد خانا

إني لأقســــم والإســــلام معــــتقدي ... وإنـــني مـــن ذوي الإيمـــان إيمانا

لم ألـــق قـــبلك إنســـانًا أســـر بـــه ... فـــلا بـــرحت لعـــين المجد إنسانًا

في أبيات كثيرة غير هذه يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه.

وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم، وجلس فاجتمع عليه خلق عظيم فسئل منه الوعظ، فاستعاذ وقرأ الفاتحة وتكلم في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي معنى العبادة والاستعانة إلى العصر.

ثم لم يزل الشيخ رحمه الله بمصر يعلم الناس ويفتيهم ويذكر بالله ويدعو إليه ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، إلى أن ضاق منه خلق كثير وقال الحافظ الذهبي(١) أقام بمصر يقرأ العلم، واجتمع خلق عنده إلى أن تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وهم ابن سبعين(٢) وابن عربي والقونوي وأشباههم فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه، واجتمع خلائق من أهل الخوانق والربط والزوايا واتفقوا على أن يشكوا الشيخ للسلطان، فطلع منهم خلق إلى القلعة وخلق تحت القلعة وكانت لهم ضجة شديدة حتى قال السلطان ما لهؤلاء؟، فقيل له جاءوا من أجل الشيخ ابن تيمية يشكون منه ويقولون إنه يسب مشايخهم ويضع من قدرهم عن الناس، واستغاثوا منه، وأجلبوا عليه ودخلوا على الأمراء في أمره ولم يبقوا ممكنًا وأمر أن يعقد له مجلس بدار العدل، فعقد له يوم الثلاثاء في عشر شوال الأول سنة سبع وسبعمائة، وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته وقوة قلبه وصدق توكله وبيان حجته ما يتجاوز الوصف وكان وقتًا مشهورًا.

وذكر الشيخ علم الدين البرازلي(٣) وغيره أن في شوال من سنة سبع وسبعمائة شكا شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الآملي(٤) وابن عطاء(٥) وجماعة نحو الخمسمائة من الشيخ تقي

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٣) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٤) الآملي، حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسني الآملي، بهاء الدين الطبري القاشي (...- ٧٨٢ هـ) فقيه متكلم، معز، من أهل آمل بطبرستان نشأ بالحلة واستقر ببغداد الأعلام ٢/ ٢٩٠.

(٥) سبق ترجمته في القول الجلي.

الدين وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فخيروه بين الإقامة بدمشق والإسكندرية بشروط أو الحبس، فاختار الحبس، فدخل عليه جماعة من السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرط فأجابهم فأركبوه خيل البريد ليلة ثامن عشر شوال، ثم أرسل خلفه من الغد بريد آخر فركب على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء، فقال بعضهم له ما ترضى الدولة إلا بالحبس، فقال قاضي القضاة وفيه مصلحة له واستناب شمس الدين التونسي[1] المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع، وقال ما ثبت عليه شيء فأذن لنور الدين الزواري[2] المالكي فتحير، فقال الشيخ أنا أمضي إلى الحبس واتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال نور الدين فيكون في موضع يصلح لمثله، فقيل له ما ترضى الدولة إلا المسمى الحبس فأرسل إلى حبس القضاة بحارة الديلم، وأجلس في الموضع الذي جلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس وأذن في أن يكون عنده من يخدمه، وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي[3] ووجاهته في الدولة.

(ولما دخل الحبس) وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بما عما هم فيه كالشطرنج والنرد مع تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيرًا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلئ منهم، واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس، فلما كثر اجتماع الناس به وترددهم إليه ساء ذلك أعداءه وحصرت صدورهم فسألوا نقله إلى الإسكندرية، فنقل اليها مع أمير مقدم على البريد، ولم يمكّن أحد من جماعته من السفر معه، وحبس ببرج منها وشيع بأنه قتل وأنه غرق غير مرة، ووصل الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألم، وضاقت الصدور، وتضاعف الدعاء واستمر الشيخ بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر مقيمًا ببرج مليح مطبق له شباكان أحدهما إلى جهة البحر يدخل إليه من شاء ويتردد الأكابر والأعيان والفقهاء يقرؤون عليه ويبحثون معه ويستفيدون منه،

---

(١) لم يتم العثور عليه.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

وأرسل صاحب سبتة إلى الشيخ يطلب منه الإجازة.

فلما دخل السلطان إلى الملك الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك وقدومه إلى دمشق، وتوجه منها إلى مصر سنة تسع وسبعمائة بادر لإحضار الشيخ من الإسكندرية في اليوم الثامن من شوال فخرج الشيخ منها متوجهًا إلى مصر ومعه خلق من أهلها، يودعونه ويسألون الله أن يرده اليهم، وكان وقتًا مشهودًا ووصل إلى القاهرة ثامن عشر الشهر، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه وأكرمه وتلقاه في مجلس حفل حضر فيه قضاة مصر والشام والفقهاء وأصلح بينه وبينهم.

(قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة) أخبرني بعض أصحابنا قال أخبرني في القاضي جمال الدين بن القلانسي(١) قاضي العساكر المنصورة ذات ليلة وقد أشاع الجهلة والمبغضون بأخبار مختلفة، فقلت له إن الناس يقولون كيت وكيت، وإن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ويعزر ويطاف به، فقال الشيخ يا فلان هذا لا يقع ولا يسمع السلطان بشيء من ذلك، وهو أعلم بالشيخ وبعلمه ودينه، ثم قال أخبرك بشيء عجيب وقع من السلطان في حق الشيخ هو أنه حين توجه السلطان إلى الديار المصرية ومعه القضاة والأعيان ونائب الشام الأفرم، فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته وهرب سلار(٢) والجاشنكير واستقر أمر السلطان جلس يومًا في دست السلطنة وأبهة الملك وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده، وقضاة مصر عن يمينه، وقضاة الشام عن يساره، وذكر لي كيفية جلوسهم منه بحسب منازلهم، قال ومن جملة من هناك ابن صصري(٣) عن يسار السلطان، وتحته الصدر على قاضي الحنفية، ثم بعد الخطيب جمال الدين(٤)، ثم بعده ابن الزملكاني، قال وأنا إلى جانب ابن الزملكان والناس جلوس خلفه والسلطان على مقعد مرتفع، فبينما الناس كذلك جلوس، انتهض السلطان قائمًا فقام الناس ثم مشى السلطان فنزل عن تلك المقعدة ولا يُدرى ما به وإذا بالشيخ تقي الدين مقبل من الباب والسلطان قاصد إليه، فنزل السلطان عن الإيوان والناس قيام والقضاة والأمراء والدولة، فتسالم هو والسلطان إلى صفة في ذلك المكان فيها شباك إلى بستان فجلسا فيها حينا، ثم أقبلا ويد الشيخ في يد السلطان فقام الناس وكان قد

---

(١) محمد بن محمد بن الحرم بن أبي طالب بن عبد الجبار القلاش الحنبلي، ابن الحرم ولد سنة ٦٨٣ هـ ذيل تذكرة الحافظ ١٤٧.

(٢) سبق ذكره .

(٣) سبق ذكره .

(٤) لم يتم العثور على ترجمته.

جاء في غيبة السلطان الوزير فخر الدين ابن الخليس[١] فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصري، وقعد السلطان على مقعده متربعًا وشرع يثني على الشيخ عند الأمراء ثناء ما سمعته من غيره قط وقال كلامًا كثيرًا والناس يقولون معه ومثله الأمراء والقضاة، وكان وقتًا عجيبًا وذلك مما يسوء كثيرًا من الحاضرين من أبناء جنسه، وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخص أصحابه بقوله، ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للدولة في كل سنة سبعمائة ألف درهم زيادة على الجالية إلى أن يعودوا إلى لبس العمائم البيض، وأن يعفوا من هذه العمائم المصبوغة التي أكرمهم بها ركن الدين الجاشنكير[٢]، فقال السلطان للقضاة ومن هناك ما تقولون فسكت الناس فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ويرد ما عرضه الوزير ردًا عنيفًا، والسلطان يسكنه برفق وتوقير، وبالغ الشيخ في الكلام، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقول مثله ولا قريبًا منه حتى رجع السلطان عن ذلك وألزمهم بما هم عليه واستمروا على هذه الصفة، فهذا من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، (قال) وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر أن السلطان لما جلسنا بالشباك أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله واستفتاني في قتل بعضهم، فقال ففهمت مقصوده وأن عنده حنقًا شديدًا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد في دولتك مثلهم، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكنت ما عنده عليهم (قال) فكان القاضي زين الدين بن مخلوف[٣] قاضي المالكيّة يقول بعد ذلك ما رأينا أعفى من ابن تيمية لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا.

(ثم إن الشيخ) بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين، قال الذهبي[٤] ولم يكن الشيخ من رجال الدول ولا يسلك معهم تلك النواميس فلم يعد السلطان يجتمع به وعاد إلى بث العلم ونشره والخلق يشتغلون عليه ويقرؤون ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة والأمراء والأكابر والناس يترددون إليه وفيهم من يعتذر إليه مما وقع، فقال قد جعلت الكل في حل مما جرى، ولم يزل الشيخ مستمرًا على عادته من نفع

---

(١) لم يتم العثور على ترجمته.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

الناس وموعظتهم والاجتهاد في سبيل الخير.

(فلما كان) في شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة اتفق جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ وتفردوا به وضربوه (قال الشيخ علم الدين) ظفر به بعض المبغضين له في مكانٍ خالٍ وأساء عليه الأدب، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجلِ الانتصار له فلم يجب إلى ذلك، قال بعض أصحابنا جئت إلى مصر فوجدت خلقًا كثيرًا من الحسينية وغيرهم رجالاً وفرسانًا يسألون عن الشيخ، فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممالك على البحر، واجتمع عنده جماعة وتتابع الناس وقال له بعضهم يا سيدي قد جاء خلق من الحسنية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا، فقال لهم الشيخ لأي شيء قالوا لأجلك فقال الشيخ:

هذا لا يجوز (قالوا) فنحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقلتهم ونخرب دورهم فإنهم شوشوا على الخلق وأثاروا الفتنة على الناس (فقال لهم) هذا ما يحل، قالوا فهذا الذي فعلوه معك يحل هذا شيء لا نصبر عليه ولا بد أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا، والشيخ ينهاهم ويزجرهم، فلما أكثروا في القول قال لهم إما أن يكون الحق لي فهم في حل وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني وافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء إن شاء، (وأقام الشيخ بعد هذا) مدة في الديار المصرية ثم إنه توجه إلى الشام صحبة الجيش المصري قاصدًا الغزاة، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس وتوجه منه إلى دمشق وجعل طريقه على عجلون، ووصل دمشق أول يوم من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا سرورا عظيمًا بمقدمه وسلامته، وكان مجموع غيبيته عن دمشق سبع سنين وسبع جُمع.

(ذكر ما وقع للشيخ ابن تيمية بعد عوده لدمشق المحروسة).

قال الحافظ بن عبد الهادي بن قدامة[1] ثم إن الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره بما لم يزل ملازمًا للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة ونفع الخلق والإحسان إليهم والاجتهاد في الأحكام الشرعية، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم أو بخلاف المشهور بما قام الدليل عليه عنده.

(ومن اختياراته) التي خالفهم فيها أو خالف المشهور من أقوالهم القول بقصر الصلاة في

---

(١) سبق ذكره.

كل ما يسمى سفرًا طويلاً كان أو قصيرًا كما هو مذهب الظاهرية وقول بعض الصحابة.

(والقول) بأن البكر لا تستبرأ وأن كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر واختاره البخاري صاحب الصحيح.

(والقول) بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر واختاره البخاري أيضًا (والقول) بأن من أكل في شهور رمضان معتقدًا الليل فبان نهارًا لا قضاء عليه، كما هو في الصحيح عن عمر بن الخطاب[1] ﷺ وإليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم.

(والقول) بأن من أفطر في رمضان عمدًا أو ترك الصلاة بلا عذر قضاء عليه، وقال به بعض الظاهرية وحكي عن ابن بنت الشافعي، وفي البخاري[2] عن أبي هريرة[3] من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه، وبه قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وقال سعيد بن المسيب[4] والشعبي[5] وابن جبير[6] وإبراهيم[7]

---

(١) عمر بن الخطاب، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، العدوي، أبو حفص، (٤٠ ق هـ ـــ ٢٣ هـ) ، ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، صاحب الفتوحات ، الإصابة ٧٣٨ هـ ، صفة الصفوة ١٠١/١ ، الأعلام ٤٥/٥.

(٢) سبق ذكره .

(٣) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوس (٢١ ق هـ ـــ ٥٩ هـ) ، صحابي، حافظ للحديث، نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، أسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ، الإصابة ت ١١٧٩ ، صفة الصفوة ٢٨٥/١ ، الأعلام ٣٠٨/٣ .

(٤) سعيد بن المسيب، سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزوميّ القرشي، أبو محمد (١٣ ـــ ٩٤ هـ) ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. الوفيات ٢٠٦/١ ، صفة الصفوة ٥٧/٢ ، حلية الأولياء ١٦١/٢ ، الأعلام ١٠٢/٣د التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع.

(٥) الشعبي، عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميريّ، أبو عمرو (١٩ ـــ ١٠٣ هـ) راوية من التابعين، ولد ونشأ ومات بالكوفة، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه ورسوله إلى ملك الروم. تهذيب التهذيب ٦٥/٥ ، الوفيات ٢٤٤/١ ، الأعلام ٢٥١/٣.

(٦) سعيد بن جبير، سعيد بن جبير الأسدي، أبو عبد الله (٤٥ — ٩٦ هـ) تابعي ، حبشي الأصل من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. وفيات الأعيان ٢٠٤/١، تهذيب التهذيب ١١/٤ ، الأعلام ٩٣/٣.

(٧) لم يتم العثور على ترجمته.

وقتادة[١] وحماد[٢] يقضي يومًا مكانه.

(القول) بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما في حق القارن والمفرد وهو قول ابن عباس ﷺ ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رواها عنه ابنه عبد الله[٣] وكثير من أصحاب الإمام أحمد ﷺ لا يعرفونها.

(والقول) يجوز المسابقة بلا محلل وإن أحوج المتسابقان.

(والقول) باستبراء المختلعة بحيضة، وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

(والقول) بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين.

(والقول) بجواز عقد الرداء في الإحرام ولا فدية في ذلك وجواز طواف الحائض ولا شي عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهرةً.

(والقول) بجواز بيع الأصل بفرعه كالزيتون بالزيت، والسمسم بالشيرج.

(والقول) بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره بالفضة متفاضلاً، وجعل الزائدة من الثمن في مقابلة الصنعة.

(والقول) بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة إلا أن يتغير قليلاً كان أو كثيرًا.

(والقول) بجواز التيمم في مواضع معروفة والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة، وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

(وكان يميل) آخرًا بتوريث المسلم من الكافر الذمي وله في ذلك مصنف وبحث طويل، (ومن أقواله) المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها محن وقلاقل قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق وأن الطلاق الثلاث لا يقع وله في ذلك مصنفات ومؤلفات، كثيرة منها قاعدة كبيرة سماها تحقيق الفرقان بين التطليق والإيمان، نحو أربعين كراسة وقاعدة سماها الفرق المبين بين الطلاق واليمين بقدر النصف من ذلك، وقاعدة في أن جميع ذنوب المسلمين مكفرة مجلد لطيف، وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الإيمان حقيقة وقواعد وأجوبة غير ذلك لا تنضبط ولا تنحصر، وله جواب اعتراض ورد عليه من الديار المصرية، وهو جواب طويل في

(١) لم يتم العثور على ترجمته.

(٢) لم يتم العثور على ترجمته.

(٣) عبد الله بن أحمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن (٢١٣ ـــ ٢٩٠ هـــ)، حافظ للحديث، من أهل بغداد. تهذيب التهذيب ١٤١/٥ الأعلام ٦٥/٤.

ثلاث مجلدات بقطع نصف البلدي.

(ثم اجتمع بالشيخ) يوم الخميس نصف ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وسبعمائة القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي[١]، وأشار إليه بترك الإفتاء بمسألة الحلف بالطلاق فقبل إشارته وعرف نصيحته وأجاب إلى ذلك.

(فلما كان) يوم السبت من جمادى الأولى من هذه السنة ورد البريد إلى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين[٢] والأمر بعقد مجلس في ذلك، فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان، ونودي بذلك في البلد بعد الثلاثاء رابع الشهر المذكور ثم إن الشيخ عاد إلى الافتاء بذلك وقال لا يسعني كتمان العلم.

(فلما كان) يوم الثلاثاء تاسع عشر من رمضان من سنة تسع عشرة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقُرئ عليهم كتاب السلطان، وفيه فصل يتعلق بالشيخ بسبب الفتوى في هذه المسألة وأُحضر وعوتب على فتياه بعد المنع وأُكِّد عليه في المنع من ذلك، (فلما كان) بعد ذلك بمدة ثاني عشر رجب سنة عشرين عقد مجلس بدار السعادة وحضره النائب والقضاة وجماعة من المفتين وحضر الشيخ وعاودوه في الإفتاء في مسألة الطلاق وعاتبوه على ذلك وحبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، ثم ورد مرسوم السلطان بإخراجه فأُخرج يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين وتوجه إلى داره ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدروس في أنواع العلوم.

ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق إلى أن مات فيها

قالوا لما كانت سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شد الرحال وإعمال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين، وكثر القيل والقال بسبب العثور على جواب الشيخ الآتي، وعظم التشنيع على الشيخ وحرف عليه ونقل عنه ما لم يقله وحصلت فتنة طار شررها في الآفاق، واشتد الأمر وخيف على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية، بالديار الشامية والمصرية وضعُف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة، وجبن منهم من كانت له همة.

(وأما الشيخ) رحمه الله فكان ثابت الجأش قوي القلب وظهر صدق توكله واعتماده على ربه، ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ، فقال أحدهم يُنفى

(١) لم يتم العثور على ترجمته.

(٢) سبق ذكره.

فنفي القائل، وقال آخر، يُقطع لسانه فقُطع لسان القائل، وقال آخر يُعزر فعزر القائل، وقال آخر يحبس فحُبس القائل، أخبر بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها.

(واجتمع جماعة آخرون) بمصر وقاموا في هذه القضية قيامًا عظيمًا، واجتمعوا بالسلطان وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ فلم يوافقهم السلطان على ذلك وأرضى خاطرهم بالأمر بحبسه، (فلما كان يوم الاثنين) سادس شعبان من السنة المذكورة ورد مرسوم السلطان بأن يكون في القلعة وأُحضر للشيخ مركوب فأظهر السرور بذلك وقال إني كنت منتظرا ذلك، وهذا فيه خير عظيم فركب إلى القلعة وأخليت له قاعة حسنة، وأُجري إليها الماء ورسم له بالإقامة فيها وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان ورسم له بما يقوم بكفايته وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك وبمنعه من الفتيا، (وليس بعجب) فقد وقع لأبي حنيفة مثله من المنع والحبس، ووقع للإمام أحمد كذلك فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وأُوذى جماعة من أصحابه واختفى آخرون وعُزر جماعة ونودي عليهم، ثم أُطلقوا سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية فإنه حبس بالقلعة وسكنت الفتنة.

(وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه)

ما تقول السادة أئمة الدين، نفع الله بهم المسلمين، في رجل نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين مثل نبينا محمد ﷺ وغيره، فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟ وقد (رُوي عن النبي ﷺ أنه قال من حج ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) وقد (روي عنه ﷺ أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) أفتونا مأجورين.

(الجواب) الحمد لله رب العالمين، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين:

(أحدهما) وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية كأبي عبد الله بن بطة[1] وأبي الوفاء بن عقيل[2] وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لا يجوز القصر

---

(١) ابن بطة، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري (٣٠٤ ــ ٣٨٧ هــ) عالم بالحديث، من كبار الحنابلة، من أهل عكبرا مولدًا ووفاة، رحل إلى مكة والثغور والبصرة. طبقات الحنابلة ٢ ١٤٤١ ، الأعلام ١٩٧/٤.

(٢) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي، بهاء الدين، (٦٩٤ ــ ٧٦٩ =

في مثل هذا السفر؛ لأنه سفر منهي عنه في الشريعة فلا يقصر فيه.

(والقول الثاني) أنه يقصر وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم كأبي حنيفة رحمه الله، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوّز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين كأبي حامد الغزالي[1] وأبي الحسن بن عبدوس الحراني[2] وأبي محمد بن قدامة المقدسي (وهؤلاء) يقولون إن هذا السفر ليس بمحرم لعموم (قوله ﷺ زوروا القبور[*]) وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ (كقوله) (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الدرقطني.

(وأما ما يذكره) بعض الناس من قوله من حج ولم يزرني فقد جفاني فهذا لم يروه أحد من العلماء، وهو مثل قوله من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة فإن هذا أيضًا باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد ولم يحتج به أحد، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه ﷺ كان يزور مسجد قباء وأجاب عن حديث (لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)، وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به، فلو نذر شده الرحال أن يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه ويسافر إليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة، ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في قوليه وأحمد ولم يجب عند أبي حنيفة؛ لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب.

(وأما الجمهور) فيوجبون الوفاء بكل طاعة كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه، والسفر إلى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به وأما السفر إلى بقعة غير المساجد

=

هـ) من نسل عقيل بن أبي طالب مولده ووفاته في القاهرة، ولي قضاء الديار المصرية. الدرر الكامنة ٢/٢٦٦، حسن المحاضرة ١/٣١٠ ، شذرات الذهب ٣/٢١٤ ، الأعلام ٤/٩٦

(١) سبق ذكره

(٢) لم يتم العثور على ترجمته

(*) تقدم تخريجه في العقود الدرية.

الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نظره حتى نص العلماء أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من الثلاثة غير أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل كما في الحديث الصحيح من تطهر في بيته ثم أتى إلى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان كعمرة.

قالوا ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يعلمها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة وإجماع الأمة، وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع والمخالفة للسنة والإجماع. وبهذا يظهر ضعفه حجة أبي محمد أن زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل وأن السفر إليه لا يجب بالنذر، وقوله لا تشد الرحال إلخ محمول على نفي الاستحباب، وعنه جوابان (أحدهما) أن هذا إن سلم فيه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فإذن من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرمًا بإجماع المسلمين، ومعلوم أن أحدًا لا يسافر اليها إلا لذلك، وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب.

(الوجه الثاني) أن الحديث يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم وما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة لم يروها أحد من أهل السنن المعتمدة ولا شيئًا منها بل مالك إمام أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول الرجل زرت قبر النبي ﷺ ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم أهل المدينة، والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا (حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ما من رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام[*]) وعلى هذا اعتمد على أبو داود في سننه، وكذلك مالك في الموطأ، وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا دخل المسجد قال السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتِ، ثم ينصرف، وفي سنن أبي داود (عن النبي ﷺ أنه قال لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم)، وفي سنن سعيد بن منصور[1] أن عبد الله بن الحسن بن علي بن

(*) تقدم تخريجه في العقود الدرية.

(١) سعيد المروزي، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، والمروزي الطالقاني، البلخي أبو عثمان.
=

أبي طالب[١] رأى رجلاً يختلف إلى قبر النبي ﷺ وسلم فقال له إن رسول الله ﷺ قال لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء، وفي الصحيحين (عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) يحذر ما فعلوا، قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا وهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجدًا فيتخذ قبره وثنا، وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك[٢] لا يدخل أحد إليه لا لصلوات هناك ولا لتمسح بالقبر ولا دعاء هنالك، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه في المسجد، وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر، وأما الوقوف للسلام عليه فقال أبو حنيفة[٣] يستقبل القبلة أيضًا لا يستقبل القبر، وقال أكثر الأئمة بل يستقبل القبر عند السلام خاصة، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء، وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافه، واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ ولا يُقبّل، وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح/ ٢٣] قالوا هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها، وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس، وذكره محمد بن جرير الطبري[٤]، في التفسير

(... ، ٢٢٧ هـ) محدث، حافظ، مفسر، سكن مكة، الوافي ٨٨/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٥/٢، تهذيب التهذيب ٨٩/٤ ، المعجم ٢٣٢/٤.

(١) عبد الله بن الحسن، عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد (٧٠ ــ ١٤٥ هـ) ، تابعي من أهل المدينة، كانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. الإصابة ت ٦٥٨٧ الأعلام ٧٨/٤ .

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ). المؤرخ، المفسر، الإمام ولد في آمل طبرستان واستوطن بغداد، وتُوفي بها، عُرض عليه القضاء فامتنع. تذكرة الحافظ ٣٥١/٢ ، الوفيات ٤٥٦/١ ، طبقات السبكي ١٣٥/٢، الأعلام ٦٩/٦.

عن غير واحد من السلف وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع، وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد، التي يشرك فيها ويكذب فيها، ويبتدع فيها، دين لم ينزل الله به سلطانًا، وأن الكتاب والسنة إنما فيه ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال تعالى ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ وقال تعالى ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ وقال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ وقال تعالى ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾، وقد ثبت عنه في الصحيح أن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك.

(هذا آخر ما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية والله سبحانه وتعالى أعلم)

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من هذا الجواب المذكور وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب كما أشار إليه في الجواب، وما ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه وبعثوا به إلى الديار المصرية وكتب عليه قاضي الشافعية قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح إلي أن قال وإنما المحرم جعله زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية مقطوعا بها هذا كلامه.

فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الإسلام، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل للسفر إلى مجرد زيارة القبور وزيارة من غير شد رحل إليها مسألة، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شدة رحل بل يستحبها ويندب إليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة في الفتيا لأن السائل لم يسأل عنها ولا قال أنها معصية ولا حكى الإجماع على المنع منها؛ لأن العامة فضلاً عن العلماء يعرفون أن زيارة القبور سنة، كيف يظن الجهل بذلك ممن سلم له الاجتهاد المطلق والله سبحانه لا تخفى عليه خافية.

(ولما وصل خط) القاضي المذكور إلى الديار المصرية كثر الكلام وعظمت الفتنة وطلب القضاء بها فاجتمعوا وتكلموا وأشار بعضهم بحبس الشيخ فرسم السلطان به وجرى ما تقدم ذكره، ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها في هذا الموضع

ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ

قالوا لما وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد قاموا في الانتصار له

وكتبوا بموافقته، قال الحافظ بن عبد الهادي بن قدامة ورأيت خطه ظهر بذلك وينبغي ذكر شيء منها هنا.

(هذه صورة جواب الشيخ الإمام جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام بن البقي الحنبلي[١] ومن خطه نقل، قال).

(بسم الله الرحمن الرحيم) بعد حمد الله الذي فاتحة كل كلام، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أعلام الهدى ومصابيح الظلام يقول أفقر عباد الله، وأحوجهم إلى عفوه، ما حكاه الشيخ الإمام البارع الهمام، افتخار الأنام جمال الإسلام، ركن الشريعة ناصر السنة قامع البدعة، جامع أشتات الفضائل، قدوة العلماء الأماثل، في هذا الجواب من أقوال العلماء والأئمة النبلاء بين لا يدفع، ومكشوف لا يتعتع، بل أوضح من النيرين، وأظهر من فرق الصبح لذي عينين، والعمدة في هذه المسألة الحديث المتفق على صحته ومنشأ الخلاف بين العلماء من إجمال صيغته، وذلك أن صيغة (وقوله ﷺ لا تشد الرحال) ذات وجهين نفي ونهي لاحتمالها لهما، فإن لحظ معنى النفي فمعناه نفي فضيلة واستحباب شد الرحل وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة، ويتعين توجه النفي إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما، والإلزام تخلف الخبر ولا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الإباحة، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفي وبني على ذلك جواز القصر، وإن كان النهي ملحوظًا فالمعنى حينئذ نهيه عن إعمال المطي وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاض بتحريمه أو كراهته على حسب الأدلة فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منهيًا عنه، وممن قال بحرمته الشيخ الإمام أبو محمد الجويني[٢] من الشافعية، والشيخ الإمام أبو الوفاء بن عقيل من الحنابلة وهو الذي أشار القاضي عياض من المالكية إلى اختياره، وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور فمحمولة على ما لم يكن فيه شد رحل وإعمال مطي جمعًا بينهما، ويحتمل أن يقال لا يصلح أن يكون غير حديث شد الرحال معارضًا له لعدم مساواته إياه في الدرجة لكونه من أعلى

---

(١) يوسف البغدادي، يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام البغدادي، جمال الدين (٦٤٠هـ)، مؤرخ، مقرئ، فقيه، أديب، نحوي ولد بدمشق، قرأ بالروايات، سمع الحديث، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٥ ، معجم المؤلفين ١٣/٣١٦ .

(٢) أبو محمد الجويني ، تاريخ الخلفاء ١/٤٢٢ .

أقسام الصحيح والله تعالى أعلم.

(وقد بلغ) أنه زُري وضيق على المجيب، وهذا أمر يحار فيه اللبيب، ويتعجب منه الأريب، ويقع منه في شك مريب، فإن جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء وليس حاكمًا بالغضِّ من الصالحين والأنبياء فإن الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على رفعه إليه هو الغاية القصوى في تتبع أوامره ونواهيه والعدول عن ذلك محذور، وذلك مما أمر به فيه، وإذا كان كذلك فأي حرج على من سُئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء، ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء، فإن الأمر لم يرد كذلك على مر العصور وتعاقب الدهور، وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نضو الهوى، المفضي بصاحبه إلى النوى، فإن من يقتبس من فوائده ويلتقط من فرائده لحقيق بالتعظيم، وخليق بالتكريم ممن له الفهم السليم والذهن المستقيم، وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر، إلا كما قيل في المثل السائر الشعير يؤكل ويذم، ولولا خشية الملالة لما سئمت من الإطالة.

(وكتب تحته) الإمام صفي الدين بن عبد الحق الحنبلي الحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين ما ذكره مولانا الإمام العالم العامل، جامع الفضائل، بحر العلم، ومنشأ الفضل، جمال الدين الكاتب خطه أمام خطي هذا جمّل الله به الإسلام وأسبغ عليه سوابغ الإنعام أتى فيه بالحق الجلي الواضح، وأعرض فيه عن إغضاء المشايخ، إذ السؤال والجواب اللذان تقدما لا يخفى على ذي فطنة وعقل أنه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ولم يبق عليه في ذلك إلا أن يعترض في نقله فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم والمتعرض به بالتشنيع إما جاهل لا يعلم ما يقول، أو متجاهل يجعله حسده وحميته الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد، وعصمنا من مخائل النكد، بمحمد وآله الطاهرين.

جواب آخر لعلماء الشافعية

قال بعد البسملة والحمدلة، لا ريب أن المملوك أوقف على ما سأله الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره تقي الدين أبو العباس ابن تيمية وما أجاب به فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسبما اقتضاه الحال، من نقله الصحيح وما أدى إليه البحث من الإلزام والالتزام، لا يداخله تحامل، ولا يعتريه تجاهل، وليس فيه والعياذ بالله ما يقتضي الإزراء والتنقيص بمنزلة الرسول ﷺ، وكيف يجوز للعلماء أن تحملهم العصبية أن يتفوهوا بالإزراء والتنقيص في حق الرسول ﷺ، وهل يجوز أن يتصور متصور أن زيارة قبر

النبي ﷺ تزيد في قدره، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه حاشا للرسول من ذلك، نعم لو ذكر ذاكر ابتداء وكان هناك قرائن تدل على الإزراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك مع أنه كان يكون كناية لا صريحًا فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدال، مع أن المفهوم من كلام العلماء وأنظار العقلاء أن الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردها حتى أنه لو حلف أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها، لكن القاضي ابن كج من متأخري أصحابنا ذكر أن هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها، وهو منفرد به لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح، والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في (قوله عليه السلام لا تشد الرحال) إلخ أنه لا يجوز شد إلى غير ما ذكر، فمن اعتقد جواز الشد إلى غير ما ذكر أو وجوبه أو ندبته كان مخالفًا لصريح النهي ومخالفة النهي معصية، (حرره ابن الكتبي الشافعي حامدًا لله على نعمه).

جواب آخر لعلماء المالكية

قال ما أجاب به الشيخ الأوحد الأجلّ بقية السلف، وقدوة الخلف، رئيس المحققين وخلاصة المدققين، تقي الملة والحق والدين، من الخلاف في هذه المسألة صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم فلا مجال للاعتراض عليه في ذلك، إذ ليس بعيب لرسول الله ﷺ ولا غض من قدره، وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني[١] في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهو اختيار القاضي الإمام القاضي عياض من المالكية وهو أفضل المتأخرين من أصحابنا، وفي المدونة عمن قال على المشي إلى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما فليأتهما، فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب الوفاء بها. ومن أصلنا أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها أكان من جنسها ما هو واجب بالشرع كما هو مذهب أبي حنيفة[٢]، أو لم يكن قال القاضي أبو إسحق إسمعيل بن إسحق[٣] عقب هذه المسألة ولولا الصلاة فيها لما لزمه إتيانهما، ولو كان نذر زيارته طاعة لزمه ذلك، وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه والشيخ ابن بشير[٤] في تنبيهه وفي المبسوط قال مالك ومن نذر المشي إلى مسجد من المساجد ليصلي فيه فإني أكره ذلك له (لقوله ﷺ لا تعمل المطي إلا

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) إسماعيل الأزدي، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري البغدادي المالكي، أبو إسحاق (١٩٩ ــ ٢٨٢ هــ) مفسر، مقرئ، محدث، فقيه، نشأ ببغداد وولي القضاء بها. سير النبلاء ٩/٧٩١ ، معجم المؤلفين ٢/٢٦١.

(٤) لم يتم العثور على ترجمته.

إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس ومسجدي هذا)، وروى محمد بن المواز[1] في الموازية عنه إلا أن يكون قريبًا فيلزمه الوفاء؛ لأنه ليس بشد رحل وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد، يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة بأنه سفر منهي عنه إلى الكفر فمن كفره بذلك من غير موجب فإن كان مستبيحًا ذلك فهو كافر، وإلا فهو فاسق، قال الإمام أبو عبد الله محمد بن على المازوي في كتاب المعلم من كفر أحدًا من أهل القبلة فإن كان مستبيحًا لذلك فقد كفر، وإلا فهو فاسق يجب على الحاكم إذا رفع أمره إليه أن يؤذيه أو يعزره بما يكون رادعًا لأمثاله، فإن ترك ذلك مع القدرة عليه فهو آثم، والله تعالى أعلم.

(كتب ذلك محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكيه في المدرسة الشريفة المستنصرية)

جواب آخر لبعض علماء الشام المالكية

قال السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع، وأما من سافر إلى مسجد النبي ﷺ ليصلي ويسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما فمشروع باتفاق العلماء، وأما لو قصد إعمال المطي لزيارته ﷺ ولم يقصد الصلاة فهذا السفر إذا ذكر رجل فيه خلافًا للعلماء، وإن منهم من قال أنه منهي عنه، ومنهم من قال إنه مباح، وإنه على القولين ليس بطاعة ولا قربة فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حرامًا بالإجماع وذكر حجة كل منهما، أو رجح أحد القولين لم يلزمه ما يلزم من تنقص، إذ لا نقص في ذلك إلا إزراء بالنبي ﷺ وقد قال مالك[2] لسائل سأله إذا نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ، فقال إن كان أراد مسجد النبي ﷺ فليأته وليصل فيه وإن كان أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد والله أعلم .

---

(١) المواز، محمد بن إبراهيم بن زياد المواز، أبو عبد الله (... ٢٨١ هـ) فقيه مالكي، من أهل الإسكندرية، انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، الوافي ١/٢٤٢ ، شذرات الذهب ٢/٢٠٥، تذكرة الحفاظ ٢/٢٠٧ ، الأعلام ٥/٢٩٤.

(٢) المازري، محمد بن علي بن عمر التيمي المازري، أبو عبد الله. (٤٥٣ ــ ٥٣٦ هـ) محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى ما زر بجزيرة صقلية، ووفاته بالمدينة ، وفيات الأعيان ١/٤٨٦ ، الأعلام ٦/٢٧٧.

كتبه أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي

(وورد مع أجوبة أهل بغداد كتاب وفيه):

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ناصر الملة الإسلامية، ومعز الشريعة المحمدية، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية، المليكة المالكية الناصرية ألبسها الله تعالى لباس العز المقرون بالدوام وحلاها بحلية النصر المستمر بمرور الليالي والأيام، والصلاة والسلام على النبي المبعوث إلى جميع الأنام وعلى آله البررة الكرام.

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحًا للسائلين، ورفدك ما برح مبذولاً للوافدين من عودته مسألتك وحدك لم يسأل أحدا سواك ومن منحته منائح وفدك لم يفد على غيرك ولم يحتم إلا بحماك أنت الرب العظيم الكريم الأ كرم باب غيرك على عبادك محرم، أنت الذي لا إله غيرك ولا معبود سواك، عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك لم تزل سنتك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك، فضلاً منك عليهم، وإحسانًا من لدنك إليهم، ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكرا، ولأنعمك في جميع التقلبات شكرًا، ولكن أكثر الناس لا يلعمون، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، اللهم أنت العالم الذي لا يعلم، وأنت الكريم الذي لا يبخل، قد علمت يا عالم السر والعلانية أن قلوبنا لم تزل برفع إخلاص الدعاء صادقة، وألسنتنا في حالتي السر والعلانية ناطقة أن تمتعنا بإمداد هذه الدولة المباركة الميمونية السلطانية الناصرية بمزيد العلا والرفعة والتمكين، وأن تحقيق آمالنا فيها بإعلاء الكلمة ففي ذلك رفع قواعد دعائم الدين، وقمع مكائد الملحدين؛ لأنها الدولة التي برئت من غشيان الجنف والحيف، وسلمت من طغيان القلم والسيف، والذي عهده المسلمون وتعوده المؤمنون من المراحم الكريمة والعواطف الرحيمة إكرام أهل الدين، وإعظام علماء المسلمين، والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة في الحضرة الشريفة، وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه وتعالى بالسنة صحيحة قوله ﷺ الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)، (وقوله ﷺ الأعمال بالنيات) وهذان الحديثان المشهوران بالصحة مستفاضان في الأمة، ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل، والإمام المكرم النبيل أوحد الدهر، وفريد العصر، طراز المملكة الملكية وعلم الدولة السلطانية لو أقسم مقسم بالعظيم القدير أن هذا الإمام الكبير ليس له في عصره مماثل ولا نظير، لكانت يمينه برة غنية عن التكفير، وقد خلت من جود مثله السبع الأقاليم إلا هذا الإقليم، يوافق على ذلك كل منصف جبل على الطبع السليم، ولسنا بالثناء عليه نطريه، بل لو أطنب مطنب في مدحه والثناء عليه لما أتى على بعض الفضائل التي في أحمد ابن تيمية أنه يتيمة يتنافس فيها تشترى ولا تباع ليس في خزائن الملوك ما يماثلها ويواخيها انقطعت عن وجود الأطماع لقد

أصم الأسماع وأوهى قوى المتبوعين والأتباع سماع رفع أبي العباس أحمد ابن تيمية إلى القلاع، وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه إلا أن يكون أمرًا تدلس عليه ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه والتطويل على الحضرة العالية لا يليق إن يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق، وقد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه في هذا الزمان منصب يوسف الصديق لما صرف الله وجوه أهل البلاد إليه، حيث أمحلت البلاد واحتاج أهلها إلى القوت المدخر لديه، والحاجة بالناس الآن إلى قوت الأرواح الروحانية، أعظم من حاجتهم في ذلك الزمان إلى طعم الجثث الجسمانية، وأقوات الأرواح المشار إليها لا خفاء أنها العلوم الشريفة والمعاني اللطيفة، وقد كانت بلاد المملكة السلطانية حرسها الله تعالى بكمال الثناء جزافًا بغير أيمان، منحة عظيمة من الله ذي السلطان، ونعمة جسيمة إذ خص بلاد مملكته وإقليم دولته بما لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان، وقد كان وفد الوافدين من سائر الأمصار فوجدوا صاحب صواع الملك قد رفع إلى القلاع، ومثل هذه الميرة لا توجد في غير تلك البلاد لتشترى أو تباع، وصادف ذلك جدب الأرض، ونواحيها جدبًا أعطب أهاليها، حتى صاروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات كالأموات، والذي عرض للمليك بالتضييق على صاحب صواعه مع شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح لعله لم يتحقق عنده أن هذا الإمام من أكابر الأولياء وأعيان أهل الصلاح، وهذه نزعة من نزعات الشيطان، قال الله سبحانه وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا، وأما إزراء بعض العلماء عليه في فتواه وجوابه عن مسألة شد الرحال إلى زيارة القبور، فقد حمل جواب علماء هذه البلاد إلى نظرائهم من العلماء وقرنائهم من الفضلاء، وكلهم أفتى أن الصواب في الذي به أجاب، والظاهر من الإمام أن إكرام هذا الإمام ومعاملته بالتبجيل والاحترام فيه من قوام الملك ونظام الدولة وإعزاز الملة واستجلاب الدعاء وكبت الأعداء وإذلال أهل البدع والأهواء، وإحياء الأمة، وكشف النعمة، ووفور الأجر، وعلو الذكر ودفع البأس ونفع الناس، ولسان حال المسلمين إلى قول الكبير المتعال، (ولما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق لينا إن الله يجزي المتصدقين) والبضاعة المزجاة هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام، والميرة المطلوبة الإفراج عن شيخ الإسلام، والذي حمل على هذا الإقدام، (وله عليه السلام الدين النصحية) [1] والسلام.

---

(١) أخرجه مسلم [٧٤/١] ــ ح [٥٥].

كتاب آخر لعلماء بغداد

وفيه بعد البسلمة والحمدلة اللهم فكما أيدت ملوك الإسلام وولاة الأمر بالقوة والقهر وشيدت لهم ذكرًا وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ركنا والمكسور والعائذ بأكناف بابهم جبرًا فاشدد اللهم منه بحسن معونتك لهم أزرًا وأعل لهم مجدًا وأرفع لهم قدرًا وزدهم عزًا، وعلى أعدائهم نصرًا وامنحهم توفيقا مسددًا وتمكينًا مستمرًا. (وبعد) فإنه لما قرع أسماع أهل البلاد الشرقية والنواحي العراقية التضييق على شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية سلمه الله تعالى، عظم ذلك على المسلمين وشق على ذوي الدين وارتفعت رؤس الملحدين وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية عظم هذه النازلة من شماتة أصحاب البدع وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء، أنهوا حال هذا الأمر الفظيع والحال الشنيع إلى الحضرة الشريفة السلطانية زادها الله شرفا، وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب به الشيخ سلمه الله تعالى في فتاوه وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه، وحملوا ذلك بين يدي مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وغيرةً منه على هذا الدين، ونصيحة الإسلام وأمراء المسلمين، والآراء المولوية العالمية أولى بالتقديم؛ لأنها ممنوحة بالهداية إلى الصراط المستقيم.

(قلت) والظاهر أن هذه الكتب لم تصل للسلطان الملك الناصر إما لعدم من يوصلها له، أو لموت الشيخ قبل وصولها، وإلا لظهر لها نتيجة ولم أقف على ذلك وهذه الأجوبة والكتب وصلت كلها إلى دمشق.

(ثم إن الشيخ رحمه الله) استمر مقيمًا بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأيامًا إلى أن توفي، وما زال في تلك المدة معظمًا مكرمًا يكرمه نقيب القلعة ونائبها إكرامًا كثيرًا، ويقضيان حوائجه ويبالغان في قضائها، وما برح في هذه المدة مكبا على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين، وكتب على تفسير القرآن جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة ونكت دقيقة ومعانٍ لطيفة، وبين في ذلك مواضع كثيرة أُشكلت على خلق من علماء أهل التفسير، وكتب في المسألة التي حبس بسببها عدة مجلدات، منها كتاب في الرد على الإخنائي قاضي المالكية، ومنها كتاب كبير حافل في الرد على بعض قضاة الشافعية، وأشياء كثيرة في هذا المعنى، وكان ما صنفه.

ففي هذه المدة قد خرج بعضه من عنده وكتبه بعض أصحابه وظهر واشتهر، فلما كان قبل وفاته بشهر ورد مرسوم بإخراج ما عنده كله ولم يبق عنده كتاب ولا ورق ولا دواة ولا

قلم وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه كتبها بفحم، ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق حمل إلى القاضي علاء الدين القونوي[1] وجعل تحت يده في المدرسة العادلية.

فصل في ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى

قال أهل التاريخ كان مولد الشيخ ابن تيمية يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة إحدى وستين وستمائة، وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. ولما أخرجت كتبه من عنده أقبل بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين وكان يختم القرآن في كل عشرة أيام، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر/٥٤، ٥٥]، ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجّى وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما، وكان إذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة، فلمّا علم بمرضه استأذن في الدخول عليه، لعيادته فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو غيره،

فأجابه الشيخ رضي الله تعالى عنه إني قد أحللتك وجميع من عاداني، وهم لا يعلمون أني على الحق، وقال ما معناه إني قد أحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه إياي؛ لكونه فعل ذلك مقلدًا غيره معذورًا، ولم يفعله لحظ نفسه بل لما بلغه مما ظنه حقا من مبلغه، والله يعلم أنه بخلافه، وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه إلا من كان عدو الله ورسوله ﷺ.

(وأكثر الناس) ما علموا بمرضه فلم يفجأ موته الخلق إلا بغتة، قال الشيخ علم الدين وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، تُوفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الإمام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبدالله بن القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة

---

(١) القونوي، علي بن اسماعيل بن يوسف القونوي، أبو الحسن، علاء الدين ، (٦٦٨-٧٢٩ هـ).
فقيه من الشافعية. نزل بدمشق وانتقل إلى القاهرة فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه ثم ولي القضاء بالشام سنة ٧٧ هـ. الدور الكامنة ٣ ٢٤١٣، الاعلام ٤ ٢٦٤١.

دمشق، بالقاعة التي كان محبوسا فيها، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن، ودخل عليه أقاربه وأصحابه وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق، وحضر كثير إلى القلعة فأذن لهم في الدخول، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا، وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن، واقتصر على من يغسله ويعين في غسله، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المُتَفَضِّل من غسله حتى حصل لكل واحد منهم شيء قليل، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم، والخيط الذي فيه الزئبق وكان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما، فلما فرغوا من ذلك أخرج وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه وباب البريد وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة، ولم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا حضر لذلك، حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت معايشها حينئذ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان، من الخواص والعوام. قال بعض من حضر: ولم يتخلف أحد فيما أعلم إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشْتُهروا بمعاندته، فاختفوا من الناس؛ خوفا على أنفسهم بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس.

(ولما أخرجت جنازته) فما هي إلا أن رآها الناس فأكبوا عليها وحصل البكاء والضجيج والتضرع.واشتد الزحام من كل جانب، كل منهم يقصد التبرك حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله، فأحدق الأمراء والأجناد واجتمع الأتراك، فمنعوا الناس من الزحام عليها؛ خشية سقوطها وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل ما يمكنهم، وهم لا يزدادون إلا زحاما وكثرة، حتى دخلت جامع بني أمية المحروس، ظنا منهم أنه يسع الناس، فبقي كثير من الناس خارج الجامع فصلي عليه رضي الله عنه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر، وكان صلي عليه أولا في القلعة فقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام، ثم حمل إلى باب البريد على أيدى الكبراء والأشراف إلى ظاهر دمشق واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام، وكل باب أعظم زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام،لكن المعظم من الأبواب الأربعة باب الفرج، الذي خرجت منه الجنازة، ومن باب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، فلما خرجوا به لظاهر دمشق وضع بأرض فسيحة متسعة الأطراف فصلى عليه

الناس أيضا، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن. قال بعض من حضر من الثقات: كنت ممن صلى عليه في الجامع وكان لي متشرف على المكان الذي صُلي عليه فيه بظاهر دمشق، فأحببت أن أنظر إلى الناس وكثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت أنظر يمينا وشمالا، ولا أدري أواخرهم، بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الأرض كلها.

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه، على أنهم يزيدون على نحو من خمسمائة ألف، وحضرها نساء كثير، بحيث حزرن بخمسة عشر ألفا، قال أهل التاريخ لم يُسمع بجنازة تمثل هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد بن حنبل[١]، قال الدارقطني[٢]: سمعت أبا سهل بن زيادة القطان[٣] يقول، سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول، سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز، قال أبو عبد الرحمن السلمي[٤] إنه حزر الحزارون المصلين على جنازة أحمد فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف ألف، سوى الذين كانوا في السفن، ثم حملت جنازة الشيخ إلى قبره في مقبرة الصوفية فوضع وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضرا قبل ذلك، فصلى عليه أيضا ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس، ثم دفن وقت العصر إلى جانب أخيه الشيخ الإمام العلامة البارع الحافظ الزاهد العابد الورع جمال الإسلام شرف الدين، وكان قد تُوفي سنة سبع وعشرين في أيام حبس أخيه تقي الدين وصُلي عليه في جامع دمشق، ثم حمل إلى باب القلعة فصُلي عليه مرة أخرى، وصلى عليه أخواه تقي الدين وزين الدين وخلق من داخل القلعة، وكان الصوت بالتكبير يبلغهم، وكثر البكاء في تلك الساعة، وكان وقتا مشهودا ثم صُلي عليه مرة ثالثة ورابعة، وحضر جنازته جمع كثير وعالم عظيم، وكثر الثناء والتأسف عليه، وأثنى عليه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني[٥]: فقال شرف الدين بارع في فنون عديدة من الفقه والنحو

---

(١) سبق ذكره.

(٢) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) إمام عصره في الحديث، أول من صنف القرارات ، وفيات الاعيان ١ / ٣٣١ ، طبقات الشافعية ٢ / ٣١٠ ، الأعلام ٤ / ٣١٤.

(٣) أبو سهل بن زياد القطان ، طبقات الحفاظ ١ / ٣٩٩.

(٤) السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبد الرحمن، (٣٢٥ - ٤١٢ هـ)، من علماء المتصوفة. قال الذهبي شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ، الأعلام ٦/٩٩.

(٥) سبق ذكره.

والأصول، ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم، حسن العبادة، قوي في دينه، جيد التفقه، مستحضر لمذهبه استحضار جيدا، مليح البحث، صحيح الذهن، قوي الفهم، رحمه الله تعالى (فلما دفن) الشيخ تقي الدين إلى جانب أخيه، جعل الناس يأتون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاة وركبانا، وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا.

ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، قال الحافظ الشيخ سراج الدين البزار: وما وصل خبر موته إلى بلد فيما نعلم إلا وصلى عليه في جميع جوامعه ومجامعه، خصوصا أرض مصر ودمشق والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها، وخُتمت له الختمات الكثيرة في الليالى والأيام في أماكن كثيرة لم يضبط عددها، خصوصا بدمشق ومصر والعراق، حتى جعل كثير من الناس القراءة له وإدارة الربعة الشريفة على الناس للقراءة وإهدائها له وظيفه معتادة. قال ولم يُر في جنازة ما رؤي في جنازته من الوقار والهيبة والعظمة والجلالة وتعظيم الناس لها، وتوقيرهم إياها، وتفخيمهم أمر صاحبها وثنائهم بما كان عليه من العلم والعمل والزهادة والعبادة، والإعراض عن الدنيا والاشتغال بالآخرة، والفقر وإيثار الكرم والمروءة والصبر، والثبات والشجاعة والفراسة، والإقدام في الصدع بالحق، والإغلاظ على أعداء الله ورسوله والمنحرفين عن دينه، والتواضع لأولياء الله والتذلل لهم والإكرام والاعتذار لجنابهم، وعدم الاكترات بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذتها، وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها، حتى سُمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان، وكل منهم يثني عليه بما يعلمه من ذلك. رضي الله عنه وأرضاه و نفعنا به في الدنيا والآخرة آمين.

هذا (وقد قال الحافظ) ابن عبدالهادى بن قدامة في مناقبه بعد أن أطال الكلام عليها، للشيخ فضائل كثيرة وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة والمتصوفة، وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب. انتهى.

فصل فيما رُثي به الشيخ
من القصائد بعد موته وذلك كثير لا ينحصر

ولما مات الشيخ ابن تيمية رحمه الله رثاه كثير من الفضلاء والأئمة العلماء بقصائد جمة لا يسع هذا المختصر ذكرها. قال الشيخ الإمام ابن الفضل الله العمري[1] رثاه جماعات من الناس بالشام ومصر والعراق والحجاز والغرب، نسأل فضل رحمة الله عليه، وها أنا أذكر شيئا من ذلك في هذا المختصر.

---

(١) سبق ذكره.

(فمنها) ما قاله الشيخ القاضي الإمام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري الشافعي نثرا ونظما في حق الشيخ، قال في كلام طويل ورفع إلى السلطان غير ما مرة ورمي بالكبائر، وتربصت به الدوائر، وسعي به ليؤخذ بالجرائر، وحسده من لم ينل سعيه وكثر فارتاب، وما زاد على انه اغتاب وازعج من وطنه تارة إلى مصر ثم إلى الاسكندرية، وتارة إلى مجلس القلعة في دمشق، وفي جميعها يودع أخبية الجون. و يلدغ بزباني المنون وهو عليّ لينظر صفحة. و يدخر تحفة. حتى تستهدي أطراف البلاد طرفه. وتستطلع بقايا الأقاليم شرفه إلى أن خطفه آخر مرة من سجنه عقاب المنايا، وجذبته إلى مهواتها قرارة الرزايا، وكان قبل موته قد مُنع الدواة والقلم. وطبع على قلبة منه طابع الألم. فكان مبدأ مرضه ومنشأ برضه. حتى نزل قفار المقابر. وترك فقار المنابر. وحل بساحل ربه وما يحاذر. واختار راحة قلبه من اللائم والعاذر. فمات وما مات لا بل حي، وعرف قدره لأن مثل ما روى. ما برى على المآثر. إلى أن ضريحه أحله. وأتاه بشير الجنة يستعجله. فانتقل إلى الله والظن به أنه لا يخجله. وكان يوم دفنه يوما مشهودا. ووقتا معدودا. ضاقت به البلد وظواهرها. و تذكرت به أوائل الرزايا وأواخرها. ولم يكن أعظم منها منذ مئين من السنين جنازة رفعت على الرقاب. وطئت في زحامهاالأعقاب. وصار مرفوعا على الرؤوس متبوعا بالنفوس. تحدوه العبرات. وتتبعه الزفرات. وتقول له الأمم لا فقدت من غائب. ولأقلامه النافعة لا أبعدكن الله من شجرات. كان أمة وحده، وفردًا حتى نزل لحده، ثم قال:

أهكــــذا بالدياجــــي يحجـــــب ... ويحـــبس الـــنوء حتى يحبس المطر

أهكـــذا تمـــنع الشمس المنيرة عن ... مـــنافع الارض أحـــيانا فتســـتتر

أهكـــذا الســـيف لا تمضي مضاربه ... والسيف في الفتك ما في عزمه خور

أهكـــذا القـــوس يُرمى بالعراء وما ... تصـــمى الرمايا وما في باعها قصر

أهكـــذا يُتـــرك البحـــر الخضم ولا ... يُلـــوى علـــيه وفي أصـــدافه الدرر

أهكـــذا يترك التقيّ الدين قد عبثت ... أيـــدي العـــدا وتعدي نحوه الضرر

إلى ابـــن تيمـــية تُرمى سهام أذى ... مـــن الأنـــام و يدمى الناب والظفر

بـــر الســـوابق ممـــتد العـــبادة لا ... يـــناله ملـــل فـــيها ولا ضـــجر

ولم يكـــن مـــثله بعد الصحابة في ... علـــم عظـــيم وزهـــد ماله خطر

طـــريقه كـــان يمشـــى قبل مشيته ... بهـــا أبـــو بكـــر الصديق أو عمر

فرد المذاهب في أقوال أربعة … جاؤوا على أثر السباق وابتدروا

لما بنوا قبله عليا مذاهبهم … بنى وعمر منها مثل ما عمروا

مثل الأئمة قد أحيا زمانهم … كأنه كان فيهم وهو منتظر

أن يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ … فحقه الرفع أيضا أنه خبر

أمثله بينكم يلقى بمضيعة … حتى يطيح له عمدا دم هدر

يكون وهو أماني لغيركم … تنوبه منكم الأحداث والغير

والله لو أنه في أرضكم … لكان منكم على أبوابه زمر

مثل ابن تيمية ينسى بمحبسه … حتى يموت ولم يكحل به بصر

مثل ابن تيمية ترضى حواسده … بحبسه لكم في حبسه غدروا

مثل ابن تيمية في السجن معتقل … والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر

مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى … وليس يجلى قذى منه أو نظر

مثل ابن تيمية تذوي خمائله … وليس يلقط من أفنانه الزهر

مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى … وما بها الأصال والبكر

مثل ابن تيمية يمضي وما عبقت … بمسكه العاطر الأردان والطور

مثل ابن تيمية يمضي وما نهلت … له سيوف ولا خطية سمر

ولا تجارى له خيل مسومة … وجوه فرسانها الأوضاح والغرر

ولا تحف به الأبطال دائرة … كأنهم أنجم في وسطها قمر

ولا تعبس حرب في مواقعه … يوما ويضحك في أرجائها الظفر

حتى يقوم هذا الدين من ميل … ويستقيم على منهاجه البشر

بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا … يبلى اصطبارهم جهدا وهم صبر

تأس بالانبياء الطهر كم بلغت … فيهم مضرة أقوام وكم هجروا

في يوسف في دخول السجن منقبة … لمن يكابد من يلقى ويصطبر

ما أهملوا أبدا بل أمهلوا لمدى … والله يعقب تأييدا وينتصر

أيــذهب المنهل الصافي وما نقعت ... بــه الظمــاء ويبقى الحمأة الكدر
مضــى حمــيد ولم يعلــق به وضر ... وكلــهم وضــر في الناس أو ضرر
طــود مــن الحلــم يرقــى له فنن ... كأنمــا الطــود من أحجارة حجر
بحــر مــن العلم قد فاضت بقيته ... ففاضت الأبحر العظمى وما شعروا
يــا ليت شعرى هل في الحاسدين له ... نظــير في جمــيع القــوم إن ذكروا
هــل فيهم لحديث المصطفى أحد ... يميــز الــنقد أو يــروي لــه خبر
هــل فيهم من يضم البحث في نظر ... أو مــثله مــن يضم البحث والنظر
هــلا جمعــتم لــه قــومكم ملأ ... كفعــل فرعون مع موسى ليعتذروا
قولــوا لهــم قال هذا فابحثوا معه ... قدامــنا وانظروا الحمال إن قدروا
يلقــى الأباطــيل أسحارا لها دهش ... فلــيلقف الحق ما قالوا وما سحروا
فليــتهم مــثل ذلك الرهط من ملأ ... حــتى يكــون لكم في شأنهم عبر
و ليــتهم أذعــنوا للحــق مثلهم ... فآمــنوا كلــهم من بعد ما كفروا
يــا طالمــا نفــروا عــنه مجانــبة ... وليــتهم نفعــوا في الضيم أو نفروا
هــل فــيهم صــادع للحق مقوله ... أو خــائض للوغى والحرب تستعر
رمــى إلى نحــو غــازان مواجهة ... ســهامه مــن دعــاء عونه القدر
بــتل راهــط والأعــداء قد غلبوا ... علــى الشــام وطال الشر والشرر
وشــق في المرج والأسياف مصلتة ... طــوائفا كلــها أو بعضــها تتــر
هــذا وأعــداؤه في الدور أشجعهم ... مــثل النســاء بظــل الباب مستتر
وبعــدها كســروان والجــال وقد ... أقــام أطــوادها والطــود منفطر
واســتحد القوم بالاسياف جهدهم ... وطالمــا بطــروا طغي وما نظروا
قالــوا قــبرناه قلــنا إن ذا عجب ... حقــا للكــوكب الدري قد قبروا
ولــيس يــذهب معــنى منــتقد ... وإنمــا تــذهب الأجسام والصور
لم يــبكه نــدما من لم يصب دما ... يجــرى بــه ديمــا تهمي وتنهمر

لهفي عليك أبا العباس كم كرم — لما قضيت قضى من عمره العمر
سقى ثراك من الوسمي صيبه — وزار مغناك قطر كله قطر
ولا يزال له برق يغازله — حلو المراشف في أجفانه حور
لفقد مثلك يا من ما له مثل — تأسى المحاريب والآيات والصور
يا وارثا من علوم الأنبياء نهى — أورثت قلبي نارا وقدها الفكر
يا واحدا لست أستثني به أحد — من الأنام ولا أبقي ولا أذر
يا عالما بقول الفقه أجمعها — أعنك تحفظ زلات كما ذكروا
يا قامع البدع اللاتي تجنبها — أهل الزمان وهذا البلد والحضر
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم — من الطريق فلا حاروا ولا سهروا
ألم تكن للنصارى واليهود معا — مجادلا إذا هم في البحث قد حضروا
وكم فتى جاهل غر أبنت له — رشد المقال فزال الجهل والغرر
ما أنكروا منك إلا أنهم جهلوا — عظيم قدرك لكن ساعد القدر
قالوا بأنك قد أخطات مسألة — و قد يكون فهلا منك تغتفر
غلطت في الدهر أو أخطات واحدة — أما أجهدت إصابات فتعتذر
ومن يكن على التحقيق مجتهدا — له الثواب على الحالين لا وزر
ألم تكن بأحاديث النبي إذا — سئلت تعرف ما تبقي و ما تذر
حاشاك من شبهة فيها ومن شبه — كلاهما منك لا يبقى له أثر
عليك في البحث أن تبدي غوامضه — وما عليك إذا لم تفهم البقر
قدمت لله ما قدمت من عمل — وما عليك بهم ذموك أو شكروا
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى — ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر
و كيف تحذر من شيء تزل به — أنت التقي فماذا الخوف والحذر

(ومنها) للعلامة أبي حفص عمر بن الوردي الشافعي[1] ناظم البهجة عليه الرحمة

---

(١) ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، أبو حفص، زيد الدين بن الوردي =

قلوب الناس قاسية سلاط ... وليس لها إلى العليا نشاط

أينشط قط بعد وفاة حبر ... لنا من نثر جوهره التقاط

تقي الدين ذو ورع وعلم ... خروق المعضلات به تخاط

تُوفي وهو مسجون فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به أحاطوا

قضى نحبا وليس له قرين ... ولا لنظيره لف القماط

فتى في علمه أضحى فريدا ... وحل المشكلات به نياط

وكان إلى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقا فسقطوا ولاطوا

وكان الجن تفرق من سطاه ... بوعظ للقلوب هو السياط

فيا لله ما قد ضم لحد ... ويا لله ما غطى البلاط

هم حسدوه لما لم ينالوا ... مناقبه فقد مكروا وشاطوا

وكانوا عن طريقته كسالى ... ولكن في أذاه لهم نشاط

وحبس الدر في الأصداف فخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي له اقتداء ... فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

بنو تيمية كانوا فبانوا ... نجوم العلم أدركها انهباط

ولكن يا ندامة حاسديه ... فشك الشرك كان به يماط

ويا فرح اليهود بما فعلتم ... فإن الضد يعجبه الخباط

ألم يك فيكم رجل رشيد ... يرى سجن الإمام فيستشاط

إمام لا ولاية كان يرجو ... ولا وقف عليه ولا رباط

ولا جاراكم في كسب مال ... ولم يعهد له بكم اختلاط

= المصري الكندي. (٦٩١ ــ ٧٤٩ هـ)، شاعر، أديب، مؤرخ. ولي القضاء بمنبج وتوفي بحلب، فوات الوفيات ٢ / ١١٦، أعلام النبلاء ٥ / ٣، الأعلام ٥ / ٦٧.

ففــيم ســجنتموه وغظــتموه أمــا لجــزا أذيــته اشــتراط

وســجن الشــيخ لا يرضاه مثلي ففــيه لقــدر مــثلكم انحطــاط

أمــا و الله لــولا كــتم ســري وخــوف الشــر لانحــل الرباط

وكــنت أقــول ما عندي ولكن لأهــل العلــم مــا حسن استطاط

فمــا أحــد إلى الإنصاف يدعو وكــل في هــواه لــه انخــراط

ســيظهر قصــدكم يــا حابسيه ويهنــيكم إذا نصــب الصــراط

فهــا هو مات عنكم واسترحتم فعاطــوا مــا أردتم أن تعاطــوا

وحلــوا واعقــدوا مــن غير رد علــيكم وانطــوى ذاك البســاط

(ومما ينسب اليه أيضا)

كان والله فقيها عالما ذا عفــاف و تقــى مــا يــتهم

غير لم يدر مداراة الورى ومــداراة الــورى أمــر مهــم

(ومنها) للشيخ الإمام محمد العراقي الجزائري[1] رضي الله تعالى عنه آمين

عــزّ عــندى يــوم الــرحيل العزاء لنعــي فــيها الدمــوع دمــاء

طــرق الخــافقين خطــب جســيم أطــرقت مــنه في الورى العلماء

خفــت أن تــرهق الســماء وكادت تــرجف الارض أو تمــور السماء

فقــد المســلمون قطــب المعــالي فبكــته الأغــوات والأولــياء

كســف الــنيرين فقــدك يــا أحمد حقــا وغابــت الجــوزاء

أظلمــت جلــق الــتي كــنت فيها وأضــاءت بغــيرك البــيداء

يــا طلــيق اللســان في كــل فــن فلقــد شــرفت بــك العلــياء

إن تكــن مــت فالعلوم التي أحييت مــن بعــد مــوتها أحــياء

مــدحت فهمــك الحــروف جلالا و كــذاك الأفعــال والأسمــاء

يــا مــزيل الإشــكال عن كل فهم ولــه عــن كــل زلــة إغضــاء

---

(١) سبق ذكره.

لا الصباح صباح بعدك عندي في ضياء ولا المساء مساء
ما حضرت الجدال بين أناس يقرؤن الحديث إلا وفاءوا
أنت صخر الوجود في كل أرض والبرايا جميعها الخنساء
من لعلم التفسير فيما رواه جابر أو مجاهد أو عطاء
عطلت بعدك الدروس فما فيها لرب الفهم السقيم شفاء
من لعلم الفتيا إذا اشتبه الأ مر وحارت في ردها الأذكياء
من لعلم الحديث بعدك فيما قاله الواصفون والأتقياء
طاهر الأصل كم حويت خصالا قصرت عن فروعها الفصحاء
من تكن هذه السجايا سجاياه فلا تشتفي به الأعداء
كل ميت يكون مثل تقي الدين فالموت عنده إحياء
أيها القبر إن فيك لبحرا جللته مهابة وضياء
وجلال وعفة ووقار وجمال وبهجة وسناء
تعست ليلة الفراق وغابت أنجم أشرقت لها لألآء
نعت الناعيات نعيك في الأ فق وناحت في دوحها الورقاء
أيها الحبر أوحش الآن ربع كنت فيه ومنزل وفاء
هان قدر الحمراء عندكِ مِنْ زهدك واستحقرت لك البيضاء
ونبذت الدنيا فعشت فقيرا بصفات تودها الأغنياء
يا ابن تيمية الذي حزن الدهر عليه وغاضت الأنواء
كنت إنسان عين دهرك لا تعرف حقا إلا لك الأشياء
خضت بحرًا ما فيه إلا إمام ذو اجتهاد ولكن عداك العداء
كنت في ذروة السنام من العلم وما قلت للأنام سواء
ضاق ذرع الزمان منك فناء ليت شعري هل ضاق منك الفضاء
وإذا حلت المنية يومًا بنفيس فليس يغني الإساء

نضــر الله وجهــك يا حسن المنظر | يــا مــن لــه السـنى والسـناء
وســقى الله روضـــة أنــت فــيها | ســاريات تجــري بهــا النكــباء
وعـــلا قــبرك الــنجار فقيصــوم | ورنـــد وفـــاح مـــنه الكـــباء
رضـــي الله عـــنك حـــيًا وميـــتًا | وســقى ربعــك المصــون الحياء
قســمًا بالإلـــه لـــو أنصـــف الدهر | لأضـــحى في كـــل بـــيت عـــزاء

(ومنها للشيخ علاء الدين بن غنام[1] رحمه الله تعالى)

أي حـــبر مضـــى وأي إمـــام | فجعـــت فـــيه ملـــة الإســـلام
ابـــن تيمـــية التقـــي إمـــام العصر | مـــن كـــان شـــامة في الشـــام
بحر علم قد غاض من بعد ما فاض | نـــــداه وعـــــم بالإنعـــــام
زاهـــد عابـــد تـــنزه في دنـــياه | عمـــا بهـــا مـــن حطـــام
كـــان كـــنزًا لكـــل طالـــب علم | ولمـــن خـــاف أن يـــرى في حرام
ولعـــاف قـــد جاء يشكو من الفقر | لديـــه يـــنال كـــل مـــرام
حـــاز علمًـــا فمـــا لـــه من مساو | فـــيه مـــن عـــالم ولا مـــن مســـام
لم يكـــن في الدنـــيا مـــن نظـــير | في جمـــيع العلـــوم والأحكـــام
كـــم له في حنادس الخطب والناس | نـــيام حـــتى الضـــحى مـــن قـــيام
وجمـــيع الأنـــام مـــن شدة الخوف | نـــيام مـــن الـــردى في مـــنام
وبـــنو فـــارس قـــد افترسوا الناس | افتـــراس الأســـود ســـرح الحوامي
ودمشـــق الشـــام بعـــد انبســـاط | مـــن ضـــواحي رستاقها في انضمام
إذ غـــزانا علـــى العلـــوج غـــزاة | وغـــزانا مـــن فـــارس بالطغـــام
فأعـــاد العزيـــز مـــنا ذلـــيلا | ذا صـــغار يـــنقاد كالأنعـــام
فنضـــاه الجـــبار جـــل ثـــناه | في وجـــوه العـــدا كحـــد الحســـام

---

(١) ابن غنام، إبراهيم بن يحيى بن غنام، أبو طاهر الحراني المقدسي النميري (٠٠٠ - نحو ٧٧٩ هـ) فقيه حنبلي. بارع في تفسير الأحلام ، شذرات الذهب ٦/٢٦٥، الأعلام ١/٨٠ .

فحمانا بالله من كل طاغ ... لا برمح وصارم وحسام

يا له حين فر كل كمي ... من حماة الإسلام عنا يحامي

يا ابن تيمية عليك خصوصًا ... وعمومًا تحيتي وسلامي

يا سليل العلى عليك القوافي ... قد بكت في الطروس والأقلام

يا فقيد المثال علمًا وحلمًا ... وقريب المرمى بعيد المرام

يا بطيء الحجام إن عز خطب ... وكثير القيام جنح الظلام

كف طرفي إن لذ من بعد إلا ... ترك أجفانه لذيذ المنام

وبودي لفقد شخصك لو حام ... على أيكة حمام حمامي

ولعمري يا من له في فؤادي ... لحد ذكر دوامه في دوامي

إن حللت الثرى فروحك حلت ... يا ابن عبدالسلام دار السلام

فسقى تربة حواك ثراها ... كل مزن بوابل ورهام

وإذا سحت السواري بسح ... والغوادي جدناك بالدمع دام

(ومنها لمحمود بن الأثير الحلبي[1] عليه الرحمة)

يا دموعي سحي كسح الغمام ... هاطلات على الخدود سجام

لفراق الشيخ الإمام المفدى ... ابن تيمية ونجل الكرام

زاهد عابد تقي نقي ... فهمه لا يقاس بالأفهام

ابن تيمية يتيمة دهر ... ما له من مساوم ومسام

فجعت فيه أهل كل البرايا ... جمعها للعلوم والأحكام

أوحد في العلوم والفضل والزهد ... لا يرائى في ملة الإسلام

بحر علم يغوص كل لبيب ... في معانيه حار كل الأنام

فاق بالعلم والفضائل للخلق ... فأضحى إمام كل إمام

إن يكن غاب شخصه وتوارى ... ومضت روحه لدار السلام

---

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

فمناقبه والفضائل تبقى … في ممر الدهور والأعوام
سيد قد علا بعلم وحلم … فعداه لديه كالأنعام
كم رماه الحساد بالكيد والبغي … وهو لا ينثني عن الإقدام
طالب الحق لا يخاف لحنق … وهو يحمي عن ذروة الإسلام
لا يخاف الملوك أيضًا ولا الخلق … ولا العداة ولا اللوام
صدره للعلوم والقلب للرب … ويداه للبذل والإنعام
لا تلمني على المديح ودعني … فهو شيخي وبغيتي ومرامي
كل من مات في هواه بوجد … ما عليه في حتفه من ملام

(ومنها للشيخ الإمام زين الدين عمر بن الحسام الشبيلي[1] رحمه الله تعالى)

لو كان يقنعني عليك بكائي … لجرت سوابق عبرتي بدماء
أو كنت في يوم انتقالك للبلى … صخرًا لزدت على بكا الخنساء
لكن أصبر عنك نفسي كاتمًا … للحزن خوف شماتة الأعداء
أترى علمت وأنت أفضل عالم … ما عندنا من لوعة وبلاء
أسفي على تلك الديانة والتقى … والجود إذن شمله بتناء
أسفي عليك وما التأسف نافع … صبا عليك مفلفل الأحشاء
أسفي عليك نفى الكرى عن ناظري … من فرط أحزان وفرط عناء
غاضت بحار العلم بعدك والورى … في غفلة يا سيد العلماء
بأبي وحيدًا مات منفردًا عن … الأحباب كان بقية الصلحاء
بحر العلوم حوى الفضائل كلها … وسما سمو كواكب الجوزاء
متفرد في كل علم دونه … لعلو رتبته ذرى العلياء
بالفضل قد شهدت له أعداؤه … وبه سما فضلا على النظراء

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

شـيخ العلـوم وتابع السلف الألى ... تـبعوا الرسـول بشـدة ورخـاء
وإمـام أهـل الأرض والمبدي لهم ... سـنن الهـدى عـن صحة الأنباء
ذو الصالحات وذو الشجاعة والتقى ... والجـود والـبركات والآلاء
مـن كـان لا يـثني لطلب جوده ... حـتى يـبلغه لكـل رجـاء
يجفـو المضـاجع راكعًا أو ساجدًا ... أو ذاكـرًا لله في الظلمـاء
كالصـبر في حـنك العـدو مذاقه ... وألـذ مـن شـهد إلى الجلسـاء
المـانح البحـر الغمام العالم الحبر ... الإمـام وحجـة الفقهـاء
الواهب المال الجزيل وغامر الضيف ... النزيـل بوافـر الـنعماء
المحسن الكافي السؤال وحاسم الداء ... العضـال وكاشـف الغمـاء
صـدر المـدارس والمجـالس أحمد ... المحمـود في عـود وفي إبـداء
وإذا المسـائل في الفتاوى أفحمت ... أهـل العلـوم وحجـبت بخفـاء
وأنـت تقي الدين أظهر ما اختفى ... مـنها وأبـداه لعـين الرائـي
فـيرى سـهاها في الخفاء بكشفه ... كالشـمس مشـرقة بصـحو سماء
ويـرى البصـير الحـق فيما قاله ... والحـق لا يخفـى علـى البصراء
سـجنوه خشـية أن يـرى متبدلا ... صـونًا فـنال مـنازل الشـهداء
للمؤمـنين لـه وعـند عـدوهم ... ذل الكـثير وعـزة الخلفـاء
في المحـدثين أتـى بفضـل باهـر ... ومـناقب أربـت علـى القـدماء
أي خاشـع أي شـاكر أي ذاكـر ... لله في الإصـباح والامسـاء
أي زاهـد أي حامـد أي بـاذل ... للمسـلمين نصـائح النصـحاء
خـير الصـفات صـفاته وثـناؤه ... بالجـود بـين الـناس خـير ثـناء
ويظـل يسـأل جـوده عن سائل ... ذي فاقـة ليـبره بعطـاء
وتـراه يشـرق وجهـه مـتهللاً ... للسـائلين لـه شـروق ذكـاء
بـادي التبسـم عـند بـذل نواله ... لطفًـا إلى الفقـراء والضـعفاء

أزرى علــى فضــل البرامكة الألى وطــوت مكارمــه حديث الطائي

مــن جــاء يســأله يشــاهد عنده بــذل الملــوك وعيشــة الفقــراء

يــربى علــى سح السحائب جوده وكــذا تكــون مــواهب الكرماء

والجــود يــرفع أهلــه بين الورى أبــدًا ويهــوي الــبخل بالــبخلاء

ولــه إذا صــدم القــتال شجاعة قامــت بنصــر الــدين في الهيجاء

ســل عــنه غازانــا وســل أمراءه لمــا أتــوا بطلائــع الإســراء

والمغــل قــد ملكوا البلاد وأهلها كــم قــرّ مــن عــات بغير عناء

وكــذا تعجــب والتــتار قد أقبلوا بــالطم في اســم بغــير مــراء

والمســلمون على النزل قد أجمعوا والمغــل عــنهم نظــرة للرائــي

مــن حرض السلطان والأمرا على تــرك الــنزول ســواه عــند مساء

قــال اثبــتوا فلكم دليل النصر قد وافى فكــان النصــر عــند لقــاء

وأتــى جــبال الكســروان فآذنت بــدمارها مــن بعــد طــول بغاء

ولــه بكــل مديــنة ذكــر أتــى كالمســك فهــو معطــر الأرجاء

ســير إذا نظمتها سارت بها الركبان دون قصــــائد الشــــعراء

واذا إمــام المســلمين وشــيخهم ولي وعــز علــى عــزاه عزائــي

أدعــو إلــه العــرش يجمــع بيننا في جــنة الفــردوس فهــو رجائي

وعلــيه مــن رب الســماء تحــية تبقــى لــه أيضًــا بغــير فــناء

(منها للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم البغدادي الحنبلي المعروف بابن الحصري[1])

عــش مــا تشــاء فإن آخره الفنا المــوت مــا لا بــد منه ولا غنى

---

(١) عبد الصمد الحصري، عبدالصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي الحنبلي، ابن الحصري، جمال الدين، أبو أحمد (٠٠٠ - ٧٦٥ هـ) واعظ، محدث، خطيب، شاعر، مفسر، تُوفي ببغداد ، الدرر الكامنة ٢ / ٣٦٧ ، معجم المؤلفين ٥ / ٢٣٣.

والدهر إن يوما أعان فطالما ... بالسوء عان فعونه عين العنا

لا بد من يوم يسوءك حتفه ... حتمًا نأى الأجل المقدر أو دنا

للنفس سهم من سهام نوائب ... يرمي فيصمي من هناك ومن هنا

من غره الأمد المقدر فاته ... عز لان طعامه لن يهتنا

شمس الحياة بضيفن ومشيبه ... ضيف يجر من المنية ضيفنا

من حين أوجد كان نفس وجوده ... في الكون بالعدم المحقق مؤذنا

يا من يعد الدهر صاحب دهره ... ويعد فيه للإقامة موطنًا

أو ما رأيت الموت كيف سطا بمن ... في الخلق عن محض العلوم تكونا

ندب مباح الصدر حظر بعده ... فلم استحال وكان شيئًا ممكنا

بذأ الأنام مع التداني فضله ... إذ لم يكن بسوى التقى متزينًا

ترك الجميع على الجموع فلم يهب ... تلك الجموع ولا استراب ولا ونا

ولكم مقامات له في الحق لا ... بيض الظبا يخشى ولا سمر القنا

بالعرف يأمر ناهيًا عن منكر ... متقربًا وهو البعيد عن الخنا

ما حال عن نهج الصواب ولا اعتدى ... وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى

أما تبارزه تجده مبرزًا ... في أى علم شئت حبرًا متقنًا

وإذا تجاريه فماء السيل إن ... لما جرى في بحثه متفننًا

متزهدًا متعبدًا متهجدًا ... متخشعًا متورعًا متدينا

في كل عصر سيد هو حجة الباري ... على كل الخلائق في الدنا

وترى أحق من استحق محامدًا ... من للإمامة لم يزل متعينا

شيخ الأنام وحجة الإسلام من ... أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى

أعني أبا العباس أحمد بل ... تقي الدين حقًا والعليم الممعنا

في الله ليس يخاف لومة لائم ... ويرى السنوى فيها نهايات المنى

لما تحقق أن كل مخلوق ... يفنى وإن كان النفيس المثمنا

لم يدخر قوتًا لأجل غد ولا ... أبقى له إرثًا سوى حسن الثنا
صدر حوى في صدره لكماله ... من كل علم معنوى معدنا
ظهرت إمارات الولاية بعده ... وإنثال ينصح بالحقائق موقنا
واسمع مقالة أحمد متوعدًا ... أعداؤه يوم الجنائز بيننا
فأحق ما يبكي عليه فقده ... ما موت هذا الحبر رزًا هينا
فيض النفوس يقل فيه تأسفًا ... وأعن عيونًا فض فيه أعينا
يا من أعاد أولى التشدق علمه ... خرسًا وانطلق بالثناء ألسنا
يا دوحة الفضل التي في أصلها ... طيب وزاكى أصلها حلو الجنا
يا حبر بل يا بحر كم حيرت من ... حبر فصير ذا الفصاحة ألكنا
يا خاتم الفضلاء علمك معجز ... بهر الورى فصددت عنه مؤمنا
إن كان ذا حفظًا فوقتك ضيق ... عنه ولو كان الزمان له إنا
لكنه من فضل من هو قاذف ... بالحق من نور الولاية وألسنا
أسست بنيانًا على تقوى ورضوان ... فللأسمى قد ارتفع البنا
غبرت يا من لا يشق غباره ... في أوجه الفضلاء قدما قبلنا
جاهدت في ذات المهيمن صابرًا ... عند الأذى فاتت بشارات الهنا
إن الذين يجاهدون عدونا ... فينا لنهديهم إلينا سبلنا
والله قد أثنى على العلماء في ... نص الكتاب وأنت أولى من عنى
لا غرو إن كنت ابتليت بحاسد ... فالحر ممتحن بأولاد الزنا
أشكو إليك وأنت أصل شكايتي ... من فرط ضر في افتقارك مسنا
قد عبرت عبراتنا عن حزننا ... وبما نجنُّ من الجوى نطق الضنا
سقيًا لتلك الروح من سحب الرضا ... وتبوأت جنات عدن مسكنا
لو كان فيها الموت يقبل فدية ... كان الأنام فدى أولهم أنا

(ومنها للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الكريم بن أنوشروان التبريزي[١] الحنفي رحمه الله)

صبرًا جميلاً فالمصاب كبير ... كادت جبال الأرض منه تمور

وجسيم خطب قد علا كل الورى ... فقد الضياء وأظلم الديجور

وانهد ركن فضائل وفواضل ... فعليها ركن الأسى معمور

وعلى تقي الدين أحزان الورى ... لسحائب الدمع الغزير تثير

لولا ابتغاء الأجر لم يحمد على ... صبر على هذا المصاب صبور

أفلت شموس المكرمات وأظلم ... الشام المنير وزال عنه النور

نور الفتى التيمي والقطب الذي ... فلك العلوم عليه كان يدور

حبر به كان الزمان ومن به ... يزهو ويشرق في الدجى وينير

علم التعبد والتزهد والتقى ... في سائر الدنيا له منشور

ورسوخه في كل علم نافع ... فحديثه بين الورى مشهور

قد كان صدرا في الصدور فمذ نأى ... ضاقت على صدر الصدور صدور

لا غرو أن فاضت عليه الأرض مدامع ... حسرا وأن قصمت عليه ظهور

تبكي السماء عليه والأرض التي ... بصفائها لفراقه تكدير

وبكى مصلاه ومنبره وموضع ... درسه والجامع المعمور

وبكى الغمام لفقده وتفطرت ... أعين تجري عليه صخور

وكذلك ربات الخدور بكينه ... وتهتكت منها عليه ستور

نشرت له العذبات بانات اللوى ... عوض الشعور وما لهن شعور

وعليه حن على الأراك حمائم ... يندبنه أسفا وهن طيور

فالصب إن صب المدامع بعد من ... يهوى ومات فإنه معذور

والناس في حزن عليه وإنه ... عبد بلقيا ربه مسرور

---

(١) لم يتم العثور على ترجمته.

غـــار الإلـــه علـــيه مـــن أغـــياره فـــزاره عـــنهم والمحـــب غـــيور
فخـــلا بـــه يـــتلو علـــيه كلامـــه ولـــه الحبـــيب مـــؤانس وسمـــير
حـــتى إذا اشـــتد التشـــوق زفـــه زف العـــروس وذيلـــها مجـــرور
وشـــعار كـــل مشـــيع لســـريره التســـبيح والتهلـــيل والتكـــبير
ولقـــد ســـرى فـــوق الرقاب سريره فعجـــبت كـــيف الراســـيات تســـير
مـــا كـــنت أعلـــم قـــبل يـــوم وفاته أن الـــبحار الزاخـــرات تغـــور
ولقـــد ســـرت لســـريره لمـــا سرى ســـير لهـــا حـــتى النشـــور نشـــور
تفـــنى اللـــيالي و الـــزمان وذكـــره مـــتجدد بـــين الـــورى مذكـــور
قـــد كـــان في الدنـــيا هـــلالا لائحا كـــل إلـــيه بالبـــنان يشـــير
وكـــذا جـــنازته تعـــالى الله لم ينظـــر لهـــا في العـــالمين نظـــير
ومـــن العجائـــب أنهـــا نطقـــت على صـــمت بمـــا هـــو كـــامن مســـتور
إن الشـــيخ للجـــنازة لم يعـــد إلا وســـائر ذنـــبه مغفـــور
هـــذا هـــو الفضـــل المـــبين وهـــذه نعـــم علـــيها ربـــنا مشـــكور
لا أوحـــش الله الوجـــود مـــن الذي أنســـت بـــه في الموحشـــات قـــبور
وإلى جـــنان الله راحـــت روحـــه يلقـــاه مـــنها بهجـــة وســـرور
طـــوبى لمـــيت جـــاور القـــبر الذي فـــيه فـــتى تيمـــية مقـــبور
بـــل فـــاز نـــزال ثـــووا بجـــنابه إن الكـــريم نـــزيله مغفـــور
فيـــنال حـــتى الحشـــر مـــن بـــركاته وعلـــيه تـــنزل رحمـــة وحـــبور
يـــا رب فاجمـــع بينـــنا في جـــنة المـــأوى فأنـــت لمـــا تشـــاء قديـــر

(وله رحمه الله تعالى)

عـــم المصـــاب فـــلا تبكوا بغير دم علـــى ابـــن تـــيمة ذي العلـــم والحكـــم
حـــبر الـــبرية ولى وهـــو في دعـــه وكـــل جفـــن فـــلا يبكـــي علـــيه عمى
لـــو أن كـــل تقـــي في الأنـــام فدي نفـــس الإمـــام تقـــي الـــدين لم يلـــم

إذا تذكره من كان يألفه يهزه الشوق من فرق إلى قدم

يا ثلمة ثلمت في الدين واتسعت فليست حتى اللقا والحشر تلتئم

هيهات هل تسمح الدنيا بمثل فتى تيمية أو يرى في عالم الحلم

كانت به تفخر الدنيا وقد بقيت به تفاخر أجداث وذو رمم

فالعلم والحلم والتقوى بهن غدا في الناس أشهر من نار على علم

والزهد في زخرف الدنيا وزينتها من وصفه كان مضموما إلى حلم

مولى على حبه الأرواح قد جبلت ولست في القول والدعوى بمتهم

ما ذاك إلا لما قد كان خصصه به الإله من الأخلاق والشيم

من للمسائل قد أعيت فيوضحها وضوح برق لموع لاح في الظلم

كا بحر يزخر إن بث العلوم وكالسيل الذي مده صوب من الغمم

ما أن رؤي أبهى من جنازته لما استقلت على الأعناق والقمم

وحوله وهو يجلى كالعروس على سريرة أمم ناهيك من أمم

أظمى الأنام إليه حجبه فبدا على السرير فرواهم بدمعهم

بكى عليه مصلاه ومنبره وفي الخدور بكته أعين الحرم

والأرض تبكي عليه والسماء كذا قد جاء عن سيد الأعراب والعجم

لأنه العالم الحبر الذي أبدا تتلى مناقبه جهرا بكل فم

هذا هو المجد حق الافتخار به لا بالتكاثر والأموال والحشم

يا جنة الخلد وافيه مزخرفة وأنت يا دار أشواق الورى اضطرمي

ويا شموس العلى غيبي لغيبته ويا مباني المعالي بعده انهدمي

فأعظم الله أجر الفاقدين له الواجدين ذوي الإخلاص والكرم

وأكرم الله مثواه ومضجعه بوابل من سحاب الجود منسجم

وهي طويلة أربعة و ثلاثون بيتًا، وله في الشيخ مراثي أخر، وللفاضل برهان الدين ولد

شهاب الدين التبريزي النفي[1] المتقدم ذكره عليهما الرحمة.

وجـــودي بسجم الدمع يا مقلة العاني إلى أن تـــروي الأرض من فيض أجفاني

وذق يـــا فـــؤادي كـــل يـــوم وليلة مـــرارة أشـــواق ولـــوعة أشـــجاني

إلى أن أرى وجـــه ابـــن تيمـــية الذي بـــه الله مـــن أهـــل الضـــلالة نجـــاني

ومـــن لي بـــأن ألقاه والموت قد أتى فغيـــبه في التـــراب عـــن كـــل إنسان

فـــيا وحشـــة الدنـــيا لا نـــوار وجهه ويـــا لهـــف إخـــوان علـــيه وجـــيران

يحـــق لعـــين لا ترجـــى لقـــاءه إلى الحشـــر أن يـــنهل مـــدمعها ألقاني

لقـــد عـــم أهـــل الارض رزء مصابه ولم يـــنج فـــيهم مـــنه قـــاص ولا دان

لقـــد كـــان في الدنـــيا به ذات بهجة ونـــور وإشـــراق وروح وريحـــان

ومـــا كـــان إلا آيـــة في زمانـــه وفي كـــل فضـــل حـــاز لـــيس له ثان

إمـــام هـــدى يدعـــو إلى ســـبيل ربه دعـــاء نصـــوح مشـــفق غـــير خوان

فمذهـــبه مـــا جـــاء عن خير مرسل وأصـــحابه والـــتابعين بإحســـان

أتـــى بعلـــوم حـــيرت كـــل واصف علـــى أنـــه يهـــدي بهـــا كـــل حيران

فكـــم مـــبطل وافـــاه يبغـــي جداله فأنصـــفه في الـــبحث مـــن غير عدوان

ويكشـــف عـــنه شـــبهة بعـــد شبهة إلى أن يـــبين الحـــق أحســـن تبـــيان

فيصـــبح عـــن تلـــك المقالـــه مرضا ولـــو كـــان مـــن أحبار سوء ورهبان

يغـــار علـــى الإســـلام من كل بدعة ومـــا زال مـــنها هادمـــا كـــل بنيان

وفي الله لم تأخـــذه لـــومة لائـــم ولم يخـــش مخلـــوقا من الإنس والجان

ولم ينـــتقم في الدهـــر يـــوما لنفســـه و لكـــنه يـــؤذى فـــيعفو عـــن الجاني

وأمـــا ســـماح الكـــف فالبحـــر دونه ولم يـــك في بـــذل العطـــاء بمـــنان

ولـــو وزنـــوا أهـــل الشجاعة كلهم بـــه رجـــح الشـــجعان في كـــل ميزان

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

فمــن جاهــد الاعــداء في الدين مثله ومــن ســل سيف العزم في وجه غازان
ومــن قــال للناس اثبتوا يوم شقحب فــإن الأعــادي في انهــزام و خذلان
فمــن خشــى الرحمن بالغيب واتقى إلــه الــبرايا خافــه كــل ســلطان
وماضــره إن طــال في السجن مكثه إذا كــان في نســك وطاعــة الرحمٰن
منيــبا إلى مــولاه يقطــع وقــته بــنقل حــديث أو بتفســير قــرآن
ولم يــك مشــغوفا بحــب رياســة ولا شــد بغــلات وحســن غلمــان
ولا كــان مشــغولا بجــاه ومنصب ولارفــع بنــيان ولا غــرس بســتان
ولكــن بعلــم نافــع وعــبادة وزهــد وإخــلاص وصــبر وايمــان
وفي مــوته قــد كــان للــناس عبرة لمــا شــاهدوا مــن غير زور وبهتان
اذا انتشــروا مــثل الجــراد وكاد أن تــزيغ عقــول مــن رجــال ونسوان
وســار علــى أعــنقهم نحــو قبره يجــاور مــولى ذا امتــنان وغفــران
إلى الــذهب الغــالي دعــاه إلهــه وذاك لــه خــير مــن الخــزف الفاني
دعــاه إلى جــنات عــدن وطيــبها ومتعــته فــيها بحــور وولــدان
فنســأل رب العــرش يجمــع شملــنا بــه في جــنان الخلــد من قبل حرمان
ويجــبرنا بعــد انكســار قلوبــنا ويــروي بــرؤيا وجهــه كــل ظمآن

(ومــنها لــبعض الفضــلاء مــن جند مصر أرسلها بعد عرضها على الإمام أبي حيان النحوي)[(١)]

خطــب دهــا فبكــى لــه الإســلام وبكــت لعظــم بكائــه الأيــام
وبكــت لعــبرتها الســماء فأمطــرت في غــير فصــل تســمح الأعــوام
وبكــت لــه الأرض الجلــيدة بعدما أضــحى علــيها وحشــة وقــتام
وتزلــزلت كــل القلــوب لفقــده وتواتــرت مــن بعــده الآلام
وتفجــع الــدين القــويم لفقــده وبقــى غــريبا يبتلــى ويضــام

(١) سبق ذكره.

مــذمات ناصــره الــذي أوصــافه | أبــدا تكــون علــى ســواه حــرام
لتقـــي ديـــن الله وصـــف باهـــر | وخصـــائص خضـــعت لـــه الأفهـــام
ومـــواهب مـــن ذي الجـــلال تمـــده | ليـــتم فخـــر شـــامخ ومقـــام
وعـــزا تقـــي الـــدين أحمـــد مالـــه | حـــد فـــتحمل فقـــده الأجســـام
العـــالم الحـــبر الإمـــام ومـــن غـــدا | في راحتـــيه مـــن العلـــوم زمـــان
ذو المنصـــب الأعلـــى الذي نصبت له | في الأرض في أقطارهـــا الأعـــلام
بحـــر العلـــوم وكـــنز كـــل فضـــيلة | في الدهـــر فـــرد في الـــزمان إمـــام
حـــبر تخـــيره الإمـــام لديـــنه | خـــتم لأعـــلام الهـــدى وخـــتام
فـــوفى بأحكـــام الكـــتاب وكـــم له | في نصـــر توحـــيد الإلـــه قـــيام
والســـنة البيضـــاء أحـــيا ميـــتها | فغـــدا علـــيها حـــرمة و ذمـــام
وأمـــات مـــن بـــدع الضـــلال عوائد | لا يســـتطيع لـــدفعها الصمصـــام
أيـــن الفضـــائل والمعـــارف والـــذي | لا تهـــتدي لفـــنونه الأوهـــام
وأنالـــه رب الســـموات العلـــى | في العلـــم ســـيفا مـــا إلـــيه مـــرام
ونعـــوته في العلـــم قـــول محمـــد | صـــلى علـــيه الخالـــق العـــلام
إن المـــنزه ربـــنا ســـبحانه | يقضـــي بمـــا تأتـــى بـــه الأحكـــام
يـــبدي لكـــم في كـــل قـــرن قـــادم | للـــدين مـــن يهـــدي بـــه الأقـــوام
فلـــئن تأخـــر في القـــرون لـــثامن | فلقـــد تقـــدم في العلـــوم إمـــام
فـــاق القـــرون ســـوى الـــثلاث فإنها | خـــير القـــرون بـــربهن تمـــام
وســـوى ابـــن حنـــبل إنه علم الهدى | حـــبر إمـــام صـــابر قـــوام
لكـــن أحمـــد مـــثل أحمـــد قد حوى | علمـــا و زهـــدا في العلـــوم لـــوام
حـــدث بـــلا حـــرج وقل عن زهده | مـــا شـــئت لارد ولا آثـــام
هجـــر المطـــاعم والملابـــس والـــدنا | ولعـــزمه في تـــركها أحـــزام
تـــرك المآكـــل والمـــنام ولا يـــرى | لـــبني الـــدنا في قلـــبه إعظـــام

وتراه يصمت لا لعي دائما ... إلا لعلم يقتنى و يرام

واذا تكلم لا يراجع هيبة ... وسكينة وكلامه إبرام

ألقي عليه مهابة من ربه ... فخطابه الإجلال والإكرام

وإذا رأى فترى الرجال ذليلة ... فكأنها في نفسها أحلام

بشر يعظم بالقلوب وقدره ... أبدا يعظم بعد وهو غلام

منن يخص بها المهيمن من يشا ... من خلقه والجاهلون نيام

وجفا العباد لشغله بجبينه ... فوداده للأقربين سلام

وله مقام في الوصول لربه ... ومكانة نطقت بها الأقلام

وله فتوح من غيوب إلهه ... وتحزن وتمكن وكلام

وتصوف وتعشق وتعفف ... وقراءة وعبادة وصيام

وعناية وحماية ووقاية ... وصيانة وأمانة ومقام

وله كرامات سمت وتعددت ... ولها على مر الدهور دوام

من رد من أرض الشآم بعزمه ... من صد وجه الكفر وهو حسام

من رد غازان الهمام بحسرة ... من خلص الأسرى وهم أيتام

من قام بالفتح المبين مؤيدا ... في كسروان وهم طغاة عظام

من جد في بدع الضلالة حربه ... فإذا لهم بعد الرضاع فطام

من سار في سنن الرسول ونصرها ... حتى استقر لأمرهن نظام

من قام في خذل الصليب ودينه ... لما تداعوا للأنام وقاموا

فوهوا وردوا خائبين بذلة ... وعليهم فوق الوجوه ظلام

فالأمر بالمعروف يفقد بعده ... والفاعلون النكر ليس يلاموا

فكأن أشراط القيامة قد دنت ... وانحل من سرج الزمان حزام

فالعلم فينا يقبض دفعة ... كلا ولا يأتي حماه حمام

لكن بقبض الراسخين ذهابه ... وزواله وبقى رعاع طغام

لله ما لاقى تقي الدين من محن تتابعه وهن ضخام
ومكاره حفت بكل شديدة ومواقف زلت بها الأقدام
ومكايد نصبت له وحبائل قصدا إليه فزادها إقداما
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه بجنان ثبت ليس فيه مذام
وبسجنه و بحصره و نكاله حتى رئي العذال واللوام
فأراد رب العرش جل جلاله للقائد منذ خانه الإعدام
وأتاه آتي الموت يخطب نفسه فأجابه طوعا له القمقام
فخلت منابره وأوحش ربعه وتهدمت عند الرحيل خيام
وتفجعت كل القلوب لفقده وعدا عليها حسرة وسقام
ومضت جنازته الشريفة بعد ما سد المسالك صارخ وزحام
وأتت روايات الشآم بجمعها خبرا صحيحا ليس فيه كلام
إن الألى شهدوا الصلاة وشيعوا والله لا تحصيهم الأقلام
فعليه أفضل رحمة تهدى له ومن الإله تحية وسلام
ما دامت الأفلاك في دورانها أو ناح من فوق الغصون حمام

(ومنها للشيخ تقي الدين محمود بن علي الوقوقي البغداد المحدث[1] و لم ير الشيخ)

مضى عالم الدنيا الذي جل فقده وأضرم نار في الجوانح بعده
فدمعي طليق فوق خدي سلسل أكفكفه جنبا وجفني يرده
ويرجو التلاقي والفراق يصده وما حيلة الراجي إذا خاب قصده
مضى الطاهرالأثواب ذو العلم والحجى ولم يتدنس قط بالإثم برده
مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي أقر له بالعلم والفضل ضده
بكته بلاد الشام طرا وأهلها وجامعها وانماع للحزن صلده
يحن إليه في النهار صيامه ويشتاقه في ظلمة الليل ورده

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

ويبكـي لـه نـوع الكلام و جنسه ويـندبه فصـل الخطـاب وحـده
حمـى نفسـه الدنـيا وعـف تكرما ولمـا يصـعر لله نـيات خـده
ولم يجـتمع زوجـان مـن شهواتها لديـه وبـين الـناس قـد صح زهده
ويؤثـر عـن فقـر وفـيه قـناعة ويعجـبه مـن كـل شـيء أشـده
علـيم بمنسـوخ الحـديث وحكمه وناسـخه فخـر الـزمان ومجـده
قـؤول فعـول طـيب الخـيم طاهر إمـام لـه في كـل حكـم أشـده
فمـا قـال في دنياه هجرا ولا هوى ولا زاغ عـن حـق تـبين رشـده
علـوم كنشـر المسك من كل سيرة يسـدد ديـن المصـطفى ويجـده
فللـه مـا ضـم التـراب وما حوى مـن الفضـل فليفخر على الأرض لحده
فيانعشـه مـاذا حملـت مـن امرئ جمـيع الـورى فـيه وفـوقك فرده
وكـان لـنا بحـرا مـن العلم زاخرا فمـا نالـه لم يصـف من غاب ورده
ومـا مـات من تبقى التصانيف بعده مخلـدة والعلـم والفضـل ولـده
وخلـف آثـارا حسـانا حمـيدة إذا عـددت زادت علـى ماتعـده
ولسـت مطـيقا شـرح ذاك مفصلا ولكـن علـى الإجمـال يعكس طرده
لقـد فـارق الأصحاب منه مصاحبا يراعـي وداد الخـل أن خـان وده
قضـى نحـبه والله راض بفعلـه ولله فـيما قـد قضـى فـيه حمـده
يـدل تـراب القـبر مـن جاء زائرا إلـيه بطـيب فـيه بعـبق نـده
ولا تحسـبوا مـا فـاح عطر حنوطه ولكـنه حسـن الثـناء و مجـده
وكـان لأهـل العلـم تاجـا مكللا يحـوطهم مـن مـبطل طيف جعده
ومـا كـان إلا التـبر عـند امتحانه يـبين لعـين الحـاذق الـنقد نقـده
وكـان يقـول الحـق والحـق حلوه مريـر لهـذا كـان يكـره رده
وفي الحـق لم تأخـذه لـومة لائـم ولا خـاف مـن غمـر يسدد حرده
ومـا كان إلا السيف غارت يد العلى علـيه فـردته كمـا غـار غمـده

ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذي يروق لمن لم يونس الدهر رشده
لقد فقدت منه المحافل زينتها ولما يفارق علمه الجم وجده
وخضبت الأقلام بعد مداده عليه وما قد فاض في الطرس مده
فلله ما ضم الثرى من محقق ويالك من عضب قد تدقق حده
وكان إماما يستضاء بنوره وبحرا من الأفضال قد غيض عده
وكنت أرجي أن أراه ونلتقي ولكن قضاء الله من ذا يرده
ترى الموت مألوف الطباع وربما يعلل بالمألوف من لا يوده
فآه على تفريق شمل مجمع وحر فؤاد لا يؤمل برده
إلا أنها نفس وللنفس حسرة وقلب وقد يشجي و يضنيه وجده
ولست بناس عهد خل تغيب محاسنه والخلل يحفظ عهده
وما عذر جفن لا يجش بدمعه غداة نأي عنه الصديق ورفده
يروم الأماني والمنايا تصده وحيلة الراجي إذا خاب قصده
عليك يا أبا العباس فاضت مدامعي وقلبي ببعدي عنك رجح وقده
على مثلك الآن المرائي مباحة وإن غاض دمعي فالدماء تمده
شددت عرى الإسلام شدة عارف قوي على الأعداء لم يأل جهده
تركت لهم دنياهم ترك عالم علا قدره عند الإله ومجده
وكنت لمجموع الطوائف مقتدي وعقدا لهذا الدين أبرم عقده
وكنت ربيعا للمريد وعصمة فمذ صرت تحت الأرض صوح ورده
جمعت علوم الأولين مع التقى إلى الورع الشافي الذي شاع جهده
وكنت تقي الدين معني و صورة وقولا وخير القول عندك جده
رحلت وخلفت القلوب جريحة تذوب وجيش الصبر قد فلّ جنده
عليك سلام الله حيًّا و ميتا مدى ما بدى نجم وأشرق سعده

(وله أيضا رحمه الله تعالى)

قف بالربوع الهامدات وعدد ... واذر الدموع الجامدات وبدد

واحبس مطيك في المنازل ساعة ... واسأل ولا تك في سؤالك معتدي

واقطع علائقك التي هي فتنة ... واتبع سبيل أولي الهداية تهتدي

ودع صباك ودع أباطيل المنى ... واهجر دنيات الأمور وسدد

واقنع من الدنيا القليل ولازم ... الفعل الجميل وسر مسير مجرد

وتوخ فعل الخير واصحب أهله ... متجنبا متنحيا فعل الردى

لا تبقين مفارقا يبكي على ... أحبابه وارحمه إن لم تسعد

ودع المروع بالبعاد وعذله ... فالعدل أمضى من فعال مهند

ماذا الوقوف عن السرى وصحابنا ... ساروا و صاروا بالعراء الغرقد

لا اخضر بعدهم العقيق ولا شدت ... ورق الحمام فويق برقة ثهمد

أما أنا فلأبكين فإن ونى ... دمعي سفكت حشاشة القلب الصدي

أين المعين على الخطوب إذا عرت ... أين المساعد عند فقد المسعد

أو مادرى من كنت تعرف إذ مضى ... لسبيله في ضنك لحد موصد

أين المحامي عن شريعة أحمد ... أين المحقق نهج مذهب أحمد

مات الإمام العالم الحبر الذي ... يهدى علاه كل حبر يهتدي

من لليهود وللنصارى بعده ... يرميهم بمقالة المتشدد

سل عنه ديان اليهود أما غدا ... متلفعًا بصغاره المتهود

نشأت على فعل التقى أطواره ... فعنت له التقوى وأعطت عن يد

ورث الوهادة كابرًا عن كابر ... والعلم إرثًا سيدًا عن سيد

قف إن مررت بقاسيون على ثرى ... فيه ضريح العالم المتفرد

واعجب لقبر ضم قبرًا زاخرًا ... بالفضل يقذف بالعلى والسؤدد

بشر بشير بالغنى من جاءه ... يسر يسير فؤاد عان مُذ هدى

كانت به أرض الشآم أمينة ... من مبطل متهوك صل ردى

لــو تســتطيع بــنات نعــش أن ترى ... يــومًا يســير بــنعش مــيت ملحــد
مــات الــذي جمــع العلــوم إلى التقى ... والفضــل والــورع الصــحيح الجــيد
شــيخ الأنــام تقــي ديــن محمــد ... وجمــال مــذهب ذي الفضــائل أحمــد
ودعــت قلــبي يــوم جــاء بنعيــه ... فــتقاعدي يــا عــين بي أو فانجــدي
ســقت العهــاد عــراص قــبر حلــه ... جســد حــوى خلقًــا وحســن تــودد
مــن مــبلغ الــذال فــرط صــبابتي ... وتعلقــي يــوم الــنوى وتســهدي
مــا بعــد رزئــك في الــزمان رزيــة ... تصــمي المقاتــل بالفــراق لا تــدي
بــددت شمــل الملحــدين جمــيعهم ... وجمعــت شمــل ذوي التقــى المتــبدد
يــا مــن تــرى أقــواله مبيضــة ... في كــل ذي قــول ووجــه أســود
يــا كالــئ الإســلام مــن أعدائــه ... وسمــام كــل أخــي نفــاق ملحــد
يــا واحــد الدنــيا ويــا فــرد الورى ... أنــت الــذي جــددت ديــن محمــد

إلى أن قال

لله درك مــــن إمــــام كامــــل ... تقفــوا الأئمــة إثــره بــل تقــتدي
صــنفت كتــبًا قد حوت كل الهدى ... وبهــديها قــد ضــل مــن لا يهتدي
فــيها رددت علــى الفلاســفة الألى ... زاغــوا عــن الحــق الصــريح الأبدي
وكــذا علــى أهــل الكلام وحزبهم ... مــن كــل مبــتدع خــؤون معتدي
فعلــيك مــني ألــف ألــف تحــية ... تغشــى ضــريحك يــا قــرين الفرقد

(وللحافظ الذهبي[1] رحمه الله يرثي الشيخ)

يــا مــوت خــذ من أردت أو فدع ... محــوت رســم العلــوم والــورع
أخــذت شــيخ الإســلام وانفصمت ... عــرى التقــى واشــتفى أولــو البدع
غيــبت بحــرًا مفســرًا جــبلاً ... حــبرًا تقــيًا مجانــب الشــبع
فــإن يحــدث فمســلم ثقــة ... وإن يناظــر فصــاحب اللمــع

---

(١) سبق ذكره.

وإن يخض نحو سيبويه يفد ... بكل معنى في الفن مخترع
وصال عالي الإسناد حافظه ... كشعبة أو كسعيد الضبعي
والفقه فيه فكان مجتهدًا ... وذا جهاد عار من الجزع
وجوده الحاتمي مشتهر ... وزهده القادري في الطمع
أسكنه الله في الجنان ولا ... زال عليًا في أجمل الخلع
مع مالك والإمام أحمد ... والنعمان والشافعي والنخعي
مضى ابن تيمية وموعده ... مع خصمه يوم نفخة الفزع

(وقال أحد أدباء عصره)

أشكو إلى الله إلمام الملمات ... وما أقاسيه من حزن ولوعات
خف الخليط ودار القاطنين خلت ... وأقفرت منهم أرضى وساحاتي
وأقبلت يوم جد البين في حلل ... سود سليمي على تلك الليلات
يا أيها الصب لا تجزع على وطن ... فإن للدهر أطوارًا وحالات
وجمل النفس بالصبر الجميل ولا ... تذر الدموع على تلك الأويقات
ما كنت أعلم قربى في محبتهم ... حتى رمتني إلى الإبعاد راياتي
فاندب على ما مضى من عيشة ... وابك على ما جرى يا قلبي العاني
واذكر مصارع قوم كيف قد شربوا ... بعد الزلال بكاسات المنيات
وأنت من بعدهم تسري كسيرهم ... إما الدار هوان أو بجنات
أقول ما قاله العبد[1] المنيب وقد ... أودى به السجن في بر وطاعات

---

(١) يشير بذلك إلى قصيدة الشيخ التي قالها فى السجن ومطلعها

أنا الفقير إلى رب السموات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن جاءنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس فى دفع المضرات
وليس لى دونه مولى يدبرني ... ولا شفيع إلى رب السموات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

ما زال يتبع آثار الرسول على النهج / القويم بأعلام الدلالات
يهوى لسنته يعنى بشرعته / يرعى لحرمته في كل ساعات
قطب الزمان وتاج الناس كلهم / روح المعاني حوى كل العبادات
حبر الوجود فريد في معارفه / أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
حوى من المصطفى علمًا ومعرفة / وجاءه منه إمداد النوالات
ما جاءه سائل إلا ويمنحه / إما يجود وإما بالمدارات
ماذا أقول وقولي فيه منحصر / في وصف أخلاقه كلّت عباراتي
في علمه ما علمنا من يناسبه / إلا اعتناء أهل العنايات
في جوده ما وجدنا من يشاكله / غير البرامك كانوا في سعادات
في زهده ما سمعنا من يشاكله / إلا رجال مضوا أهل الكرامات
يجود وهو فقير إن ذا عجب / هذا الذي ما سمعنا في الحكايات
تلوح شمس المعالي في شمائله / وفي صفا وجهه نور الهدايات
بحر المعارف تاهوا في بدايته / أهل المعاني وأرباب النهايات
قطب الحقائق حاروا في فضائله / أهل التصوف أصحاب الرياضات
أعجوبة الدهر فرد في مظاهره / علامة الوقت في الماضي وفي الآتي
يا لهف قلبي على من كان مجمعنا / على فنون المعاني والإشارات
فارقت من كان يرويني برؤيته / إذا تبدى به أسر العبارات
يروي الأحاديث عن سكان كاظمة / فيطرب الكون من طيب الروايات
ويطنب الذكر في إحسان حسنهم / فيرقص القلب شوقاً نحو ساداتي
أفضى إلى الله والجنات مسكنه / عليه من ربه أزكى تحيات
ثم السلام على المختار ما همت / سحب الغمام وجادت بالزيادات
والحمد لله حمدًا لا انقطاع له / أرجو به من إلهي محو زلاتي

(قال العلامة الشيخ مرعي الحنبلي وهذا آخر ما أردنا جمعه من بعض مناقب شيخ

الإســـلام ابن تيمية وبعض مراثيه على سبيل التلخيص والاختصار رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به وأعاد علينا من بركته وبركات علومه آمين.. ثم قال.

خاتمه نصيحة موعظة

قد علمت أيدك الله مما مر من سيرة الشيخ ومناقبه، وغزارة علمه، وقوة جهاده، واتصافه بكـــل فعـــل جميل كشهادة الأئمة له، وثنائهم عليه نثرًا ونظمًا حيًا وميتًا، وأنه من كبار الأئمة المحققين وعلماء الأمة العاملين الراسخين، وأكابر الأولياء العارفين بشهادة الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي، حيث قالا إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي لاسيما وقد شهد له غير واحد من الأئمة، مع ما أعطاه الله من العلم والعمل والزهادة والعبادة، ووقوفه مع الكتاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد كائنًا من كان، كما مر في مناقبه، هذا وقد تكلم فيه وبغى عليه من لا يخاف الله، واستحل الوقوع في عرضه ونسبه لقبائح هو منها بريء، وترى كثيرًا من الجهلة المتهوكين ينسبونه بغير علم لما لا يحل لهم أن ينسبوا إليه أعظم الجاهلين، فكيف بمن هو من العلماء الراسخين وأئمة الدين، والذاب عن شريعة سيد المرسلين، أترى هذا المفتري لم يسمع (قول النبي ﷺ في خطبة الوداع إن دماءكم وأمـــوالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت) رواه البخارى ومسلم وروى مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (قال رسول الله ﷺ : كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) أو ما درى هذا المتهوك بلسانه قول الحافظ ابن عساكر: " لحوم العلماء مسمومة، وهتك أستار منتقصهم معلومة"، وقوله أيضًا لحوم العلماء سم، من شمها مرض، ومن ذاقها مات"، أو ما بلغ هذا المتجـــرئ أنه قد جاء النهي عن ذكر مساوئ الأموات، والأمر بذكر محاسنهم. فعن ابن عمـــر رضـــي الله عنهما قال (قال رسول الله ﷺ : "اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مســـاويهم) رواه أبو داود، والترمذى، وابن أبي الدنيا، وعن عائشة رضي الله عنها قالت (قال رسول الله ﷺ : "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" رواه الإمام أحمد، والـــبخاري، والنسائي، وفي رواية أخرى "لا تذكروا موتاكم إلا بخير إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه"، فلا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يثلم عرض أحد من المسلمين بما لا يليق فكيف بأئمة المسلمين وورثة النبـــيين، فكـــيف بالأمـــوات منهم![1] قال الشيخ تاج الدين السبكى: ينبغي لك أيها

---

(١) عجبًا للشيخ مرعي كيف يستدل على مطلبه هذا بقول ابن السبكي وهو ووالده وأضرابهم سنوا =

المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع جميع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلام الناس فيهم إلا ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن بحسب قدرتك فافعل، وإلا فاضرب صفحا عما جرى بينهم، فإنك يا أخي لم تخلق لمثل هذا، وإنما خلقت للاشتغال بما يعنيك من أمر دينك، قال ولا يزال الطالب نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين الأمة فتلحقه الكآبة وظلمة الوجه" انتهى. فإن طعن على الشيخ ابن تيمية رحمه الله من حيث العقيدة فعقيدته عقيدة السلف، كما وقع الاتفاق على ذلك وقت المناظرة، فليطعن على السلف من طعن فيه، وإن طعن عليه من حيث افتاؤه بمسألة الطلاق الثلاث في كونه أوقع من ثلاث طلقات مجموعة أو متفرقة، قيل رجعت طلقة واحدة فهو مجتهد ولا يجوز الطعن على المجتهد فيما ذهب إليه مما قام عليه الدليل عنده، بل يجب عليه العمل به على أن مسألة الطلاق قال بها غيره من أكابر الصحابة والتابعين كما هو مروي عن عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام،[(١)] وعبدالرحمن بن عوف،[(٢)] وابن مسعود، وابن عباس،[(٣)] وقال قوله ثلاث لا معنى له لأنه لم يطلق ثلاث مرات، وقال به عطاء،[(٤)] وطاوس،[(٥)] وعمرو بن دينار،[(٦)]

=

القدح فى شيخ الإسلام وتبعهم ابن حجر المكي ومن سن سنة سيئة فى الإسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ويقال لابن السبكي عامله الله بعدله

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

(١) الزبير بن العوام، الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبدالله ، (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ) ، الصحابي الشجاع - أحد العشرة المبشرين بالجنة - وأول من سلّ سيفه في الإسلام وهو ابن عمة النبى (ﷺ) ، صفة الصفوة ١/١٣٢، حلية الأولياء ١/٨٩، الأعلام ٣/٤٣.

(٢) عبد الرحمن بن عوف، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد الزهري القرشي ، (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ) ، صحابي. أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم. صفة الصفوة ١/١٣٥، حلية الأولياء ١/٩٨ ، الإصابة ت ٥١٧١ ، الأعلام ٣/٣٢١.

(٣) سبق ذكره.

(٤) عطاء ، حلية الأولياء ٣/٣٢٦ ، ٤ /٩.

(٥) طاوس ، حلية الأولياء ٣/٣٢٦ ، ٤ /٩.

(٦) عمر بن دينار، عمر بن دينار الجحمي بالولاء، أبو محمد الاثرم ، (٤٦ - ١٢٦ هـ) ، فقيه كان

=

وسعيد بن جبير،[١] وأبو الشعثاء،[٢] ومحمد بن إسحق،[٣] والحجاج بن أرطأه،[٤] وقال به من شيوخ قرطبة جماعة منهم محمد بن عبد الحسين[٥] فقيه عصره، وأصبغ بن الحباب وغيرهم (وإن كان الطعن) فيه من حيث تحريمه زيارة قبور الصالحين وغيرهم فهو كذب وإفتراء عليه فإنه لا يمنع ذلك، وإنما حكى قولين فيمن شد الرحال لزيارتها، ورجح النهي تبعًا لطائفة من الأئمة المجتهدين، والحجة في ذلك قوله ﷺ "لا تُشد الرحال إلا لثلاثة مساجد.." الحديث، فكيف يُسوغ الاعتراض عليه بذلك، لا سيما وقد وافقه على ذلك علماء بغداد من رواة المذاهب كلها.

(وقال الشيخ) الإمام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر البزار في مناقبه أكثر في حقه الأقاويل الزور والبهتان من ظاهر حاله العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة، ولم يزل المبتدعون أهل الأهواء وآكلو الدنيا بالدين متعاضدين متناصرين في عداوته، باذلين وسعهم في السعي بالفتك به متخرصين عليه الكذب الصريح، مختلقين عليه وناسبين إليه ما لم يقله ولم ينقل عنه، ولم يوجد له في تصنيف ولا فتوى ولا سمع منه في مجلس. (قال) وسبب عداوتهم له وأن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرياسة وإقبال الخلق، ورأوه قد رقّاه الله إلى ذروة السنام من ذلك بما أوقع الله له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها وهم عنها بمعزل، فنصبوا أنفسهم لعداوته وحسدوه، وسعوا به بما سعوا ولم يرقبوا الله واليوم الآخر فكان ما كان (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون).

قد تم طبع هذا السفر الجليل نقلا من خط أستاذنا العلامة فخر العراق على الإطلاق (السيد محمودشكري الآلوسي)[٦] بمطبعة (كردستان العلمية) لصاحبها الفقير إلى الغني.

= مفتي أهل مكة (فارسي الأصل مولده بصنعاء ووفاته بمكة) ، تاريخ الإسلام ١١٤/٥، خلاصة تهذيب الكمال ٢٤٤، تهذيب التهذيب ٣٠/٨، الأعلام ٧٧/٥ .

(١) سبق ذكره.

(٢) جابر بن يزيد الأزدي، أبو الشعثاء البصري ، أحد الأعلام وصاحب ابن عباس - ٧٣ هـ تذكرة الحفاظ ٧٢/١ .

(٣) سبق ذكره.

(٤) حجاج بن أرطأة، حجاج بن أرطأة بن ثور النخعي (... - ١٤٥ هـ) ، قاض من أهل الكوفة. من رواة الحديث وحفاظه. ولي قضاء البصرة.

(٥) لم يتم العثور على ترجمة ذكره.

(٦) الألوسي، محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي (١٢٧٣ - ١٣٤٢ هـ) ، مؤرخ، عالم بالأدب والدين. من الدعاة إلى الاصلاح. وُلد في رصافة بغداد ، =

(فرج الله زكي الكردي).

(قال الأستاذ المذكور وفقه الرب الغفور)

(هذا آخر ما وجدناه) في كتاب الكواكب الدرية في مناقب الإمام المجتهد ابن تيمية للعلامة شيخ الفضلاء المتقنين وعمدة الفقهاء والمحدثين (الشيخ مرعي) بن يوسف الكرمي[1] الحنبلي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وقال على طرف كتابه مادحًا شيخ الإسلام

إمام المعالي والمعاني يعيبه ... على فضله من كان في الرتبة الدنيا

ومن ذا يعيب البدر والبحر والهدى ... ومن كان فردًا بالفضائل في الدنيا

وما ضرّ نور الشمس أن كان ناظرًا ... إليه عيون لم تزل دهرها عميا

وهل جاء في الدنيا كأحمد بعده ... وهل حلّ بدر في منازله العليا

* * *

الأعلام ٧ / ١٧٢.

(١) سبق ذكره.



الرَّدُّ الوافر

على من زعم أنَّ مَنْ سمَّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر

لابن ناصر الدين محمَّد بن عبد الله الدمشقي

المتوفى ٨٤٢هـ

اعتُنِيَ به

محمَّد حسن محمَّد حسن إسماعيل





المقدمة

ترجمة المصنف

هو: ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي شمس الدين، حافظ للحديث، مؤرخ، أصله من حماة، ولد في دمشق سنة ٧٧٧هـ، وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة٨٣٧هـ، وقتل شهيدًا في إحدى قرى دمشق سنة٨٤٢هـ[1]. ولمزيد من ترجمته انظر: مقدمة كتابه توضيح المشتبه بتحقيقنا.

وصف النسخة المعتمدة

لقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على المطبوعة في مطبعة كردستان العلمية بعصر المحمية سنة ١٣٢٩هـ.

والله أسأل أن ينتفع به طلاب العلم.

طالب العلم/ محمد فارس.

الرد الوافر لابن ناصر الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رضي الإسلام لمن أحب دينًا، وغرس الإيمان في قلوبهم فأثمرت بإخلاص طاعته فنونًا، وأعانهم على عبادته عنايةً منه فأعظم به معينًا، وحمى أعراضهم من الفساق الذين توعدهم بقوله يقينًا:﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب/٥٨]، ونحمد الله على جزيل نعمه بالإسلام، ونشكره على جميل كرمه وجميع الأنعام، ونسأله أن يقينا شر ذوي الهوى ويكفينا أذى الجهلة الطغام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة لا ريب فيها، وعقيدة سالمة لا تشبيه يفسدها ولا تعطيل يعتريها، ونقرُّ بأن الله -سبحانه- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ تمجيدًا له وتنزيهًا، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله رحمةً مهداةً، وابتعثه نعمةً لمن هداه، وجعله نقمةً على من ابتدع مهواه، فلطريقته النبوية يقتفي الأخيار، وبشريعته المحمدية يقتدي الأبرار، وعلى سنته المرضية تحافظ حفاظ الآثار، صلى الله عليه أفضل صلاته وأشرف، وحيَّاه بأزكى تحياته وأظرف وأكرم وأنعم وأتحف وعرف، ورضي الله عن آله سراة الأئمة، وأصحابه هداة الأمة، ما أذهبت أنوار الحق ظلمات الباطل المدلهمة

---

(١) انظر شذرات الذهب (٧/٢٤٣)، البدر الطالع (٢/١٩٨)، الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)، الأعلام للزركلي (٦/٢٣٧).

وسَلَّم تسليمًا.

(أما بعد) فإن الله- عز وجل- وله النعمة العظمى، أكمل هذا الدين وتممه حكمًا، وأشار إلى ذلك في كتابه المنزل على خير مرسل حتمًا يقينًا، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة/ ٣]. فلم يبقَ بعد الكمال غايةً تراد، ولا حكم يوجب ولا فريضة تزاد، والدين المشار إليه، ما شرعه سيدنا رسول الله- صلوات الله وسلامه عليه- وإنما شرعه بأمر الله ووحيه، وكشف بإذنه عن حقيقة أوامره ونهيه، يعلم ذلك مبينًا مشروحًا، من قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم/٣، ٤].

(وخرج) الإمام الزاهد الكبير أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي التابعي[1] في كتابه الحجة من حديث شريح بن يونس عن المعافي بن عمران عن الأوزاعي عن أبي عبيد يعني حاجب سليمان بن عبد الملك عن القاسم بن مخيمرة عن ابن فضيلة (قال رسول الله ﷺ لا يسألني الله- عز وجل- عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني الله- عز وجل- بها) رواه أبو بكر بن أبي علي، فقال: أنبأنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا أحمد بن هارون ثنا سليمان بن سيف ثنا أيوب بن خالد ثنا الأوزاعي حدثني أبو عبيد حاجب سليمان بن عبد الملك حدثني القاسم بن مخيمرة حدثني طلحة بن فضيلة (قال: قيل لرسول الله ﷺ سَعِّر لنا يا رسول الله فقال: لا يسألني الله- عز وجل- عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها ولكن سلوا الله من فضله[2] تابعهما أبو يوسف محمد بن كثير المصيصي وأبو المغيرة عبد القدوس ابن الحجاج الخولاني وعيسى بن يونس عن الأوزاعي بنحوه وأبو عبيد مولى سليمان بن عبد الملك من ثقاة تابعي أهل الشام.

واختلف في اسمه فقيل: حيي سماه مسلم ابن الحجاج[3] في كتابه الكنى وصدر به البخاري[4] كلامه في التاريخ الكبير، وقال: سماه هكذا عبد الله بن أبي الأسود، ثم قال: قال عبد الحميد بن جعفر حوى انتهى. وابن فضيلة متلف في صحبته، فالجمهور على أنه تابعي

---

(١) المقدسي، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي، أبو الفتح (٣٧٧-٤٩٠ هـ) شيخ الشافعية في عصره بالشام، يعرف بابن أبي حافظ. الأعلام (٨/٢٠).

(٢) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة.

(٣) الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين (٢٠٤-٢٦١هـ). حافظ من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق. تذكرة الحفاظ (٢/١٥٠)، تهذيب التهذيب (١٠/١٢٦)، الأعلام (٧/٢٢١).

(٤) سبق ترجمته في القول الجلي.

كنيته أبو مساوية كوفي.

(وقال) أبو بكر بنَ أبي داود السجستانى[١] حدثنا علي بن حشرم وعبد الله بن سعيد قالا: ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل- عليه السلام- ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن. (تابعهما) نعيم بن حماد عن عيسى، ورواه روح بن عبادة وأبو اسحق الفزاري ومحمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي نحوه.

(فالواجب) على كل مسلم اتباع السنة المحمدية واقتفاء الآثار النبوية الأحمدية التي منها التمسك بسنة الخلفاء الراشدين والتبرك بآثار الأئمة المهديين، ولقد أقام الناس على ذلك بعد عصر النبوة زمانًا، تابعين للشريعة النبوية احتسابًا وإيمانًا، كما أشار إليه الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي[٢] في كتاب الحجة، فقال: وقد كان الناس على ذلك زمانًا بعده إذ كان فيهم العلماء وأهل المعرفة بالله من الفقهاء، من أراد تغيير الحق منعوه، ومن ابتدع بدعةً زجروه، وإن زاغ عن الواجب قَوَّموه، وبَيَّنُواْ له رشده وفَهَّمُوه، فلما ذهب العلماء من الحكماء ركب كل أحد هواه، فابتدع ما أحب وما ارتضاه، وناظر أهل الحق عليه، ودعاهم بجهله إليه، وزخرف لهم القول بالباطل، فتزين به وصار ذلك عندهم دينًا يكفر من خالفه، ويلعن من باينه، وساعده على ذلك من لا علم له من العوام، ويوقع به الظنة والإيهام، ووجد على ذلك الجهال أعوانًا، ومن أعداء العلم أخدانًا، اتباع كل ناعق، ومجيب كل زاعق، لا يرجعون فيه إلى دين، ولا يعتمدون على يقين قد تمكنت لهم به الرياسة، فزادهم في الباطل تعاسة، تَزَيَّنُواْ به للعامة، ونسواْ شدائد يوم الطامَّة. (ثم) روى الشيخ نصر بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن أبي الثلج. قال: حدثنا الهيثم بن خارجة ثنا هيثم بن عمران العبسي سمعت اسماعيل بن عبيد الله المخزومي يقول: ينبغي لنا أن نتحفظ ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فإن الله- عز وجل- قال:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر/٧]، فهو بمنزلة القرآن الكريم، ثم ذكر في معناه عدة أحاديث وآثار مروية، في وجوب اقتفاء السنة النبوية التي منها حكم مسألة الوعيد والقطع بالنار لأحدٍ من أهل التوحيد، وهذه أول مسألة فيما قيل وقع فيها النزاع الطويل، وبسببها حدثت بدعةُ الاعتزال، وارتكس أهلها في دركة الضلال ففي زمن التابعين كالحسن البصري[٣] وابن سيرين[٤] اختلت طائفة جلة في حكم

(١) سبق ترجمته في القول الجلي. (٢) سبق ذكره.

(٣) الحسن البصري، الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١-١١٠هـ). تابعي، كان إمام أهل البصرة، ولد بالمدينة، وشَبَّ في كنف علي بن أبي طالب. حلية الأولياء (١٣١/٢)، الأعلام (٢٢٦/٢).

(٤) ابن سيرين، محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، أبو بكر (٣٣-١١٠هـ). تابعي من أشراف =

الفاسق من أهل الملة فذهب أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يخرج عن ملة الإسلام بفسوقه عن الطاعة، وطائفة حكمت بأنه لا مؤمن ولا كافر، لكنه مخلد في النار بما ارتكب من الكبائر، وكان هؤلاء فيما خلا من الزمن يجلسون لأخذ العلم في حلقة الحسن فاعتزلواْ الحلقة لمخالفتهم أهلها بما تقدم، فلقبواْ بذلك معتزلة لكن عن الخير إلى المأثم، ثم أطلق الاعتزال على مذهبهم شهرة، وكان ذلك على رأس المائة الثانية من الهجرة، ثم اتسع معهم مجال الاعتزال مع ضيقه، فتاهواْ عن الحق وضلواْ عن طريقه، وذهبت الخوارج إلى أن المسلم صاحب الذنوب الكبار كافر عندهم مخلد في النار، وهذا مذهب باطل أحدثه أهل المروق، بتكفير من كان من أهل القبلة بالفسوق، والحق الذي لا ريب فيه، ولا خلل يعتريه. إن الحكم على مسلم معين بدخول النار غير جائز على ما جزم به جمهور أهل العلم وحمال الآثار، لانتفاء حكم الوعيد عنه وخروجه سالمًا منه، إما بتوبة خالصة أو حسنة ماحية، أو مصيبة مكفرة، أو شفاعة مقبولة ماضية.

(قال) الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل- رحمة الله عليه- في كتاب السنة الذي رواه أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي الإصطخري عن الإمام أحمد قال هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فذكر السنة (ومنها) قال: والكف عن أهل القبلة، ولا نكفر أحدًا منهم بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث فيروى الحديث. كما جاء وكما روي ونصدقه ونقبله، ونعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو مبتدع بدعة ينتسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام، فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه، وذكر بقية شرح السنة، ومعنى هذا الاستثناء المذكور يروى عن الزهري وغيره من أئمة المأثور من أن (حديث لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ونحوه من الأحاديث مؤمن بها وتمر على ما جاءت كما أمرها من كان قبلنا ولا مخاض في معناها والذي عليه إجماع أهل الحق على أن الزاني ونحوه من أهل الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان فإن تابواْ سقطت عقوبتهم وإن ماتواْ مصرين على الكبائر كانواْ في مشيئة الله إن شاء عفى عنهم وأدخلهم الجنة وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة، وقال العلامة شيخ الإسلام محيى الدين أبو زكريا النووي[1]- رحمه الله- واتفق العلماء على تحريم اللعن

=

الكتاب مولده ووفاته في البصرة. روى الحديث اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤)، وفيات الأعيان (١/٤٥٣)، الأعلام (٦/١٥٤).

(١) النووي، يحيي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا محيي الدين(٦٣١ =

فإنه في اللغة الإبعاد والطرد وفي الشرع الإبعاد من رحمة الله، فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية، فلهذا قالوا لا يجوز لعن أحد بعينه مسلمًا كان أو كافرًا أو دابةً إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس. وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله، والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين، ولعن من غَيَّرَ منار الأرض ومن تولى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثًا أو آوى محدثًا وغير ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان والله تعالى أعلم. قاله في شرح صحيح مسلم فلعن المسلم المسلمَ المعينَ حرامٌ وأشد منه رميه بالكفر وخروجه من الإسلام، وفي ذلك أمور غير مرضية منها إشمات الأعداء بأهل هذه الملّة الزكية، وتمكنهم بذلك من القدح في المسلمين واستضعافهم لشرائع هذا الدين، ومنها أنه ربما يقتدي بالرامي فيما رمى فيتضاعف وزره بعدد من تبعه مأثمًا وقَلَّ أن يسلم من رمى بكفر مسلمًا، فقد خرج أبو حاتم محمد بن حبان[1] في صحيحه عن أبي سعيد الخدري- رضي الله تعالى عنه- قال: (قال رسول الله ﷺ : ما أَكْفَرَ رجلٌ رجلاً إلا باء أحدهما بها، فإن كان كافرًا وإلا كفر بتكفيره[*]) وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي ذر وابن عمر رضي الله عنهما وفى صحيح البخارى[2] له شاهد أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وصح عن ثابت ابن الضحاك رضي الله تعالى عنه (أن رسول الله ﷺ قال ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله[**])، وخرج أبو بكر البزار في مسنده عن عمران بن حصين- رضي الله تعالى عنهما- (قال رسول الله ﷺ إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فهو كقتله) ورويناه من حديث الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عمرو بن سلمة سمعت عبد الله بن مسعود- رضي الله تعالى عنه- يقول: ما من مسلمين إلا وبينهما سِتْرٌ من الله- عز وجل- فإن قال أحدهما لأخيه كلمة هجر خرق ستر الله الذي بينهما، ولاقال أحدهما أنت كافر إلا كفر أحدهما. تابعه محمد بن فضيل وأبو إسحاق الفزاري عن يزيد فهل بعد هذا الوعيد من مزيد في التهديد، ولعل الشيطان يزين

-٦٧٦هـ). علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوى، وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا طويلاً. الأعلام (١٤٩/٨)، طبقات الشافعية للسبكي (١٦٠/٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٨/٧).

(١) أبو حاتم البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي توفي ٣٥٤هـ مؤرخ، علامة، جغرافي، محدث، تولى القضاء في سمرقند، أحد المكثرين من التصنيف تذكرة الحفاظ (٣/ ١٢٥)، طبقات السبكي (١٤١/٢)، شذرات الذهب (١٦/٣)، الأعلام (٧٨/٦).

(*) أخرجه ابن حبان (٤٨٣/١)، ح (٢٤٨).

(٢) سبق ترجمته في القول الجلي.

(**) أخرجه البخاري (٢٢٤٧/٥)، ح (٥٧٠٠).

لمن تبع هواه، ورمى بالكفر والخروج من الإسلام أخاه، أنه تكلم فيه بحق ورماه، وأنه من باب الجرح والتعديل لا يسعه السكوت عن القليل من ذلك فكيف بالجليل، هيهات هيهات، إن مجال الكلام في الرجال عقبات، مرتقيها على خطر، ومرتقبها هوى لا منجا له من الإثم ولا وزر، فلو حاسب نفسه الرامي أخاه ما السبب الذي هاج ذلك لتحقق أنه الهوى الذي صاحبه هالك، والكلام في الرجال ونقدهم يستدعي أمورًا في تعديلهم وردهم، منها أن يكون المتكلم عارفًا بمراتب الرجال وأحوالهم في الانحراف والاعتدال، ومراتبهم في الأقوال والأفعال، وأن يكون من أهل الورع والتقوى مجانبًا للمعصية والهوى خاليًا من التساهل، عاريًا عن غرض النفس بالتحامل مع العدالة في نفسه والإتقان، والمعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها الإنسان، وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم، وكان ممن اغتاب أو فاه بمحرم، وإذا نظرنا في طبقات النقاد من كل جيل، الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل رأيناهم أئمة بما ذكر موصوفين وعلى سبيل نصيحة الأمة متكلمين، كمن كان في المائة وستين من الهجرة، وما قاربها من السنين في طبقة النقاد المهرة مثل شعبة ابن الحجاج[1] والأوزاعي[2] والثوري سفيان[3] ومالك والليث والحمادين ومحمد بن مطرف أبي غسان[4] ثم من كان قبيل المائة الثانية من الأئمة الذين أقوالهم ماضية، كعبد الله بن المبارك[5] وجرير بن عبد الحميد[6] وهشام بن بشير[7] وسفيان بن

---

(١) شعبة بن الحجاج: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، الواسطي، البصري، أبو بسطام (٨٢-١٦٠هـ)، من أئمة رجال الحديث، أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمعزولين. تهذيب التهذيب (٤/٣٣٨)، حلية الأولياء (٧/١٤٤)، الأعلام (٣/١٦٤).

(٢) الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبوعمرو (٨٨-١٥٧هـ). إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، عرض عليه القضاء فامتنع. الوفيات (١/٢٧٥)، حلية الأولياء (٦/١٣٥)، الأعلام (٣/٣٢٠).

(٣) سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله (٩٧-١٦١هـ). أمير المؤمنين في الحديث، ولد ونشأ في الكوفة، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة. حلية الأولياء (٦/٣٥٦)، تهذيب التهذيب (٤/١١١)، الأعلام (٣/١٠٤).

(٤) محمد بن مطرف أبي غسان معجم الصحابة (٢/٧).

(٥) ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التميمي، المروزي، أبو عبد الرحمن (١١٨-١٨١هـ). شيخ الإسلام، ج مع الحديث والفقه والعربية. تذكرة الحفاظ (١/٢٥٣)، شذرات الذهب (١/٢٩٥)، الأعلام (٤/١١٥).

(٦) جرير الضبي، جرير بن عبد الحميد بن قرط الرازي الضبي. (١١٠-١٨٨هـ)، محدث، رحل إليه المحدثون لسعة علمه، مولده ووفاته بالرِّي، كوفي الأصل. تذكرة الحفاظ (١/٢٥٠)، الأعلام (٢/١١٩).

(٧) هشام بن بشير بن أبي خازم مات في شعبان سنة ٨٣هـ تذكرة الحفاظ (١/٢٤٨).

عيينة[١] واسماعيل بن علية[٢] وأبي معاوية الضرير[٣] ويحيى بن سعيد القطان[٤] وهو أول من انتدب للنقد في هذا الشأن، وبعده عبد الرحمن بن مهدي[٥] وطبقته إلى حدود المائتين وثلاثين كأبي داود سليمان بن داود الطيالسي[٦]، والإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وآخرين، ثم تلاهم بعد ذلك يحيى بن معين[٧] في نقد الرجال، ولا يضر اختلاف الرواية عنه في واحد بأقوال، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل، وخلق من هذه الطبقة فيحكم بنقدهم ويعمل، مثل محمد بن عبد الله بن نمير[٨] ومحمد بن عبد الله بن عمار[٩] وعمرو بن علي الفلاس[١٠] وقتيبة ومحمد بن بشار بندار[١١] وبعدهم طبقة

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد (١٠٧-١٩٨هـ). محدث الحرم المكي، من الموالي، حافظ ثقة، واسع العلم، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها. تذكرة الحفاظ (١/٢٤٢)، صفة الصفوة (٢/١٣٠)، الأعلام (٣/١٠٥).

(٢) إسماعيل بن ابراهيم بن معشم الأسدي البصري، أبو بشر علية هي أمه، سمع أيوب السختياني وعلي بن جدعان، توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين تذكرة الحفاظ (١/٣٢٢-٣٢٣).

(٣) محمد بن خازم الكوفي الضرير، أبو معاوية الحافظ الثبت، محدث الكوفة، حدث عن هشام بن عروة والأعمش وليث بن أبي سليم، ولد سنة (١١٣هـ) وتوفي سنة (١٩٥هـ)، تذكرة الحفاظ (١/٢٩٤).

(٤) يحيي القطان، يحيي بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد (١٢٠-١٩٨هـ) من حفاظ الحديث، من أقران مالك وشعبة، من أهل البصرة. تذكرة الحفاظ (١/٢٧٤)، تهذيب التهذيب (١١/٢١٦)، الأعلام (٨/١٤٧).

(٥) اللؤلؤي عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري، أبو سعيد (١٣٥-١٩٨هـ)، من كبار حفاظ الحديث، مولده ووفاته في البصرة تهذيب التهذيب (٦/٢٧٩)، حلية الأولياء (٩/٣)، الأعلام (٣/٣٣٩).

(٦) الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، أبو داود الطيالسي (١٣٣-٢٠٤هـ)، من كبار حفاظ الحديث، فارسي الأصل، سكن البصرة وتوفي بها. الأعلام (٣/١٢٥).

(٧) ابن معين، يحيى بن معين بن عون بن زياد المري، البغدادي، أبو زكريا (١٥٨-٢٣٣هـ). من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، أصله من سرخس، عاش ببغداد وتوفي بالمدينة. تذكرة الحفاظ (٢/١٦)، تهذيب التهذيب (٢٨٠)، الوفيات (٢/٢١٤)، الأعلام (٨/١٧٢).

(٨) محمد بن عبد الله بن نمير الكوفي الإمام طبقات المحدثين (١/٨٩).

(٩) محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي بن عمار الحافظ الإمام الحجة، شيخ الموصل، قال الخطيب: كان أحد أهل الفضل المتحققين بالعلم حسن الحفظ كثير الحديث، تذكرة الحفاظ (٢/٤٩٤) الطبقة الثامنة.

(١٠) الفلاس، عمرو بن علي بن بحر، أبو حفص السقاء، توفي ٢٤٩هـ. باحث من أهل البصرة، سكن بغداد، من حفاظ الحديث الثقات تهذيب التهذيب (٨/٨٠)، الأعلام (٥/٨٢).

(١١) بندار، محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدى البصري، أبو بكر (١٦٧-٢٥٢هـ). من حفاظ الحديث الثقات لم يخرج من البصرة أكثر عمره برًا بأمه. تهذيب التهذيب (٩/٧٠)، الأعلام (٦/٥٢).

البخاري محمد بن إسماعيل[(١)] وقبيل الثلثمائة بقليل، كمحمد بن يحيى الذهلي[(٢)] وعبد الله الدارمي[(٣)] وأحمد ابن الفرات[(٤)] وأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم[(٥)] وابن خالته أبي حاتم الرازيين[(٦)] وخلق من الإثبات، ثم طبقة ما بين المائتين وسبعين إلى بعيد الثلاثمائة من السنين، كأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي وأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ومحمد بن ماجة وآخرين، منهم أبو يعلى الموصلي[(٧)]، وأحمد بن نصر الخفاف[(٨)] وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن معقل النسفي[(٩)] وأسلم بن سهل بحشل[(١٠)]، ومن بعد عصرهم بقليل، كالمصنف النبيل، إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة[(١١)] وعبد الله بن أبي داود[(١٢)] وأبي بكر محمد بن

(١) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٢) الذهلي، محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي، النيسابوري، أبو عبد الله (١٧٢-٢٥٨هـ) من حفاظ الحديث، روى عنه البخاري أربعة وثلاثين حديثًا. تذكرة الحفاظ (٢/١٠١)، تهذيب التهذيب (٩/٥١١)، الأعلام (٧/١٣٥).

(٣) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي، أبو محمد (١٨١-٢٥٥هـ). من حفاظ الحديث، سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند. تذكرة الحفاظ (٢/١٠٥)، تهذيب التهذيب (٥/١٩٤)، الأعلام (٤/٩٥).

(٤) ابن الفرات، أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي، أبو مسعود توفي٢٥٨هـ. من علماء الحديث، سمع في دمشق، وروى عنه أبو داود في سننه. تذكرة الحفاظ (٢/١١٣)، ابن عساكر (١/٤٣٤)، الأعلام (١/١٩٤).

(٥) أبو زرعة الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي. (٢٠٠-٢٦٤هـ). من حفاظ الحديث الأئمة، من أهل الري، جالس أحمد بن حنبل. تهذيب التهذيب (٧/٣٠)، تذكرة الحفاظ (٢/١٢٤)، الأعلام (٤/١٩٤).

(٦) أبو حاتم الرازي، الإرشاد (٢/٦٦١)، معجم البلدان (١/٣٨٠)، الديباج المذهب (١/٢٤٢).

(٧) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، توفي ٣٠٧هـ. حافظ من علماء الحديث ثقة مشهور نعته الذهبي بمحدث الموصل، دول الإسلام (١/١٤٦)، الأعلام (١/١٧١).

(٨) أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري، أبو عمرو الخفاف، حافظ، محدث خراسان، سمع إسحاق بن راهوية، توفي سنة (٢٩٩هـ). تذكرة الحفاظ (٢/٦٥٤) الطبقة العاشرة.

(٩) ابن معقل، إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي، أبو إسحاق توفي ٢٩٥هـ، محدث، كان قاضي نسف وعالمها، تذكرة الحفاظ (٢/٢٣١)، الأعلام (١/٧٤).

(١٠) بحشل، أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز، الواسطي، أبو الحسن، توفي ٢٩٢هـ، محدث واسط في عصره، من الحفاظ الثقات تذكرة الحفاظ (٢/٢١٢)، الأعلام (١/٣٠٥).

(١١) ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر (٢٣٣-٣١١هـ)، إمام نيسابور في عصره، فقيهًا مجتهدًا، عالمًا بالحديث، لقبه السبكي بإمام الأئمة، طبقات السبكي (٢/١٣٠)، الأعلام (٦/٢٩).

(١٢) عبد الله بن الحافظ الكبير أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزري السجستاني، =

إبراهيم بن المنذر الإمام[١]، ومحمد بن جرير ويحيى بن صاعد[٢] وغيرهم من الأعلام، ثم طبقة بعد العشرين وثلاثمائة عام، إلى بعد الأربعين من الأعوام، كأبي حامد أحمد بن البرقي[٣] وأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي[٤] الإمام، وعبد الرحمن بن أبي حاتم[٥] وأبي جعفر العقيلي محمد بن عمرو[٦]، والحسين بن إسماعيل المحاملي[٧] وغيرهم من نقاد هذا الأمر، ثم طبقة من كان من الناقدين، إلى بُعَيْد الثلاثمائة وسبعين، كأبي الحسين عبد الباقي بن قانع[٨] وأبي أحمد محمد بن أحمد العسال[٩]، وأبي حاتم محمد بن حبان والطبراني وأبي أحمد عبد الله بن

=

ابن أبي داود (٢٣٠-٣١٦هـ)، حافظ علامة قدوة المحدثين سمع عيسى بن حماد وأحمد بن صالح وابن السرح. تذكرة الحفاظ (٧٦٧/٢) الطبقة العاشرة.

(١) ابن المنذر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر، (٢٤٢-٣١٩هـ)، فقيه مجتهد من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة، تذكرة الحفاظ (٤/٣)، الوفيات (٤٦١/١)، طبقات الشافعية (٢/ ١٢٦)، الأعلام (٢٩٤/٥).

(٢) ابن صاعد، يحيى بن محمد بن صاعد، أبو محمد الهاشمي البغدادي، (٢٢٨-٣١٨هـ)، من أعيان حفاظ الحديث، من أهل بغداد، رحل إلى الشام ومصر والحجاز، تذكرة الحفاظ (٣٠٥/٢)، النجوم الزاهرة (٢٢٨/٣)، الأعلام (١٦٤/٨).

(٣) محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد الزهري، أبو عبد الله، ابن البرقي. صاحب كتاب الضعفاء سمع عمرو بن أبي سلمة التنيسي وأسد بن موسى، مات (٢٤٩هـ)، تذكرة الحفاظ (٥٦٩/٢) الطبقة التاسعة.

(٤) الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزري، أبو جعفر (٢٣٩-٣٢١هـ)، فقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفيًا، رحل إلى الشام سنة (٢٦٨ هـ)، فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته وتوفي بالقاهرة، البداية والنهاية (١٧٤/١١)، الأعلام (٢٠٦/١).

(٥) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد (٢٤٠-٣٢٧هـ)، حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنظلة بالرِّي، تذكرة الحفاظ (٢٣٤/٢)، الأعلام (٣٢٤/٣).

(٦) العقيلي، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر توفي ٣٢٢هـ، من حفاظ الحديث، كان مقيمًا بالحرمين، وتوفي بمكة، تذكرة الحفاظ (٥٠/٣)، شذرات الذهب (٢٩٥/٢)، الأعلام (٣١٩/٦).

(٧) المحاملي، الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل المحاملي الضبي، أبو عبد الله البغدادي (٢٣٥-٣٣٠ هـ) قاض، من الفقهاء المكثرين من الحديث، ولي قضاء الكوفة وفارس، تذكرة الحفاظ (٤٢/٣)، الأعلام (٢٣٤/٢).

(٨) ابن قانع، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي، البغدادي، أبو الحسين (٢٦٦-٣٥١هـ)، قاض من حفاظ الحديث ومن أصحاب الرأي، كان يُرْمَى بالخطأ في الرواية. الأعلام (٢٧٢/٣).

(٩) العسال، محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، أبو أحمد (٢٦٩-٣٤٩هـ)، قاض من العلماء =

عدي[١] وعدة من الرجال، ثم طبقة من كان بعدهم من الأعلام، إلى حدود أربعمائة عام، وفيها قل الاعتناء بالآثار لما ظهر من البدع وثار؛ لاستيلاء آل بويه على العراق، وبني عبيد الباطنية على مصر وغيرها من الآفاق، وكان في هذه الطبقة عدة من أئمة السنة النبل، كأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني[٢] وبه ختم معرفة العلل، وأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مندة العبدي[٣]، والحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الضبي، ثم من بعدهم إلى بعيد الأربعمائة وثلاثين، عدة من ثقاة المحدثين، كعبد الغني بن سعيد[٤]، وأحمد بن علي السليماني[٥]، وأبي بكر أحمد بن مردويه[٦]، ومحمد بن أبي الفوارس[٧]، وأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني[٨]، ثم من كان من الأعلام إلى حدود الخمسين وأربعمائة عام، كأبي عبد الله محمد بن علي الصوري[٩]، والحسن بن محمد الخـــلال[١٠]، والخليل بن عبد الله

بالحديث من أهل أصبهان ولي القضاء بها الأعلام (٥/٣١٠).

(١) ابن عدي، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني، أبو أحمد (٢٧٧-٣٦٥هـ). علاَّمة بالحديث، كان يعرف في بلده بابن القطان. أخذ عن أكثر من ألف شيخ. طبقات السبكي (٢/٢٣٣)، الأعلام (٤/١٠٣).

(٢) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الشافعي (٣٠٦-٣٨٥هـ). إمام عصره في الحديث، أول من صنف القراءات. وفيات الأعيان (١/٣٣١)، الأعلام (٤/٣١٤).

(٣) ابن مندة، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، أبو عبد الله العبدي الأصبهاني (٣١٠-٣٩٥هـ). من كبار حفاظ الحديث الراحلين في طلبه، المكثرين في التصنيف فيه. طبقات الحنابلة (٢/١٦٧)، الأعلام (٦/٢٩).

(٤) أبو محمد الأزدي، عبد الغني بن سعيد (٣٣٢-٤٠٩هـ). شيخ حفاظ الحديث بمصر في عصره، كان عالمًا بالأنساب، مولده ووفاته في القاهرة وفيات الأعيان (١/٣٠٥)، الأعلام (٤/٣٣).

(٥) البيكندي، أحمد بن علي بن عمرو، أبو الفضل السليماني توفي ٤١٢هـ. من حفاظ الحديث المكثرين رحل إلى العراق والشام ومصر الأعلام (١/١٧١).

(٦) أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر بن مردويه. حافظ، صاحب التفسير والتاريخ (٣٢٣-٤١٠هـ)، تذكرة الحفاظ (٣/١٠٥٠) الطبقة (١٣).

(٧) محمد بن أحمد بن محمد بن فارس بن سهل البغدادي، أبو الفتح ابن أبي الفوارس (٣٣٨-٤١٢هـ). حافظ سمع ابن أحمد بن الفضل بن خزيمة تذكرة الحفاظ (٣/١٠٥٣)، الطبقه (١٣).

(٨) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ). حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية ولد ومات في أصبهان طبقات الشافعية (٣/٧)، الأعلام (١/١٥٧).

(٩) الصوري، محمد بن علي بن عبد الله بن محمد، أبو عبد الله (٣٧٦-٤٤١هـ) حافظ، رحل في طلب الحديث، سمع بالكوفة من أربعمائة شيخ الأعلام (٦/٢٧٥).

(١٠) الخلال، الحسن بن محمد بن الحسن بن علي، أبو محمد (٣٥٢ - ٤٣٩هـ) من أهل بغداد، فاضل، جمع أبوابًا وتراجم كثيرة الأعلام (٢/٢١٣).

الخليلي[١]، وعدة من الرجال ثم من كان بعد الخمسين إلى حدود أربعمائة وثمانين، كأبي بكر البيهقي الإمام[٢]، وعبد الله بن محمد الأنصاري شيخ الإسلام[٣]، وأبي بكر أحمد بن علي خطيب بغداد[٤]، وأبي عمر بن عبد البر[٥]، وأبي الوليد الباجي[٦]، وعدة من النقاد. ثم من كان بعدهم إلى بعد الخمسمائة بقليل، كأبي نصر علي بن ماكولا[٧]، والشيخ نصر المقدسي النبيل[٨]، وأبي علي الحسين بن محمد الغساني[٩]، وأبي علي بن محمد البرداني[١٠]، ثم

---

(١) الخليل، الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، أبو يعلى توفي ٤٤٦هـ. قاض، من حفاظ الحديث العارفين برجاله الأعلام (٢/٣١٩).

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ - ٤٥٨هـ). من أئمة الحديث، رحل إلى بغداد ثم الكوفة ومكة، قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي. شذرات الذهب (٣/٣٠٤)، طبقات الشافعية (٣/٣)، الأعلام (١/١١٦).

(٣) الهروي، عبد الله بن محمد بن على الأنصاري، أبو إسماعيل (٣٩٦- ٤٨١هـ) شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، كان بارعًا في اللغة حافظًا للحديث، عارفًا بالتاريخ والأنساب، مظهرًا للسنة داعيًا لها. الذيل على طبقات الحنابلة (١/٦٤)، الأعلام (٤/١٢٢).

(٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر (٣٩٢ - ٤٦٣هـ). أحد الحفاظ المؤرخين، منشأه ووفاته ببغداد، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة. طبقات الشافعية (٣/١٢)، النجوم الزاهرة (٥/٨٧)، وفيات الأعيان (١/٢٧)، الأعلام (١/١٧٢).

(٥) ابن عبد البر، يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (٣٦٨- ٤٦٣ هـ). من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، ولي قضاء لشبونة وشنترين وفيات الأعيان (٢/٣٤٨)، الصلة (٦١٦)، الأعلام (٨/٢٤٠).

(٦) أبو الوليد الباجي، سليمان بن خلف بن سعد النجيبي القرطبي (٤٠٣- ٤٧٤هـ). فقيه مالكي من رجال الحديث أصله من بطليوس، مولده في باجة بالأندلس، رحل إلى الحجاز وتوفي بالمرية. الوفيات (١/٢١٥)، الأعلام (٣/١٢٥).

(٧) ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، أبو نصر، سعد الملك (٤٢١- ٤٧٥هـ). أمير، مؤرخ من العلماء الحفاظ الأدباء سافر إلى الشام ومصر والجزيرة. فوات الوفيات (٢/٩٣)، النجوم الزاهرة (٥/١١٥)، الأعلام (٥/٣٠).

(٨) المقدسي، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي، أبو الفتح (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ). شيخ الشافعية في عصره بالشام، كان يعرف بابن أبي حافظ. الأعلام (٨/٢٠).

(٩) الجياني، الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي، أبو علي (٤٢٧-٤٩٨هـ). محدث، من علماء الأندلس، كان يتصدر للتدريس في جامع قرطبة. وفيات الأعيان (١/١٥٨)، الصلة (١٤٤)، الأعلام (٢/٢٥٥).

(١٠) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسن البغدادي، أبو علي البرداني (٤٢٦- ٤٩٨هـ). حافظ متقن سمع من أبي طالب بن غيلان، كان أحد المبرزين في صنعة الحديث، وكان حنبليًا استملى القاضي أبي يعلى. تذكرة الحفاظ (٤/١٢٣٢) الطبقة (١٥).

مَنْ كان بعد الخمسمائة بنحو أربعين سنة مقدرة، كمحيي السنة الحسين بن محمد البغوي[(١)]، والقاضي أبي علي الحسين بن سكره[(٢)]. ثم مَنْ كان من نقاد المحدثين بعد الخمسمائة وأربعين كأبي الفضل محمد بن ناصر[(٣)] والسلفي أحمد بن محمد بن أبي طاهر[(٤)] والقاضي عياض[(٥)]، ويوسف ابن الدباغ أبي الوليد[(٦)] وأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المفيد[(٧)]، وأبي العلاء الحسن بن أحمد شيخ همدان[(٨)] وأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني محدث أصفهان[(٩)]، وأبي القاسم علي بن عساكر حافظ الشام[(١٠)] وأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن السمعاني الإمام[(١١)]، ثم من كان إلى حدود الستمائة وبعيدها من نقاد الرجال، كعبد الحق الإشبيلي[(١٢)]، وأبي القاسم

---

(١) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أبو محمد (٤٣٦- ٥١٩هـ). يلقب بمحيي السنة، فقيه، محدث، مفسر يقال له ابن الفراء. وفيات الأعيان (١/ ١٤٥)، الأعلام (٢/ ٢٥٩).

(٢) الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي السرقسطي الأندلسي، أبو علي بن سكرة مات سنة ٥١٤ هـ، وله نحو من ستين سنة عالمًا بالقراءات تلا على أصحاب الحمامي، وله الباع الطويل في الرجال والعلل والأسماء والجرح والتعديل. ولي قضاء مرسية. تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٥٣) الطبقة (١٥).

(٣) السلامي، محمد بن ناصر بن محمد بن علي، أبو الفضل، ابن ناصر (٤٦٧- ٥٥٠هـ). محدث العراق في عصره نسبته إلى مدينة السلام (بغداد) مولده ووفاته فيها. الأعلام (٧/ ١٢١).

(٤) سبق ذكره.

(٥) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٦) ابن الدباغ، يوسف بن عبد العزيز بن يوسف اللخمي الأندي، أبو الوليد (٤٨١ - ٥٤٦هـ). مؤرخ كان محدث الأندلس في عصره توفي بدانية ودفن في مرسية. الصلة (٦٢١)، الأعلام (٨/ ٢٣٨).

(٧) لم يتم العثور على ترجمة.

(٨) أبو العلاء الهمذاني، الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار (٤٨٨- ٥٦٩هـ). شيخ همذان، إمام العراقيين في القراءات، له باع في التفسير والحديث والأنساب والتواريخ. الأعلام (٢/ ١٨١).

(٩) المديني، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (٥٠١ - ٥٨١ هـ). من حفاظ الحديث المصنفين مولده ووفاته في أصبهان. وفيات الأعيان (١/ ٤٨٦)، طبقات الشافعية (٤/ ٩٠)، الأعلام (٦/ ٣١٣).

(١٠) سبق ترجمته.

(١١) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (٥٠٦ - ٥٦٢ هـ). مؤرخ رحالة، من حفاظ الحديث، مولده ووفاته بمرو. طبقات السبكي (٤/ ٢٥٩)، وفيات الأعيان (١/ ٣٠١)، النجوم الزاهدة (٥/ ٥٦٣)، الأعلام (٤/ ٥٥).

(١٢) سبق ترجمته (ابن سبعين).

خلف بن بشكوال[1]، وأبي بكر محمد بن موسى الإشبيلي الحازمي[2] وعبد الرحمن بن الجوزي العالم الجواد[3]، وأبي المحاسن عمر بن علي الدمشقي[4] وعدة من النقاد، كعبد الغني المقدسي[5]، وعبد القادر الرهاوي[6]، وعبد العزيز بن الأخضر ببغداد[7]، وعلي بن المفضل الأسكندراني[8]، وأبي نزار ربيعة بن الحسين اليماني[9]، ثم من كان في المائة السابعة طائفة لمن تقدم تابعه كأبي الحسن علي بن القطان النبيل[10]، وإسماعيل بن الأنماطي ويوسف بن خليل[11] والضياء محمد بن عبد الواحد[12]، وأبي الربيع سليمان بن موسى

---

(١) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي، أبو القاسم (٤٩٤-٥٧٨هـ). مؤرخ بحاثة ولي القضاء وفي بعض جهات إشبيلية. الوفيات ١(١٧٢/)، الصلة (٦٥٠)، الأعلام (٣١١/٢).

(٢) الحازمي، محمد بن موسى بن عثمان بن حازم، أبو بكر، زين الدين (٥٤٨- ٥٨٤هـ). من رجال الحديث أصله من همذان ووفاته ببغداد الوفيات (٤٨٨/١)، الأعلام (١١٧/٧).

(٣) سبق ذكره.

(٤) لم يتم العثور على ترجمة.

(٥) الجماعيلي، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (٥٤١-٦٠٠هـ). حافظ للحديث من العلماء برجاله، انتقل صغيرًا إلى دمشق ثم رحل إلى الإسكندرية وأصبهان، تذكرة الحفاظ (١٦٠/٤)، شذرات الذهب (٣٤٥/٤)، الأعلام (٣٤/٤).

(٦) الرهاوي، عبد القادر بن عبد الله الفهمي، الرهاوي، الحراني، أبو محمد (٥٣٦- ٦١٢هـ). عالم بالتراجم من حفاظ الحديث ولد بالرّها وتوفي بحران كان من موالى بني فهم، طاف بلاد العراق وفارس والشام ومصر في طلب الحديث. ذيل طبقات الحنابلة (٨٢/٢)، الأعلام (٤٠/٤).

(٧) ابن الأخضر، عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر البغدادي الجنابذي الحنبلي البزار، أبو محمد، تقي الدين (٥٢٤- ٦١١هـ). محدث العراق في عصره، مولده ووفاته ببغداد، كان ثقة. شذرات الذهب (٤٦/٥)، الأعلام (٢٨/٤).

(٨) ابن المفضل، علي بن المفضل بن علي بن مفرج بن حاتم، أبو الحسن، شرف الدين اللخمي الأسكندري. (٥٤٤- ٦١١هـ). فقيه مالكي من الحفاظ، له تصانيف في الحديث وغيره، أصله من القدس مولده وسكنه بالأسكندرية ووفاته بالقاهرة. حسن المحاضرة (٢٠٠/١)، الأعلام (٢٣/٥).

(٩) لم يتم العثور على ترجمة.

(١٠) ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن (٥٦٢- ٦٢٨ هـ). من حفاظ الحديث، قرطبي الأصل من أهل فارس، ولي القضاء بسجلماسة فاستمر إلى أن توفي بها. شذرات الذهب (١٢٨/٥)، الأعلام (٣٣١/٤).

(١١) ابن خليل، يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقي الحلبي. (٥٥٥- ٦٤٨هـ). محدث، حنبلي، ولد وتفقه بدمشق، قام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر. شذرات الذهب (٢٤٣/٥)، الأعلام (٢٢٩/٨).

(١٢) ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي، المقدسي، الصالحي، الحنبلي، أبو عبد الله، ضياء الدين (٥٦٩-٦٤٣هـ). عالم بالحديث، مؤرخ من أهل دمشق مولدًا ووفاة، =

الناقد[1]، ثم من بعدهم جماعة من الأعلام، كأبي عمرو وعثمان بن الصلاح الإمام[2]، والزكي عبد العظيم المنذري[3]، وأحد بن محمود الجوهري[4]، ثم طبقة النواوي شيخ الإسلام[5]، وأبي محمد عبد المؤمن الدمياطي الإمام[6]، والمحب أحمد بن عبد الله الطبري مصنف الأحكـــام[7]، والعلامة أبي الفتح محمد بن دقيق العيد[8]، وأحمد بن فرج الإشبيلي المفيد[9]، ثم من بعدهم طبقة أبي الحجـــاج المزني[10] حـــامل راية هذا الشأن، ويوسف بن الـــزكي

بنى فيها مدرسة دار الحديث الضيائية المحمدية، رحل إلى بغداد ومصر وفارس

(١) الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (٥٦٥ -٦٣٤هـ). محدث الأندلس من أهل بلنسية ولي قضاءها
تذكرة الحفاظ (١٤١٧/٤)، الأعلام (١٣٦/٣).

(٢) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزدري الكردي الشرخاني، أبو عمرو، تقي الدين. (٥٧٧ - ٦٤٣هـ). أحد الفضلاء المتقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، انتقل إلى دمشق فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث وتوفي فيها. وفيات الأعيان (٣١٢/١)، طبقات الشافعية (١٣٧/٥)، شذرات الذهب (٢٢١/٥)، الأعلام (٢٠٧/٤).

(٣) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين. (٥٨١ - ٦٥٦هـ). عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين، أصله من الشام تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة. فوات الوفيات (٢٩٦/١)، طبقات الشافعية (١٠٨/٥)، الأعلام (٣٠/٤).

(٤) ابن الجوهري، أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان، أبو العباس، شرف الدين، توفي ٦٤٣هـ. من حفاظ الحديث، دمشقي، رحل إلى بغداد. تذكرة الحفاظ (٢٤١/٤)، العبر (١٧٥/٥)، الأعلام (٢٥٤/١).

(٥) النووي، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، الشافعي، أبو زكريا، محيى الدين (٦٣١ -٦٧٦هـ). علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوًا واليها نسبته تعلم في دمشق. طبقات السبكي (١٦٠/٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٨/٧)، الأعلام (١٤٩/٨).

(٦) الدمياطي، عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، أبو محمد، شرف الدين (٦٣١-٧٠٥هـ). حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. قال الذهبي: كان فصيحًا لغويًا مقرئًا جيد العبارة. فوات الوفيات (١٧/٢)، طبقات الشافعية (١٠/٤)، شذرات الذهب (١٢/٦)، الدرر الكامنة (٤١٧/٢)، الأعلام (١٦٩/٤).

(٧) محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، أبو العباس، محب الدين (٦١٥-٦٩٤هـ). حافظ، فقيه شافعي من أهل مكة مولدًا ووفاة. كان شيخ الحرم فيها. النجوم الزاهرة (٧٤/٨)، طبقات الشافعية (٨/٥)، شذرات الذهب (٤٢٥/٥)، الأعلام (١٥٩/١).

(٨) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٩) ابن فرح، أحمد بن فرح بن محمد بن فرح اللخمي الإشبيلي، أبو العباس، شهاب الدين (٦٢٥-٦٩٩ هـ). نزيل دمشق، فقيه شافعي، من علماء الحديث. شذرات الذهب (٤٤٣/٥)، الأعلام (١٩٤/١).

(١٠) سبق ذكره.

عبد الرحمن[١]، وأبي العباس أحمد ابن تيمية علم الأعيان، والقاسم بن البرزاني ناقد الرجال[٢]، وأبي عبد الله محمد ابن الذهبي[٣] صاحب ميزان الاعتدال، ومحمد بن عبد الرحمن بن شامة[٤]، ومحمود بن أبي بكر الفرضي العلامة[٥]، وعبد الكريم الحلبي قطب الدين[٦]، ومحمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس في الآخرين[٧]، ثم طبقة محمد بن عبد الهادي المفيد[٨]، والمؤرخ الدهلي[٩] سعيد، وأحمد بن مظفر أحد الحفاظ[١٠]، وخليل

---

(١) الحافظ المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي، أبو محمد القضاعي الكلبي (٦٥٤-٧٤٢هـ). محدث الديار الشافعية في عصره، مهر في اللغة ثم الحديث ومعرفة رجاله الدرر الكامنة (٤/٤٥٧)، النجوم الزاهرة (١٠/٧٦)، الأعلام (٨/٢٣٦).

(٢) علم الدين البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس الإشبيلي الدمشقي، أبو محمد، علم الدين (٦٦٥-٧٣٩هـ). محدث مؤرخ، مولده بدمشق، زار مصر والحجاز، تولى مشيخة النورية ومشيخة دار الحديث بدمشق. فوات الوفيات (٢/١٣٠)، تذكرة الحفاظ (٤/٢٨٣)، الدرر الكامنة (٣/٢٣٧)، الأعلام (٥/١٨٢).

(٣) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٤) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المهندس الدمشقي (أبو القاسم) شهاب الدين. (٥٩٩-٦٦٥هـ). مؤرخ، محدث، باحث، مولده ووفاته في دمشق، ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية. فوات الوفيات (١/٢٥٢)، طبقات الشافعية (٥/٦١)، الأعلام (٣/٢٩٩).

(٥) الكلاباذي، محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء بن علي البخاري، أبو العلاء، شمس الدين (٦٤٤-٧٠٠ هـ). فرضي، من المفتين العلماء بالحديث، ولد وتعلم ببخارى وبغداد والشام ومصر وتوفي بماردين. شذرات الذهب (٥/٤٥٧)، الأعلام (٧/١٦٦).

(٦) القطب الحلبي، عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي، قطب الدين. (٦٦٤-٧٣٥هـ). حافظ للحديث، حلبي الأصل والمولد، مصري الإقامة والوفاة. حسن المحاضرة (١/٢٠٢)، السلوك ٢/ ٣٨٨)، الأعلام (٤/٥٣).

(٧) سبق ترجمته.

(٨) سبق ترجمته.

(٩) نجم الدين الدهلي، سعيد بن عبد الله الحريري الهندي الدهلي، أبو الخير، نجم الدين (٧١٢-٧٤٩ هـ). نشأ ببغداد وارتحل إلى مصر وأقام بدمشق إلى أن توفي. الدرر الكامنة (٢/ ١٣٤)، شذرات الذهب (٦/١٦٣)، الأعلام (٣/٩٧).

(١٠) أحمد بن المظفر بن أبي محمد المظفر بن بدر بن الحسن بن مفرح بن بكار الأندلسي المكي الشافعي، أبو العباس سبط الحافظ زين الدين خالد (٦٧٥-٧٥٨هـ). له معرفة وحفظ ومحدث فاضل ذيل تذكرة الحفاظ صفحة (٣٢).

العلائي[١] فقيه الحافظ، والعلامة إسماعيل بن كثير[٢]، صاحب التاريخ والتفسير، والسيد الحسيني محمد بن علي بن الحسن الشامي[٣]، وأبي المعالي محمد بن رافع السلامي[٤]، وطائفة نافدة محررة كشيخنا أبي بكر محمد بن المحب[٥] صاحب كتاب التذكرة (فإذا) نظرنا في كلام من ذكر وأشير إليه رأينا كلاً منهم يعتمد في الجرح والتعديل عليه، ولم نرَ أحدًا منهم عمد إلى مثل إمام جليل ثقة نبيل رماه عن الإسلام بالتحويل، ولا أفصح بكفره تصريحًا، ولا حكم عليه بعد موته بالكفر تجريحًا، حاشا أئمة هذه السنة من الميل عن سنن الهدى، أو الانحراف إلى قلة الإنصاف باتباع الهوى، لكن بعض الأعيان، تكلم في بعض الأقران، مثل كلام أبي نعيم[٦] في ابن مندة[٧] وابن مندة فيه، فلا يتخذ كلامهما في ذلك عمدة، بل ولا نحكيه لأن الناقد إذا بحث عن سبب في مثل ذلك وانتقد، رآه إما لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وقَلَّ أن يسلم عصر بعد تلك القرون الثلاثة من هذه المهالك، ومن نظر في التاريخ الإسلامي فضلاً عن غيره حقق ذلك، وما وقع منه في الأغلب كان سببه المذهب. (ولقد) قال إمام التعديل والجرح، والمعتمد عليه في المدح والقدح، أبو عبد الله محمد بن الذهبي[٨]، فيما وجدته بخطه ولا ريب أن بعض علماء النظر بالغوا في النفي والرد والتحريف والتنزيه بزعمهم حتى وقعوا

(١) صلاح الدين العلائي، خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي، أبو سعيد، صلاح الدين (٦٩٤-٧٦١هـ). محدث، فاضل، بحاث ولد وتعلم في دمشق، أقام في القدس مدرسًا في الصلاحية سنة ٧٣١هـ. الدرر الكامنة (٩٠/٢)، الأعلام (٣٢١/٢).

(٢) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٣) ابن حمزة الحسيني، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي، شمس الدين، أبو المحاسن (٧١٥-٧٦٥هـ). حافظ للحديث، مؤرخ، مولده ووفاته في دمشق، كان شاهد المواريث فيها، ولي مشيخة دار الحديث البهائية. الدرر الكامنة (٦١/٤)، الأعلام (٢٨٦/٦).

(٤) ابن رافع السلامي، محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامي العميدى، أبو المعالي، تقي الدين (٧٠٤-٧٧٤هـ). مؤرخ، فقيه من حفاظ الحديث، حوراني الأصل ولد في مصر. الدرر الكامنة (٤٣٩/٣)، شذرات الذهب (٢٣٤/٦)، الأعلام (١٢٤/٦).

(٥) لم يتم العثور على ترجمته.

(٦) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ). حافظ، مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان طبقات الشافعية (٧/٣)، الأعلام (١٥٧/١).

(٧) ابن مندة، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، أبو عبد الله العبدي الأصبهاني. (٣١٠-٣٩٥هـ). من كبار حفاظ الحديث، الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه. طبقات الحنابلة (١٦٧/٢)، الأعلام (٢٩/٦).

(٨) سبق ترجمته في القول الجلي.

في بدعة أو في نعت الباري بنعوت المعدوم كما أن جماعة من علماء الأثر بالغواْ في الإثبات وقبول الضعيف والمنكر ولهجواْ بالسنة والاتباع، فحصل الشغب ووقعت البغضاء، وبدع هذا هذا، وكفر هذا هذا، ونعوذ بالله من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفر مسلمًا موحدًا يلازم قوله وهو يفر من ذلك اللازم وينزه ويعظم الرب انتهى قول الذهبي وجمهور النقاد، وأئمة أهل الإسناد، كلامهم منقسم في الجرح والتعديل إلى قوي ومتوسط وكلام فيه تسهيل وفي عصرنا هذا الذي قَلَّ فيه من يدرى هذا الفن ويرويه أو يحقق تراجم من رأى من أهل مصر، فضلاً عمن لم يره أو مات قبل عصره، قد نطق فيه من لا خبرة له بتراجم الرجال ولا عبرة له فيما تقلده من سوء المقال، ولا فكرة له فيما تطرق به إلى تكفير خلق من الأعلام بأن قال من سَمَّى ابن تيمية شيخ الإسلام كان كافرًا، لا تصح الصلاة وراءه وهذا القول الشنيع الذي نرجو من الله العظيم أن يعجل لقائله جزاه، قد أبان قدر قائله في الفهم، وأفصح عن مبلغه من العلم، وكشف عن محله من الهوى، ووصف كيف أتباعه سبيل الهدى، ولا يرد بأكثر من روايته عنه ونسبته إليه، بكلام الإنسان عنوان عقله يدل عليه، أما علم هذا القائل أن لفظة شيخ الإسلام، تحتمل وجوهًا من معاني الكلام، منها أنه شيخ في الإسلام قد شاب، وانفرد ذلك عمن مضى من الأتراب، وحصل على الوعد المبشر بالسلامة، أنه من شاب شيبةً في الإسلام فهي له نور يوم القيامة، ومنها ما هو في عرف العوام أنه العدة، ومفزعهم إليه في كل شدة، ومنهم أنه شيخ الإسلام بسلوكه طريقة أهله، قد سلم من شر الشباب وجهله، فهو على السنة في فرضه ونفله، ومنها شيخ الإسلام بالنسبة إلى درجة الولاية، وتبرك الناس بحياته فوجوده فيهم الغاية، ومنها أن معناه المعروف عند الجهابذة النقاد، المعلوم عند أئمة الإسناد، أن مشايخ الإسلام والأئمة الأعلام هم المتبعون لكتاب الله- عز وجل-، المقتفون لسنة النبي ﷺ الذين تقدمواْ بمعرفة أحكام القرآن ووجوه قراآته وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه والأخذ بالآيات المحكمات، والإيمان بالمتشابهات، قد أحكمواْ من لغة العرب ما أعانهم على علم ما تقدم، وعلمواْ السنة نقلاً وإسنادًا، وعملاً كما يجب به العمل اعتمادًا، وإيمانًا بما يلزم من ذلك اعتقادًا، واستنباطًا للأصول والفروع من الكتاب والسنة قائمين بما فرض الله عليهم، متمسكين بما ساقه الله من ذلك إليهم، متواضعين لله العظيم الشأن، خائفين من عثرة اللسان، لا يدعون العصمة ولا يفرحون بالتبجيل، عالمين أن الذين أوتواْ من العلم قليل، فمن كان بهذه المنزلة حكم بأنه إمام، واستحق أن يقال له شيخ الإسلام، إذا نظرنا في مشايخ الإسلام، بعد طبقة الصحابة وجدنا منهم خلقًا بهذه المثابة، رأينا أن نذكر الآن منهم

عصابـــة، فبالمدينـــة سعيد بن المسيب المخزومي وبقية الفقهـــاء السبعة وغيرهم، وبمكة مثل عطاء بن أبي ربـــاح[1]، وطاووس[2] ومجاهـــد[3]. وبالعـــراق الحسن البصري وابن سيرين وعامر الشعبي. وبالشام جنادة بن أبي أمية[4]، وحسان بن عطية[5] وآخرين من الطبقة الأولى من التابعين ومن بعدهم كمالك بن أنس[6] وابن أبي ذئب[7] بالمدينة، وابن جريج[8] وسفيان بن عيينة[9] بمكـــة، والأوزاعي[10] وسعيد بن عبد العزيز[11] بالشـــام،

---

(١) ابن أبي رباح، عطاء بن أسلم بن صفوان. (٢٧-١١٤هـ). تابعي، من أجلاء الفقهاء، كان عبدًا أسود ولد في جند باليمن، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها. تذكرة الحفاظ (٩٢/١)، تهذيب التهذيب (١٩٩/٧)، صفة الصفوة (١١٩/٢)، الوفيات (١/ ٣٣٨)، الأعلام (٤/ ٢٣٥).

(٢) طاووس بن كيسان، طاووس بن كيسان الخولاني، الهمداني، أبو عبد الرحمن (٣٣-١٠٦هـ). من أكابر التابعين تفقهًا في الدين ورواية للحديث وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من الفرس ومولده ومنشأه في اليمن. تهذيب التهذيب (٨/٥)، صفة الصفوة (١٦٠/٢)، حلية الأولياء (٣/٤)، الأعلام (٢٢٤/٣).

(٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي (٢١-١٠٤هـ). مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة. صفة الصفوة (١١٧/٢)، حلية الأولياء (٢٧٩/٣)، الأعلام (٢٧٨/٥).

(٤) جنادة، جنادة بن أبي أمية مالك الأزدي الزهراني (٠٠ – ٨٠هـ). قائد بحري، صحابي من كبار الغزاة في العصر الأموي، ممن شهد فتح مصر ودخل جزيرة رودس فاتحًا سنة ٥٣هـ وتوفي بالشام. الاستيعاب (٢٤٢/١)، الأعلام (١٤٠/٢).

(٥) حسان بن عطية. معجم الصحابة (٧/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٦٧/٥)، الإصابة ت (٦٧٦٣)، مقتل الشهيد عثمان (٢٣٨/١)، تاريخ بغداد (٨٨/٥).

(٦) سبق ترجمته.

(٧) ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، أبو الحارث (٨٠ – ١٥٨ هـ). من بني عامر بن لؤي من قريش، تابعي، من رواة الحديث، من أهل المدينة كان يفتي بها، يشبه بسعيد بن المسيب من أروع الناس وأفضلهم في عصره تهذيب التهذيب (٣٠٣/٩)، النجوم الزاهرة (٣٥/٢)، الأعلام (١٨٩/٦)، تذكرة الحفاظ (١٩١/١).

(٨) سبق ترجمته.

(٩) سبق ترجمته.

(١٠) سبق ترجمته في القول الجلي.

(١١) سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، أبو محمد (٩٠- ١٦٧هـ). فقيه دمشق في عصره، كان حافظًا حجة تذكرة الحفاظ (٢٣/١)، الأعلام (٩٧/٣).

والليث بن سعد[١]، وعمرو ابن الحارث[٢] بمصر، وسفيان الثوري[٣]، وحماد بن زيد[٤] بالعــراق، وعبد الله بن المبــارك[٥] بخراسان، وهلم جرًّا في كل عصر وأوان، وطبقة من الأعــلام الأعيــان، لكن كل طبقــة دون التي قبلها فيما نعلم، والفضل للسابــق الذي سلف وتقدم، فكل مقام له مقال، وكل زمان له أئمة ورجال، أين طبقة شيخ الإسلام أبي زكريــا النواوي[٦] من طبقة من أخذ عنه، بل أين طبقة شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي[٧] من طبقة أهل عصرنا حفظ الله خيارهم بما حفظ به الأبرار، وأصلح شرارهم من ارتكاب الهــوى الذي يهــوي بصاحبه في النــار. نعم إن جماعة من الشافعية والحنابلــة في طبقة شيوخ شيوخنــا ومن فوقهم بقليل، أطلق على كل منهم شيخ الإسلام طائفة من أهل الجرح والتعديل، كأبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم الفــزاري[٨]،

(١) عمرو بن الحارث، عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري، أبو أمية (٩٠- ١٤٧هـ). أخطب أهل عصره ومن أرواهم للشعر وأحفظهم للحديث أصله من المدينة. تهذيب التهذيب (٨/١٤)، الأعلام (٥/٧٦).

(٢) الليث بن سعد، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث (٩٤- ١٧٥هـ). إمام أهل مصر في عصره، حديثًا وفقهًا أصله من خراسان ومولده في قلقشندة ووفاته بالقاهرة. وفيات الأعيان (١/٤٣٨)، تهذيب التهذيب (٨/٤٥٩)، تذكرة الحفاظ (١/٣٠٧)، الأعلام (٥/٢٤٨).

(٣) سبق ترجمته.

(٤) حماد بن زيد، حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهمي البصري أبو إسماعيل (٩٨- ١٧٩هـ). شيخ العراق في عصره من حفاظ الحديث المجودين يعرف بالأزرق مولده ووفاته في البصرة. تذكرة الحفاظ (١/٢١١)، تهذيب التهذيب (٣/٩)، حلية الأولياء (٦/٢٥٧)، الأعلام (٢/٢٧١).

(٥) ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التميمي، المروزي، أبو عبد الرحمن (١١٨- ١٨١هـ). حافظ، شيخ الإسلام، جمع الحديث والفقه والعربية من سكان خراسان. تذكرة الحفاظ (١/٢٥٣)، حلية الأولياء (٨/١٦٢)، الأعلام (٤/١١٥).

(٦) سبق ذكره.

(٧) الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي، أبو محمد، جمال الدين (٧٠٤ -٧٧٢هـ). فقيه أصولي من علماء العربية، انتهت إليه رئاسة الشافعية، وولي الحسبة ووكالة بيت المال. البدر الطالع (١/٣٥٢)، الدرر الكامنة (٢/٣٥٤)، الأعلام (٣/٣٤٤).

(٨) الفركاح، عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري البدري، أبو محمد، تاج الدين (٦٢٤-٦٩٠ هـ). مؤرخ، من علماء الشافعية، مصري الأصل دمشقي الإقامة والشهرة والوفاة. فوات الوفيات =

وأبي الفتح محمد بن علي القشيري[1] وأبي محمد عبد الله بن مروان الفارقي الشافعيين[2]، وأبي الفــــرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي[3] أول قضاة الحنابلة بدمشق، وأبي محمد مسعود بن أحمد الحارثي[4]، وأبي العباس أحمد ابن تيمية الحنبليين[5]، فهؤلاء بعض من سُمِّي بشيخ الإسلام من هذه الطبقة، وتسميتهم بذلك مشهورة محققة، ومع احتمال وجوه معاني لفظة شيخ الإسلام كيف يكفر من سَمَّى ابن تيمية الإمام، كما زعمه بعض من لا يدرى ترجمة المشار إليه، أو يدري، ولكن هواه يصده عن الحق أن يعتمد عليه، ولقد صدق العلامة الإمام، قاضي قضاة الإسلام، بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى السبكي الشافعي[6]- رحمه الله- حيث يقول لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية، فقال والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به انتهى.

مع أن جماعة من الأئمة فيهم كثرة ترجموه بذلك وشهرواْ بإمامته وقدره أتراهم بهذا من الكفار الذين استوجبواْ خلود النار، لا والذي يقول للشيء كن فيكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وها أنا بعون الله تعالى العلي الكبير، ذاكر من أثنى عليه بذلك وبغيره من الجم

=

(٢٥٠/١)، الأعلام (٢٩٣/٣).

(١) سبق ذكره.

(٢) عبد الله بن مروان الفارقي. شيخ الشافعي وشيخ دار الحديث. تاريخ الخلفاء (٤٧٨/١)، الدرر الكامنة (١٦٢/٤).

(٣) لم يتم العثور على ترجمته.

(٤) الحارثي، مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد، سعد الدين العراقي المصري. (٦٥٢- ٧١١هـ). فقيه حنبلي، ولد ونشأ بمصر، وسكن دمشق فولي بها مشيخة الحديث النورية. الدرر الكامنة (٣٤٧/٤)، شذرات الذهب (٤٨/٦)، الأعلام (٢١٦/٧).

(٥) سبق ترجمته في القول الجلي.

(٦) ابن عبد البر، محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء السبكي. (٧٠٧ -٧٧٧هـ). فقيه شافعي مصري، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب، ولي قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وولي قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. الدرر الكامنة (٤٩٠/٣)، الوافي بالوفيات (٢١٠/٣)، الأعلام (١٨٤/٦).

الغفير، ممن حضرني ذكره، وظهر لي بل لزمني إشاعته ونشره، ليعلمه من حكى عنه التكفير بذلك، ما وقع فيه من المآثم والمهالك، ولقد كان العلامة الإمام، قاضي قضاة مصر والشام أبو عبد الله محمد بن الصفي عثمان بن الحريري الأنصاري الحنفي(١) كان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام(٢) فمن؟ وسيأتي- إن شاء الله- ذلك في ترجمته لأني رتبت أسماء من شهد لابن تيمية من الأعلام بإمامته، وأنه شيخ الإسلام على حروف المعجم المألوفة، اتباعًا للطريقة المعروفة وابتدأت من ذلك بالمحمدين تبركًا باسم سيد المرسلين- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- واقتداءً بأول من رتب الأسماء على الحروف من المحدثين، وهو أبو عبد الله البخاري شيخ الإسلام والمسلمين.

(فمنهم) الشيخ الإمام الحافظ الفقيه العالم الأديب البارع فتح الدين أبو الفتح محمد ابن الحافظ أبي عمر محمد ابن الحافظ العلامة الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن أبي القاسم بن سيد الناس اليعمري الأندلسي الإشبيلي، ثم المصري الشافعي مولده بالقاهرة في العشر الأول من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة، وتوفي يوم السبت حادي عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، بالقاهرة وصُلِّيَ عليه من الغد ودفن عند ابن أبي حمزة وكانت جنازته مشهورة، وله مصنفات مفيدة، ومؤلفات حميدة، منها كتاب النفح الشذي في شرح كتاب الترمذي.

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي قال الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المصري بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ المزي، قال وهو الذي جرأني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد أن يستوعب السنين والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم تر أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير، فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحره العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، على

(١) محمد بن عثمان بن أبي الحسن الأنصاري الدمشقي الحنفي بن الحريري شمس الدين قاضي القضاة شيخ الحنفية بمصر طبقات المحدثين.

(٢) سبق ترجمته في القول الجلي.

أن دَبَّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد، فحفظواْ عنه في ذلك كلامًا، أوسعوه بسببه ملامًا، وفوقواْ لتبديعه سهامًا، وزعمواْ أنه خالف طريقهم، وفرق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقراء إلى طريقه، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق، وذكر لها على ما زعم بوائق، فاضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه واستعانت بذوي الطعن عليه من مقاطعيه فوصلواْ بالأمراء أمره، وأعمل كل منهم في كفره فكبره، فرتبواْ محاضر، وألبواْ الرويبضة للسعي بها بين الأكابر، وسعواْ في نقله إلى حاضرة المملكة بالديار المصرية، فنقل وأودع السجن ساعة حضوره، واعتقل وعقدواْ لإراقة دمه مجالس، وحشدواْ لذلك قومًا من عمار الزوايا وسكان المدارس، من مجامل في المنازعة، مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة، يسومونه ريب المنون، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دَبَّتْ إليه عقارب مكره، فرَدَّ الله كيد كلٍّ في نحره، ونجاه على يد من اصطفاه، والله غالب على أمره ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنه، إلى أن فوض أمره إلى بعض القضاة فتقلد ما تقلد من اعتقاله، ولم يزل بمجلسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، وإلى الله ترجع الأمور، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وكان يومه مشهودًا، ضاقت بجنازته الطريق، وأتى إليها المسلمون من كل فج عميق، يتبركون بمشهده يوم تقوم الأشهاد، ويتمسكون بترجعه حتى كسرواْ تلك الأعواد، وذلك في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، بقلعة دمشق المحروسة، وكان مولده بحرَّان في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، رحمه الله تعالى وإيانا. ثم روى عنه ابن سيد الناس حديثًا فقال: وقرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم، ومدرك غاية المفهوم، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني -رحمه الله- بالقاهرة قدم علينا قلت له أخبركم الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي، ثم ذكر سنده إلى الحسن بن عرفة فروى من خبره حديثًا.

(ومنهم) الشيخ العالم الفاضل المحدث البارع الأصيل شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ المسند أبي عبد الله بن محمد والشيخ المسند الكبير أبي بكر ابن الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير المقدسي

الصالحي[١] ولد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وسمع من أبيه وجده أبي بكر وآخرين وطلب بنفسه وعني بالمسائل فتفقه وحرر الأسامي، وتنبه وتوفي سنة خمس وسبعين وسبعمائة وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وجدت بخطه في طبقة سماع صحيح مسلم على أبيه محمد بن أبي بكر وآخرين ما صورته وعلى الأخوين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وأخيه زين الدين عبد الرحمن[٢] جميع النقاد الخامس سوى من أوله إلى قوله حدثنا زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية حدثني محمد بن أبي عائشة أنه سمع أبا هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: (قال رسول الله ﷺ إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع) الحديث، وذكر بقية طبقة السماع المشار إليها وهي نقل بخط المذكور ويعتمد عليها.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد ذو الفنون عمدة المحدثين متقن المحررين شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عماد الدين أبي العباس أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد وعبد الهادي بن يوسف بن محمد وقدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الصالحي الحنبلي ولد في شهر رجب سنة أربع وقيل سنة خمس وقيل سنة ست وسبعمائة قرأ القرآن العظيم بالروايات، وسمع ما لا يحصى من المرويات من القاضي سليمان بن حمزة وأبي بكر بن عبد الدائم وآخرين ورافق الحفاظ والمحدثين، وعني بالحديث وأنواعه ومعرفة رجاله وعلله وتفقه وأفتى ودرس وجمع وألف وكتب الكثير وصَنَّف وتصدى للإفادة والإسماع والإشغال في فنون من العلوم ومن مصنفاته تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي مجلدان والمحرر في الأحكام مختصر مفيد والكلام على أحاديث مختصر ابن الحاجب[٣] مؤلفان مطول ومختصر وجزء في الرد على أبي حيان فيما رده على بن مالك، وجمع التفسير المسند لكنه مات قبل إتمامه وكان إمامًا في علوم كالتفسير والقرآت والحديث والأصول والفقه واللغة العربية وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وفي طبقات الحفاظ، وأثنى عليه فيهما ثناءً حميدًا، وروى عن المزي عن السروجي عن ابن عبد الهادي، وقال الذهبي: والله ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه انتهى.

---

(١) ابن نعمة، أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، أبو العباس، زين الدين (٥٧٥- ٦٦٨هـ). نساخ، من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث ولد بفندق الشيوخ وانتقل إلى دمشق، وتوفي بها فوات الوفيات (٤٦/١)، الأعلام (١٤٥/١).

(٢) لم يتم العثور على ترجمته.

(٣) سبق ذكره.

توفي رحمه الله في عاشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبعمائة ودفن بسفح قاسيون، وكانت جنازته حافلة ورؤيت له منامات حسنة. ومن مصنفاته ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية في مجلد. قال فيه هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، وحيد الدهر، شيخ الإسلام، بركة الأنام، علامة الزمان، وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قامع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين، أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني نزيل دمشق، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها ولا يلحق في شكلها توحيدًا وتفسيرًا، وإخلاصًا وفقهًا وحديثًا ولغةً ونحوًا وبجميع العلوم كتبه ملآى بذلك، ولقد ترجمه ابن عبد الهادي[١] شيخ الإسلام مرارًا كثيرة، وذكر من مناقبه في ترجمته أشياء خطيرة، وعَدَّ كثيرًا من مصنفاته، ونصَّ على نفائس من مؤلفاته، وذكره في كتابه طبقات الحفاظ بترجمة مختصرة ونعوت جامعة محررة من أوصاف الأئمة للشيخ تقي الدين. ومنها ما يأتي -إن شاء الله- في ترجمة ابن الزملكاني[٢] كمال الدين.

(ومنهم) الشيخ الإمام الحافظ الهمام مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمخرجين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قائماز بن عبد الله التركماني الفارقي الأصل الدمشقي ابن الذهبي الشافعي[٣] مولده فيما وجدته بخطه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير من دمشق -رحمه الله تعالى- ومشيخته بالسماع والأجازة نحو ألف شيخ وثلاثمائة شيخ يجمعهم معجمه الكبير وكان آية في نقد الرجال عمدة في الجرح والتعديل عالمًا بالتفريع والتأصيل إمامًا في القرآت فقيهًا في النظريات له دربة بمذهب الأئمة وأرباب المقالات قائمًا بين الخلف ينشر السنة ومذهب السلف أنشدونا عنه لنفسه:

الفقـه قـال الله قـال رسولـه ... إن صَـحَّ والإجمـاع فاجتهد فيه
وحـذار من نصب الخلاف جهالة ... بـين النبي وبـين رأي فقيـه

---

(١) سبق ذكره.
(٢) سبق ذكره.
(٣) سبق ذكره.

وله المؤلفات المفيدة والمختصرات الحسنة والمصنفات السديدة منها: تاريخ الإسلام في عشرين مجلدًا، وسير النبلاء في عشرين مجلدًا، وميزان الاعتدال في نقد الرجال وغير ذلك، وهو الذي قال فيه الإمام العالم العلامة الأوحد أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الموصلي الطرابلسي الشافعي[1] لما قدم دمشق متوجهًا إلى الحج سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

مازلت بالسمع أهواكم وما ذكرت   أخباركم قط إلا ملت من طـــرب

ولـــيس من عجب أن ملت نحوكم   فالناس بالطبع قد مالواْ إلى الذهب

ولقد وجدت بخطه في مواضع عدة سَمَّى فيها الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام، منها في الاستجازة الكبيرة المعروفة بالألفية التي هي بخط المحدث أبي عبد الله محمد بن يحيى بن سعد المقدسي سأل فيها الإجازة من مشايخ العصر، لأكثر من ألف إنسان مؤرخة بيوم الأحد سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وسبعمائة فأول من أجاز وكتب فيها خطه بذلك الشيخ تقي الدين فوجدت بخطه أول الشيوخ المجيزين ما صورته أجزت لهم ما سئلت إجازته بشروطه كتبه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية وكتب قبالة ذلك، الحافظ أبو عبد الله الذهبي المذكور وما وجدته بخطه هو شيخ الإسلام، تقي الدين سمع بن عبد الدائم وابن أبي اليسر[2]، وسمع مسند أحمد[3] والكتب الستة وشيئًا كثيرًا وهو حافظ عارف بالرجال، ووجدت بخط الذهبي أيضًا على حاشية استدعاء إجازة ما صورته فوائد نقلها كاتبها محمد بن أحمد من إجازة شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية لأهل سبتة انتهى. وكانت هذه الإجازة سنة تسع وسبعمائة بثغر الإسكندرية وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وكتب الحافظ الذهبي أيضًا طبقة سماع كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام على مؤلفه الشيخ تقي الدين، والطبقة آخر الكتاب فقال سمع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين سيد العباد أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني- رضي الله تعالى عنه- وذكر بقية الطبقة، وقال الحافظ

---

(١) ابن الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي، شمس الدين (٦٩٩- ٧٧٤هـ) أديب، عالم بالفقه، علم بعلبك ودمشق وحماة توفي بطرابلس الدرر الكامنة (٤/١٨٨)، الوافي (١/ ٢٦٢)، الأعلام (٧/٣٩).

(٢) ابن أبي اليسر. طبقات الحفاظ (١/٥١٩)، الوفيات (١/٢٦٩).

(٣) سبق ذكره.

علم الدين أبو محمد القاسم بن البرزالي.[١] رأيت في إجازة لابن الشهرزوري[٢] الموصلي خط الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين الذهبي هذا خط شيخنا الإمام شيخ الزمان فرد الزمان بحر العلوم تقي الدين مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين وصَنَّفَ التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار، التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره في أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيها نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرًا، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جدًا، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النعت وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس انتهى.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي[٣] مرة أخرى في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقَلَّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة، ولما كان معتقلاً بالإسكندرية التمس منه صاحب سبتة أن يجيز له مروياته وينص على أسماء جملة منها، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه وبَدَّعوه وناظروه وكاتبوه وهو

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن الشهرزوري، محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم، أبو حامد، محيي الدين (٥١٩- ٥٨٦هـ). قاضي الموصل، رحل إلى بغداد فتفقه على مذهب الشافعي، ولي قضاء حلب وتوفي بالموصل الأعلام (٢٥/٧).

(٣) سبق ذكره في كتاب القول الجلي.

ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أدَّاه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتهر منه من الورع وكمال الفكر وسرعة الإدراك، والخوف من الله العظيم، والتعظيم لحرمات الله فجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله تعالى فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش له أوراد وأذكار يديمها بكيفية وجمعيّة وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه، وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان وألقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين وبخطلو شاه، وببولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله رأى هو مثل نفسه في العلم. وقال الذهبي[1] أيضًا جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية- رضي الله عنه- فوجدته ألف مصنف ثم رأيت له أيضًا مصنفات أخر وترجمة أبي عبد الله الذهبي للشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، ترى ذلك في قصيدته التي رثاه بها بعد موته وهي ما (أنبأنا) شيخنا الحافظ الكبير أبو بكر محمد ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد السعدي قال: أنشدنا الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي يرثي شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه:

يا موت خذ من أردت أو فدع ... محوت رسم العلوم والورع

أخذت شيخ الإسلام وانقصمت ... عرى التقى واشتفى منه أولو البدع

غيبت بحرًا مفسرًا جبلاً ... حبرًا تقيًا مجانب الشيع

فإن تحدث فمسلم ثقة ... وإن تناظر فصاحب اللمع

وإن يخض نحو سيبويه يفه ... بكل معنى من الفن مخترع

وصار عالي الإسناد حافظة ... كشعبة أو سعيد الضبعي

والفقه فيه مكان مجتهد ... وذا جهاد عارٍ من الجزع

(١) سبق ذكره.

وجـــــوده الحاتمـــــي مشتهـــر وزهـــــده القـــــادري في الطمـــع
أســـكنـــه الله في الجـــنـــان ولا زال علـــيـــًا في أجمـــــل الخلـــــع
مـــــع مالـــك والإمـــام أحمـــد والـــنعمـــان والشافعـــي والخلعـــي
مضـــى ابـــن تيميـــة وموعـــده مع خصمـــه يـــوم نفخـــة الفـــزع

(ومنهم) الشيخ الإمام المحدث العالم المفيد أمين الدين جمال المحدثين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ المسند أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الواني[1] المؤذن توفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بعد وفاة أبيه ببضع وأربعين يومًا وكانت وفاة أبيه يوم الخميس سادس صفر من السنة وبعد موت أمين الدولة بقليل رؤي في المنام، وذلك فيما قال الفقيه المحدث تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب جلال الدين محمد بن محمد البخاري[2] وفي يوم الأربعاء بعد العصر خامس جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة أخبرني الشيخ علم الدين البرزالي[3] أن شمس الدين السراج[4] أخبره أنه رأى في منامه أمين الدين الواني المؤذن- رحمه الله- أنه قاعد على باب حانوت وعليه ثياب حسنة فقلت له: إيش حسك؟ قال: بخير قال: وإن هناك خيمة في الحانوت، فتعجبت من ذلك وقلت: خيمة تكون في حانوت فقلت لأمين الدين الواني أخبرني عن فخر الدين البعلبكي[5] فقال: لا أعرف فقلت له: لأي شيء لا تعرف وهو مات قبلك فقال إلى عندي، قال: فجئت إليه فقال لي في أذني قليلاً قليلاً فخر الدين في السماء التي فيها ابن تيمية، والسراج المذكور هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن تمام بن يحيى السراج الحراني، وفخر الدين البعلبكي هو الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي- رحمه الله تعالى- وسيأتي ذكره- إن شاء الله تعالى-.

خرج المحدث أمين الدين بن الواني المذكور للشيخ تقي الدين ابن تيمية جزءًا عن كبار

(١) محمد الواني، محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني الخلاصي الهمداني الدمشقي الحنفي المؤذن، أمين الدولة، أبو عبد الله (٦٨٤-٧٣٥هـ). محدث، ولد بدمشق ورحل إلى مصر الدرر الكامنة (٣/ ٢٩٣)، معجم المؤلفين (٨/ ٢١٤).
(٢) لم يعثر على الترجمة.
(٣) سبق ذكره.
(٤) سبق ذكره.
(٥) سبق ذكره.

مشايخه الذين سمع منهم وحَدَّثَ به الشيخ تقي الدين فسمعه منه جماعة منهم ما قال المخرِّج فيما وجدته بخطه وسمع صاحبه الأمير الأجل الفاضل علاء الدين أبو الحسن علي بن قيران السكري[١] على الشيخ الإمام العلامة الأوحد الحبر البحر القدوة الكامل الراسخ تقي الدين شيخ الإسلام علامة الأعلام قدوة الأئمة مفيد الأمة قامع البدعة ناصر السنة، بقية المجتهدين إمام السالكين، فريد عصره، ووحيد دهره، أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي محمد عبد الحليم ابن شيخ الإسلام العلامة مجد الدين أبي محمد عبد السلام بن عبد الله بن محمد ابن تيمية فَسَّح الله في مدته، وأعاد علينا من بركته جزءًا فيه أربعون حديثًا عن أكابر شيوخه وعواليهم الذين سمع منهم انتقاه له مثبت هذا السماع محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني بقراءة الإمام محب الدين عبد الله بن المحب المقدسي في يوم ثامن عشر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وسبعمائة بمشهد عثمان من جامع دمشق، وأجاز له الحمد لله رب العالمين.

وقال مخرج الأربعين أيضًا فيما وجدته بخطه على جزء بالأربعين سمع جميع هذا الجزء على المخرج له سيدنا وشيخنا الإمام السند الإمام العلامة البارع الأوحد القدوة الحافظ الناقد الحجة العمدة الكامل الراسخ الحبر البحر تقي الدين شيخ مشايخ الإسلام وأوحد العلماء الأعلام إمام الطوائف كنز المستفيدين بحر العلوم آخر المجتهدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين عبد الحليم ابن العلامة الأوحد المجتهد مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن محمد ابن تيمية الحراني فَسَّح الله في مدته بسماعه من شيوخه فيه بقراءة أبي عبد الله محمد بن محمد بن اسماعيل بن نصر الله بن النحاس[٢] وقال ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني وهذا خطه، ثم قال: وثبت في يوم الأحد ثاني عشري جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة بدار الحديث السكرية بدمشق، وأجاد، وقد وجدت أيضًا بخط الأمين بن الواني المذكور طبقة سماعه لجزء الحسن بن عرفة[٣] صورتها سمع هذا الجزء وهو حديث الحسن بن عرفة العبدي على المشايخ الاثنين والعشرين الإمام العلامة الحجة الحافظ القدوة الزاهد الورع شيخ الإسلام قدوة الأنام مفتي الشام أوحد العصر فريد الدهر

---

(١) علي بن قيران، أبو الحسن علاء الدين السكري، توفي في العشر الأول من ذي القعدة بالمارستان المنصوري بالقاهرة سنة ٧٤٤. الوفيات (١/٤٧٣)، الدرر الكامنة (٤/١١٤).

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

(٣) العبدي، الحسن بن عرفة، أبو علي. (١٥٠- ٢٥٧هـ). بغدادي، مؤدب، من رجال الحديث شذرات الذهب (٢/١٣٦)، الأعلام (٢/١٩٩).

بركة الوقت تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني وذكر بقية طبقة السماع وذكر السامعين، ثم قال: وكاتب هذه الطبقة محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الواني وحضر أخوه أحمد في السنة الرابعة وذكر بقية ذلك.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم البارع الأوحد المحدث الفقيه شمس الدين جمال الفقهاء مفيد المحدثين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن غنائم بن وافد بن سعيد الصالحي الحنفي ابن المهندس[1] كتب الكثير ورحل ودأب وسمع وطبق وكتب وعنى بهذا الشأن وأخذ عن خلق وجماعة من الأعيان نسخ تهذيب الكمال تأليف المزي مرتين ونسخ كتاب الأطراف للمزي أيضًا بخطه الواضح الحسن، وكان دينًا متواضعًا ولد سنة خمس وستين وستمائة وتوفي يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بدمشق ودفن بسفح قاسيون- رحمه الله تعالى- ترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام مرارًا منها ما وجدته بخطه على جزء الحسن بن عرفة سمع جميع هذا الجزء وهو جزء الحسن بن عرفة على المشايخ الاثنين والعشرين شيخنا الإمام العلامة الحجة الحافظ القدوة الزاهد الورع شيخ الإسلام قدوة الأنام مفتي الشام، أوحد العصر فريد الدهر تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني[2]وسيدنا قاضي القضاة نجم الدين ضياء الإسلام شرف الأنام، رئيس الأصحاب صدر الشام، سيد العلماء والحكام، أبي العباس أحمد بن محمــد بن سالــم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صقر بن التعلبي، وذكر بقية المشايخ وطرفهم إلى الحسن بن عرفة، ثم قال بقراءة الإمام العالم المحدث المتقن علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن البرزالي ابنه محمد، وذكر طائفة من السامعين ثم قال وآخرون على نسخة القارئ منهم كاتب السماع محمد بن إبراهيم بن غنائم ابن المهندس وابنه عبد الله جبره الله وَصَحّ ذلك وثبت يوم الجمعة ثالث ربيع أول سنة اثنتين وسبعمائة بجامع دمشق بالكلاسة، وأجاز المشايخ للجماعة ما لهم روايته والحمد لله وحده.

(ومنهم) الشيخ الصالح العالم المسند الكبير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن

---

(١) محمد بن إبراهيم بن غنائم بن المهندس الصالحي الحنفي، شمس الدين من أركان الرواية في عصره وابن مهندس المدرسة الظاهرية بدمشق، سمع من ابن أبي عمر وابن شيبان ذيل تذكرة الحفاظ صفحة (١٠٧).

(٢) سبق ذكره. انتهى الجزء الأول.

محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يعقوب بن إلياس الأنصاري الخزرجي بن إمام الصخرة البياني الدمشقي المقدسي من أصحاب الفخر بن البخاري[١] وزينب ابنة مكي[٢] وابن المجاور[٣]، وحدث مرارًا، قال أخبرنا شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني- رحمة الله عليه- بجميع كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان مناولة فذكره، قرأه عليه بهذا الإسناد الإمام العلامة ذو الفنون أبو المظفر يوسف بن محمد السرمري[٤]- رحمة الله عليه-.

(ومنهم) الشيخ الصالح الإمام العلامة مفتي المسلمين مفيد الطالبين بقية المسندين تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر بن بردس بن رسلان البعلبكي الحنبلي[٥]. مولده فيما حدثني به يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة ببعلبك. أسمعه والده الكثير وقرأ هو بنفسه وطلب واجتهد في تحصيل العلم ودأب وروى كثيرًا من مسموعاته، وانتفع كثير بفقهه ومروياته. ولم يزل على خير فيما نعلم إلى أن جاءه الأمر المحكم، وجدت بخطه- رحمه الله تعالى- على فتاوى فقهية سئل عنها الشيخ تقي الدين ابن تيمية ما صورته، سئل الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مفتي الأنام بقية السلف الكرام العالم الرباني والحبر النوراني، آثار المرسلين، وكاشف حقائق الدين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني- قَدَّسَ الله روحه- ثم ذكر المسائل وجواب الشيخ تقي الدين عنها.

(ومنهم) الإمام العالم المحدث المفيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) زينب بنت مكي بن علي الحراني (٥٩٤-٦٨٨ هـ). فقيهة، ازدحم عليها الطلبة، يأخذون منها علوم الدين. توفيت في دمشق الأعلام (٦٧/٣).

(٣) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي، أبو الفتح، جمال الدين (٦١٠-٦٩٠هـ). مؤرخ، عالم بالحديث، من الكتاب من أهل دمشق. النجوم الزاهرة (٣٣/٨)، شذرات الذهب (٤١٧/٥)، الأعلام (٢٥٨/٨).

(٤) السرمري، يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العبادي العقيلي أبو المظفر جمال الدين (٦٩٦-٧٧٦هـ). نزيل دمشق حافظ للحديث، من علماء الحنابلة، رحل إلى دمشق وتوفي فيها. شذرات الذهب (٢٤٩/٦)، بغية الوعاة (٤٢٣)، الأعلام (٢٥٠/٨).

(٥) سبق ترجمته.

أحمد بن إسرائيل الخبري ابن النقيب نقيب القرماني[١].ولد سنة نيف وسبعمائة. أكثر عن الحافظين المزي والذهبي، وسمع من أصحاب ابن عبد الدائم وغيره، وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين، وقال وعلى ذهنه متون وسائل وعلق كثيرًا وقراءته جيدة بينة وسمع من ابن الشحنة . انتهى.

ترجم الشيخ تقي الدين ابن تيمية بشيخ الإسلام، ووجدت بخطه نقل طبقة سماع على كتاب الجمعة للقاضي أبي بكر أحمد بن علي المروزي صورته سمع جميع هذا الجزء على الشيخ الجليل فخر الدين أبي المكارم خطاب بن محمد بن أبي بكر بن كنانة الموصلي[٢] قال أخبرنا أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن رواح[٣] قراءةً عليه وأنا أسمع أخبرنا قال قرأ على الإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي[٤] وساق ابن النقيب المذكور بقية الإسناد إلى المؤلف، وقال بقراءة الإمام العلامة شيخ الإسلام بقية السلف تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية- رحمة الله عليه- الشيخ الإمام الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي[٥]- أحسن الله إليه- وصَحَّ ذلك وثبت في يوم الجمعة منتصف رمضان سنة إحدى وثمانين وستمائة وذكر ابن النقيب أنه نقله من خط البرزالي.

(ومنهم) الشيخ الصالح الزاهد العابد العالم الفقيه الحافظ المفيد شمس الدين مفتي المسلمين أبو عبد الله محمد بن خليل ابن محمد بن طوغان بن عبد الله التركي المنصفي الحنبلي الحريري[٦]، مولده تقريبًا سنة ست وأربعين وسبعمائة، انتقى على بعض الشيوخ

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني المالكي، رشيد الدين، أبو محمد بن رواح، ولد سنة (٥٥٤هـ). محدث سمع الكثير من السلف. شذرات الذهب (٢٤٢/٣)، سير أعلام النبلاء (٢٥٣/١٧)، بغية الطلب في تاريخ حلب (٦٣٨/٢)، طبقات الشافعية الكبرى (٢٧٤/٢)، (٩/ ١٦٩)، ذيل تذكرة الحفاظ صفحة (١٥٩)، العبر في جزء من غبر (٢٠٠/٥).

(٤) سبق ذكره.

(٥) سبق ذكره.

(٦) محمد بن خليل بن محمد بن طوغان الدمشقي الحريري الحنبلي، شمس الدين أبو عبيد الله المعروف بابن المنضعي، ولد (٧٤٦هـ). اشتغل في الفقه وشارك في العربية والأصول وسمع الكثير من أصحاب ابن البخاري. شذرات الذهب (٣٥/٤)، ذيل تذكرة الحفاظ (١٨٥/١)، المقصد الأرشد (٤٠٩/٢).

وخرج وأكثر عن شيخنا الحافظ أبي بكر بن المحب[(١)] وبه تخرج وسمع من خلق كثير منهم عثمان بن يوسف بن غدير[(٢)]، وحرر في هذا الشأن أيما تحرير. توفي بقلعة دمشق عقيب فتنة التتار من محنة حصلت له فيها وحرق بالنار. وذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة وكان معظمًا للشيخ تقي الدين محبًا له بكثرة، وترجمه بشيخ الإسلام غير ما مرة.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الزاهد الورع الحافظ الفقيه الناقد المفيد عمدة المحدثين تقي الدين أبو المعالي محمد بن الشيخ المحدث الزاهد جمال الدين أبي محمد رافع بن أبي محمد هجرس[(٣)] بن محمد بن شافع بن محمد بن نعمة بن فنيان بن منير بن سعد الصميدي السلامي ثم المصري ثم الدمشقي الشافعي ولد بالقاهرة سنة أربع وسبعمائة في ليلة الأربعاء تاسع ذي القعدة، وتوفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة، سمع من الحسن سبط زيادة وابن القيم وجماعة حضورًا، وارتحل به والده سنة أربع عشرة فأسمعه من القاضي سليمان بن حمزة [(٤)] وأبي بكر بن عبد الدائم وطائفة وسمع جميع تهذيب الكمال من الحافظ أبي الحجاج. ثم توفي والده محبب إليه هذا الشأن وحَجَّ وقدم علينا سنة ثلاث وعشرين وقد صار ذا معرفة فسمع الكثير ثم رجع ثم قدم من العام القابل، فازداد واستفاد ثم قدم سنة تسع وعشرين، وذهب إلى حماه وحلب روى لنا عن أبي حيان قصيدةً وتحول إلى دمشق سنة تسع وثلاثين فاستوطنها، وحصل له وظائف قاله الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين خرج ابن رافع لنفسه معجمًا حافلاً، وخرج له الحافظ الذهبي جزءًا من العوالي عن طائفة من مشايخه سمعه منه جماعة من العلماء في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة. ووجدت بخطه طبقة السماع في بيت بني المحب صورتها وسمع صاحبه الولد السعيد أبو الفتح أحمد وأخوه محمد علي الشيخ الإمام العالم

---

(١) محمد بن الرضي عبد الرحمن بن محمد، أبو بكر بن المحب. الوفيات (١/٢٧٠)، شذرات الذهب (٤/ ٢٣٨).

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) ابن رافع السلامي، محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامي العميدي، أبو المعالي، تقي الدين. (٧٠٤- ٧٧٤هـ). مؤرخ، فقيه، من حفاظ الحديث، حوراني الأصل، ولد في مصر. الدرر الكامنة (٣/٤٣٩)، شذرات الذهب (٦/٢٣٤)، الأعلام (٦/١٢٤).

(٤) المقدسي، سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقي الدين بن قدامة المقدسي. (٦٢٨-٧١٥هـ). فقيه حنبلي مقدسي الأصل دمشقي المولد والوفاة، مسند الشام، ولي القضاء عشرين سنة. طبقات المحدثين (١/٢٣٠)، الوفيات (١/١٧١)، شذرات الذهب (٣/٢٠٤)، سير أعلام النبلاء (٧/١٧٦)، الأعلام (٣/١٢٤).

الأوحد الحبر الكبير شيخ العلماء بركة الأنام كنز المستفيدين القدوة العمدة الحافظ تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني[(١)] جَزْءًا فيه أربعون حديثًا من مروياته خرجها له الإمام أمين الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الواني[(٢)] عن كبار مشايخه الذين سمع منهم وذكر بقية السماع وأنه كان بدار الحديث السكرية بالقصاعين من دمشق، وأحال على القراءة والتاريخ المذكورين قبل هذه الطبقة، فالسماع بقراءة والد أبي الفتح أحمد وأخيه ولدى الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المحب عبد الله المقدسي والتاريخ في يوم الجمعة بعد الصلاة رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثم كتب ابن رافع آخر الطبقة المشار إليها ما صورته وأجاز كاتبه محمد بن رافع بن أبي محمد وسمع معهما انتهى ما وجدته.

(ومنهم) الشيخ العالم الفقيه العابد الناسك شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ سعد الدين أبي محمد سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد بن عمر الحراني بن نجيح[(٣)] سمع من أبي الحسن علي ابن البخاري وآخرين وتفقه بجماعة منهم الشيخ تقي الدين، وأذن له في الإفتاء فأفتى وكان من خيار المسلمين توفي بوادي بني سالم بين الحرمين بعد فراغه من الحج فحمل إلى المدينة الشريفة ودفن بالبقيع في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وكان للشيخ تقي الدين من جملة ملازميه والخدام، وكان يترجمه فيما ننقله عنه ويحكيه بشيخ الإسلام.

(ومنهم) الشيخ العالم الفاضل المحدث المفيد المخرج الرجال جمال المحصلين ناصر الدين أبو المعالي محمد بن طفريل بن عبد الله الخوارزمي ابن الصيرفي[(٤)] المتصوف ولد سنة ثلاث وتسعين وستمائة، ورحل إلى عدة من الأقطار وأخذ عن خلائق من رواة الآثار.

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القادر بن نجيح الحراني الحنبلي سعد الدين الدمشقي التاجر. ولد سنة (٦٤٧هـ)، وأسمع على النجيب الحراني جزء ما قرب سنده لابن السمرقندي. الدرر الكامنة (٢/٢٦٧).

(٤) ابن الصيرفي، محمد بن طفريل بن عبد الله، ناصر الدين ابن الصيرفي. (٦٩٣- ٧٣٧هـ). محدث، سمع الكثير وكتب وخرج لجماعة أصله من خوارزم اشتهر في دمشق ومات بحماة. الدرر الكامنة (٣/٤٦٠)، شذرات الذهب (٦/١١٦)، الأعلام (٦/١٧٥).

(ومنهم) أبو بكر بن عبد الدائم وعيسى المطعم والحجار[1]، وجد في الطلب، وأجاد وخرج لجماعة من الشيوخ وأفاد مات بحماه في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

وجدت بخطه تقييد سماع لجزء أبي مسعود أحمد بن الفرات الرازي على أربعة وأربعين شيخًا ذكرنا منهم الشيخ تقي الدين، فقال فيما وجدته بخطه وسيدنا الشيخ الإمام العلامة الصدر الكبير الكامل القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع شيخ الإسلام مفتي الفرق حجة المذهب، مقتدي الطوائف، لسان الشريعة مجتهد العصر، وحيد الدهر إمام الأئمة، تقي الدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني أعاد الله علينا من بركته، وشيخنا الإمام العالم الزاهد الورع المحدث العمدة الحجة الحافظ الكبير محدث العصر جمال الدين أبي الحجاج يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي[2]، وذكر بقية المشايخ وأسانيدهم والقارئ وبعض السامعين ثم قال وصَحَّ ذلك وثبت في يوم الجمعة بعد الصلاة الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة سبع عشرة وسبعمائة بمشهد عثمان بجامع دمشق وسمع معه جماعة منهم مثبتة ضابط أسماء السامعين خادم الحديث النبوي محمد بن طغريل بن عبد الله المعروف بابن الصيرفي- عفى الله عنه ولطف به وسامحه- وعدة السامعين الذين كمل لهم سماع الجزء ثلاثمائة وخمسة عشر وعدة الذين سمعوا لعله تفوق تسعة وعشرين نفسًا.

(ومنهم) الشيخ العالم المحدث المفيد ناصر الدين أبو نصر محمد ابن الأمير السيفي طولو بغا بن عبد الله التركي الدمشقي[3] ولد سنة ثلاث عشر وسبعمائة وسمع من الحجار، وخلق من ذوي الإسناد وكتب كثيرًا واستفاد وأفاد، وجدت بخطه في مواضع كثيرة ترجم فيها الشيخ تقي الدين الإسلام ترجمته المشهورة ونقل من كلامه جملاً مفيدةً منها ما وجدته بخطه فيما يتعلق بالعقيدة أنه قال ومذهب السلف والأئمة كالأربعة وغيرهم إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وليس لأحد أن يضع عقيدة ولا عبارة من عند نفسه بل عليه أن يتبع ولا يبتدع

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) سبق ذكره.

(٣) محمد بن طولو بغا السيفي التركي. عني بالحديث فسمع الكثير على الحجار وابن أبي التائب وعني بالتخريج ولازم الحفاظ. (٧١٣-٧٤٩هـ). شذرات الذهب (٤/١٧٠)، الدرر الكامنة (٥/٢٠٥)، ذيل تذكرة الحفاظ (١/٥٧).

ويقتدي ولا يبتدي.

(ومنهم) الشيخ الإمام الزاهد العابد العلامة النبيل المحدث الأصيل الحافظ الكبير المسند الكثير عمدة الحفاظ شيخ المحدثين شمس الدين أبو بكر محمد ابن الشيخ العالم الحافظ القدوة محب الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور بن عبد الرحمن السعدي المقدسي ثم الصالحي الحنبلي الشهير بالصامت[١] لقب بذلك لكثرة سكوته عن فضول الكلام، وكان يكره أن يدعى بهذا اللقب بين الأنام ولد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وتوفي سنة تسع وثمانين بصالحية دمشق الكبرى وبها دفن، رتب مسند الإمام أحمد على الأبواب فأتقن وأجاد، وصنف كتاب التذكرة في الضعفاء فأفاد، ولقد وجدت بخطه في مواضع كثيرة وأماكن متباينة بخطه مسطورة ترجمة الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام، وهو أجل شيوخه من الأئمة الأعلام، ومدحه بقصائد من النظام، ووجدت بخطه طبقة سماع على عوالي مسند الحارث بن أبي أسامة[٢] (أولها) وسمعتها على شيخنا الكبير شيخ الإسلام إمام الأئمة الأعلام بحر العلوم والمعارف أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني أثابه الله الجنة بسماعه من أحمد بن أبي الخير بسنده ومن والده وأحمد بن عبد الرحمن ابن العنيقة الحراني وأحمد بن محمد الطاهر ابن المحدث بسماعهم من يوسف بن خليل بقراءة والدي أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المحب بن محمد وهذا خطه وذكر بقية السامعين وأن السماع كان يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشر وسبعمائة بقرية المزة، وأجاز لهم مروياته ومؤلفاته، وقال شيخنا ابن المحب[٣] المشار إليه في كتابه تكملة المختار التي ألفها ضياء الدين المقدسي[٤] فيما وجدته بخطه أخبرنا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية وحافظ عصره أبو الحجاج المزي[٥] قالا أنبأنا أحمد بن أبي الخير قال أنبأنا خليل بن أبي الرجا أو أبو العباس فقال وأنبأنا والدي أبو المحاسن وأحمد بن العنيقة وأحمد بن الظاهري وأخبرنا إبراهيم بن صالح بن هاشم قالوا أنبأنا يوسف بن خليل قال أنبأنا خليل الداراني فذكر حديثًا، وقال شيخنا أيضًا فيما ذكره من

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) الحارث بن أبي أسامة. سير أعلام النبلاء (٨٢/١٦)، البداية والنهاية (٥٩/٨)، تاريخ بغداد (٣٣٢/٢)، طبقات الشافعية (٩/٣).

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) سبق ذكره.

أوهام يسيرة ونعت للشيخ تقي الدين قال فيما وجدته بخطه وحسب شيخنا مع اتساعه في كل العلوم إلى الغاية والنهاية سمعًا وعقلاً نقلاً وبحثًا، أن يكون نادر الغلط، كما كان أخوه أبو محمد ابن تيمية فيما بلغني عنه يقول أخي نادر الغلط وكان أبو محمد من الناقدين حديثًا وفقهًا وعربيةً . انتهى.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة بهاء الدين علم المناظرين أحد المتبحرين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن تميم بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار بن سليم الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي(١) مولده في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة، وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدمشق سمع الحديث من خلق منهم أحمد ابن الشحنة(٢)، ووزيرة بنت عمر ابن المنجا وأبو الحسن الواني(٣) ويونس الدبوسي(٤) وذكره الذهبي(٥) في معجمه المختص بالمحدثين، فقال إمام متبحر مناظر بصير بالعلم محكم للعربية وغيرها وقال وناب في الحكم لابن عمهم مع الدين والتقوى والتصون. انتهى. نيابته للحكم المشار إليها كانت عن الإمام تقي الدين السبكي(٦) ثم ولي القضاء استقلالاً سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، فمكث فيه مدةً يسيرةً ثم ولي قضاء الديار المصرية سنة ست وستين ثم صرف عنه سنة اثنتين وسبعين ثم ولي قضاء دمشق ثانيًا وبها توفي- رحمة الله تعالى عليه- في التاريخ المتقدم وحكى بعض من لقيته من الشيوخ العلماء أنه حضر مرةً مع قاضي القضاة أبي البقاء شيخ الشافعية درسًا ألقاه بالمدرسة الرواحية وهي داخل باب الفراديس من دمشق

---

(١) ابن عبد البر، محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء السبكي. (٧٠٧- ٧٧٧هـ). فقيه، شافعي مصري من العلماء بالعربية والتفسير والأدب، ولي قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس. الدرر الكامنة (٣/٤٩٠)، الوافي بالوفيات (٣/٢٦٠)، الأعلام (٦/١٨٤).

(٢) ابن الشحنة أحمد بن محمد بن محمد، أبو الوليد، لسان الدين ابن الشحنة الثقفي الحلبي. (٨٤٤- ٨٨٢ هـ). قاض مولده ووفاته بحلب، ولي قضاء الحنفية ببلده. الضوء اللامع (٢/١٩٤)، الأعلام (١/٢٣٠).

(٣) سبق ذكره.

(٤) الدبابيسي، يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الكناني العسقلاني المصري، فتح الدين يقال أيضًا الدبوسي. (٦٣٥- ٧٢٩هـ). عالم بالحديث، مسند معمر، توفي بالقاهرة. شذرات الذهب (٦/٩٢)، الدرر الكامنة (٣/١١٢)، الأعلام (٨/٢٦٠).

(٥) سبق ذكره.

(٦) سبق ذكره.

فجاءه جماعة من طائفة القلندرية يسألونه فأمر لهم بشيء وكان إذ ذاك حاكمًا بدمشق على القضاء بها ثم جاءه طائفة أخرى من الحيدرية وهو يتوضأ على بركة المدرسة المذكورة، فسألوه فأمر لهم بشيء ثم جاء فصلى ركعتين ثم قال رحم الله ابن تيمية، كان يكره هؤلاء الطوائف على بدعهم قال: فلمَّا قال ذلك ذكرت له كلام الناس في ابن تيمية فقال لي وكان ثم جماعة حاضرون قد تخلفوا بعد الدرس يشتغلون عليه والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول. وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به قال فأعجبني ذلك منه وقَبَّلت يده وقلت له جزاك الله خيرًا . انتهى.

هذا حال راوي هذه الحكاية، فكيف لو سمع ما صَحَّت به الرواية عن الشيخ تقي الدين السبكي شيخ الإسلام في مدحه الشيخ تقي الدين ابن تيمية الإمام لطار فرحًا من السرور وقضى عجبًا من وقوع ذلك لما علم ما حصل من السرور ولا أنشد متمثلاً بذلك البيت المشهور:

ومليحة شهدت لها ضراتهـــا والفضل ما شهدت به الأعداء

كتب الحافظ أبو عبد الله الذهبي[١] فيما اشتهر إلى الشيخ تقي الدين السبكي[٢] يعاتبه على ما صدر، فكتب الجواب يعتذر عن تلك الحادثات ومن بعضه ما أشار إليه الشيخ زين الدين بن رجب في كتابه الطبقات، فقال ومما وجد في كتاب العلامة قاضي القضاة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ أبي عبد الله الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين، أما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي لا يتجاوزه الوصف. والمملوك يقول ذلك دائمًا، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى. وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان. انتهى.

(ومنهم) الشيخ الصالح المقري شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن حبيش بن علي الدمشقي المؤذن حضر علي القاضي سليمان وسمع من أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم[٣]

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

وعيسى المطعم[١] وهذه الطبقة، وأجاز له في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة جماعة من شيوخ دمشق ومصر ذكره الإمام أبو العباس بن حجي[٢] في معجم شيوخه ترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام[٣] فيما سمعه منه النور علي بن محمد بن زايد بن غدي فيما وجدته بخطه.

(ومنهم) الشيخ الإمام قاضي قضاة مصر والشام وأحد أعيان الأعلام شمس الدين مفتي المسلمين مفيد الطالبين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ صفي الدين أبي عمر وعثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي ابن الحريري ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة وتوفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة كان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن؟ وقال أيضًا مرة لبعض أصحابه: أتحب الشيخ تقي الدين؟ قال: نعم. قال: والله لقد أحببتَ شيئًا مليحًا. حكي ذلك عن قاضي القضاة ابن الحريري المذكور الحافظ العلامة أبو الفدا إسماعيل بن كثير في تاريخه فيمن توفي في سنة ثمان وعشرين من الأعيان.

(ومنهم) الشيخ الإمام والعالم الفقيه الفاضل المحدث المفيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن عبد الله بن شكر النبجاني[٤] نزيل دمشق الحنبلي، ذو التصانيف الجمة التي منها كتاب نصيحة الأمة، في عقائد الأئمة في مجلدين سمع من محمد بن إسماعيل ابن الخباز، وخلق من المتأخرين حتى من أقرانه من المحدثين ومن دونهم من المسندين ذكره الإمام أبو العباس أحمد بن حجي في معجم شيوخه، مولده فيما وجدته بخطه سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وكان يترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام ويعظمه كثيرًا.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الصالح البركة أقضى القضاة شمس الدين مفتي المسلمين

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن حجي، أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني الأصل الدمشقي، شهاب الدين بن علاء الدين. (٧٥١- ٨١٦هـ). حافظ، مؤرخ من أهل دمشق ولد ومات فيها، يلقب بمؤرخ الإسلام، انتهت إليه مشيخة الشيوخ في البلاد الشامية. الضوء اللامع (١/ ٢٦٩)، شذرات الذهب (١١٦/٧)، الأعلام (١١٠/١).

(٣) سبق ذكره.

(٤) محمد البعلي، محمد بن عثمان بن عبد الله بن شكر بن علي بن إسماعيل البعلي الدمشقي، الحنبلي، شمس الدين، أبو عبد الله. (٧٣٥-٨٠٣هـ). (فقيه، متكلم، محدث، توفي بغزة الضوء اللامع (٨/ ١٤٦)، شذرات الذهب (٣٧/٧)، معجم المؤلفين (٢٨٤/١٠).

أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد ابن اليونانية البعلبكي الحنبلي[١] قاضي بعلبك حَدَّث عن أحمد بن أبي طالب الحجار وكان من القضاة الأخيار، والعلماء الأعلام، وترجم الشيخ تقي الدين غير ما مرة بشيخ الإسلام.

(ومنهم) السيد الشريف الإمام العالم العفيف الحافظ الناقد ذو التصانيف شمس الدين جمال المحدثين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن أبي المحاسن محمد بن ناصر بن علي بن الحسين بن إسماعيل ابن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني الدمشقي الشافعي ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة في شعبان، وسمع من خلق منهم أحمد بن علي الجزيري[٢] وأبو الفتح الميدومي[٣] وزينب ابنة الكمال وغيرهم من الأعيان، وخرج لنفسه معجمًا يشتمل على خلق كثير وكان إمامًا حافظًا مؤرخًا له قدر كبير، ومن مصنفاته الفاخرة كتاب الذرية الطاهرة، سَمَّاه العرب الذكي في النسب الزكي، والنسب والاكتفا في كنا الضعفا، وكتاب أسامي رجال الأئمة الستة ومسند أحمد بن حنبل[٤] وكتاب التاريخ وغير ذلك من مختصر ومطول، ومنه كتاب الإلمام في آداب دخول الحمام، وكان حسن الخلق رضي النفس من الثقاة الأثبات وجدت بخطه في غير ما موضع من مؤلفاته سَمَّى فيها ابن تيمية شيخ الإسلام، توفي رحمه الله في شهر رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة كمال الدين جمال المناظرين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن بن علي بن عبد الواحد ابن الخطيب الزملكاني أبي محمد عبد الكريم بن خلف بن سلطان بن خليل بن حسن بن سعد بن نبهان الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني مولده في ليلة الاثنين ثامن شوال سنة ست وقيل سنة سبع وستين وستمائة، وتوفي ليلة السبت السادس عشر من شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة بمدينة بلبيس، وحمل إلى القاهرة فدفن بها، تولى مناظرة شيخ الإسلام ابن تيمية غير ما مرة، ومع ذلك فكان يعترف بإمامته ولا ينكر فضله ولا بره، قال مرة عن الشيخ تقي الدين كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدًا لا يعرف مثله.

---

(١) سبق ذكره.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) أبو الفتح الميدومي. الدرر الكامنة (١٠٩/٣).

(٤) سبق ذكره.

وقال الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في طبقاته وبلغني من طريق صحيح عن ابن الزملكاني أنه سئل عن الشيخ- يعني: ابن تيمية- فقال لم ير من خمسمائة سنة أو قال أربعمائة سنة والشك من الناقل، وغالب ظنه أنه قال من خمسمائة سنة أحفظ منه. انتهى.

وقد روي واشتهر وذكر وانتشر ما كتبه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني على كتاب بيان الدليل على بطلان التحليل تأليف ابن تيمية وهو ما نصه.

من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد، البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الإسلام سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ناصر السنة قامع المبتدعين، حجة الله على العباد، راد أهل الزيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين آخر المجتهدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني حفظ الله على المسلمين طول حياته وأعاد عليهم من بركاته أنه على كل شيء قدير. وكتب الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني أيضًا بخطه على كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام ما نصه.

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء، آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الإسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين محيي السنة من عظمت به لله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني- أعلى الله مناره، وشيَّد به من الدين أركانه- ثم ذكر أبياتًا منها:

هـــو حجــة للـــه قاهـــرة ... هـــو بيننـــا أعجوبـــة الدهـــر

هـــو آيـــة في الخلق ظاهـــرة ... أنـــوارهـــا أربت على الفجـــر

وقال الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني أيضًا عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها وله اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين حكاه عن ابن الزملكاني الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن البرزالي[(١)] وحكاه أيضًا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي[(٢)]، فقال: في كتابه طبقات

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

الحفاظ في ترجمة الشيخ تقي الدين وهي خاتمة تراجم الطبقات.

وقال العلامة كمال الدين بن الزملكاني كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدًا لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسواْ معه استفادواْ في مذاهبهم منه ما لم يكونواْ عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه نَاظَرَ أحدًا، فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وقال ابن عبد الهادي أيضًا في ترجمة الشيخ تقي الدين المفردة وقد سئل عنه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني فقال: هو بارع في فنون عديدة من الفقه والنحو والأصول ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم، حسن العبارة قوي في دينه صحيح الذهن قوي الفهم.

(ومنهم) الشيخ العلامة الإمام أوحد شيوخ الإسلام قاضي قضاة المسلمين تقي الدين عمدة الفقهاء والمحدثين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي المالكي الشافعي بن دقيق العيد[1] المتوفي سنة اثنتين وسبعمائة روى عن ابن المغير[2] وابن الجميزي[3] وابن رواح وآخرون وعنه المزي والقطب الحلبي وغيرهما من المحدثين، وكان إمامًا حافظًا فقيهًا ذا تحرير، مالكيًا شافعيًا ليس له نظير، وكان يفتي بالمذهبين ويدرس فيهما بمدرسة الفاضل على الشرطين وله اليد الطولى في معرفة الأصلين ومن مؤلفاته كتاب الإلمام في الأحكام، وكتاب الأربعين في الرواية عن رب العالمين.

ولما قدم التتار- خذلهم الله- سنة سبعمائة إلى أطراف البلاد الشامية وكانت العساكر المصرية قد خرجت لقتالهم ثم قوي عليهم المطر وشدة البرد فرجعواْ متوجهين إلى مصر، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين ابن تيمية فركب على البريد من دمشق وساق ليلحق السلطان قبل دخوله إلى مصر، فسبقه الجيش ودخل إلى القاهرة فدخلها الشيخ تقي الدين بن تيمية في اليوم الثامن من خروجه من دمشق وكان دخول بعض العساكر إلى القاهرة يوم الاثنين حادي

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن المغير، علي بن الحسين بن علي بن منصور، أبو الحسن بن المغير النجار (٥٤٥- ٦٤٣هـ). مسند الديار المصرية بغدادي الأصل والمولد حنبلي توفي بالقاهرة. شذرات الذهب (٤٣١/٣)، طبقات المحدثين (٢٠٢/١)، طبقات الحفاظ (٤٧٥/١)، الأعلام (٢٧٩/٤)، العبر في خير من غبر (٥٩/٩).

(٣) ابن الجميزي. شذرات الذهب (٥١/٣)، الدرر الكامنة (٨/١)، العبر في خير من غبر (٥٩/٩).

عشر جمادى الأولى سنة سبعمائة فاجتمع الشيخ بأعيان البلد ومنهم تقي الدين بن دقيق العيد، فسمع كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية وقال له بعد سماع كلامه ما كنت أظن أن الله تعالى بقي يخلق مثلك، وسئل الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد(١) بعد انقضاء ذلك المجلس عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فقال: هو رجل حفظة، فقيل له فهلاً تكلمت معه، فقال هذا رجل يحب الكلام وأنا أحب السكوت، وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أيضًا لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلومُ كلُّها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.

(ومنهم) الشيخ الإمام الفقيه الصالح مفتي المسلمين علم المدرسين شرف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي البركات بن المنجا بن الغر أبي عمر عثمان بن وجيه الدين أبي المعالي سعد ابن المنجا بن بركات ابن المؤمل التنوخي المعري الأصل ثم الدمشقي(٢) ولد سنة خمس وسبعين وستمائة وسمع بإفادة والده الكثير من المسلم بن علان وطبقته، وتفقه وأفتى ودرس وكان ذا صيانة وتقوى وديانة من خواص أصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية وملازميه، حضرًا أو سفرًا وتوفي- رحمه الله- في رابع شوال سنة أربع وعشرين وسبعمائة ودفن بسفح قاسيون من دمشق.

(ومنهم) الشيخ العالم الفقيه المؤرخ تقي الدين أبو عبد الله محمد ابن الإمام قطب الدين أبي الفتح موسى ابن الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن علي بن محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي الحسيني اليونيني(٣) توفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة سنة خمس وستين وسبعمائة، وكان رَضِيَّ النفس حسن الخلق كثير الأدب قليل الكلام يحمل حاجته من السوق في ذيله وهو أحد الأعلام الذين سَمُّواْ ابن تيمية شيخ الإسلام.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم الحافظ الناقد المفيد شمس الدين عمدة المحدثين أبو عبد الله محمد بن موسى بن محمد بن سند بن تميم اللخمي الدمشقي الشافعي(٤) جَدَّ في طلب هذا

---

(١) سبق ذكره.

(٢) صلاح الدين محمد بن شرف الدين محمد بن المنجا الدمشقي الحنبلي قاضي القضاة، دفن بقاسيون. الوفيات (٢/٣٤٣).

(٣) محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله اليونيني، أبو عبد الله النجوم الزاهرة (٧/٩٢).

(٤) ابن سند، محمد بن موسى بن محمد بن سند بن قيم اللخمي. (٧٢٩- ٧٩٢هـ). حافظ للحديث، عالم برجاله، أصله من مصر مولده ووفاته بدمشق. الدرر الكامنة (٤/٢٧٠)، شذرات الذهب (٦/ =

الشأن، واجتهد وحرر رجاله وأسماءهم وانتقى وابتعد وخرج لنفسه ولغيره فأتقن وكتب بخطه كثيرًا فأجاد وأحسن سمع من الذهبي وأحمد بن المظفر النابلسي ومحمد ابن الخباز[١] وآخرين وكان حافظًا عالمًا من المتقنين توفي سنة إحدى وتسعين وستمائة، وكان يُسَمِّي ابن تيمية شيخ الإسلام كغيره من المحدثين.

(ومنهم) العالم الفاضل المحدث البارع المؤرخ المفيد شمس الدين جمال المخرجين أبو عبد الله ابن الشيخ المسند الكبير أبي زكريا يحيى، ويقال له سعد ابن الشيخ الفقيه الفاضل الأديب البارع الكاتب الوزير الصالح أبي عبد الله محمد بن سعد ابن عبد الله بن سعد بن مفلح بن هبة الله بن نمير الأنصاري المقدسي الأصل ثم الدمشقي الصالحي الشهير بابن سعد سمع الكثير بواسطة أبيه، وطلب بنفسه فأكثر، ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين فقال المحدث الفاضل المفيد شمس الدين ولد سنة ثلاث وسبعمائة وذكر به ولده فسمع كثيرًا وهو حاضر وسمع من القاضي ومن والده وابن عبد الدائم والمطعم وخلق كثير، وطلب بنفسه سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وكتب ورحل وخرج للشيوخ، وتميز وأصحابنا يثنون عليه . انتهى. وكتب للشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الإسلام غير ما مرة. منها ما وجدته بخطه في طبقة سماع الجزء لحسن ابن عرفة صورتها سمع جميع هذا الجزء وهو جزء ابن عرفة على المشايخ الأربعة والعشرين الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد البارع الحجة الحافظ الزاهد العابد الورع شيخ مشايخ الإسلام بقية الأئمة الأعلام إمام الأئمة قدوة الأمة علامة الزمان فريد الدهر والأوان بحر العلوم تقي الدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية وأخيه الصدر العدل زين الدين أبي محمد عبد الرحمن وذكر باقي المشايخ وطرقهم إلى ابن كليب[٢] راوي الجزء ثم قال بقراءة الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الناقد البارع مؤرخ الإسلام علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد ابن البرزالي –حرسه الله تعالى– صاحب الجزء الشيخ الإمام العالم المحدث الفاضل المتقن

=

٣٢٦)، ذيل تذكرة الحفاظ (١٧٧)، الأعلام (١٨٨/٧).

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن كليب. شذرات الذهب (٢٢/٢)، سير أعلام النبلاء (١١٧/٤)، البداية والنهاية (٣٤٤/٦)، طبقات الحنفية (٢٠٥/١).

المفيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن غنائم المهندس[١] وذكر جماعة كثيرين ثم قال وكاتب السماع محمد بن يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد المقدسي عفى الله عنه وآخرون تفوق عدتهم ثمانية نفر مذكورين على نسخة صلاح الدين العلائي[٢]، وصح ذلك في يوم الجمعة بعد الصلاة الخامس عشر من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وسبعمائة بجامع دمشق، وأجاز الشيوخ كلهم ما لهم روايته.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة علم القراء أستاذ النحاة والأدباء جمال المفسرين أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الأندلسي الجياني ثم الغرناطي ثم المصري الظاهري[٣]، ولد بمطخشارش من غرناطة قاعدة بلاد الأندلس في العشر الأخير من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ارتحل في أول سنة تسع وسبعين وحج فيها ولقي الشيوخ وأجاز له خلق منهم الخطيب يوسف بن إبراهيم بن أبي ريحانة الأندلسي[٤]، وهو أقدم من أجاز له ومنهم أبو الحسن علي ابن البخاري وتوفي في الثاني والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد أن أضر في آخر عمره، قال القاضي الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي الفضل يحيى بن فضل الله العمري ولما سافر ابن تيمية على البريد إلى مصر سنة سبعمائة نزل عند عمي شرف الدين- رحمه الله- وحض أهل مصر على الجهاد في سبيل الله وأغلظ في القول للسلطان والأمراء ثم رتب له في مدة مقامه بالقاهرة في كل يوم دينار ومخفيه وجاءته بقجة قماش، فلم يقبل من ذلك شيئًا قال وحضر عنده شيخنا بوحيان، وكان علامة وقته في النحو فقال ما رأت عيناي مثل ابن تيمية ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس.

لمـــا أتينا تقي الديـــن لاح لنـــا ... داع إلى الله فـــرد مالـــــــه وزر

علـــى محياه من سيما الألي صحبوا ... خـــير الـــبرية نور دونه القمـــــر

حبر تسربـــل منه دهـــره حبـــرًا ... بحـــر تقاذف من أمواجه الـــدرر

قـــام ابن تيمية في نصر شرعتنـــا ... مقـــام سيد تيم إذ عصت مضـــر

---

(١) سبق ذكره.

(٢) صلاح الدين العلائي، خليل بن كيكلدس بن عبد الله العلائي الدمشقي، أبو سعيد صلاح الدين (٦٩٤-٧٦١هـ). محدث، فاضل، باحث، ولد وتعلم في دمشق، ثم أقام في القدس مدرسًا في الصلاحية سنة (٧٣١هـ) فتوفي فيها. الدرر الكامنة (٢/٩٠)، الأعلام (٢/٣٢١).

(٣) سبق ذكره.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

فأظهر الحق إذ آثـــاره درســـت وأخمـــد الشر إذ طارت له شـــرر

كـــنا نحدث عبر حبر يجيئ فيهـــا أنـــت الإمام الذي قد كان ينتظـــر

قال: ثم دار بينهما كلام فيه ذكر سيبويه فقال ابن تيمية فيه كلام نافره عليه أبو حيان وقطعه بسببه ثم عاد من أكثر الناس ذمًا له واتخذه له ذنبًا لا يغفر . انتهى. وهذه الأبيات كتبها الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي[1] بخطه ونقلها من خطه المحدث أبو نصر محمد أبو طولو بغا[2] وبخطه وجدتها ووجدتها أيضًا بخط الحافظ أبي عبد الله الذهبي لكن البيت الخامس منها:

فأظهر الحق إذ آثـــاره درســـت وأحمد الشر إذ طارت به الشـــرر

وباقي الأبيات سواء قال الشيخ زين الدين بن رجب في كتابه الطبقات عن هذه الأبيات قال ويقال إن أبا حيان لم يقل أبياتًا خيرًا منها ولا أفحل . انتهى. ووجدتها أيضًا بخط شيخنا الحافظ أبي بكر بن المحب وقرأها على أبي حيان عرضًا فإن شيخنا لما حج في سنة أربع وثنتين وسبعمائة اجتمع بأبي حيان بمكة زارها الله شرفًا وسمع من لفظه جزءًا من فوائده في أوله أناشيد غزلية من نظمه أَخَّرَ أبو حيان قراءتها أولاً ثم قرأها آخر الجزء، واعتذر عن قراءتها فيما قاله شيخنا في تلك البقعة الشريفة مما لا عذر له فيه إلا من جنس عذره في نظمه لذلك، وقرأ أيضًا شيخنا على أبي حيان أحاديث عدة من مروياته في يوم الأحد سادس ذي الحجة من السنة، وأوقف أبا حيان على هذه الأبيات التي مدح بها الشيخ تقي الدين عرضها عليه فقال قد كشطتها[3] من ديواني، ولا أثني عليه بخير وقال ناظرته فذكرت له كلام سيبويه[4] فقال يفشر سيبويه قال: يعني أبا حيان وهذا لا يستحق الخطاب . انتهى.

وهذه القضية ذكرها الحافظ العلامة أبو الفداء إسماعيل بن كثير في تاريخه وهي أن أبا حيان تكلم مع الشيخ تقي الدين في مسألة النحو، فقطعه ابن تيمية فيها وألزمه الحجة فذكر أبو حيان كلام سيبويه فقال ابن تيمية يفسر لسيبويه أسيبويه نبي النحو أرسل إليه به حتى

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) هنا كتب الخيضري بيده على هامش الكتاب ما نصه قال كاتبه الخيضري- عفا الله عنه- وقفت على ديوان أبي حيان بخطه، وفيه هذه القصيدة مكشوطة من تأمل الأحرف حق تأملها قرأها وهي في الجزء الأول منه- رحمه الله تعالى-.

(٤) سبق ذكره.

يكون معصومًا أخطأ في القرآن في ثمانين موضعًا لا تفهمها أنت ولا هو هذا الكلام أو نحوه على ما سمعته من جماعة أخبروا به عن هذه الواقعة، وقد كان ابن تيمية لا تأخذه في الحق لومةَ لائم، وليس عنده مداهنة وكان مادحه وذامه في الحق عنده سواء . انتهى. لكن بعد موت الشيخ تقي الدين- رحمة الله عليه- رثاه بعض المصريين بقصيدة وعرضها على أبي حيان فسمعها منه وأقره عليها قال ابن عبد الهادي في ترجمة الشيخ تقي الدين المفردة حين ذكر مراثيه قال: ومنها قصيدة لرجل جندي من أهل مصر أرسلها، وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان النحوي وهي هذه:

خطب دنا فبكى لـــه الإسلام وبكت لعظم بكائـــه الأيـــــام

(وذكر القصيدة ومنها)

بحر العلوم وكنز كل فضيلـــــة في الدهر فرد في الزمان إمـــام

(ومنها)

والسنـــة البيضاء أحيـــا ميتهـــا فغـــدت عليـــه حرمـــة وذمـــام

وأمات من بدع الضلال عوائـــدًا لا يســـتطيـــع لدفعهـــا الصمصام

فلـــئن تأخر في القـــرون لثامـــن فلقد تقـــدم في العلـــوم إمـــــام

قلت: وناظم هذه القصيدة يقال: له بدر الدين بن عز الدين المغيثي[(١)] وأراه محمد بن عبد العزيز بن كمال الدين عبد الرحيم المارديني الصفار[(٢)] وكان والده عز الدين من خواص أصحاب الشيخ تقي الدين[(٣)]، وكتب ابنه تقي الدين المذكور مصنف الشيخ في الرد على الرافضي في ست مجلدات هي عندي بخطه يترجم الشيخ في أوائل كل جزء بترجمة بليغة من ذلك قوله في حاشية الجزء الأول فيما وجدته بخطه تأليف شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصرة الدين الداعي إلى الله ورسوله المجاهد في سبيله الذي أضحك الله به من الدين ما كان عابسًا وأحيا من السنة ما كان دارسًا. والنور الذي أطلعه الله في ليل الشبهات فكثف به غياهب الظلمات، وفتح به من القلوب مقفلها، وأزاح به عن النفوس عللها فقمع به زيغ الزائغين، وشك الشاكين، وانتحال المبطلين، وصدقت به بشارة رسول رب العالمين

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) سبق ذكره.

"بقوله ﷺ : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". وبقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين". وهو الشيخ الإمام العلامة الزاهد العابد الخاشع الناسك الحافظ المتبع تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبي المحاسن عبد الحليم بن شيخ الإسلام مفتي الفرق علامة الدنيا مجد الدين عبد السلام ابن الشيخ الإمام العلامة الكبير شيخ الإسلام فخر الدين عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني- قَدَّس الله روحه ونور ضريحه- ثم كتب ابن عز الدين المذكور مقابل الترجمة نقلت هذه الترجمة من خط محمد بن قيم الجوزية. انتهى..

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية وتلميذ الشيخ تقي الدين ابن تيمية له التصانيف الأنيقة والتأليف التي في علوم الشريعة والحقيقة مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة سمع من القاضي سليمان بن حمزة وعيسى المطعم وطبقتهما ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية(١) وأخذ عنه علمًا جمًا، وكان ذا فنون من العلوم وخاصةً التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم ومن مصنفاته زاد المعاد في هدى خير العباد ﷺ في أربع مجلدات وكتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد، حَدَّثَ عنه الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب وغيره توفي ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير من دمشق عند والديه- رحمهما الله- وكانت جنازته مشهورة. قال شيخنا الحافظ أبو بكر محمد بن بلحب(٢) فيما قصدته بخطه قلت أما شيخنا المزي ابن القيم في درجة ابن خرنة. فقال هو في هذا الزمان كابن خرنة في زمانه ترجم شيخه غير ما مرة بشيخ الإسلام منها ما تقدم قريبًا ومنها قوله وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. قال: وكان إذا صلى الفجر يجلس في مكانه يذكر الله تعالى حتى يتعالى النهار جدًا، وكان إذا سئل عن ذلك يقول هذه غدوتي لو لم أتغد هذه الغدوة سقطت قواي، وكان يقول لما خلق الله حملة العرش قالواْ ربنا لم خلقتنا؟ قال: خلقتكم لتحملواْ عرشي. قالواْ ربنا ومن يطيق حمل عرشك وعليه عظمتك. قال قولواْ لا حول ولا قوة إلا بالله، وكان يكثر أن يقول أنا المكدي

---

(١) سبق ذكره.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي، وكان يقول بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وكان يقول لابد للسالك إلى الله من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه، وقال العارف يسير إلى الله- عز وجل- بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس وكان يتمثل كثيرًا

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى ... وصـــوت إنســـان فكـــدت أطير

(وكان يتمثل أيضًا)

وأخرج مـــن بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس في السر خاليا

(ومنهم) الشيخ المسند الكبير الإمام العالم المؤرخ المفيد تاج الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ نجم الدين أبي عبد الله محمد بن بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن إسماعيل بن أبي طاهر وهب بن محبوب الحميري المعري الأصلي البعلي ثم الدمشقي الشافعي[(١)]، ولد فيما وجدته بخطه ثامن عشر شعبان سنة إحدى وسبعمائة أسند الكثير، وسمع منه جم غفير منهم أبو الفضل عبد الرحيم ابن العراقي[(٢)] وعلي بن أبي بكر الهيثمي[(٣)] وعلي بن البناء ومحمد بن سند وغير واحد من العلماء لقي الشيخ تقي الدين، وسمع منه وروى غير مرة عنه من ذلك ما قال. أنشدنا شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية- رحمه الله- فذكر بيتين.

(ومنهم) الشيخ العالم العفيف المحدث شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن محمود بن إبراهيم بن مكارم الزهري المقدسي الأصل ثم البقاعي ثم الدمشقي الشافعي[(٤)] سمع كثيرًا وخاصةً مع الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن المحب وذكره الذهبي في شيوخه في معجمه المختص بالمحدثين، وذكر أن مولده سنة بضع وسبعمائة وجدت بخطه في مواضع كثيرة ترجم فيها ابن تيمية بشيخ الإسلام منها عنوان كتاب هذا نصه "الجواب الباهر في زيارة المقابر" أجاب به شيخ الإسلام مفتي الأنام أحد الأئمة الأعلام فريد دهره، ومجتهد عصره، بقية السلف وقدوة الخلف أبو العباس أحمد ابن الإمام عبد الحليم ابن الإمام عبد السلام ابن تيمية جوابًا لسؤال ولاة الأمور، عما

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) الحافظ العراقي، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل زين الدين. (٧٢٥-٨٠٦هـ). باحث، من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد مولده في رازنان. الضوء اللامع (٤/١٧١)، ذيل طبقات الحفاظ (١/٢٢٠)، حسن المحاضرة (١/٢٠٤)، الأعلام (٣/٣٤٤).

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي أبو الحسن، نور الدين. (٧٣٥- ٨٠٧هـ). مصري قاهري، حافظ. الضوء اللامع (٥/٢٠٠)، الأعلام (٤/٢٦٦).

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

أفتى به في زيارة القبور، سطره زمن حبسه بالقلعة المحروسة حين امتحن بها وسجن بسببها فذكر في هذا الجواب السنة ورد على من نسب إليه منع الزيارة مطلقا وبينه- قَدَّس الله روحه ونَوَّر ضريحه-.

(ومنهم) الشيخ الإمام القدوة العارف المسلك العالم الرباني عماد الدين بقية السلف الصالحين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي الحزامي ابن شيخ الحزاميين[1] ولد في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة بشرقي واسط وقرأ ببلده شيئًا من الفقه على مذهب الإمام الشافعي، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن طائفة ثم حَجَّ وأقام بالقاهرة، ثم انتقل إلى دمشق فصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية، فأمره بمطالعة السيرة النبوية، فلزمها وأدمن مطالعتها، واختصر سيرة ابن إسحاق[2]. تهذيب ابن هشام[3] واقتفى الآثار النبوية وتمسك بالهدي المحمدي وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل[4] وألف فيه مؤلفًا سماه البلغة وهو مختصر الكافي، وله مؤلفات كثيرة غالبها في اقتفاء السنة وطريق التصوف على السنة والرد على طوائف من المبتدعة كالاتحادية وغيرهم وكان زاهدًا عابدًا داعيةً إلى الله، معمور الأوقات بالأوراد والعبادات والذكر والفكر والمطالعة والتصنيف والإفادة توفي- رحمه الله تعالى- في آخر يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبعمائة بالمارستان الصغير داخل دمشق، ودفن من الغد بسفح قاسيون قبالة زاوية السيوفي، وكان الحافظ الذهبي يعظمه ويثني عليه، وقال في كتابه المشتبه شيخنا القدوة عماد الدين الحزامي الواسطي. انتهى.

ومن رسائله رسالة كتبها إلى جماعة من أصحابه وأصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية

---

(١) أحمد الواسطي، أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي، البغدادي، الحنبلي، الدمشقي، عماد الدين. (٦٥٧- ٧١١هـ). صوفي، فقيه. شذرات الذهب (٦/ ٢٤)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٣١)، معجم المؤلفين (١/ ١٣٩).

(٢) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، المدني (٠٠٠-١٥١هـ). من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، سكن بغداد فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٣١)، الأعلام (٦/ ٢٨).

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (٠٠٠-٢١٣ هـ). عالمًا بالأنساب واللغة وأخبار العرب ولد ونشأ في البصرة وتوفي بمصر. وفيات الأعيان (١/ ٢٩٠)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٧)، أنباء الرواة (٢/ ٢١١)، الأعلام (٤/ ١٦٦).

(٤) سبق ذكره.

قال فيها: وشيخنا السيد إمام الأمة الهمام محيي السنة وقامع المبتدعين ناصر الحديث مفتي الفرق الفائق عن الحقائق وموصلها بالأصول الشرعية للطلب اللائق الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلا قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأمة حذوهم وسلبهم، فذكرهم بها الشيخ فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولموات حذوهم محييًا، ولأعنة قواعدهم مالكًا الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية أعاد الله بركته ورفع إلى مدارج العلا درجته وذكر تمام الرسالة.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة جمال الحفاظ شهاب الدين علم المفسرين مفيد المحدثين عمدة المؤرخين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام مفتي الشام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن خليفة بن عبد المتعال الدمشقي ابن الحساني الشافعي[1] سمع بدمشق ومصر وبعلبك وغيرها من البلاد، وكان أحد العلماء الفقهاء الحفاظ النقاد كتب الكثير وتكلم على الرجال بالتحرير، واجتهد في التأليف وخاصة في التفسير، ولقد ذكر الشيخ تقي الدين فأحسن الثناء عليه وترجمه بشيخ الإسلام لما خبره من أحوال الشيخ ونقل إليه.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة حافظ الشام ومؤرخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين علم النقاد المتفنين فقيه الحفاظ مفيد المحدثين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية علاء الدين حجي بن موسى بن أحمد بن سعيد بن غشم بن غزوان بن علي بن مشرف بن تركي السعدي الحساني الشافعي[2] قيل إنه من ولد عطية السعدي أبي محمد الصحابي المشهور من بني سعد بن بكر نزل الشام، وكان له أولاد بالبلقاء، وقد انتسب إليه الإمام أبو العباس ابن حجي المذكور فقال فيما وجدته بخطه في معجمه في ترجمة ولده بعد أن ذكر نسبه إلى تركي قال من ولد عطية السعدي ظنًا. انتهى.

أخذ أبو العباس عن والده وغيره من الأئمة وحَصَّل فنونًا من العلوم جمة، وسمع من

---

(١) ابن الحسباني، أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال. (٧٤٩-٨١٥هـ). حافظ، مؤرخ، من أهل دمشق مولدًا ووفاةً، ولي قضاء القضاء فيها ، (الضوء اللامع (١/٢٣٧)، الأعلام (١/٩٧).

(٢) ابن حجي، أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني، الدمشقي، شهاب الدين بن علاء الدين. (٧١٥- ٨١٦هـ). حافظ، مؤرخ، من أهل دمشق ولد ومات فيها ويلقب بمؤرخ الإسلام، انتهت إليه مشيخة الشيوخ في البلاد الشامية. الضوء اللامع (١/٢٦٩)، شذرات الذهب (٧/١١٦)، الأعلام (١/١٠٠).

عثمان بن يوسف بن غدير[١] وعمر بن أميلة[٢] وخلق كثير، وحَدَّث عن عبد الله ابن قيم الضيائية[٣] وغيره بالإجازة، وكان أحد حفاظ هذا الشأن ممن أتقنه وحازه وتفرد بإتقان مذهبه مع فتاويه المحررة المهذبة ومعرفته الجيدة بتراجم الرجال والوقائع والدول وتقلب الأحوال ومذهبه في الشيخ تقي الدين مذهب أقرانه ومشايخه من المحدثين وحكى في معجم شيوخه المجرد فيما وجدته بخطه المجود قال علي بن عبد الكريم ابن الشيخ سراج البغدادي الأصل البطايحي المزي[٤] أخبرني بشيء غريب قال: كنتُ شابًا وكانت لي بنتٌ حصل لها رمدٌ، وكان لنا اعتقاد في ابن تيمية، وكان صاحب والدي ويأتي إلينا ويزور والدي، فقلت في نفسي لآخذن من تراب قبر ابن تيمية لأكحلها به؛ فإنه طال رمدها ولم يفد فيها الكحل، فجئت إلى القبر فوجدت بغداديًا قد جمع من التراب صررًا فقلت ما تصنع بهذا؟ قال: أخذته لوجع الرمد أكحل به أولادًا لي، فقلت: وهل ينفع ذلك؟ فقال: نعم. وذكر أنه جربه فازددت يقينًا فيما كنت قصدته، فأخذت منه فكحلتها وهي نائمة فبرأت، قال: وحكيت ذلك لابن قاضي الجبل يعني الإمام شرف الدين أبا العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله ابن شيخ الإسلام أبي عمر المقدسي[٥] قال: وكان يأتي إلينا، فأعجبه ذلك، وكان يسألني ذلك بحضرة الناس فأحكيه ويعجبه ذلك، وقال الإمام أبو العباس بن حجي[٦] أنشدنا الشيخ الإمام العالم البارع الحافظ الأديب الأوحد بقية السلف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الطرابلسي بن الموصلي الشافعي[٧]، من لفظه لنفسه .

إن كان إثبات الصفات جميعها ... من غير كيف موجب لومي

وأصبر تيميًا بذلك عندكم ... فالمسلمون جميعهم تيمي

قال أيضًا كتب ابن المطهر الرافضي إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية- رحمة الله عليه-:

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) سبق ذكره.

(٦) سبق ذكره.

(٧) ابن الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي، شمس الدين. (٦٩٩-٧٧٤هـ). أديب، عالم بالفقه ولد في بعلبك وتعلم في دمشق وحماة وتوفي بطرابلس. الوافي (١/٢٦٢)، الدرر الكامنة (٤/١٨٨)، الأعلام (٧/٣٩).

لـــو كنت تعلم كل ما علم الـــورى طـــرًا لصرت صديق كل العالـــم

لكن جهلت فقلت إن جميـــع مـــن يهـــوى خلاف هواك ليس بعالم

قال:فأجابه شيخنا شمس الدين الموصلي سمعته من لفظه في يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة سنة سبعين وسبعمائة بقاعة دار الحديث الأشرفية قال:

يـــا من يموه في السؤال مسفسطـــًا إن الـــذي ألـــزمت ليس بـــلازم

هـــذا رســـول الله يعلـــم كل مـــا علمواْ وقد عـــاداه جـــل العالـــم

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون قاضي القضاة شرف الدين مفتي المسلمين مفيد الطالبين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة شرف الدين أبي الفضل الحسن ابن الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي قاضي الجبل وابن قاضيه مولده في تاسع شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة وتوفي- رحمه الله تعالى- ثالث عشر رجب سنة إحدى وسبعين وسبعمائة بالجبل، ودفن في جوار جده أبي عمر ولي القضاء سنة سبع وستين وسبعمائة، ومن مصنفاته كتاب الفائق في المذهب ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين، وقال صاحب فنون وذهن سيال وتودد سمع معي من التقي بن مؤمن وطلب الحديث وقتًا. انتهى. صحب الشيخ تقي الدين بن تيمية، وسمع منه وتفقه به وأخذ عنه وكان يسميه شيخ الإسلام كما سماه غيره من الأعلام وقد أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن موسى بن رسلان بن موسى بن إدريس بن موسى بن موهوب السلمي الدمشقي(١). قال أنشدنا الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن العجل المقدسي المرداوي(٢). قال أنشدنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد ابن الحسن ابن القاضي الجبل(٣) من لفظه لنفسه.

نبيـــــي أحمـــد وكـــذا إمامـــــي وشيخي أحمـــد كالبحر طامـــي

واسمـــــي أحمـــد أرجـــو بهـــذا شفاعـــة سيد الرســـل الكـــرام

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شهاب الدين مفتي المسلمين مفيد الطالبين

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) ابن قاضي الجبل، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة، جمال الإسلام، شرف الدين. (٦٩٣-٧٧١هـ). شيخ الحنابلة في عصره، أصله من القدس ومولده ووفاته في دمشق، ولي القضاء بدمشق سنة ٧٦٧هـ، وتوفي وهو قاض. الدارس (٣/٤٤)، الدرر الكامنة (١/١٢٠)، الأعلام (١/١١١).

أبو العباس أحمد بن راشد بن طرخان الملكاوي الشافعي(١)، سمع الكثير من المسندين ووافق في السماع عدة من المحدثين ذكره الشيخ شهاب الدين أبو العباس ابن حجي في معجمه، وعلم على اسمه علامة سماعه منه ورأيت بعض الحفاظ الأعلام ترجمه قبل الفتنة بفقيه الشام، وكان مما يعظم الشيخ تقي الدين ابن تيمية الإمام ويترجمه كأقرانه بشيخ الإسلام توفي- رحمه الله تعالى- بعد الفتنة، وقد حصل له نصيب من تلك المحنة عَوَّضه الله منها الجنة. حدثنا الإمام العلامة قاضي القضاة أبو حفص عمر بن موسى بن الحسين بن محمد بن عيسى المخزومي الشافعي(٢) بثغر بلناس من ساحل بحر الشام. قال كنت حاضرًا عند الشيخ شهاب الدين الملكاوي فأتى إليه شهاب الدين أحمد الحلبي الساكن بدار الحديث الأشرفية بدمشق، فقال ذكر بعض الناس اليوم شيئًا وشق عليَّ فقال الشيخ شهاب الدين الملكاوي باع نسخة شرح صحيح مسلم للنووي(٣)، واشترى كتاب الرد على النصارى للشيخ تقي الدين بن تيمية، فقال في جواب ذلك عندي شرح مسلم نسختين بعت إحداهما، واشتريت كتاب الرد ولولم يكن عندي شرح مسلم(٤) نسخة لم يكن بعت؛ لأن ما في شرح مسلم أعرفه وما في كتاب الرد على النصارى أنا محتاج إليه ومع ذلك فوالله إن الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ الإسلام ولو دروْا ما يقول لرجعواْ إلى محبته وولائه أو كما قال. وقال: كل صاحب بدعة ومن ينتصر له لو ظهرواْ ما ظهرواْ لابد من خمودهم وتلاشي أمرهم، وهذا الشيخ تقي الدين بن تيمية كلما تقدمت أيامه تظهر كرامته وتكثر محبته وأصحابه أو كما قال.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم الصالح المقرئ المجود المحدث المفيد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي المقرئ(٥)

---

(١) أحمد بن راشد بن طرخان المكاوي الدمشقي الشافعي، شهاب الدين أبو العباس قاضي القضاة. كان أحد العلماء الأئمة المعتبرين اشتغل في الفقه والحديث والنحو والأصول. شذرات الذهب (٤/٢٤)، طبقات الشافعية (٤/١٤)، الدارس (١/١٨١).

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) أحمد بن رجب بن حسين بن محمد بن مسعود البغدادي. نزيل دمشق ولد ببغداد، ونشأ بها وقرأ بالروايات وسمع مشايخها ورحل إلى دمشق بأولاده. شذرات الذهب (٣/٢٣٠)، ذيل تذكرة الحفاظ (١/١٦٠).

والد العلامة الحافظ زين الدين بن رجب[١] مولد أبي العباس هذا في صبيحة يوم السبت خامس عشر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة قرأ القرآن بالروايات، وأخذ عن جماعة من الشيوخ كثيرًا من المرويات وخرج لنفسه مشيخة مفيدة بتراجم ملخصة فريدة وذكر ابن تيمية شيخ الإسلام وأثنى عليه، وكان يحبه ويميل بالمودة إليه.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة قاضي قضاة المسلمين شهاب الدين مفيد الطالبين بقية السلف الصالحين أبو العباس أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب بن رزين بن كرامة بن حامد الزهري الشافعي[٢]، قدم دمشق وله من العمر نحو عشرين سنة مع بعض أقاربه في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، ثم وجدت بخط قاضي القضاة أبي زرعة أحمد ابن العراقي أن مولده سنة إحدى وعشرين وسبعمائة سمع من عبد الله بن أبي الثائب والحافظ أبي الحجاج المزي وأبي محمد القاسم ابن البرزالي وآخرين. وتوفي في ثامن المحرم سنة خمس وتسعين، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق- رحمة الله تعالى عليه-.

(ومنهم) الشيخ الإمام الصالح الورع الحافظ المفيد الحجة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن بدر بن الحسن بن مفرج بن بكار ابن النابلسي سبط زين الدين خالد الشافعي[٣]، حَدَّث عنه الحافظ الذهبي مع نقديه، وذكره في معجمه المختص بالمحدثين فقال المحدث الحافظ العالم شهاب الدين أبو العباس ابن النابلسي الدمشقي سبط الحافظ زين الدين خالد مولده سنة خمس وسبعين وستمائة، وسمع من زينب بنت مكي وابن تلبان[٤] وتقي الدين ابن الواسطي[٥] وابن القواس[٦] والتاج عبد الخالق وخلق كثير واكب على الطلب زمانًا، وترافقنا مدة وكتب وخرج وفي خلقه ذعارة وفي طباعه نفور عن المحدثين وغيرهم. انتهى. وله مصنف في ذكر أبي هريرة- رضي الله تعالى عنه- ومصنف في ترجمة الحافظ أبي القاسم بن عساكر وكتب كثيرًا وعلق وألف وخرج وطبق. توفي سنة ثمان

---

(١) سبق ذكره.

(٢) أحمد الزهري، أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب بن رقم البقاعي الدمشقي. (٧٢٢-٧٩٥هـ). فقيه شافعي مشارك في العربية وأصول الدين. شذرات الذهب (٦/٣٣٨)، معجم المؤلفين (١/٢٥٠).

(٣) سبق ذكره.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) سبق ذكره.

(٦) لم يعثر له على ترجمة.

وخمسين وسبعمائة. وجدت بخطه على كتاب مجابي الدعوة تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا ما نصه:

سمع هذا الكتاب على الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الأوحد الصدر الكبير الزاهد الورع شيخ الإسلام جمال الأئمة مفتي الفرق زين الدين أبي محمد عبد الله ابن الشيخ بدر الدين مروان أبي عبد الله الفارقي الشافعي[1]- نفع الله به- بسماعه تراه نقلاً عن شيخ الشيوخ ابن حمويه بسنده بقراءة سيدنا وشيخنا الشيخ السيد الإمام العالم العلامة الحافظ القدوة الزاهد الورع جمال العلماء قدوة المسلمين بركة الأنام شيخ الإسلام إمام العصر تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي[2]-فسح الله في مدته، وأعاد من بركته- ثم ذكر السامعين ثم قال: وآخرون على نسخة وقف الجويني[3] بدار الحديث النووية ونسخة ملك نجم الدين بن هلال منهم كاتب هذا السماع أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر النابلسي -عفى الله عنه- وصح ذلك وثبت في يوم السبت سلخ شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وستمائة بالمدرسة العذراوية بدمشق والحمد لله وحده.

(ومنهم) القاضي الفاضل مجموع الفضائل البارع النبيل العالم الأصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي الإمام يمين مملكة الإسلام محيى الدين أبي الفضل يحيى بن جمال الدين فضل الله بن مجلي بن أبي الرجال دعجان بن خلف بن نصر بن منصور العدوي العمري الشافعي، ولد سنة سبع وتسعين وستمائة، وتوفي يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وقال صاحب النظم والنثر والمآثر ولد سنة سبع وتسعين وسمع الحديث وقرأ على الشيوخ سمع مني ومعي من ست القضاة بنت الشيرازي، وله تصانيف كثيرة انتهى خرجت له مشيخة كثيرة حدث بها ورويت عنه، عمل للشيخ تقي الدين بن تيمية ترجمة أنيقة مرضية نثرًا ونظمًا أوسعها فوائد وعلمًا، وذلك في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار فمنه قوله في الشيخ تقي الدين هو نادرة العصر البحر من أي النواحي جئته. والبدر من أي الضواحي رأيته. وقال رضع ثدي العلم منذ فطم، وطلع فجر الصباح ليحاكيه فلطم، وقطع الليل والنهار دائبين، واتخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أن أسر السلف بهداه ونأى الخلف عن بلوغ مداه.

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

وثقــف الله أمرءًا بــات يكــاؤه ... يمضي حساماه فيه السيف والقلم

بهمــة في الثــريا أثــر أخمصــها ... وعــزمة ليس من عاداتها الســأم

على أنه من بيت نشأ منه علماء في سالف الدهور ونشأت منه عظماء على المشاهير الشهور فأحيا معالم بيته القديم إذ درس وجنى من فننه الرطيب ما غرس وأصبح في فضله آية إلا أنه آية الحرس عرضت له الكرى فزحزحها، وعارضته البحار فضحضها، ثم كان أمةً وحده، وفردًا حتى نزل لحده، أخمل من القرناء كل عظيم، وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم، ولم يكن منهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم. قد كان بعض الناس لكن الحصى من بعضها الياقوتة الحمراء جاء في عصر مأهول بالعلماء، مشحون بنجوم السماء، تموج في جوانبه بحور خضارم، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم، وتشرق في أنديته بدور دجنة، وتبرق في ألويته صدور أسنة، وثار جنود زعيل وتزأر أسود غيل إلا أن شمسه طمست تلك النجوم وبحره غرق تلك العلوم ثم عبيت له الكتائب فحطم صفوفها، وخطم أنوفها، وابتلع غديره المطمئن جداولها، واقتلع طوده المرجهن جنادلها، وأخمدت أنفاسهم ريحه، وأكمدت شرارتهم مصابيحه.

تقــدم راكبــًا فيهــم إماما ... ولــولاه ماركبـــواْ وراءه

وقال أيضًا ترد إليه الفتاوى فلا يردها، وتغدو عليه من كل وجه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعدًا لها يعدها

أبدًا على طرف اللسان جوابه ... فكأنمــا هي دفعــة من صيب

يغدو مساجله بعــزة طافــح ... ويروح معترفــًا بذلــة مذنب

وقال أيضًا: وكان ابن تيمية في مدد ما يؤخذ عليه في مقاله، وينبذ في حفرة اعتقاله، لا تبرد له غلة بالجمع بينه وبين خصمائه في المناظرة والبحث حيث العيون ناظرة بل يبدر حاكم فيحكم باعتقاله أو يمنعه من الفتوى، أو شيء من أنواع هذه البلوى، لا بعد إقامة بينة ولا تقدم دعوى، ولا ظهور حجة بالدليل، ولا وضوح محجة للتأميل، وكان يحد لهذا مالا يزاح به ضرر شكوى، ولا يطفى به ضرم عدوى، وكل امرئ حاز المكارم محسود.

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حســدا وبغضــا إنــه لدميــم

كل هذا لتبريزه في الفضل حيث قصرت النظراء، وتجليه كالمصباح أو نور الصباح، حيث إذا أظلمت الآراء وقيامه في الله وفى نصر دينه وإقبال الخلق عليه وعلى أفانينه، وقال

أيضا هذا مع ماله من جهاد في الله لم تقرعه فيه طلل الوشيج، ولم تجزعه فيه ارتفاع النشيج، مواقف حروب باشرها، وطرائف ضروب عاشرها، وبوارق صفاح كاشرها، ومضايق رماح حاشرها، وأضاف خصوم لد اقتحم الغمرات، وواكلها مختلف الثمرات، فقطع جدالها قوى لسانه وجلادها سنا سنانه قام به وصايرها، وبلي بأصاغرها، وقاسى اكابرها، وأهل بدع قام بدفاعها، وجهد في حظ يقاعها، ومخالفة ملل بين لها خطأ التأويل وسقم التعليل، وأسكت طنين الذباب في خياشيم رؤوسهم بالأضاليل حتى ناموا في مراقد الخضوع وقاموا وأرجلهم تساقط للوقوع بأدلة أقطع من السيوف وأجمع من السجوف وأجلى من فاق الصباح وأصلب من فاق الرماح.

اذا وثبت في وجه خطب تمزقت على كتفيه الــدرع وانتشر السرد

وقال وإلا فلقد اجتمع عليه عصب الفقهاء والقضاة بمصر والشام وحشدوا عليه بخيلهم ورجلهم فقطع الجميع وألزمهم بالحجج الواضحات أى إلزام، فلما أفلسوا أخذوه بالجاه والحكام وقد مضى ومضوا إلى الملك العلام، ليجزي الله الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

(ومنهم) الشيخ الفقيه العالم البارع النبيل برهان الدين سليل العلماء والصالحين أبو إسحاق إبراهيم ابن الإمام العلامة ذي الفنون أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي الجوزي[1] وتقدم ذكر أبيه مولده في سنة بضع عشرة وسبعمائة تخرج بوالده وأسمعه من طائفة وسمع بنفسه من آخرين واجتهد في الطلب ودأب وحصل وعلق وكتب وكان يترجمه بشيخ الإسلام بن تيمية العلم كما ترجمه أبوه ومن يشابه أبه فما ظلم.

(ومنهم) المحدث الفقيه، العالم النبيه برهان الدين سليل العلماء والمحدثين، أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ أبي العباس أحمد ابن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور بن عبد الرحمن السعدي المقدسي[2] أخو الإمام المحب عبد الله ابن المحب ولد قريبا من سنة اثنتين وسبعمائة وتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة وكان شديد الاعتناء بكلام الشيخ تقي الدين[3] وكتابته بخطه المليح وترجمه بشيخ الإسلام غير ما

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

مرة وبعض ذلك وجدته بخطه، ذكره الذهبي[١] في معجمه المختص بالمحدثين وقال سمع من ابن الموازينى[٢] والقاضي وأبي عبد الله بن مشرف وجماعة من أصحاب ابن الزبيدى باعتناء أخيه ثم سمع بنفسه وطلب قليلا ونسخ كثيرا لنفسه وللناس، وقال أيضًا ولديه فضيلة سمع مني وذهنه جيد وكتابته سريعة حلوة والله يصلحه ويوفقه وقرأ للعامة بعد أخيه واشتهر.

(ومنهم) الشيخ الصالح المقري الفقيه العالم مجد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد ابن العزابي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد أبي المعالي أسعد بن أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ابن القلانسي الدمشقي الشافعي[٣] توفي يوم الثلاثاء مستهل المحرم سنة خمس وستين وسبعمائة وكان ملازمًا لتلاوة القرآن كثير البر والإحسان قال أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان اليونيني[٤]. فيما وجدته بخطه في مشيخته. قال شيخنا مجد الدين يعني ابن القلانسي المذكور رحمه الله تعالى سمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله تعالى عنه يقول:

من لي بمثل سيرك المدلل ** تمشي رويدًا وتجي في الأول

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام علم الأعلام برهان الدين مفتي المسلمين مفيد الطالبين أبو إسحاق إبراهيم ابن الإمام شيخ الإسلام تاج الدين بن محمد عبد الرحمن ابن الشيخ المقري أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضيا الفزاري البدري الشافعي [٥] ولد في شهر ربيع الأول سنة ستين وستمائة وتوفي في يوم الجمعة سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وكانت جنازته مشهورة وحمل على رؤوس الأصابع إلى أن دفن بتربتهم بمقبرة الباب الصغيرة رحمه الله تعالى. ولما توفي الشيخ تقي الدين بن تيمية تردد الشيخ برهان الدين المذكور إلى قبره ثلاثة أيام متوالية مع جماعة من علماء الشافعية، وكان يعظم الشيخ تقي الدين كما كان يحبه ويعظمه والده الشيخ تاج الدين، وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي وكان الشيخ تاج الدين الفزاري يبالغ في تعظيم الشيخ تقي الدين بحيث إنه علق بخطه درسه بالسكرية انتهى.

وهذا الدرس كان بعد موت والد الشيخ التقي الدين في يوم الاثنين ثاني المحرم من سنة

---

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن الموازيني. الدرر الكامنة (١/٧)، المقصد الأرشد (١/١٧٨).

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

(٥) سبق ذكره.

ثلاث وثمانين وستمائة بدار الحديث السكرية التي بالقصاعين داخل دمشق وبها كان مسكن الشيخ تقي الدين ووالده من قبل وحضر هذا الدرس قاضي القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضي محيي الدين أبي الفضل يحيى ابن الذكي وشيخ الإسلام تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري. المذكور والشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن مكي بن عبد الصمد ابن المرجل[1] وكيل بيت المال والد صدر الدين ابن الويل الشافعيون وشيخ الحنابلة العلامة زين الدين أبو البركات ابن النجا التنوخي[2]. و آخرون وكان درسًا حافلاً كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه كما ذكره الذهبي. وغيره لكثرة فوائده وأطنب الحاضرون في شكره وكان إذ ذاك عمر الشيخ تقي الدين بن تيمية نحو إحدى وعشرين سنة، ووجدت بخط الإمام ابن محمد عبد الله بن أحمد ابن المحب المقدسي. ما صورته: قال الإمام بدر الدين محمد بن علاء الدين بن غانم[3]. ومن خطه اجتمعت بالشيخ برهان الدين رحمه الله تعالى يوم وفاة الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على مصطبة باب المدرسة البادرابية وعزيته فيه فوجدته متأسفًا عليه كثير الألم لموته وإذا بشخص من الطلبة قد حضر، فقال له: يا سيدي ما يحضر الدرس اليوم حتى يحضر في خدمتك فغضب غضبًا شديدًا وانزعج انزعاجًا كثيرًا وقام لوقته ودخل بيته وانصرف ذلك الرجل وأنا جالس موضعي على المصطبة متالمًا لانزعاجه وإذا به قد علم برواح ذلك الرجل وجلوسي مكاني بعده فطلبني فدخلت فوجدته على حاله في الانزعاج وقال لي ما تبصر هذا الحال يموت أقل من يكون من الفقهاء فتبطل الدروس لأجله ويموت مثل هذا الرجل العظيم ولا تبطل الدروس لأجله والله عنده من الفضائل مالا عند أحمد بن حنبل. هذا كان صاحبي من الصغر ويجتمع بوالدي وكان والدي يجب والده وأهله وتردد إلى والده وعندما درس ولده بعد وفاة والده حضر والدي عنده الدرس وكتب درسه وأثنى على درسه وعلى فضائله من ذلك الزمان، وهذا صورة ما حكاه لي الشيخ برهان الدين رحمه الله تعالى ذلك اليوم انتهى. ما وجدته بخط الإمام أبي محمد ابن المحب. رحمه الله تعالى وابن غانم المذكور هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان بن غانم المقدسي الدمشقي الشافعي ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين فقال

---

(١) عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي، زيد الدين أبو حفص توفي(٦٩١هـ). محدث، ثقة، فلكي مشارك في علوم شتى، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى البداية والنهاية (١٣/٣٣). معجم المؤلفين (٨/٤).

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

(٣) لم يتم العثور على ترجمة.

الإمام البارع الفقيه ذو الفضائل وقال ولد سنة ثمان وسبعين يعني وستمائة وسمع ابن الواسطي حضورًا وابن جماعة وطلب بنفسه وقتًا وقرأ وله عناية بتحصيل العلم والكتب مع التصون والنزاهة والفضيلة وصحة الذهن. تعلل أشهرًا وتوفي في جمادى الأولى سنة أربعين وسبعمائة ووصى بثلثه في البر سمع منه جماعة انتهى.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة المحدث المفيد الخطيب البليغ النبيل الأصيل قاضي القضاة برهان الدين سليل العلماء والصالحين أبو إسحاق إبراهيم ابن العلامة الخطيب أبي محمد عبد الرحيم ابن الشيخ الإمام مفتي الإمام قاضي القضاة بدر الدين بن عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكنائي الشافعي[1] ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وقال سمع جده ويحيى ابن المصري وعلي بن عمر الوازني وبدمشق من ابن تمام المزي وقرأ علي كثيرًا مولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة انتهى. توفي رحمه الله يوم الخميس سابع عشر شعبان سنة تسعين وسبعمائة بالمزة ودفن بها من الغد يوم الجمعة.

(ومنهم) العالم الفقيه المحدث الرحال جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يونس بن موسى بن يونس البعلبكي إمام الصالحية بدمشق مولده سنة تسع وتسعين وستمائة وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وأثنى عليه في دينه وفضله وكتب عنه أيضًا الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم ابن البرزالي وحدث عنه ولقد ترجم ابن تيمية بشيخ الإسلام كالذي قبله من الأعلام.

(ومنهم) الشيخ المحدث العالم الفقيه الأديب النبيه نجم الدين أبو الفضل إسحاق بن أبي بكر ابن الميء بن أطسز التركي[2] ولد سنة سبعين وستمائة سمع بمصر من الأبرقوهي وبالأسكندرية من القرافي وبدمشق من إسماعيل ابن الغر[3] أو غيره وبحلب من سنقر الزيني وأخذ عن آخرين وعن الذهبي وغيره ودخل العراق وأزربيجان واستوطنها بقي إلى بعد العشرين وسبعمائة وانقطع خبره ولد قصيدة مدح بها مذهب الإمام أحمد وذكر[4] فيها الشيخ تقي الدين بن تيمية في قوله:

وقـــد علـــم الـــرحمن أن زماننا ... تشـــعب فـــيه الـــرأي أي تشعب

---

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

(٣) لم يتم العثور على ترجمة.

(٤) سبق ذكره.

فجــاء بخــير عــالم من سراتهم لســبع مــئين بعــد هجرة يثرب
يقــيم قناة الدين بعد اعوجاجها ويــنقذها مــن قبضــة المتعصب
فــذاك فــتى تيمــية خــير سيد نجــيب أتانــا من سلالة منجب
علــيم بــأدواء النفوس يسوسها بحكمــته فعــل الطبــيب المجرب
بعيد عن الفحشاء والبغي والأذى قــريب إلى أهــل التقى ذو تجنب
تغــيب ولكن عن مساوي وغيبة وعــن مشــهد الإحسان لم يتغيب
حلــيم كــريم مشــفق بــيد أنه إذا لم يطــع في الله لله يغضــب
يــرى نصــرة الإسلام أكرم مغنم وإظهــار ديــن الله أربح مكسب

(في أبيات كثيرة منها)

وليس له في العلم والزهد مشبه سوى الحسن البصري وابن المسيب

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم المقري الحافظ المفيد الصالح الزاهد البركة القدوة عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر بن بردس بن رسلان البعلبكي الحنبلي(١) مولده سنة عشرين وسبعمائة وتوفي سنة ست وثمانين وسبعمائة وله مؤلفات معلومة منشورة ومنظومة وجدت بخطة ترجمة الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام (٢) ورثاه بقصيدة من النظام أولها:

عج بالكثيب إذا أنت جزت به وحي عني عريبًا نازلين به

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين عمدة المؤرخين علم المفسرين أبو الفدا إسماعيل ابن الشيخ العالم الخطيب بن حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي(٣) ولد في سنة إحدى وسبعمائة بمجيدل القرية من عمل بصري إذ كان أبوه خطيبًا بها توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة وكانت له جنارة حافلة مشهورة ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة للصوفية خارج باب النصر من دمشق له عدة مصنفات منها تفسير القران العظيم وكتاب

---

(١) ابن بردس، إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي، أبو الفداء، عماد الدين (٧٢٠-٧٨٦هـ) من علماء الحديث، مولده ووفاته في بعلبك الدرر الكامنة (١/٣٧٨) الأعلام (١/٣٢٤).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

التاريخ الكبير المسمى بالبداية والنهاية وله جامع المسانيد وغير ذلك من الفوائد، ولقد ترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام مرارًا لا تحصى منها قوله في التاريخ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة في ذي القعدة منها كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية قدس الله روحه وقال وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكورة يعني العشرين من ذي القعدة قال فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها وتكلم بها الحراس على الأبرجة فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه حتى من الغوطة والمرج ولم يطبخ أهل الأسواق شيئًا ولا فتحوا كثيرًا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكر وقد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة فحارت الدولة ماذا يصنعونه؟ وجاء الصاحب شمس الدين إلى نائب القلعة فعزاه فيه وجلس عنده وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية حوله يبكون ويثنون على مثل يقتل المرء نفسه، وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي [١] رحمة الله تعالى وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته وعلى رأسه عمامة بعذبة مغروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قد قرأ هو والشيخ منذ دخلا القامة ثمانين ختمة وشرعًا في الحادية والثمانين فانهيا فيها إلى آخر اقتربت الساعة أن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبد الله ابن المحب[٢] وعبد الله الزرعي الضرير[٣] وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختما القران وأنا حاضر أسمع وأرى ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عند الشيخ إلا من ساعد في غسله منهم شيخنا الحافظ المزي[٤] وجماعة من كبار الصالحين الأخيار أهل العلم والإيمان فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء أو الدعاء والترجم ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة ثم عطفوا على باب الناطقانين وذلك

---

(١) سبق ذكره.

(٢) عبد الله بن المحب شذرات الذهب (٣/٨٦) البداية والنهاية (١٤/١٣٨).

(٣) عبد الله العزيز الزرعي البداية والنهاية (١٤/١٣٨).

(٤) سبق ذكره.

أن سويقة باب البريد كانت هدمت لتصلح ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصى عدتهم إلا الله تعالى فصرخ صارخ هكذا تكون جنائز أهل السنة فتباكى الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف بل مرصوصين رصًا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة يعني داخل الجامع وخارجه قال إلى الأزقة والأسواق وذلك قبل أذان الظهر بقليل وجاء الناس من كل مكان ونوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لأكل وشرب وكثر الناس كثرة لا تحد ولا توصف فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبة على السدة بخلاف العادة فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إمامًا وهو الشيخ علاء الدين الخراط[1]. ثم خرج الناس من كل مكان من سائر أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا واجتمعوا بسوق الخليل ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية والناس في بكاء وتهليل في مخافته كل واحد في نفسه وفي ثناء وتأسف والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكون ويدعون ويقلن هذا العالم. وبالجملة كان يومًا مشهودًا، لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن أبى أمية حين كان الناس بها كثيرون وكانت دار الخلافة، ثم دفن رحمه الله تعالى عند أخيه قريبًا من أذان العصر على التحديد ولا يمكن أحدًا حضر من حضر الجنازة وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الضعفاء والمخدارت وما علمت أحدًا من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته وهم ثلاثة أنفس ابن جملة والصدر والقحفازي وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم بحيث علموا أنهم متى خرجوا قتلوا وأهلكم الناس وتردد شيخنا الإمام العالم العلامة برهان الدين الفزاري. إلى قبره في الأيام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكبًا حماره وعليه الجلال والوقار رحمه الله تعالى، ورؤيت له منامات صالحة عجيبة ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدًا وقد أفردت له تراجم كثيرة وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وقال ابن كثير. أيضًا وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء وممن يخطىء ويصيب، ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي وخطؤه أيضًا مغفور له كما صح في البخاري إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فهو مأجور، وقال الإمام مالك بن أنس كل

---

(١) علاء الدين الخراط. البداية والنهاية (١٣٩/١٤)، المقصد الأرشد (١٣٩/١).

أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ سبحانه وتعالى أعلم.

(ومنهم) الشيخ العالم الفاضل المحدث المؤرخ المفيد الأديب المنشئ البارع بدر الدين أبو محمد الحسن ابن الشيخ الإمام الحافظ أبي القاسم عمر ابن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر الدمشقي الحلبي (١) سمع الحديث من ذوي الإسناد وسلك جادة الأدب فأجاد وجمع فأوعى، وسمع وروى ونفع وأفاد وله مؤلفات عدة ومقطعات نظم فرده منها قوله لما توفي والده الحافظ زين الدين أبو القاسم رحمه الله تعالى:

لوالدي قد قلت حسين ... ولى مفارقًا نفسه العفيفة

أبشر من المصطفى بخير ... يا خادم السنة الشـــريفة

ومن مؤلفاته العزيزة الإدراك درة الإسلام في دولة الأتراك قال فيه في ترجمة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وفيها توفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي (٢) بحر زاخر في النقليات وحبر ماهر في حفظ عقائل العقليات، وإمام في معرفة الكتاب والسنة وهمام لا يميل إلى حلاوة من المنة كان ذا ورع زائد وزهد فرعه في روض الرضى مائد وسخاء وشجاعة وعزلة وقناعة وتصانيف مشهورة وفتاوى أعلامها منشورة يصدع بالحق، ويتكلم فيما حل ودق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويثابر على إقامة الحدود إن شكر وإن لم يشكر كتب قاضي القضاة أبو المعالي محمد ابن الزملكاني(٣) على بعض مصنفاته:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهـــــرة ... هو بينا أعجوبة العصـــر

هو آية للخلق ظاهـــرة ... أنوارها أربت على الفجر

وكانت وفاته بقلعة دمشق معتقلا، عن سبع وستين سنة تغمده الله برحمته.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة عز الدين أبو يعلى حمزة بن قطب الدين موسى ابن الصدر الرئيس ضياء الدين أبي العباس أحمد ابن الحسين الدمشقي ابن شيخ السلامية مدرس مدرسة

---

(١) ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (٧١٠- ٧٧٩ هـــ) مؤرخ من الكتاب المترسلين، ولد في دمشق ثم رحل إلى مصر والحجاز، واستقر في حلب الدر الكامنة (٢/٢٩) أعلام النبلاء (٥/٦٦) ، الأعلام (٢/٢٠٨).

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

شرف الإسلام ابن الحنبلي(١) كتب على المتنفي في الأحكام عدة أسفار وجمع بخطة فوائد كثيرة ومعاني آثار وتوفي بدمشق سنة تسع وستين وسبعمائة وقد جاوز الستين. سمع من أبي الحجاج المزي(٢) وأبي محمد البرزالي وآخرين وجدت بخطة في عدة مواضع قال شيخ الإسلام ابن تيمية ومنها على حاشية مسألة الحد هل هو مسقط للأخوة أم لا وترجيح قول الصديق رضي الله عنه قال تصنيف شيخ الإسلام علم الزهاد قطب فلك الأنام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني قدس الله روحه.

(ومنهم) الشيخ الصالح الزاهد الخير العابد الشيخ خالد المجاور لدار الطعم بدمشق كان يقصد للتبرك بدعواته، ويزار اغتنامًا لمشاهد أنه كانت له أحوال صالحة وكلمات موقظة ناضجة وكشف عن بعض أمور وكلمته نافذة في الأمور يأمر بالمعروف فيطاع، وينهى عن المنكر فيقابل بالاستماع وكان أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية الإمام ويعظمه كغيره من الأعلام ويترجمه بشيخ الإسلام.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الحافظ الكبير حجة الحفاظ عمدة العلماء الأيقاظ محدث الفقهاء وفقيه المحدثين أوحد المتقنين والمخرجين صلاح الدين أبو سعيد خليل ابن الأمير سيف الدين كيكلدي بن عبد الله العلائي مولاهم الدمشقي الشافعي نزيل القدس الشريف صاحب كتاب القواعد وكتاب المراسيل وغير ذلك من مصنف مختصر وطويل مولده سنة أربع وتسعين وستمائة تفقه بالشيخ كمال الدين ابن الزملكاني ودرس وأفتى وناظر وخرج وصنف وجمع وألف وسكن بين المقدس حتى ولي تدريس المدرسة الصلاحية وتوفي في يوم الاثنين ثالث المحرم سنة إحدى وستين وسبعمائة بيت المقدس ذكره الذهبي. في معجمه المختص بالمحدثين وقال وطلب وقرأ وأفاد وانتقى ونظر في الرجال والملل وتقدم في هذا الشأن مع صحة الذهن وسرعة الفهم انتهى.

روى الشيخ صلاح الدين العلائي المذكور عن الشيخ تقي الدين فقال أخبرنا شيخنا وسيدنا شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية وأخوه لأمه الإمام بدر الدين أبو القاسم محمد بن قاسم الحراني ونسيبهما عز الدين أبو محمد

---

(١) ابن شيخ السلامية، حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين، أبو يعلى، عز الدين ابن شيخ السلامية (٧١٢-٧٦٩هـ) فقيه دمشق من كبار الحنابلة درس بدمشق وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وأفتى بها وتوفي بدمشق شذرات الذهب (٦/٢١٤) الدرر الكامنة (٢/٧٧)، الأعلام (٢/٢٨٠).

(٢) سبق ذكره.

عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن تيمية والعلامة كمال الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الشريشي[١] وذكر غيرهم ثم قال قالواْ كلهم خلا الشريشي أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي وذكر أحاديث انتقاها الحافظ صلاح الدين المذكور من جزء بن عرفة.

ومنهم الشيخ العالم الحافظ المؤرخ المفيد نجم الدين ناقد المحدثين أبو الخير سعيد بن عبد الله الذهلي ثم البغدادي الحريري[٢] مولاهم هو مولى الصدر صلاح الدين عبد الرحمن بن عمر الحريري[٣] مولده تقريبًا سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وتوفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة سمع ببغداد والشام وغيرهما من بلاد الإسلام وفضل وتقدم ونقد الرجال وترجم جمع تراجم لعدة من أعيان بغداد وخرج كثيرًا من المرويات بالإسناد وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين فقال عنه المحدث الحافظ المؤرخ مفيد الجماعة نجم الدين أبو الخير الحنبلي نزيل دمشق مولده سنة اثنتي عشرة وسبعمائة أنشدنا لغير واحد وسمع المزي من السروجي[٤] عنه وبه رحلة إلى مصر والثغر وعمل جيد وهمة في التاريخ وتكثير المشايخ والأجزاء ومعرفة الرجال انتهى وقد ترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام غير ما مرة ووجدت بخط المحدث المفيد أبي نصر محمد بن طولو بغا السيفي أنشدنا الشيخ نجم الدين أبو الخير سعيد بن عبد الله الذهلي الحبلي في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بدمشق قال أنشدنا الشيخ الإمام العالم إمام المحققين وقدوة المحدثين تقي الدين أبو الثناء محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي[٥] رحمة الله تعالى عليه لنفسه يرثي شيخ الإسلام أبا العباس أحمد ابن تيمية قدَّس الله روحه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ببغداد حرسها الله تعالى.

قف بالربوع الهامدات وعدد وادر الدموع الجامدات وبدد

وذكر القصيدة التي منها:

مات الذي جمع العلوم إلى التقى والفضل والورع الصحيح الجيد

---

(١) لم يعثر على ترجمة.

(٢) نجم الدين الذهلي السعيد بن عبد الله الحريري الهندي الذهلي أبو الخير، نجم الدين (٧١٢- ٧٤٩ هـ) حافظ . نشأ ببغداد ارتحل إلى مصر، وأقام بدمشق إلى أن توفي الدرر الكامنة (١٣٤/٢). شذرات الذهب (١٦٣/٦). الأعلام (٩٧/٣).

(٣) لم يتم العثور على ترجمة.

(٤) السروجي الدرر الكامنة (٦٢/٥) البدر الطالع (١٨٠/٢).

(٥) لم يتم العثور على ترجمة.

شيخ الأنام تقـــي دين محمد وجمال مذهب ذي الفضائل أحمد

(ومنهم) الشيخ العالم المحدث الفقيه الفاضل الأديب البارع أبو محمد سلمان بن عبد الحميد بن محمد ابن المبارك البغدادي ثم القابوني الحنبلي الصوفي ذكره الشيخ شهاب الدين بن حجي في معجم شيوخه الأعلام وترجم ابن تيمية بشيخ الإسلام، وكان لطيف المحاضرة، وله شعر جيد وحسن مذاكرة، وهو أحد من أخذنا عنه وسمعنا الحديث منه.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحافظ الناقد الثقة صدر الدين جمال الفقهاء والمحدثين أبو الربيع ويقال أبو الفضل سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفا المقدسي الياسوفي ثم الدمشقي الشافعي(١) عين الفقهاء المتفننين وعلم الحفاظ المفيدين عني بهذا الشأن وبرز فيه على الأقران جمع وخرج وأفاد وتكلم على الرجال فأجاد سجن بقلعه دمشق أيام الامتحان بسبب فتوى ابن هاشم أحمد بن إسماعيل الظاهري على السلطان(٢). وتوفي في الثالث والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وكان أحد محبي الشيخ تقي الدين بن تيمية الإمام وترجمه غير ما مرة بشيخ الإسلام ودفن بقرب تربته الزكية بمقابر الصوفية.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم المحدث المفيد الزاهد العابد محب الدين أبو محمد عبد الله ابن المسند العالم أبي العباس أحمد ابن الشيخ محب الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الصالحي ولد يوم الأحد ثاني عشر المحرم سنة اثنين وثمانين وستمائة بصالحية دمشق وسمع بإفادة أبيه من ابن البخاري وزينب ابنة مكي. وخلق وطلب هو بنفسه فأكثر ومشيخته نحو ألف شيخ وأفاد كثيرًا واستفاد وخرج لنفسه ولغيره من ذوي الإسناد وحدث بالكثير وسمع منه جم غفير وتوفي في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بالقرب من الشيخ موفق الدين بسفح قاسيون وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين، وقال انتقيت له جزءًا وهو شيخ الحديث بالضائية حدث بالكثير انتهى. كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحبه ويحب قراءته وجدت بخطه في مواضع ترجمة الشيخ التقي الدين بشيخ الإسلام منها في إثبات سماع أولاده من ذلك ما صورته وحضر ولدي محمد جبره الله في السنة الثالثة بقراءتي يوم ختم الصحيح على المشايخ السبعة سيدنا وشيخنا الشيخ الإمام العلامة الحافظ القدوة الحجة العمدة الزاهد الورع بقية الأئمة الأعلام وشيخ مشايخ الإسلام مفتي فرق المسلمين

---

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

حجة المذاهب فريد العصر وأوحد الدهر علم الهدى ناصر السنن قامع البدع تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية وذكر بقية السماع وأنه كان يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة سنة أربع وسبعمائة بالمدرسة الحنبلية داخل دمشق ووجدت أيضًا بخط الشيخ محب الدين المذكور ما نصه وسمع ابناي محمد وأحمد وفقهما الله تعالى بقراءتي على المشايخ الاثنين والعشرين شيخاً وسيدنا الإمام العلامة الحافظ القدوة العمدة الحجة شيخ الإسلام مجتهد العصر لسان الشريعة حجة المذاهب إمام الطوائف تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن الشيخ العلامة مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني وذكر بقية الشيوخ وفيهم الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي وذكر السماع وما يتعلق به ووجدت أيضًا بخط الشيخ محب الدين المذكور على منتقىء من جزء أيوب السختياني انتقاه الضياء سمع جميع هذا الجزء من لفظ شيخ مشايخ الإسلام فريد العصر والأوان مفتى الفرق بركة المسلمين تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية رضي الله تعالى عنه بسماعه من ابن عبد الدائم الشيخ الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزلي وعبد الله بن أحمد ابن المحب المقدسي وهذا خطه وذلك في يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة تسع وتسعين وستمائة بدار الحديث السكرية بالقصاعين بدمشق.

(ومنهم) الشيخ الصالح العابد الناسك أبو محمد عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري نزيل[1] دمشق المتقن بمشهد أبي بكر من جامع دمشق توفي يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وكانت جنازته مشهودةً ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق قال العلامة أبو الفدا إسماعيل بن كثير كان من الصالحين الكبار مباركًا خيرًا عليه سكينة ووقار وكانت له مطالعة كثيرة وله فهم جيد وعقل صحيح وكان من الملازمين لمجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية. وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها تعجز عنها كبار الفقهاء انتهى.

(ومنهم) الشيخ المحدث العالم جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن سيدهم بن أردين الأسكندري[2]. نزيل دمشق من سنة سبع وتسعمائة وسمع من ابن مشرق[3] ابن

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

(٣) سبق ذكره.

الموازني[١]. والدمياطي وآخرون وقرأ الكثير وبالغ في الطلب ونسخ وحصل ودأب سمع منه بعض شيوخنا في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وذكره الذهبي[٢]. في معجمه المختص بالمحدثين وقال أوذي من أجل ابن تيمية وقطع رزقه وبالغوا في التحرير عليه، ثم انصلح حاله انتهى. وقد ترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الاسم فيما وجدته بخطة في غير ما موضع من كتبه بضبطه منها على الجواب الباهر في زيارة المقابر قال أجاب به شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ثم قال علقه لنفسه عبد الله بن يعقوب الأسكندري عفا الله عنه.

(ومنهم) الشيخ المسند الكثير العالم أسد الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ العالم المحدث المفيد أبي نصر محمد ابن طولو بغا بن عبد الله السيفي[٣]. سمع الكثير بإفادة أبيه مع طائفة من المستدين وأحضره عند الحافظ الذهبي وآخرين وكتب بخطة فوائد وأشياء مما يرويه وكان يترجم ابن تيمية بشيخ الإسلام كأبيه.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم الحافظ فخر الدين سليل العلماء والصالحين أبو بكر عبد الرحمن ابن الإمام العلامة عبد الله محمد ابن الإمام العلامة القدوة بركة المسلمين فخر الدين بن محمد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن نصر بن أبي القاسم البمليكي ابن الفخر. الدمشقي ولد يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع من ابن البخاري. في الخامسة من عمره ومن التقي الواسطي وخلق وكتب الكثير وعلق وأفاد الشيخ وعلق وخرج لجماعة من الأعيان وفسر بعض القران وكان يقص على الناس في عدة مواعيد مع العفة والصلاح الشديد في يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ودفن بمقبرة الصوفية، ولم يعقب فيما قاله ابن رجب خرج للشيخ تقي الدين بن تيمية جزءاً من مروياته العلية وكان يترجمه بشيخ الإسلام أسوة أمثاله من الأعلام فيما وجدته بخطة وتقيده الحسن وضبطه.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة واعظ المسلمين مفيد المحدثين زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام المقري المحدث شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب وعبد الرحمن ابن الحسن بن محمد بن أبي البركات

---

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي أحد الأئمة الزهاد والعلماء العباد سمع من محمد بن الخباز[١] وإبراهيم بن داود العطار[٢] والميدومي [٣] وأبي الحزم ابن القلاني وخلق من رواة الآثار له مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة منها شرح جامع الترمذي بن عيسى وشرح من أول صحيح البخاري إلى الجنائز شرحًا نفسيًا وله كتاب طبقات أصحاب مذهبه جعله ذيلاً على ابن بداءة وهو القاضي أبو الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلي محمد ابن الحسين بن الفرا قال فيه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله أبي القاسم الخطر بن محمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الأصولي الزاهد تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام وعلم الأعلام وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره ثم ذكر ابن رجب ترجمة الشيخ تقي الدين وفيها ذكر موته ودفنه ثم قال وصُلِّيَ عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة الصلاة على ترجمان القران توفي الشيخ زين الدين بن رجب في شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه الزاهد أبي الفرج عبد الواحد ابن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي المتوفى في ذي الحجة سنة ثمانين وأربعمائة وهو الذي نشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل ببيت المقدس ثم بدمشق رحمه الله تعالى. وقد حدثني من حفر لحد ابن رجب ابن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام قال فقال لي احفر لي هنا لحدًا وأشار إلى البقعة التي دفن فيها قال فحفرت له فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه فأعجبه وقال هذا جيد ثم خرج قال فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقادني به ميتًا محمولاً في نعشه فوضعته في ذلك اللحد وواريته فيه.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الأوحد شيخ العصر حافظ الوقت زين الدين شيخ المحدثين علم النافدين عمدة المخرجين أبو الفضل عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ابن العراقي المصري الشافعي مولده في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة سمع من خلق من المسندين مثل محمد بن إسماعيل بن الخباز[٤]. والميدمي[٥]

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

(٣) لم يتم العثور على ترجمة.

(٤) سبق ذكره.

(٥) سبق ذكره.

وآخرين ومنهم عدة من أصحاب علي ابن البخاري فخر الدين وحدث وأملى وأفاد وتكلم على العلل والإسناد ومعاني المتون وفقهها فأجاد. صنف التصانيف التي اشتهرت وخرج تخاريج رويت وانتشرت، ولقد قال فيما أملاه من لفظة في يوم عاشوراء من محرم سنة خمس وتسعين وسبعمائة بالمدرسة الظاهرية القديمة بعد أن روى من طريق الإمام أبي بكر أحمد الحسين البيهقي.

قال أنبأنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد بن عدي قال حدثنا الحسن بن علي الأهوازي[١]. حدثنا معمر بن سهل قال حدثنا حجاج بن نصير قال حدثنا محمد بن ذكوان عن يعلى بن حكيم عن سليمان بن أبي عبد الله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أن الرسول ﷺ قال مَن أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته) هذا الحديث في إسناده لين وحجاج بن نصير ومحمد بن ذكوان الطاحي وسليمان بن أبي عبد الله مضعفون لكن ابن حبان. ذكرهم في الثقاة وباقيهم ثقاة فهو حديث حسن على رأى ابن حبان والحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه طريق آخر صححه الحافظ أبو الفضل بن ناصر وفيه زيادات منكرة وقد روي حديث التوسعة يوم عاشوراء من حديث جابر وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وابن عمر رضي الله عنه تعالى عنهم وأصحها حديث جابر قاله أبو الفضل ابن العراقي المشار إليه وقال أيضًا ورواه البيهقي في الشعب من قول إبراهيم بن محمد ابن المنتشر وأما قول الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية أنه ما روى أحد من أئمة الحديث ما فيه توسيع النفقة يوم عاشوراء وأن أعلى ما بلغه فيه قول إبراهيم بن محمد المنتشر فهو عجيب منه فهو كما ذكرته في عدة من كتب أئمة الحديث وقد جمعت طرقه في جزء والله تعالى أعلم.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة صفي الدين مفتي المسلمين أبو الفضائل عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله علي بن مسعود البغدادي الحنبلي[٢] مولده في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستمائة وله صفات في فنون من العلم كالفقه والأصول واللغة والتاريخ والطب والحساب قال المحدث أبو الخير سعيد الذهلي واختصر الكتاب الذى ألفه شيخ الإسلام تقي

(١) سبق ذكره.

(٢) ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطعيي البغدادي الحنبلي صفي الدين (٦٥٨-٧٣٩ هـ). عالم بغداد في عصره مولده ووفاة فيها يضرب به المثل في معرفة الغرائق.

الدين بن تيمية في الرد على ابن المطهر[١] ووسمه بكتاب المطالب العوال لتقرير منهاج الاستقامة والاعتدال وكتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع انتهى. وهذا هو مختصر معجم البلدان لياقوت توفي الشيخ صفي الدين رحمه الله في صفر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ودفن بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله تعالى عليه وقد حدث بخط المحدث أبي نصر محمد بن طولوبغا السبقي[٢] نقلت من خلط الإمام المحدث الفاضل الأديب البارع صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي يقول قال العبد الفقير عبد المؤمن بن عبد الحق حين بلغه وفاة الشيخ الإمام العالم بقية العلماء المجتهدين تقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى ورضي عنه:

طبت مثوى يا خاتم العلماء   في مقام الزلفى مع الأتقياء

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم شيخ القراء عمدة أهل الأداء أمين الدين علم المجودين بقية السلف الصالحين أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن سلار بن بيرم بن سلار بن بهرام بن سلار بن محمود بن سلار بن بختيار الدمشقي الشافعي زوج شيختنا زينب ابنة الإمام شرف الدين عبد الله بن تيمية أخي الشيخ تقي الدين رحمهم الله وكان الشيخ أمين الدين المشار إليه يعظم الشيخ تقي الدين ويثني عليه ويذكره بشيخ الإسلام في ترجمته وأوصى أن يدفن عنده فدفن في تربته ورثاه بقصيدة إليه سمعت منه ورويت عنه أولها:

كل حي له الممات ورود   ....

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(ومنها)

كان شيخ الإسلام نقلاً وعقلاً باب ذي البدع عنده مردود

وقال الشيخ أمين الدين بن سلار وأنشدني الشيخ الإمام مسند الشام بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن عساكر[1]. لنفسه في شيخ الإسلام ابن تيمية هذين البيتين يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين وسبعمائة بمنزله بدمشق.

تقي الدين أضحى بحر علم يجيب السائلين بلا قنـــوط

أحاط بكل علم فيه نفـــع فقل ما شئت في البحر المحيط

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم المحدث الفقيه نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن أيد غدي بن علي بن سليمان اليونيني الحنبلي الملقب بحنبل. أخذ عن خلق من الشيوخ من أصحاب ابن البخاري وغيرهم وكتب بخطه كثيرًا وخرج لنفسه تخاريج ووجدت بخطه في غير موضع ترجمة الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام من ذلك على الجزء الذي فيه مائة حديث انتقاها الشيخ تقي الدين من صحيح البخاري. مشتملة على الثلاثيات الإسناد وموافقات وإبدال وعوالي فقال فيما وجدته بخطة انتقاء الشيخ الإمام شيخ الإسلام حسنة الزمان بقية السلف عمدة الخلف مفتي الفرق تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمة الله عليهم أجمعين.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم أقضى القضاة مفتي المسلمين علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي[2] نريل دمشق الحنبلي كان الشيخ تقي الدين من المعظمين وبشيخ الإسلام له من المترجمين وجمع في منصف اختياراته من مسائل الفروع ورتبها على أبواب الفقه مع زيادة من فوائده على المجموع، وقد وجدت بخطة قال الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة والعلامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الإسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين ذو العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديت الحجة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني قدس الله روحه، وأنابه الجنة برحمته ثم ذكر بعض كلام الشيخ تقي الدين في تصنيف له.

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(ومنهم) الشيخ العالم الفاضل الصالح علي بن زيد بن علوان بن صبرة بن مهدي بن حريز الزبيدي اليمني الشافعي(١) نزيل حلب سمع من أصحاب الحجار وطبقتهم ورحل في هذا الشأن وطلب وقرأ بنفسه وطبق وكتب وجدت بخطه على المائة حديث المنتقاة من صحيح البخاري التي انتقاها الشيخ تقي الدين بن تيمية قرأت هذا الجزء وهو المائة المنتقاة من صحيح البخاري انتقاء شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى على الشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين ورحلة الطالبين أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد الحنبلي الشهير بابن اليونانية(٢).

وذكر بقية طبقة السماع وكتب في آخرها ما نصه وكتب علي بن زيد بن علوان بن صبرة بن مهدي الزبيدي اليمني.

(ومنهم) الشيخ الإمام المقري المحدث النحوي الأديب البارع علاء الدين أبو الحسن علي ابن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي الأسكندراني ثم الدمشقي سمع من عبد الله بن الخشوعي(٣). وأحمد بن عبد الدائم وآخرين يبلغون نحوًا من مائتي شيخ وهو صاحب كتاب التذكرة الكندية في خمسين مجلدًا كانت وقفًا قبل الفتنة بخانقاه الرئيس أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبيشي السميساطي(٤) بدمشق وكانت علومه جمة وكتابته حسنة وشعره رائقًا وكان شيخ دار الحديث النفيسة بدمشق مدة عشر سنوات إلى أن توفي ببستانه عند قبة المسجد ليلة الأربعاء سابع عشر شهر رجب سنة ست عشرة وسبعمائة ودفن في الغد بالمزة عن ست وسبعين سنة، وكان كثير الملازمة للشيخ تقي الدين(٥). ومن خواص أصحابه المشهورين كثير التعظيم له والاحترام و ترجمة بشيخ الإسلام.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم الفقيه الفاضل المحدث الرحال الصدر الكبير المسند المكثر زين الدين جمال المحدثين أبو القاسم عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر الدمشقي الشافعي. شيخ الحديث بحلب وناظر الحسبة بما سمع من ابن البخاري ومحمد بن الكمال بن عبد الرحيم والتقي إبراهيم الواسطي(٦). وأحمد بن شيبان، وزينب ابنة مكي. وخلق يزيدون

---

(١) لم يتم العثور على ترجمة.

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

(٣) عبد الله بن الخشوعي الدرر الكامنة (٣/٣١) المقصد الأرشد (١/٤٣٥).

(٤) لم يتم العثور على ترجمة.

(٥) سبق ذكره.

(٦) سبق ذكره.

على خمسمائة إنسان منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية سمع منه جزء ابن عرفة في سنة عشر وسبعمائة وخرج له الحافظ أبو عبد الله الذهبي. معجمًا عن شيوخه توفي ببلد مراغة سنة ست وعشرين وسبعمائة عن خمس وستين سنة.

(ومنهم) شيخنا الإمام شيخ الإسلام مجتهد العصر ونادرة الوقت فقيه الدنيا سراج الدين خاتمة المجتهدين أبو حفص عمر بن رسلان بن أبي المظفر نصير بن أبي التقي صالح ، وهو أول من سكن بلقين ابن أحمد بن محمد بن عبد المؤمن بن مسافر الكناني البلقيني، إمام الأئمة وعالم الأمة ولد في شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة وتوفي سنة خمس وثمانمائة حدث عن طائفة من الشيوخ سماعًا وعن آخرين إجازة منهم ما قال في أربعين حديثًا درجت له فحدث بها قال أنبأ الشيخ الإمام المسند الثقة أبو الفرج عبد الرحمن ابن الإمام شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني إجازه من دمشق وأجاز لي آخرون قالواْ أنبأ أحمد بن عبد الدائم ثم حول السند ووصله وما قيله إلى الحسن بن عرفه فروي من جزئه حديثًا وقال عقيبة شيخنا هذا ولد بحران سنة ثلاث وستين وستمائة وسمع لي الخامسة من أبي عبد الدائم ومن ابن عبد الدائم. ومن ابن أبي اليسير، وابن أبي عمر والفخر علي وجماعة يزيدون على المائة وكان غلامًا فاضلاً دينًا ثقةً ومفردًا وعلا سنده وعمر وحدث بالكثير توفي ليلة الخميس ثالث ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبعمائة وهو أخو الشيخ تقي الدين الإمام رحمهما الله تعالى انتهى. ولما قدم شيخنا شيخ الإسلام البلقيني[1]. رحمة الله عليه دمشق ذكر في بعض دروسه مسألة لم يرها لغيره فاستطرد وحكى فيما ذكره لي بعض من كان حاضرًا من الأئمة قال سمعته يقول كان شيخ الإسلام ابن تيمية مرة يلقي درسًا فذكر مسألة قال عنها هذه المسألة ليست في كتاب فقال بعض من كان يناوبه ولم يسمه هذه في ألف كتاب فكان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا عرضت تلك المسألة في دروسه يقول هذه ليست في كتاب ثم يقول ثم يقول وقال الكذاب هذه في ألف كتاب.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم القاضي المحدث المتقن أبو حفص عمر بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن حفص عبد القاهر بن عبد الواحد بن عمر الحراني الشهير بابن نجيح[2]. ولد سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع من ابن البخاري حضور أو من يوسف الغسولي وآخرين

---

(١) سبق ذكره.

(٢) لم يتم العثور على ترجمة.

وخرج له عن شيوخه جزأ حدث به وذكره الذهبي[١]. في معجمه المختص بالمحدثين فقال عالم ذكي خير وقور متواضع بصير بالفقه والعربية وسمع الكثير وولي مشيخة الضيائية فألقى دروسًا محررةً تخرج بابن تيمية وغيره وناب في الحكم فحمد. انتهى. توفي سنة تسع و أربعين و سبعمائة مطعونًا شهيدًا رحمه الله تعالى، وكان أحد خواص الشيخ تقي الدين ومحبيه ويترجمه بشيخ الإسلام كأبي عبد الله أخيه.

(ومنهم) الشيخ العالم الفاضل الصالح الخير تقي الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عبد الأحد بن عبد الله بن سلامة بن خليفة بن شقير الحراني الحنبلي[٢] مولده فيما وجدته بخطة ليله عيد الفطر من سنة ست وستين وستمائة ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وقال شيخ فاضل متدين مشهور سمع بالكثير بنفسه ودار على المشايخ وسمع من القاسم الإربلي[٣] والفخر وزينب وابن شيبان وخلق وقال توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وسبعمائة عن ثمان وسبعين سنة انتهى.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العابد المفتي سراج الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الإمام الفقيه الزاهد العابد القدوة نجم الدين أبي عمر عبد الرحمن بن حسين بن يحيى بن عمر بن عبد المحسن اللخمي القباني ثم الحموي الحنبلي[٤] نزيل القدس الشريف لازم الشيخ تقي الدين بن تيمية. واشتغل عليه وانتفع بما حصله مما لديه فبرز على أقرانه وفصل وكان جامعًا بين العلم والعمل ذكره ابن رجب[٥] في طبقاته وذكر فضله وقال لم أر على طريقه في الصلاح مثله انتهى. حدث في سلخ رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بقبة موسى من المسجد الأقصى فقال وأخبرنا المشايخ الثمانية والأربعون الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية وأخوه أبو أحمد عبد الرحمن وذكر بقية الشيوخ وساق الإسناد إلى الحسن بن عرفة. فذكر من جزئه حديثًا.

---

(١) سبق ذكره.

(٢) عمر بن عبد الله بن عبد الأحد بن عبد الله بن سلامة بن خليفة بن شقير الحراني الدمشقي (٦٦٦-٧٤٤هـ) الوفيات (٤٦١/١) الدرر الكامنة (٢٠٣/٤).

(٣) سبق ذكره.

(٤) القبابي، عمر بن عبد الرحمن بن الحسين اللخمي، أبو جعفر، سراج الدين القبابي ت(٧٥٥ هـ) فقيه حنبلي، مصري الأصل تتلمذ لابن تيمية وأقام بالقدس يفتي و يحدث إلى أن توفي. الدرر الكامنة (٣/ ١٨٨) شذرات الذهب(٧٨/١) الأعلام (٤٩/٥).

(٥) سبق ذكره.

(ومنهم) الشيخ العالم الفقيه الفاضل المحدث سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي الأزدي البزار ولد سنة ثمانين و ستمائة تقريبًا سمع ببغداد من عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي وتلا عليه القران بحرف أبي عمرو بن العلاء وسمع من إسماعيل ابن الطبال ومحمد بن عبد المحسن بن عبد الغفار بن الدواليبي[1] وعلي بن أبي القاسم عبد الله بن عمر أبي القاسم وغيرهم ورحل إلى دمشق فقرأ على الحجار صحيح البخاري بمدرسة شرف الإسلام ابن الحنبلي بدمشق وحضره خلق منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وصحبه وأخذ عنه وكان بدمشق مقيمًا بالضيائية من سفح قاسيون وله مصنفات في الحديث والفقه والدقائق وكان ذا عبادة وتهجد رجع في آخر عمره إلى بغداد ثم توجه منها إلى الحج في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فلما وصل إلى حاجر توفي بها صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة تسع المذكورة بالطاعون ومات معه كذلك نحو من خمسين رجلاً فدفن الجميع بحاجر رحمهم الله تعالى جميعًا كان سراج الدين المذكور للشيخ تقي الدين معظمًا وبشيخ الإسلام له مترجمًا وجمع له ترجمة مفردة سماها الأعلام العلية في مناقب الإمام ابن تي ية ومما ذكره فيما قال حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء من أصحاب الأئمة النبلاء الذين خاضواْ في أقاويل المتكلمين ليسترجعواْ منها الصواب ويميزواْ بين القشر واللباب أن كلاً منهم لم يزل حائرًا في تجاذب أقوال الأصوليين ومعقولاتهم وأنه لم يستقر في قلبه منها قول ولم يبين له من مضمونها حق بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل وأنه كان خائفًا على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل حتى من الله تعالى عليه بمطالعة مؤلفات الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام و ما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام فما هو إلا أن وقف عليها وفهمها فرآها موافقة للعقل السليم فانجلا عنه ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة المحدث الفقيه زين الدين قاضي المسلمين مفيد الطالبين أبو حفص عمرو بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم القرشي الملحي[2] في قرية ملح من أعمال صرخد ثم الدمشقي الشافعي قاضي أهل دمشق في عصره وواعظ أهل مصر توفي

---

(١) سبق ذكره.

(٢) عمرو بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم الكتاني القرشي الملحي الدمشقي الإمام الفقيه الشافعي المحدث المفسر الواعظ ولد سنة (٧٢٤ هـ) شذرات الذهب (٣/٣٢٣) الراسي (١/٣١) طبقات الشافعية (٣/١٥٧).

في ذي الحجة سنة اثنين وتسعين وسبع مائة ودفن بالتربة التي جوار مسجد الشيخ تقي الدين ابن تيمية فقال هو شيخ الإسلام على الإطلاق وذكر لي غيره أنه سمع زين الدين القرشي المذكور أثنى على الشيخ تقي الدين ابن تيمية حديثًا حسنًا بحضرة جماعة كثيرة من الأعيان وترجم الشيخ سلامة بشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله ورضي عنه فهو مشهور ولم يزل أعيان علماء الإسلام ممن عاصره ومن جاء من بعده يعظمونه ويعترفون له بعلو الشأن في العلم والورع والزهد ولقد أخبرني الشيخ الصالح العالم أمين الدين أبو عبد الله محمد ابن المرحوم الشيخ جمال الدين الصائغ الأنصاري الشافعي أدام الله بركته عن شيخه العلامة رمال القرشي أحد مشايخ الشام توفي سنة اثنين وتسعين وسبعمائة أنه قال بلغني ممن أثق به أنه ابن الفركاح[1]. قال عن الشيخ تقي الدين المشار إليه والله لقد حوى علو ما لم يحوها أمامه هذا كلام ابن الفركاح مع عداوته له والذي يقوله إن من تكلم في المذكور بما لا يليق ورماه فيما لا يجوز فهو غير موفق أعاذنا الله من ذلك وجمع بيننا وبين المذكور وبقية علماء الدين في دار الكرامة.

(ومنهم) الشيخ الصالح العالم العابد الزاهد كمال الدين أبو حفص عمر بن إلياس بن يونس المراغي[2]. قدم دمشق في جمادى الاولى سنة تسع وعشرون وسبعمائة وكان عمره إذ ذاك نيفًا وثمانين سنة فنزل بدار الحديث الأشرفية داخل دمشق بعد أن كان مجاورًا بالقدس الشريف ثلاثين سنة وأقام بمصر خمس عشرة سنة فيما ذكره العلامة الحافظ أبو الفدا إسماعيل بن كثير. قال وهو شيخ حسن المنظر ظاهر الوضاءة عليه سيما العبادة ولديه علم وتحقيق وذكر أنه سأله عن الشيخ تقي الدين بن تيمية فقال هو عندي رجل كبير القدر عالم مجتهد شجاع صاحب حق كثير الرد على هؤلاء الاتحادية والحلولية والأنية واجتمعت به مرارًا وشكرته على ذلك وكان أهل هذا المذهب الخبيث يخافون منه كثيرًا وكان يقول لي ألا تكون مثلي فأقول له لا أستطيع.

(ومنهم) الشيخ الإمام الحافظ الثقة الحجة مؤرخ الشام وأحد محدثي الإسلام علم الدين مفيد المحدثين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرازلي الإشبيلي الأصل الدمشقي صاحب التاريخ الخطير والمعجم الكبير كان بأسماء الرجال بصيرًا وناقدًا لأحوالهم نحريرًا مولده فيما وجدته بخطه في ليلة عاشر جمادى الأول سنة خمس

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

وستين وستمائة بدمشق ومات بخليص محرمًا في ثالث ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث ومر به (حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقتة وهو محرم فمات). الحديث وفيه (فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا) فكان إذا قرأه يبكي ويرق قلبه فمات محرمًا بخليص كما تقدم وسمعت بعض مشايخنا يذكر أن الحفاظ الثلاثة المزي والذهبي والبرزالي اقتسمواْ معرفة الرجال فالمزي أحكم الطبقة إلا لي والذهبي الوسطى والبرزالي الأخيرة يعني كمشايخ عصره ومن فوقهم بقليل ومن بعدهم ومن اطلع على معجم البرزالي حقق ذلك وفيه يقول الذهبي فيما أنبأتنا عنه:

إن رمت تفتيش الخزائن كلهـــا وظهور أجـــزاء حوت وعوالي
ونعوت أشياخ الوجود وما رووْا طالع أو ســـمع معجم البرزالي

وهو الذي مدحه الشيخ العالم الأوحد أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الطرابلسي الشافعي[١] لما قدم حاجًا في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

مازلـــت أســـمع عنكم كل عارفة لمـــثلها وإلـــيها ينتهـــي الكـــرم
وكنت بالسمع أهواكم فكيف وقد رأيـــتكم وبـــدا لي الهـــوى علم

وجدت على جزء فيه ثمانية أحاديث منتقاة من جزء الحسن بن عرفة[٢]. طبقة سماع بخط الحافظ أبي محمد بن البرزالي المذكور وهي قرأ هذه الأحاديث الثمانية شيخنا وسيدنا الإمام العلامة الأوحد القدوة الزاهد العابد الورع الحافظ تقي الدين شيخ الإسلام والمسلمين سيد العلماء في العالمين حبر الأمة مقتدي الأئمة حجة المذاهب مفتي الفرق أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية أدام الله بركته ورفع درجته بسماعة من ابن عبد الدائم[٣]. بسنده أعلاه فمنها القاسم بن محمد بن يوسف بن البرزالي[٤]. وهذا خطه وحضر ولده أبو الفضل محمد وهو في الشهر السابع من عمره تبركًا بحديث رسول الله ﷺ وقصدًا للبداءة بشيخ جليل القدر تعود عليه بركته وينتفع بدعائه وصح ذلك وثبت في يوم السبت التاسع والعشرين من رجب سنة خمس وتسعين وستمائة بسفح جبل قاسيون هذا آخر هذه

---

(١) سبق ذكره.
(٢) سبق ذكره.
(٣) سبق ذكره.
(٤) سبق ذكره.

الطبقة التي وجدتها بخط الحافظ علم الدين بن محمد البرزالي وقد ذكره في معجم شيوخه الشيخ تقي الدين فقال أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الشيخ تقي الدين أبو العباس الإمام المجمع على فضائله ونبله ودينه قرأ القرآن وبرع فيه والعربية والأصول ومهر في علمي التفسير والحديث وكان إمامًا لا يلحق غباره في كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين وكان إذا ذكر التفسير أبهت الناس من كثرة محفوظه وحسن أدائه وعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا ودعاء الخلق إلى الله تعالى وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس يفسر القرآن العظيم فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله لعمله وأناب إلى الله تعالى خلق كثير وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقليل من الدنيا ورد ما يفتح به عليه وقال الحافظ أبو محمد البرزالي أيضًا في تاريخه وفي ليلة الاثنين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي الإمام الشيخ العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق في القاعة التي كان محبوسًا فيها وحضر جمع كثير إلى القلعة فأذن لهم في الدخول وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوْا القرآن وتبركوْا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوْا وحضر جماعة من النساء يفعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصر على من يغسله ويعين على غسله فلما فرغ من ذلك وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى اللبادين إلى الفوارة وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام وصلى عليه أولا بالقلعة تقدم بالصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ثم صلى عليه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر وحمل من باب البريد واشتد الزحام وذكر بقية ذلك وصفة دفنه وجماعة سمع منهم الحديث ثم قال وخلق كثير سمع منهم الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباق والأثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين وقل أن سمع شيء إلا حفظه ثم اشتغل بالعلوم. كان ذكيًا كثير المحفوظ فصار إمامًا في التفسير وما يتعلق به عارفًا بالفقه ويقال إنه كان أعرف بفقه المذهب من أهلها الذين كانوْا في زمانه وغيره وكان عالمًا باختلاف العلماء عالمًا بالأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من

فنون العلم إلا ظن أن ذلك الفن فنه ورآه عارفًا به متقنًا له وأما الحديث فكان حامل رايته حافظًا له مميزًا بين صحيحه وسقيمه عارفًا برجاله متضمنًا من ذلك وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع كمل منها جملة وبيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها وجملة كثيرة لم يكملها وجملة كملها ولم تبيض إلى الآن وأثنى عليه وعلى فضائله وعلومه جماعة من علماء عصره مثل القاضي الجويني[١] وابن دقيق العيد[٢] وابن النحاس والقاضي الحنفي والقاضي قضاة مصر ابن الحريري وابن الزملكاني وغيرهم وقال قبل ذلك وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير وذلك من كثرة ما يأتي ويصلي عليه ومن أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم وغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف من الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور مع الترحم والدعاء له وأنه لو قدر ما تخلف وحضر نساء كثيرة بحيث حررن بخمسة عشر ألف امرأة غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن الجميع يترحمن عليه يبكين عليه فيما قيل وأما الرجال فحرروا ستين ألفًا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف ولما أشار الحافظ أبو محمد ابن البرزالي إلى عظم جنازة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك وتعظيمهم له. إن الدولة كانت تحبه والشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، توفي في بلدة دمشق، وأهلها لا يساوون أهل بغداد حينئذ كثرة ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاضر لما بلغوا هذه الكثرة التي أجلسوها فى جنازته وأنهوا إليها هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة السلطان وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة مما ينفر منها طباع أهل الأديان فضلاً عن أهل الإسلام وهذه كانت جنازته رحمة الله عليه.

(ومنهم) الأمير الكبير شمس الدين قراسنقر بن عبد الله المنصوري[٣] الذي ولاه السلطان الملك الناصر محمد ابن المنصور قلاوون[٤] نيابة بدمشق فى العشرين من شوال سنة سبع

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) شمس الدين قراسنقر المنصوري البداية والنهاية (١٣/٣٣٤) الدرر الكامنة (٢/٨٣)النجوم الزاهرة (٨/٤) العبر في خبر من غبر (٦/٨٢).

(٤) الملك الناصر، محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح (٦٨٤-٧٤١هـ) . من كبار الدولة القلاوونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال ولي سلطنة مصر والشام سنة (٦٩٣هـ). فوات الوفيات (٢/٢٦٣)، الدرر الكامنة (٤/١٤٤)، النجوم الزاهرة (٨/٤١). الأعلام =

وسبعمائة، وكان نائبًا بحلب ثم خشي من السلطان أن يمكسه فهرب وتوفي بمراغه في السنة التي توفي فيها الشيخ تقي الدين كتب إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية. كتابًا يتشرف فيه إليه قال الحافظ أبو محمد القاسم ابن البرزالي[1] فيما وجدته بخطه من كتاب من الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري إلى الشيخ تقي الدين ضاعف الله بركات الجناب العالي السيد الأمامي العالمي العاملي العلامي الشيخ القدوي الزاهدي العابدي الخاشعي العارفي الحافظي التقوي شيخ الإسلام قطب الأنام سيد العلماء أوحد الصلحاء حجة الأئمة قدوة الآمة مفتي المسلمين شيخ المذاهب إمام الفرق ناصر السنة آخر المجتهدين مذكر الملوك والسلاطين، ورفع درجته في عليين وإحلاله منازل الأبرار المتقين ونفع ببركته ودعواته الإسلام والمسلمين المملوك يخدم الوسيم ومفاكهته التي هي من الفوز العظيم وينهى أنه لم يزل في سائر أوقاته متطلعًا أخباره مترقبًا ما يرد من سوائحه وإطاره راجيًا من الله تعالى أن لا يخليه من دعواته وأن يمده بيمينه وبركاته ويمتعه والإسلام كافة بطول بقائه وحياته وغير ذلك فإن المملوك كلما بلغه بلاغات الجناب العالي وزواجره ونواهيه في طاعة الله وأوامره وقيامه في مصالح الإسلام واجتهاده وجهاده في الله حق جهاده رفع يده بالأدعية المباركة بطول بقائه وأن يمده بمعونته وألطافه في صباحه ومسائه، فإنه ضاعف الله بركاته قد أحيا سنن هذه الملة، وكان ممن وصف في قوله تعالى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا بعض الكتاب المشار إليه فيما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة قاضي قضاة المسلمين جمال الدين مفيد الطالبين أبو الثناء محمود ابن الشيخ سراج الدين أبي العباس أحمد بن مسعود الشهير بابن السراج القونوني[2].

له دروس تشهد بتقدمه وفهمه ومؤلفات تفصح عن تحقيقه وعلمه توفي سنة سبعين وسبعمائة بدمشق عن ست وسبعين سنة كتب بخطه من خطب الشيخ تقي الدين قد كتب ابن السراج[3] بعد فراغه منها هذه الخطبة خطب بها شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية. حين خرج من حبس الإسكندرية بالمدرسة الكاملية في القاهرة في جمع كثير من العلماء والأمراء وغيرهم انتهى ما كتبه.

=

(١١/٧).

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم المحدث المتقن المفيد الرجال المسند المكثر شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن خلف بن محمد بن عقيل المنبجي ثم الدمشقي[١]. ولد سنة ست وثمانين وستمائة وتوفي يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة وصلي عليه صبيحة يوم الثلاثاء بجامع دمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير وذكره الذهبي[٢]. في معجمه المختص بالمحدثين وقال ونسخ وحصل الأصول وحرر الفروع مع الدين والصدق والأمانة كتبت عنه أحاديث انتهى. قال أبو الثناء المنبجي المذكور وأنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الثلاثة للشيخ الإمام سعد الدين أبو محمد سعد بن نجيح الحراني[٣]. في مدح الشيخ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه آمين .ثم ذكر من القصائد الثلاث أول الأولى.

أيها الماجد الذي فاق فخرًا وسما رفعةً على الأقـــران

يا إمامًا أقامه الله للعـــــالم هاديًا للدين والإحســـان

(ومنهم) الشيخ الإمام العالم الحافظ محدث بغداد وقاضي تلك البلاد تقي الدين فخر المحدثين أبو الثناء محمود بن علي محمود بن مقبل بن سليمان بن دواد الدقوقي[٤]. البغدادي شيخ الحديث بالمدرسة المستنصرية ببغداد ولد بكرة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الأول سنة ثلاث وستين وستمائة وسمع مالا يوصف كثرة بإفادة والده ثم نفسه وكان إذا قرأ الحديث على الناس تجتمع عنده خلق يبلغون ألوفًا، وكان فردًا فى زمانه مقدمًا على أقرانه، وله مؤلفات وتخريجات وخطب ويد طولى في النظم والنثر والمواعظ والأدب توفي يوم الاثنين العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ببغداد ودفن بتربة الإمام أحمد بن حنبل. وشهد جنازته خلق كثير وحملت على الرؤوس ولم يخلف ولا درهما واحدًا ترجم ابن تيمية بشيخ الإسلام ورثاه بقصائد لما أصابه الحمام منها قوله:

مضى عالم الدنيا الذي عز فقـــــد هوأضرم نارًا فى الجوانح بعـــده

ومن هذه القصيدة:

مضى الزاهد الندب ابن تيميه الذي أقر له بالعلم والفضـــل ضـــده

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

(٤) سبق ذكره.

ومنها قوله من قصيدة تقدم أولها فى ترجمة سعيد الذهلي:

مات الذي جمع العلوم إلى التقى والفضل والورع الصحيح الجيـــد

شيخ الأنام تقي دين محمـــــــد وجمال مذهب ذي الفضائل أحمد

(ومنهم) الشيخ الإمام حافظ الإسلام محدث الأعلام الحبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف أبو عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الذهب القضاعي ثم الكلبي الحلبي الدمشقي ثم المزي الشافعي(١). ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمائة ونشأ بالمزة وسمع الكثير من الكتب الطوال والقصار والأجزاء الكبار وغير الكبار ورحل إلى عدة من الأمصار وألف كتاب التهذيب وصنف كتاب الأطراف وخرج لغير واحد التخريج المطولة واللطاف، وكان غزير العلم ثقة حجة حسن الخلاق صادق اللهجة ترافق هو وابن تيمية. شيخ الإسلام في السماع والنظر في علوم مع عدة من الأعلام وله عمل كثير فى المعقول، ولكن مع خشية وسلامة عقيدة وحسن إسلام توفي رحمة الله في يوم السبت قبل وقت العصر ثاني عشر صفر سنة اثنين وأربعين وسبعمائة وصلي عليه بكرة يوم الأحد ودفن بمقبرة الصوفية جوار قبر الشيخ تقي الدين بن تيميه وكانت جنازته مشهودة وهو الذي قال فيه الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الطرابلسي(٢) الشافعي لما قدم الحج سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

ما زلت أسمع عن إحسانكم خيرًا الفضل يسنده عنكم ويرفعـــــه

حتى التقينا فشاهدت الذي سمعت أدنى وأضعاف ما قد كنت أسمعه

وصنف فيه الحافظ العلامة أبو سعيد العلائي مصنفًا سماه سلوان التعزي بالحافظ أبي الحجاج المزي حدثنا عنه غير واحد من الشيوخ فأنبئونا عنه أنه قال عن شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا اتبع لهما منه

وأخبرنا أبو حفص عمر بن الخطاب الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي(٣)

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

مشافهة عن آية قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج[١] فذكره وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي نحوه كما تقدم ترجمه الذهبي وقال المزي أيضًا عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية لم يرَ مثله منذ أربعمائة سنة، ولقد كتب الحافظ أبو الحجاج المزي على كتاب ترجمة الشيخ التقي الدين بن تيمية تأليف ابن عبد الهادي ما صورته كتاب مختصر في ذكر حال الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني وذكر بعض مناقبه ومصنفاته رضي الله تعالى عنه جمع الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي أدام الله النفع بفوائده ووجدت بخط الحافظ المزي في عدة من طبقات سماعه مع الشيخ تقي الدين بن تيمية كتب له فيها الإمام تقي الدين منها على جزء أبي السكين زكريا بن يحيى الطائي وهي بخط الشيخ تقي الدين ما صورته قرأت هذا الجزء على الشيخ الجليل المسند المعمر بدر الدين أبي العباس أحمد بن شيبان بن ثعلب الشيباني[٢] بسماعه من ابن طبرزد وبإجازته من ابن سنيف عن الغزال فسمعه صاحبه وكاتبه الإمام الأوحد أبو العباس أحمد ابن شيخنا المرحوم شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن عيد السلام ابن تيمية الحراني وآخره شرف الدين عبد الله وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة. وابن عمه الرحمن بن أحمد وعلم الدين القاسم بن محمد بن محمد بن البرزالي. وذكر بقية السامعين ظاهر دمشق المحروسة وأجاز لهم الشيخ وكتب يوسف ابن الذكي عبد الرحمن المزي عفا الله عنه ووجدت، بخط المزي أيضًا طبقة سماع على الجزء الثاني من حديث الحسن بن علي الجوهري عن أبي حفص عمر بن محمد بن علي الزيات عن شيوخه ما صورته سمع هذا الجزء على المشايخ الثلاثة الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني والإمام علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن البرازالي بقراءته من لفظة وكاتب السماع يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي بسماعهم من أحمد بن شيبان وبسماع الأول أيضًا من إسماعيل ابن العسقلاني وذكر المزي بقية الطبقة وقال فيما وجدته بخطه وصح ذلك الأول أيضًا في يوم السبت الحادي والعشرين من رجب سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بظاهر دمشق بقرب المنبع وأخروا الجماعة وحدث المزي في محرم سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة المنتقى من أحاديث أبي طالب محمد بن إبراهيم بن غيلان[٣] فقال

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

فيما وجدته بخط نصر محمد بن طولو بغا[(١)]. أخبرنا الشيخان أبو العباس أحمد بن شيبان بن ثعلب الشيباني وأبو يحيى إسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد العسقلاني قرأه عليه ونحن نسمع وذلك بقراءة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية الحراني تغمده الله برحمته في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثمائة بالجماع المطري بسفح قاسيون. وذكر بقية الإسناد.

(ومنهم) الشيخ الإمام العلامة الحافظ البركة القدوة ذو الفنون البديعة والمصنفات النافعة جمال الدين عمدة المحققين أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن إبراهيم العبادي ثم العقيلي السرمري[(٢)] نزيل دمشق الحنبلي مولده فيما وجدته بخطه فن سابع عشر رجب من سنة ست وتسعين وستمائة بسرمر وتوفي يوم السبت الحادي والعشرين من جمادى الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة بدمشق ودفن بمقبرة الصوفية جوار تربة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله وكان إمامًا ثقةً عمدةً زاهدًا عابدًا محسنًا جهده صنف فى أنواع كثيرة نثرًا ونظمًا وخرج وأفاد وأملا رواية وعلمًا ومن مؤلفاته النظامية كتاب الحمية الإسلامية في الانتصار الذهب الرد المقبول وهدم تلك الآبيات بنظام المنقول وحلال المعقول وكان عمدة في نقد رجال الحديث وضبطه وترجم الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام فيما كتبه بخطه وجمع في شمائله اللطيفة ترجمة موثقة متيقة إعلامًا بقدره وتبنيهاً به قال فيها وجدته بخطه فيها حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء والأئمة النبلاء الممعنين في الخوض في أقاويل المتكلمين لإصابة الصواب وتمييز القشر من اللباب أن كلاً منهم لم ينزل حائرًا في تجاذب أقوال الأصوليين في الحيرة والتضليل وجلها مدهن متكافئ الأدلة والتعليل وأنه كان خائفًا على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل حتى من الله سبحانه وتعالى عليه بمطالعة مؤلفات هذا الإمام ابن تيميه شيخ الإسلام مما أورده من النقليات والعقليات في عدا النظام مما هو الآن وقف عليها وفهمها فرآها موافقة للعقل السليم وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه في أقوال المتكلمين من الظلام وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك وظفر بالمرام ومن أراد اختبار صحة ما قلته فلينقلب بعين الأنصاف العرية عن الحسد والانحراف إن شاء على مختصر آية في هذا الشأن كشرح العقيدة الأصبهانية ونحوها وإن شاء على مطولاته كتخليص التلبيس من تأسيس التقديس والموافقة بين العقل والنقل ومنهاج الاستقامة والاعتدال فإنه والله يظفر بالحق والبيان ويستمسك بأوضح برهان ويزن حينئذ في ذلك بأصح

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

ميزان. وجدت بخط الإمام أبي المظفر[١]. أيضًا في بعض تعاليقه على حاشيته فيه ستة منامات رؤيت لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية. رضي الله تعالى عنه ووجدت في الأصل بخط الشيخ جمال الدين المذكور ما صورته.

الحمد لله حمده قال الفقير يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السرمري[٢]. وجدت بخط المحدث الفاضل العالم نجم الدين إسحاق بن أبي بكر بن آلمي الترلي[٣]. قال أخبرنا فقير يعرف بعبد الله وذهب عني اسم والده ورأيت جماعة من أصحابنا يئنون على دينه ويذكرونه بالصلاح والخير قال رأيت بدمشق فى النون ليلة الجمعة في رجب سنة خمس وسبعمائة وكأني خرجت من بيتي لبعض حاجة وكان قائلاً يقول لي إن رسول الله ﷺ في المدينة فأتيت إليه فرأيته جالسًا على دكان خباز فسلمت عليه وذهبت لا تكلم فلم أطلق الكلام فقال:"لي النبي ﷺ يا عبد الله قل ما عندك فقلت: يا رسول الله ما تنظر ما الناس فيه من الاختلاف وكثرة الأهواء والفتن قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال لي يا عبد الله الحق مع أحمد ابن تيمية وهو سالك على طريقي وعلى قدمي وما جئت إلا لأ فصل بينهم ثم إن رسول الله ﷺ غضب وتكلم بكلام لم أفهمه إلا انني فهمت في آخره هو يقول أيقدرون أن ينكروا معراجي فوالذي نفسي بيده لقند أسري بي من سماء إلى سماء ومن سماء إلى سماء ورأيت ربي ووضع ﷺ إصبعه اليمنى تحت عينه اليمنى أو كما قال.

وقال الإمام أبو المظفر السرمري فى المجلس السابع والسنن من أماليه في الذكر والحفظ ومن عجائب ما وقع في الحفظ في أهل زماننا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فإنه كان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتفش في ذهنه فيذاكر به وينقله في مصنفاته بلفظة ومعناه ومن أعجب ما سمعته عنه ما حدثني به بعض أصحابه أنه لما كان صبيًا في بداية أمره أراد والده أن يخرج بالأولاد يومًا إلى البستان على سبيل التنزه فقال له يا أحمد تخرج مع إخوتك تستريح فاعتل عليه فألح عليه والده فامتنع أشد الامتناع.

فقال أشتهي أن تعفيني من الخروج فتركه وخرج بأخوته فظلوا يومهم فى البستان ورجعوا آخر النهار فقال يا أحمد أوحشت أخوتك اليوم تكدر عليهم بسبب غيبتك عنهم فما هذا فقال يا سيدي إني اليوم حفظت هذا الكتاب لكتاب معه فقال حفظته كالمنكر

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سبق ذكره.

(٣) سبق ذكره.

المتعجب من قوله فقال استعرضه علي فاستعرضه فإذابه قد حفظه جميعه فأخذه وقبل عينيه وقال يا بني لا تخبر أحدًا بما قد فعلت خوفًا عليك من العين.

(ومنهم) الشيخ العالم المحدث الفاضل عماد الدين جمال المحدثين أبو بكر أحمد بن أبي الفتح بن إدريس بن شاملة الدمشقي الشافعي الصوفي ابن السراج[١] قاري الحديث بجامع دمشق الأعظم وهو الذي أتقن نسخة صحيح البخاري وقف الجامع وأحكم حتى صارت عمدة يعتمد عليها في القرءان والسماع والنقل يرجع إليها، وكان من خواص أصحاب المزي البارعين، وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وقال دين عاقل عالم له محفوظات واشتغال نسخ جماعة كتب وطلب وقرأ وهو في ازدياد من العلم ولد سنة خمس وسبعمائة وسمع من الحجار وطبقته وأخذ عني والله يسلمه توفي ابن السراج في شوال سنة اثنين وثمانين وسبعمائة انتهى.

(ومنهم) الشيخ الصالح العابد العالم الواعظ أبو بكر بن شرف بن محسن بن عمار الصالح[٢]. ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة سمع الكثير مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية. الشيخ جمال الدين المزي على شيوخهما ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد الدائم. وله تعاليق ومؤلفات في الأصول وغيرها وكان يتكلم على الناس من بعد الصلاة الجمعة إلى العصر من حفظه وله ميل إلى التصوف وأعمال القلوب وكان يكثر ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قام في آخر عمره بحمص وبها توفي في الثاني والعشرين من صفر سنة وفاة الشيخ تقي الدين رحمهما الله تعالى.

(ومنهم) الشيخ العالم المحدث المفيد زين الدين أبو بكر ابن الشيخ زكى الدين قاسم بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن ترجم بن علي بن عمر عبد الكناني الرحي[٣]. نزيل مصر ولد سنة ست وستين وستمائة وسمع من أبي الحسن علي ابن البخاري. وآخرين وكتب وعلق وسمع وطبق وخرج وجمع واستفاد وأفاد ونقع ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وقال وكان دينًا خيرًا حسن المحاضرة انتهى كتب بخطه فيما وجدته غير ما مرة ترجمة الشيخ تقي الدين بشيخ الإسلام ولقد صدق فيما أبره وهذا آخر من ذكرنا من الأعلام ممن سمى الشيخ تقي الدين ابن تيمية بشيخ الإسلام ولقد تركنا جمًا غفيرًا وأناسي كثيرًا ممن نص على إمامته

(١) سبق ذكره.
(٢) لم يعثر له على ترجمة.
(٣) سبق ذكره.

وما كان عليه من زهده وورعه وديانته وكذلك تركنا ذكر خلق ممن مدحه نظمًا في حياته أو رثاه بشعره بعد مماته لكن نذكر قصيده واحدة من مراثيه وهي أول ما قيل بديهًا على الضريح يوم دفنه فيه لتكون ختامًا لما ذكرنا وشجىً في الحلق أو رجوعًا إلى الحق ممن بهذا الرد قصدناه فأنبانا غير واحد من الشيوخ منهم أبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله محمد ابن الذهبي عن الحافظ أبي محمد القاسم بن محمد البرزالي قال أنشدنا أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن غانم المقدسي لنفسه فيما قرأته عليه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبعمائة فيما رثي به الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله عليه وهي أول ما قيل بديهًا على الضريح.

أي حبر مضى وأي إمام ... فجعت فيه ملة الإسلام

ابن تيمية النقي وحيد الدهـ ... ـر من كان شامة في الشام

بحر علم قد غاض من بعد ما ... فاض نداه وعم بالإنعام

زاهد عابد تنزه في دنياه ... عن كل مابها من حطام

كان كنزًا لكل طالب علم ... ولمن خاف أن يرى في حرام

ولعاف قد جاء يشكو من الـ ... ـفقر لديه فنال لكل مرام

حاز علمًا فما له من مساو ... فيه من عالم ولا من مسامي

لم يكن في الدنيا له من نظير ... في البرايا في الفضل والأحكام

كان في علمه وحيدا فريدا ... لم ينالوا ما نال في الأحلام

عالم في زمانه فاق بالـ ... ـعلم جميع الأئمة الأعلام

كل من في دمشق ناح عليـ ... ـه بكاء من شدة الآلام

فجع الناس فيه في الغرب والشر ... ق وأضحوا بالحزن كالأيتام

لو يفيد الفداء نادوه بالأرواح ... منهم من الردى والحمام

أوحد فيه قد أصيب البرايا ... فيعزى فيه جميع الأنام

أعظم الله أجرهم فيه إذ صا ... ر على الرغم في الثرى والرغام

ما يرى مثل يومه عند ما يسا ... ر على النعش نحو دار السلام

حملـــوه على الرقاب إلى القبر وكا دواْ أن يهلكـــــواْ بالـــــزحام

فهـــو الآن جـــار رب الســـموا ت الـــرحيم المهـــيمن العـــلام

قـــدس الله روحـــه وســـقى قبـــ ـــــراً حـــواه بهـــاطلات الغمام

فلقـــد كـــان نادرًا في بني الدهـــ ـــــر وحســـنًا في أوجـــه الأيام

تم كتاب الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر تأليف شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد القدوة الحجة الحبر الحافظ قامع المبتدعين ناصر السنة والدين حافظ الديار الشامية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن علي القيسي الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين[1].بلغه الله تعالى آماله وختم بالصالحات أعماله آمين. في يوم الجمعة سابع شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة بالبستان المعروف بالناعمة، بيت لهيا خارج دمشق المحروسة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمد المدعو، عمر بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد بن مسعد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن القاسم بن عبد الله، بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المكي الشافعي لطف الله تعالى به آمين والحمد لله تعالى على نعمائه، وصلاة الله على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

دائمًا أبدًا إلى يوم الدين حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

* * *

---

(١) سبق ذكره.



الأعلام العليّة في مناقب ابن تيميّة

تأليف

الإمام الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن موسى

البزّار الحنبلي

المتوفى ٧٤٩هـ

قرأه وعلّق عليه

الدكتور يحيى مراد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ من النفر القليل الذين كانت حياتهم كلها لله، والذين دعوا إلى الله على بصيرة، شاهدًا لله سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو، قائمًا بالقسط، فقد كتب وألف عشرات المجلدات بل مئات المجلدات في هذين المعنيين: إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى وتحذير الأمة من الشرك الذي تفشى فيها بعد صدر الإسلام، ثم إثبات عدل الله في تشريعاته وقضائه وقدره، ولقد تعرض شيخ الإسلام في سبيل ذلك إلى تفنيد مزاعم قوى الشر كلها التي انتشرت وسادت المسلمين في عصره في القرن السابع الهجري وأوائل الثامن. فتصدى بالرد على الفلاسفة وأذنابهم والرافضة وأكاذيبهم، والباطنية وخبثهم ونفاقهم، والصوفية وعقائدهم الفاسدة وترهاتهم، وللمتكلمين وخلفائهم وتأويلاتهم الباطلة، وللمقلدين وعبادتهم لشيوخهم وتعصبهم لآرائهم المخالفة للكتاب والسنة، والنصارى وضلالهم، واليهود وخبثهم وإفسادهم، وألف في كل ذلك وكتب ودرس وسافر وارتحل وناقش ولم يكتف بهذا أيضًا بل جرد سيفه لقتال التتار فجمع الجموع لملاقاتهم، ووحد صفوف المسلمين لحربهم، وخاض المعارك ونصره الله عليهم..

وهو في كل هذا عازف عن الدنيا، لم يتزوج ولم يكتنـــز مالا أو يبني دارًا ويتخذ عقارًا إلا ما أراده من دار الآخرة.

وعالم هذا شأنه لا شك أن يكثر أعداؤه وحساده.. فقد عادى الدنيا كلها في الله وخاصم كل منحرف في ذات الله، ولم يداهن أميرًا ولا وزيرًا في الحق، بل صدع به حيث كان، ولذلك كثرت ابتلاءاته ومحنه فلا يخلص من محنة إلا ودخل في أخرى، ولا ينتهي من سجن حتى يزج به في سجن آخر، ولا ينصر في محاكمة حتى تعقد له محاكمة جديدة.. وكل ذلك وهو صابر محتسب، بل فرح مستبشر أن أكرمه الله بكل هذه الكرامات وهيأ له كل هذه الأسباب لينشر علمه وتعظم محبة أهل الخير له، فكان قدوة للعالمين من أهل الخير في زمانه، ونموذجًا للعلماء العاملين في وقته، بل كان من تلاميذه جهابذة الأمة في كل فرع من فروع المعرفة الدينية فمن تلاميذه ابن كثير إمام

المؤرخين والمفسرين، والذهبي علم المحققين والحافظ المزي، إمام من أئمة النقل والرجال والحديث وابن عبدالهادي علم التحقيق، وابن القيم إمام الأمة وفارسها، وروحاني الإسلام.. وخلق كثيرون.. ثم أصبحت كتبه من بعده هي الهادي والمرشد لعقيدة أهل السنة والجماعة، بعد أن لَبَّسَ المُلَبِّسُون من أهل الكلام والزندقة على الناس، ونشروا عقائدهم الباطلة في الأمة فقام هذا المجدد الفرداني والعالم الرباني فكشف بنور القرآن والسنة أضاليل أهل الكلام والبدعة والزندقة والردة.

ولقد كثر حساده وأعداؤه في حياته وبعد مماته، فأخذوا ينقبون كتبه ويفتشون لعلهم يظفرون له بخطيئة أو بزلة وليس هو بمعصوم فيضخمون ما ظنوه خطأ. فيجعلون خطأه كفرًا، وردة، ثم يفترون عليه ويكذبون، وكل ذلك يسعون جاهدين أن ينفروا الأمة عن طريقه ويصرفوا العالم عن مطالعة كتبه، ولكن هذا منهم كان ينقلب في كل مرة عليهم حيث يقف الناس على كذب شانئيه ومبغضيه فينقلب السحر عليهم، وتبتلع آية الله ما أفكه الظالمون، وما افتراه المفترون.

وكان من جملة ما افتراه بعض هؤلاء زعمهم أن ابن تيمية وابن القيم قد خالفا إجماع المسلمين لقولهما بفناء النار.

وقالوا عن شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه سُجِنَ من أجل ذلك، ولو لم يمت في السجن لَنُفِّذَ فيه حد الردة.

لعل السبب في إرادة هدم شيخ الإسلام ابن تيمية من قِبَلِ هؤلاء وأمثالهم معروف، لأن كتب شيخ الإسلام أنوار هاديات لكل زيف وبهتان، وتضليل وهذيان، ولذلك يحاربها كل من أراد أن يبني له مجدًا في الظلام، ويطمس بعض البصائر ويتخذ مجموعة من الخفافيش تعيش معه في الجحور.. ولذلك يحاذر كل المحاذرة أن يسمع أحد منهم كلمة حق، أو يقرأ كتابًا يفضح باطله وزوره وتخليطه..

ابن تيمية: الإعداد الرباني

أول ما يطالعنا في دراسة حياة شيخ الإسلام ابن تيمية هو هذا الإعداد والعناية الربانية التي كلأت هذا الإمام منذ أن كان صغيرًا وإلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وهذا ما يكاد يجمع عليه كل الذين ترجموا له. وكتبوا عنه ممن أراهم الله حقيقة هذا الرجل العجيب فكأن كل الظروف والأحداث كانت تتهيأ لاستقبال هذا المجدد..

ولا شك أن القارئ الذي سيستمر معنا مطالعًا هذه المقتطفات واللمحات من حياة شيخنا شيخ الإسلام سيخرج بهذه النتيجة.

فالعالم الذي أظلم ظلامًا يكاد أن يكون كاملا قبل أن يبدأ هذا الرجل دعوته قد كان يتطلع وينتظر قدوم مثل هذا الرجل ليبدد ظلمات الفلسفة والزندقة، والإلحاد، والشرك بكل مظاهره، والباطنية بكل أعلامها والاتحادية، وأيضًا ظلام الحكام المتجبرين والعملاء المأجورين، وأكثر من هذا ظلام وعدوان التتر المتسترين بالإسلام، والنصيرية والرافضة المعادين لأهل الإسلام، والموالين لأهل الكفر والطغيان لقد كان العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى عالم مجدد جريء شجاع يستطيع أن يقول الحق لكل أولئك وهو لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يخشى سجنًا ولا تعذيبًا، ولا غربة ولا نفيًا.. بل ولا قتلا.. فكان ابن تيمية الذي جعله الله أولا وعاء عظيما استوعب علم الكتاب والسنة، ثم وسع كل علوم وترهات وأكاذيب أولئك الضلال وعرف بعد ذلك كيف يكر عليها ويبطلها باطلا باطلا، ولا يستطيع أحد منهم أن يقف أمامه أو يحاربه أو يلبس على الناس عنده.. والآن تعالوا نطالع عناية الله بهذا الرجل منذ أن كان صبيًا.

شهادة ابن عبدالهادي:

قال الحافظ محمد بن أحمد بن عبدالهادي في (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية): انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه. واتفق أن أحد مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا، لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كتّابه، وهو إلى الآن ما جاء. فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكتّاب (مدرسة صغيرة لتحفيظ القرآن). فجلس الشيخ الحلبي قليلا، فمر صبيان، فقال الخياط: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير: هو أحمد بن تيمية. فناداه الشيخ. فجاء إليه. فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه ثم قال له: امسح يا ولدي هذا، حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه. ثم دفعه إليه، وقال: أسمعه عليّ، فقرأه عليه عرضا كأحسن

ما أنت سامع. فقال له: يا ولدي، امسح هذا، ففعل. فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه، كما فعل أول مرة. ثم أسمعه إياه كالأول. فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش الصبي ليكونن له شأن عظيم. فإن هذا لم يُرَ مثله.

ابن تيمية: العالم الذي لم ير العلماء مثله:

كان لا بد لابن تيمية الذي سيقابل هذا الواقع الأليم بكل مآسيه وعقباته أن يكون عالمًا من طراز آخر، وأن يقر له العلماء جميعًا بالفضل والسبق عليهم، وأن يشهدوا أن أعينهم لم تر مثل هذا الرجل، وذلك حتى يستطيع أن يشق طريقه إلى الإصلاح، ولا يستطيع أحد أن يتهمه بجهل أو قصور وتعالوا نشاهد شهادات العلماء له في عصره وبعد عصره بالعلم الذي لا يضارع ولا يماثل..

شهادة تلميذه الإمام الذهبي:

قال الذهبي في معجم شيوخه: «أحمد بن عبدالحليم الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي أبو العباس، تقي الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علمًا ومعرفة، وشجاعةً وذكاءً، وتنويرًا إلهيًا، وكرمًا ونصحًا للأمة، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرج، ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره. برع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها. وبرع في الحديث وحفظه، فقلّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث، معزوًا إلى أصوله وصحابته، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل. وفاق الناس من معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوي الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل يقوم بما دليله عنده. وأتقن العربية أصولا وفروعًا، وتعليلا واختلافًا. ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، وردّ عليهم، ونبّه على خطئهم، وحذّر منهم ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين. وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجالا من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبًا، وعلى طاعته، وأحيا به الشام، بل والإسلام، بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في

خيلائهم، فظنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشرأبَّ النفاق وأبدى صفحته. ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه» (طبقات الحنابلة لابن رجب ٣٨٩، ٣٩٠).

وقال الذهبي أيضًا: «وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه، الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجيب في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة، والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث» (المصدر السابق).

وقال أيضًا: «ولما كان معتقلا بالإسكندرية: التمس منه صاحب سبتة أن يجيز لأولاده، فكتب له في ذلك نحوًا من ستمائة سطر، منها سبعة أحاديث بأسانيدها، والكلام على صحتها ومعانيها، وبحث وعمل ما إذا نظر فيه المحدث خضع له من صناعة الحديث. وذكر أسانيده في عدة كتب. ونبّه على العوالي. عمل ذلك كله من حفظه، من غير أن يكون عنده ثبت أو من يراجعه.

ولقد كان عجيبًا في معرفة علم الحديث. فأما حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند: فما رأيت من يدانيه في ذلك أصلا.

قال: وأما التفسير فمسلم إليه. وله من استحضار الآيات من القرآن -وقت إقامة الدليل بها على المسألة- قوة عجيبة. وإذا رآه المقرئ تحير فيه. ولفرط إمامته في التفسير، وعظم اطلاعه. يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين. ويوهي أقوالا عديدة. وينصر قولا واحدًا، موافقًا لما دل عليه القرآن والحديث. ويكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصلين، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل: نحوًا من أربعة كراريس أو أزيد.

قلت: وقد كتب (الحموية) في قعدة واحدة. وهي أزيد من ذلك. وكتب في بعض الأحيان في اليوم ما يبيض منه مجلد.» ا.هـ (المصدر السابق).

وقال الذهبي أيضًا في بيان حملاته على المنحرفين: «وغالب حطه على الفضلاء

والمتزهدة فبحق، وفي بعضه هو مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يكفر أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه.

قال: ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، وبدّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المرّ الذي أدّاه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله.

فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، والاستعانة به، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية. وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارًا، بلسانه وقلمه.

(وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتى كأنه ليث حرب. وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته. وفيه قلة مداراة، وعدم تؤدة غالبًا، والله يغفر له. وله إقدام وشهامة، وقد نفسه توقعه في أمور صعبة، فيدفع الله عنه» ا.هـ (المصدر السابق).

وقال أيضًا في وصف شجاعته:

وأما شجاعته: فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتضبه أكابر الأبطال. ولقد أقامه الله تعالى في نوبة قازان (ملك من ملوك التتار قابله ابن تيمية وأنكر عليه وأمره بإطلاق أسرى المسلمين ففعل). والتقى أعباء الأمر بنفسه. وقام وقعد وطلع، ودخل وخرج، واجتمع بالملك -يعني قازان- مرتين، وبقطلوشاه، وبولاي. وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجراءته على المغول).

شهادة تلميذه الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالهادي المتوفي سنة ٧٤٤هـ:

قال الشيخ ابن عبدالهادي: ثم لم يبرح شيخنا في ازدياد من العلوم، وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبيل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والأناة والإنابة،

والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له، وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.

وكان رحمه الله سيفًا مسلولا على المخالفين، وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين. وكان بحرًا لا تكدره الدلاء، وحبرًا يقتدي به الأخيار الأولياء. طنّت بذكره الأمصار وضنّت بمثله الأعصار.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي (ولد سنة ٦٥٤ بالمزة. وتوفي سنة ٧٤٢): ما رأيت مثله. ولا رأى هو مثل نفسه، ولا رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا أتبع لهما منه.

وقال الشيخ الحافظ أبو الفتوح محمد بن سيد الناس اليعمري الأندلسي، ثم المصري (ولد سنة ٦٧١ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٤) -بعد أن ذكر ترجمة الحافظ جمال الدين المزي- وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبي العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية فألفيته: كاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير: فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه: فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث: فهو صاحب علمه وروايته، أو حاضر بالنّحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من رايته. برز في كل فن على أبناء جنسه. ولم تر عين من رآه مثله.

ولا رأت عينه مثل نفسه. كان يتكلم في التفسير، يحضر مجلسه الجم الغفير، ويرتوون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أن دب إليه من أهل بلده داء الحسد. وألّب أهل النظر منهم ما ينتقد عليه في حنبليته من أمور المعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلامًا، أوسعوه بسببه ملامًا، وفوّقوا لتبديعه سهامًا، وزعموا أنه خالف طريقهم، وفرق فريقهم، فتنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه، ثم نازعه طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف عن عيوب تلك الطوائف، وذكر لها

بوائق، فآضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه، فوصلوا بالأمراء أمره، وأعمل كل منهم في كفره فكره، فكتبوا محاضر. وألّبوا الرويبضة للسعي بها بين الأكابر، وسعوا في نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية، فنقل وأودع السجن ساعة حضوره، واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قومًا من عمار الزوايا وسكان المدارس، من كل متحامل في المنازعة، مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتفكير مبارز بالمقاطعة، يسومونه ريب المنون ﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**﴾[القصص: ٦٩]. وليس المجاهر بكفره أسوأ حالا من المخاتل، وقد دبت إليه عقارب مكره. فرد الله كيد كل في نحره. فنجاه الله على يد من اصطفاه، والله غالب على أمره ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، إلى أن فوض أمره إلى بعض القضاة، فقلّد ما تقلد من اعتقاله. ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله. وإلى الله ترجع الأمور. وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وكان يومه مشهودًا، ضاقت بجنازته الطريق. وانتابها المسلمون من كل فج عميق، وكان موته رحمه الله في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ سجينًا بقلعة دمشق (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية).

شهادة قاضي الشافعية ومفتيهم ابن الزملكاني:

قال ابن كثير:-

وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضي الخوبي، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري وابن الزملكاني وغيرهم، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدوين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

ماذا يقول الواصفون له ... ومحاسنه جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب ولكن خطأه

بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطؤه أيضًا مغفور له كما في صحيح البخاري: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فهو مأجور. وقال الإمام مالك بن أنس: "كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر".

شهادة الحافظ جلال الدين السيوطي:

ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد المفتي شهاب الدين عبدالحليم بن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبدالسلام ابن عبدالله بن أبي القاسم الحراني.

أحد الأعلام، ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة.

وسمع ابن أبي اليسر. وابن عبد الدائم، وعدّة.

وعني بالحديث، وخرج وانتقى، وبرع في الرجال، وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام، وغير ذلك. وكان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد، والأفراد، ألف وثلاثمائة مجلدة، وامتحن وأوذي مرارًا.

مات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (طبقات الحفاظ ص٥١٦، ٥١٧).

شهادة أبي الحسن السبكي قاضي القضاة:

ومما وجد في كتاب كتبه العلامة قاضي القضاة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ أبي عبدالله الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين المذكور: أما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره. وزخارة بحره. وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية. وفرط ذكائه واجتهاده. وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف. والمملوك يقول ذلك دائمًا. وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل. مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة. ونصرة الحق. والقيام فيه لا لغرض سواه. وجريه على سنن السلف. وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى. وغرابة مثله في هذا الزمان. بل من أزمان.

شهادة الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله:

قال ابن حجر العسقلاني المولود في القاهرة والمتوفي بها سنة ٨٥٢هـ وصاحب كتاب فتح الباري شرح البخاري وكتاب التهذيب وهو الذي لقب بأمير المؤمنين في الحديث. قال تقريظًا لكتاب الرد الوافر للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي وهو الذي كتبه مؤلفه ردًا على أن من زعم من متعصبي الأحناف أنه لا يجوز تسمية ابن تيمية بشيخ الإسلام وأنه من فعل ذلك فقد كفر!! (انظر) فكتب ابن ناصر الدين الدمشقي كتابًا سماه الرد الوافر ذكر فيه أكثر من بضع وثمانين إمامًا من أئمة المسلمين كلهم سمى ابن تيمية بشيخ الإسلام ونقل نقولهم من كتبهم بذلك، ولما قرأ الحافظ بن حجر رحمه الله هذا الكتاب الرد الوافر كتب عليه تقريظًا هذا نصه:

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقفت على هذا التأليف النافع، والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لأجلها جامع، فتحققت سعة اطلاع الإمام الذي صنفه، وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه، وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدًا كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف، فما أغلط من تعاطي ذلك وأكثر عثاره، فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله، ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه: أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين، وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جدًا شهدها مئات ألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد أو أضعاف ذلك، لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته، وأيضًا فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد، وكان أمير بغداد وخليفة ذلك الوقت إذا ذاك في غاية المحبة له والتعظيم، بخلاف ابن تيمية فكان أمير البلد حين مات غائبًا. وكان أكثر من بالبلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسًا بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف (عليه) إلا ثلاثة أنفس، تأخروا خشية على أنفسهم من العامة.

ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»[رواه البخاري ومسلم]. ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارًا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع، وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق، ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة، حتى حبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده، ووصفه بالسخاء والشجاعة، وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام، والدعوة إلى الله تعالى في السر والعلانية، فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كافر، بل من أطلق على من سماه شيخ الإسلام الكفر، وليس في تسمية بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ في الإسلام بلا ريب، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادًا، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه، ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو الأكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لا يقلد فيه، بل هو معذور لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه، حتى كان أشد المتعصبين عليه، والقائمين في إيصال الشر إليه، وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني شهد له بذلك، وكذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره، ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم الناس قيامًا على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فيا قرة أعينهم إذ سمعوا بكفره، ويا سرورهم إذا رأوا من يكفر من لا يكفره، فالواجب على من تلبّس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة، أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل، فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين بن القيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غاية في الدلالة على عظم منـــزلته، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم، والتميز في المنطوق

والمفهوم، أئمة عصره من الشافعية وغيرهم! فضلا عن الحنابلة، فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر، أو على من سماه شيخ الإسلام، لا يلتفت إليه، ولا يعول في هذا المقام عليه، بل يجب ردعه عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويذعن للصواب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

صفة خطه أدام الله بقاءه:

قال وكتبه أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي عفا الله عنه، وذلك في يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الأول عام خمسة وثلاثين وثمانمائة حامدًا لله، ومصليًا على رسوله محمد وآله ومسلمًا. ا.هـ (الرد الوافر للإمام ابن ناصر الدين الدمشقي بتحقيق زهير الشاويش ص١٤٥-١٤٦).

ابن تيمية: العابد الورع:

إن مجددًا يقوم في مثل تلك الظلمات التي كانت في القرن الثامن الهجري لا يمكن أن يفلح في دعوته بمجرد العلم حتى لو كان علمًا لا يصارع ولا يصاول ولا يطاول.. بل لا بد وأن يكون مع هذا العلم إيمان وتقوى، واستمداد من الله ورجوع دائم إليه، وقيام بحق العباد، وإخلاص في كل ذلك لله حتى يبارك هذا العلم وتؤتى ثماره، وكذلك كان شيخنا شيخ الإسلام العابد الورع التقي وهذه شهادة تلميذه الحافظ أبي عمر بن علي البزار رحمه الله. قال في بيان عبادته وورعه:

قال أما تعبده ﷺ فإنه قل أن سمع بمثله، لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يراد له من أهل ولا من مال. وكان في ليله متفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عز وجل، ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم. مكرّرًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية. وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنّتها قبل إتيانه إليهم. وكان إذا أحرم بالصلاة يكاد يخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام. فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميد يمنة ويسرة. وكان إذا قرأ يمد قراءته مدًا كما صحّ في قراءة رسول الله ﷺ. وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض. وكان يخف جلوسه للتشهد الأول خفة شديدة، ويجهر بالتسمية الأولى حتى يسمع كل من حضر. فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عز وجل هو من حضر

بما ورد من قوله: «**اللهم أنت السلام**.. الحديث». ثم يقبل على الجماعة، ثم يأتي بالتهليلات الواردات حينئذ. ثم يسبّح الله ويحمده ويكبره ثلاثًا وثلاثين، ويختم المائة بالتهليل. كما أورد، وكذا الجماعة، ثم يدعو الله تعالى له ولهم وللمسلمين أجناس ما ورد.

وكان غالب دعائه (اللهم انصرنا ولا تنصر علينا، وأمكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسّر الهدى لنا، اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، إليك راغبين، لك مخبتين، إليك راهبين، لك مطاويع. ربنا تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وثبت حججنا، واهد قلوبنا، واسلل سخيمة صدورنا) يفتتحه ويختمه بالصلاة على النبي ﷺ.

ثم يشرع في الذكر. وكان قد عرفت عادته لا يكلمه أحد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر. فلا يزال في الذكر يسمع نفسه، وربما يسمع ذكره من الروحانية، مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء. هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس وتزول، وقت النهي عن الصلاة.

وكنت مدة إقامتي بدمشق ملازمه جل النهار وكثيرًا من الليل. وكان يدنيني منه حتى يجلسني إلى جانبه. وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ. فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها، ويقطع ذلك الوقت كله، أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس في تكرير تلاوتها. ففكرت في ذلك لم قد لزم هذه السورة دون غيرها. فبان لي، والله أعلم، أن قصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حينئذ بين ما ورد في الأحاديث وما ذكره العلماء: هل يستحب تقديم الأذكار الواردة على تلاوة القرآن أو العكس؟ فرأى ﷺ أن في الفاتحة وتكرارها حينئذ جمعًا بين القولين، وتحصيلا للفضيلتين. وهذا من قوة فطنته وثاقب بصيرته. ثم إنه كان يركع، فإذا أراد سماع حديث في مكان آخر سارع إليه من فوره، مع من يصحبه. فقل أن يراه أحد ممن له بصيرة إلا وانكب على يديه فيقبلهما، حتى إنه كان إذا رآه أرباب المعايش يتخبطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرك به، وهو مع هذا يعطي كلا منهم نصيبًا وافرًا من السلام وغيره، وإذا رأى منكرًا في طريقه أزاله، أو سمع بجنازة سارع إلى الصلاة عليها، أو تأسف على فواتها، وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث، فصلى عليه. ثم يعود إلى مسجده، فلا يزال تارة في إفتاء الناس، وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر

من الجماعة، ثم كذلك بقية يومه. وكان مجلسه عامًا للكبير والصغير، والجليل والحقير، والحر والعبد، والذكر والأنثى. وقد وسع كل من يرد عليه من الناس. يرى كل منهم في نفسه أن لم يكرم أحدًا بقدره. ثم يصلّي المغرب، ثم يتطوع بما يسره الله. ثم أقرأ عليه من مؤلفاته أنا أو غيري، فيفدنا بالطرائف، ويمدنا باللطائف، حتى يصلي العشاء ثم بعدها كما كنّا وكان: من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هوي من الليل طويل. وهو في خلال ذلك كله، في النهار والليل، لا يزال يذكر الله تعالى ويوحده، ويستغفره.

وكان ﷺ كثيرًا ما يرفع طرفه إلى السماء، لا يكاد يفتر عن ذلك، كأنه يرى شيئًا يثبته بنظره. فكان هذا دأبه مدة إقامتي بحضرته. فسبحان الله ما أقصر ما كانت! يا ليتها كانت طالت. ما مرّ على عمري إلى الآن زمان كان أحبّ إليّ من ذلك الحين، ولا رأيتني في وقت أحسن حالا منّي حينئذ، وما كان إلاّ ببركة الشيخ ﷺ.

وكان في كل أسبوع يعود المرضى، خصوصًا الذي بالمارستان وأخبرني غير واحد ممن لا يشك في عدالته أن جميع زمن الشيخ ينقضي على من رأيته. فأي عبادة واجتهاد أفضل من ذلك؟ فسبحان الموفق من يشاء لما يشاء.

ورعه ﷺ:

وكان ﷺ في الغاية التي ينتهي إليها في الورع. لأن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها عليه. فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة، ولا تجارة، ولا مشاركة، ولا زراعة، ولا عمارة. ولا كان ناظرًا مباشرًا لما وقف، ولا يكن يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر، ولا كان مدخرًا دينارًا ولا درهمًا ولا متاعًا ولا طعامًا ، وإنما كانت بضاعته مدة حياته، وميراثه بعد وفاته، ﷺ، العلم اقتداء بسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، فإنه قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر**».

وكان ينبّه العاقل بحسن الملاطفة ورقيق المخاطبة ليختار لنفسه طريقتهم، ويسلك سبيلهم. وإن كان دونها من الطرائق من اتخاذ المباحات جائز، لكان العاقل يدله عقله على طلب الأعلى. فانظر بعين الإنصاف إلى ما وفق الله له هذا الإمام

وأجرى، مما أقعد عنه غيره وخذله عن طلبه، ولكن لكل شيء سبب، وعلامة عدم التوفيق سلب للأسباب. ومن أعظم الأسباب لترك فضول الدنيا التخلي عن غير الضروري منها، فلما وفق الله هذا الإمام لرفض غير الضروري منها انصبت عليه العواطف الإلهية فحصل بها كل فضيلة جليلة، بخلاف غيره من علماء الدنيا، مختاريها وطالبيها والساعين لتحصيلها، فإنهم لما اختاروا ملاذها وزينتها ورياستها انسدت عليهم غالبًا طرق الرشاد فوقعوا في شركها يخبطون خبط عشواء، ويحطبونها كحاطب ليل، لا يبالون ما يأكلون ولا ما يلبسون ولا ما يتأولون إلا ما يحصل لهم أغراضهم الدنيئة ومقاصدهم الخبيثة الخسيسة، فهم متعاضدون على طلبها متحاسدون بسببها، أجسامهم ميتة، وقلوبهم من غيرها فارغة، وظواهرهم مزخرفة معمورة، وقلوبهم خربة مأبورة. ولم يكفهم ما هم عليه حتى أصبحوا قالين رافضها، معادين باغضها. ولما رأوا هذا الإمام عالم الآخرة، تاركًا ما هم عليه من تحصيل الحطام من المشتبه الحرام، رافضًا الفضل المباح فضلا عن الحرام، تحققوا أن أحواله تفضح أحوالهم وتوضح خفي انفعالهم، وأخذتهم الغيرة النفسانية على صفاتهم الشيطانية، المباينة لصفاته الروحانية. فحرصوا على الفتك به أين ما وجدوا، وأنسوا أنهم ثعالب وهو أسد. فحماه الله تعالى منهم بحراسته، وصنع له غير مرة ما صنع لخاصته، وحفظه مدة حياته وحماه، ونشر له عند وفاته علمًا في الأقطار بما والاه. انتهى (الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧-٤٣).

ابن تيمية: العالم المبتلى:

وكان لا بد لإمام للناس، وقدوة للعالمين في زمانه أن يمتحن ويبلى.. ألا تنظر إلى قوله تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا**﴾ الآية [البقرة: ١٢٤].

فهل كان إمامًا للناس بعد أن ابتلاه الله بأن يقول الحق لا يخاف في الله لومة لائم ويحطم الأصنام ويجادل قومه والنمرود في باطلهم، ويطرد من بلده ويهاجر ويؤمر بذبح ابنه.. باختصار لا إمامة إلا بعد بلاء..

وهذا ما كان من شأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فكان والبلاء صاحبين لا يفترقان، وكيف لا وهو القائم بأمر الله الداعي إلى سبيل الله، المجاهد أهل الشر

جميعًا على اختلاف طوائفهم في ذات الله. متفرغًا فلا زوجة ولا ولد ولا ضيعة ولا تجارة، بل ولا وطن ولا إقامة بل رحيل دائم في الله، ولذلك كان بلاؤه على قدر منـــزلته من العلم والعمل وإلا بماذا كما قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه شدة زيد له في البلاء**»[متفق عليه].

وتفاصيل البلاء التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية شيء طويل جدًا. فما كان ﷺ ينتهي من محنة إلا ليدخل في أخرى ولا يخرج من سجن إلا ليوضع في آخر حتى مات مسجونًا آخر عمره، ولا ينتهي من قتال مع طائفة باغية إلا ويدخل قتالا آخر.. وقد جمع الإمام ابن رجب الحنبلي خلاصة للفتن التي تعرض لها ابن تيمية فيقول:

الابتلاءات التي ابتلي بها الشيخ ﷺ:

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله المتوفي سنة ٧٩٥هـــ

وأما محن الشيخ: فكثيرة، وشرحها يطول جدًا.

وقد اعتقله مرة بعض نواب السلطان بالشام قليلا، بسبب قيامه على نصراني سب الرسول ﷺ، واعتقل معه الشيخ زين الدين الفاروقي، ثم أطلقهما مكرمين.

ولما وصف المسألة (الحموية) في الصفات: شنع بها جماعة، ونودي عليها في الأسواق على قصبة، وأن لا يستفتي من جهة بعض القضاة الحنفية. ثم انتصر للشيخ بعض الولاة، ولم يكن في البلد حينئذ نائب وضرب المنادي وبعض من معه، وسكن الأمر.

ثم امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان؟ فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ، وسأله عن ذلك؟ فبعث الشيخ من أحضر من داره (العقيدة الواسطية) فقرأوها في ثلاث مجالس، وحاققوه، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعًا، ومنهم من قاله كرهًا.

وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ، وتبين لنا أنه على عقيدة السلف.

ثم إن المصريين دبروا الحيلة في أمر الشيخ، ورأوا أنه لا يمكن البحث معه، ولكن يعقد له مجلس، ويدعى عليه، وتقام عليه الشهادة، وكان القائمون في ذلك منهم: بيبرس الجاشنكير، الذي تسلطن بعد ذلك، ونصر المنجي وابن مخلوف قاضي المالكية، فطلب الشيخ على البريد إلى القاهرة، وعقد له ثاني يوم وصوله -وهو ثاني عشرين رمضان سنة خمس وسبعمائة- مجلس بالقلعة، وادعى عليه عند ابن مخلوف قاضي المالكية، أنه يقول: إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه على العرش بذاته، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية (قلت هذا الذي اتهموه به هو عين عقيدة السلف التي كان عليها الصحابة رضوان الله عليهم وقد أشار الرسول إلى الله وأنه في السماء غير مرة).

وقال المدعي: أطلب تعزيره على ذلك، التعزير البليغ -يشير إلى القتل على مذهب مالك- فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟ فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أسرع ما جئت لتخطب، فقال أأمنع من الثناء على الله تعالى؟ فقال القاضي: أجب، فقد حمدت الله تعالى: فسكت الشيخ، فقال: أجب. فقال الشيخ له: من هو الحاكم فيّ؟ فأشاروا: القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي، كيف تحكم فيّ؟ وغضب، ومراده: إني وإياك متنازعان في هذه المسائل، فكيف يحكم أحد الخصمين على الآخر فيها؟ فأقيم الشيخ ومعه أخواه، ثم رد الشيخ، وقال: رضيت أن تحكم فيّ، فلم يمكن من الجلوس، ويقال: إن أخاه الشيخ شرف الدين ابتهل، ودعا الله عليهم في حال خروجهم، فمنعه الشيخ، وقال له: بل قل: اللهم هب لهم نورًا يهتدون به إلى الحق.

ثم حبسوا في برج أيامًا، ونقلوا إلى الجب ليلة عيد الفطر، ثم بعث كتاب سلطاني إلى الشام بالحط على الشيخ، وألزم الناس -خصوصًا أهل مذهبه- بالرجوع عن عقيدته، والتهديد بالعزل والحبس، ونودي بذلك في الجامع والأسواق. ثم قرئ الكتاب بسدة الجامع بعد الجمعة، وحصل أذى كثير للحنابلة بالقاهرة، وحبس بعضهم، وأخذ خطوط بعضهم بالرجوع. وكان قاضيهم الحراني قليل العلم.

ثم في سلخ رمضان سنة ست: أحضر سلار -نائب السلطان بمصر- القضاة والفقهاء، وتكلم في إخراج الشيخ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور، ويلزم

بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره، وليتكلموا معه في ذلك، فلم يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه في ذلك ست مرات، وصمم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس، فانصرفوا من غير شيء.

ثم في آخر هذه السنة وصل كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق من الشيخ، فأخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه، وأثنى عليه: وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه. وذكر ما هو عليه في السجن: من التوجه إلى الله تعالى، وأنه لا يقبل شيئًا من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطاني، ولا تدنس بشيء من ذلك.

ثم في ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل مهنأ بن عيسى أمير العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى السجن، وأخرج الشيخ منه، بعد أن استأذن في ذلك، وعقد للشيخ مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وانفصلت على خير.

وذكر الذهبي والبزالي وغيرهما: أن الشيخ كتب لهم بخطه مجملا من القول وألفاظًا فيها بعض ما فيها، لما خاف وهدد بالقتل، ثم أطلق وامتنع من المجيء إلى دمشق. وأقام بالقاهرة يقرئ العلم، ويتكلم في الجوامع والمجالس العامة، ويجتمع عليه خلق.

ثم في شوال من السنة المذكورة: اجتمع جماعة كثيرة من الصوفية، وشكوا من الشيخ إلى الحاكم الشافعي، وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي وغيره، وادعى عليه ابن عطاء (هو ابن عطاء الله السكندري الصوفي صاحب الحكم). بأشياء، ولم يثبت منها شيئًا، لكنه اعترف أنه قال: لا يستغاث بالنبي ﷺ، استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به، فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء.

ورأى الحاكم ابن جماعة: أن هذا إساءة أدب، وعنفه على ذلك، فحضرت رسالة إلى القاضي: أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قد قلت له ما يقال لمثله.

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء، وهي الإقامة بدمشق، أو بالإسكندرية، بشروط، أو الحبس، فاختار الحبس. فدخل عليه أصحابه في السفر إلى دمشق، ملتزمًا ما شرط عليه، فأجابهم، فأركبوه خيل البريد، ثم ردوه في الغد، وحضر عند القاضي بحضور جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: ما ترضى الدولة إلا بالحبس. فقال

القاضي: وفيه مصلحة له، واستناب التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع، وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير، فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس، وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال الزواوي المذكور: فيكون في موضع يصلح لمثله، فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه. وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجي.

واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس، ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

وكان أصحابه يدخلون عليه أولا سرًا، ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه، فأخرجوه في سلطنة الششنكير الملقب بالمظفر، إلى الإسكندرية على البريد، وحبس فيها في برج حسن مضيء متسع، يدخل عليه من شاء، ويمنع هو من شاء، ويخرج إلى الحمام إذا شاء. وكان قد أخرج وحده، وأرجف الأعداد بقتله وتفريقه غير مرة، فضاقت بذلك صدور محبيه بالشام وغيره، وكثر الدعاء له. وبقي في الإسكندرية مدة سلطنة المظفر.

فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة وتمكن، وأهلك المظفر، وحمل شيخه نصر المنبجي، واشتدت موجدة السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر، وعزل بعضهم: بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرمًا في شوال سنة تسع وسبعمائة، وأكرمه السلطان إكرامًا زائدًا، وقام إليه، وتلقاه في مجلس حفل، فيه قضاة المصريين والشاميين، والفقهاء وأعيان الدولة. وزاد في إكرامه عليهم، وبقي يسّاره ويستشيره سويعة، وأثنى عليه بحضورهم ثناء كثيرًا، وأصلح بينه وبينهم. ويقال: إنه شاوره في أمرهم به في حق القضاة، فصرفه عن ذلك، وأثنى عليهم، وأن ابن مخلوف كان يقول: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، سعينا في دمه. فلما قدر علينا عفا عنا.

واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر، وسكن الشيخ بالقاهرة، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند، وطائفة من الفقهاء، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع.

قال الذهبي: وفي شعبان سنة إحدى عشرة: وصل النبأ: أن الفقيه البكري - أحد المبغضين للشيخ- استفرد بالشيخ بمصر، ووثب عليه، ونتش بأطواقه، وقال: احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى، فلما تكاثر الناس انملص، فطلب من جهة الدولة، فهرب واختفى.

وذكره غيره: أنه ثار بسبب ذلك فتنة، وأراد جماعة الانتصار من البكري فلم يمكنهم الشيخ من ذلك.

واتفق بعد مدة: أن البكري همّ السلطان بقتله، ثم رسم بقطع لسانه (أي أمر بقطع لسانه فانظر كيف رد الله كيد البكري في نحره)، لكثرة فضوله وجراءته، ثم شفع فيه، فنفي إلى الصعيد، ومنع من الفتوى بالكلام في العلم. وكان الشيخ في هذه المدة يقرئ العلم، ويجالس الناس في مجالس عامة.

قدم إلى الشام هو وإخوانه سنة اثنتي عشرة بنية الجهاد، لما قدم السلطان لكشف التتر عن الشام، فخرج مع الجيش، وفارقهم من عسقلان، وزار بيت المقدس.

ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسر الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولا، من إقراء العلم، وتدريسه بمدرسة السكرية، والحنبلية، وإفتاء الناس ونفعهم.

ثم في سنة ثمان عشرة: ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير (أي: من حلف بالطلاق لا يلزمه وإنما يكفر كفارة يمين)، وعقد له مجلس بدار السعادة، ومنع من ذلك، ونودي به في البلد.

ثم في سنة تسع عشرة عقد له مجلس أيضًا كالمجلس الأول، وقرئ كتاب السلطان بمنعه من على تأكيد المنع.

ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك، وعوتب وحبس بالقلعة. ثم حبس لأجل ذلك مرة أخرى. ومنع بسببه من الفتيا مطلقًا، فأقام مدة يفتي بلسانه، ويقول: لا يسعني كتم العلم (وقد عاد الناس اليوم بحمد الله إلى فتوى ابن تيمية هذه التي سجن فيها وأوذي مرارا).

وفي آخر الأمر: دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء

والصالحين، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء، وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء، وهم ثمانية عشر نفسًا، رأسهم القاضي الإخناني المالكي وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرًا، وبها مات رحمه الله تعالى.

وقد بين رحمه الله: أن ما حكم عليه به باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جدًا، وأفتى جماعة بأنه يخطئ في ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقه جماعة من علماء بغداد، وغيرهم. وكذلك ابنا أبي الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا: أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلا، وأنه نقل خلاف العلماء في المسألة، ورجح أحد القولين فيها.

وبقي مدة في القلعة يكتب العلم ويصنفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر ما فتح الله به عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة.

وقال: قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم إنه منع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر.

قال شيخنا أبو عبدالله بن القيم: سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، ونور ضريحه، يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة. وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان في حبسه في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة -أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا إلي فيه من الخير- ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده، وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه ولما دخل إلى القلعة، وصار داخل سورها نظر إليه، وقال: ﴿**فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب**﴾[الحديد: ١٣].

قال شيخنا: وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض: أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها. ا.هـ.(الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ص٣٩٦ إلى ٤٠٣ نشر دار المعرفة).

وقد يظن ظان أن ابن تيمية وقد ابتلي بهذه الابتلاءات جميعًا فكر يومًا ما أن ينال من مسلم آذاه أو وشى به حاشا وكلا لقد كان دائمًا ذا نفس أبية لم ينتقم يومًا لنفسه مع قدرته ممن آذاه وألب عليه.

* حدث ابن عبدالهادي عن شيخ الإسلام أن سلطان مصر الناصر بن قلاوون استقدم الشيخ عنده ورحب به ثم أخرج له من جيبه فتاوي لبعض علماء مصر الذين أفتوا بقتل ابن تيمية، واستفتى السلطان ابن تيمية في أن يقتل بعضهم ممن زوروا على ابن تيمية وأفتوا في قتله. قال الشيخ ابن تيمية: "ففهمت مقصود السلطان ابن قلاوون وعلمت أن عنده حنقًا شديدًا عليهم لأنهم كانوا قد خلعوه وبايعوا ركن الدين بيبرس الجاشنكير يقول ابن تيمية فشرعت في مدح هؤلاء العلماء وشكرهم، وأنهم لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي".

قال ابن تيمية: فكان القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنا في السعي لقتله إلا وفعلناه، ولما قدر هو علينا عفى عنا. ا.هـ. (العقود الدرية لابن عبدالهادي ص٢٨١-٢٨٣).

ابن تيمية وشهادات العلماء المعاصرين:

كتب علماء معاصرون كثيرون لا أستطيع أن أحصيهم في هذه الرسالة الموجزة السريعة وكلهم أطبقوا كما ذكرت في أول الرسالة أن العالم في القرن الثامن كان ينتظر خروج هذا الرجل لحاجة الأمة إلى تجديد الدين، وإزالة الركام الذي ألقاه الظالمون والمنتحلون.. وكان هذا الذي ذكره العلماء المحدثون هو أيضًا ما أطبق عليه

العلماء الذين عاصروا ابن تيمية وعايشوه. ولكن المعاصرين الآن من أهل الدين والفهم وممن له اشتغال بالدعوة والجهاد والعلم يرون أنه ما أشبه اليوم بالبارحة، وأنه ما أحوج العالم اليوم إلى ابن تيمية ليجدد لهذه الأمة شبابها، ويعلي للتوحيد مناره، وللإسلام الحق ركنه وفخاره.

وأقول الحمد لله نحن اليوم نعيش عصر ابن تيمية فرجال الدعوة المخلصون، وشباب الأمة العاملون ملهمهم وإمامهم وقدوتهم هو ابن تيمية، ومرجعهم هو كتبه ومؤلفاته، وأقواله ونظرياته.

وإن التجديد الحادث اليوم لدين الأمة هو بفضل الله أولا ثم بفضل الذين تتلمذوا على كتب هذا الإمام الجليل، وتضلعوا من علمه الغزير وغاصوا في بحره الواسع وهآنذا أذكر طائفة من شهادات بعض العلماء المعاصرين.

شهادة الشيخ أبي الحسن الندوي:

كتب الشيخ أبو الحسن الندوي كتابًا مطولا عن ابن تيمية يقع في نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة وكان منه هذه المقدمة الرائعة التي يصف فيها حاجة المسلمين في القرن الثامن إلى ظهور هذا الإمام الذي كان لا بد من ظهوره لإعادة استثارة العالم من جديد بعد أن غطاه الظلام.

كتب حفظه الله يقول:

ظهر علم الكلام لمقاومة الفلسفة ونصرة الدين، وكان ذلك أمرًا لازمًا، غير أنه تأثر بالفلسفة وتسربت إليه روحها حتى تكونت (فلسفة دينية) تنتهج نفس المنهج، وتبحث نفس الموضوع وتتبع نفس الأسلوب للبحث والاستدلال، وتعيد نفس الخطأ في اعتبار ذات الله وصفاته وقضايا ما وراء العقل أمورًا عقلية يمكن إثباتها عن طريق العقل، وكذلك تسيطر عليه روح عدم الاقتناع بما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من شرح وتعبير في هذا الموضوع واستخدم مصطلحات يونانية تقوم على علم محدود ناقص وتثير شبهات، الأمر الذي دعا إلى تعقد القضايا وتوسعها بل أن تنحل أو تختصر، ووجدت (فلسفة إلهية) وكتب ضخمة في شرح العقائد إزاء أسلوب مقنع مؤثر كان جديرًا بشحن النفوس بالإيمان والإذعان، وإقناع العقول في كل زمان، وكان مؤسسًا على نصوص الكتاب والسنة.

وكانت هذه الفلسفة الإلهية الجديدة قد تأثرت بالفكر اليوناني رغم أنها ظهرت ضد الفلسفة اليونانية، فكانت روح الكتاب والسنة تحتج دائمًا على هذا الموضوع ووجدت طبقة وجيهة للأمة الإسلامية معارضة لهذه التفاصيل الفلسفية والتأويل الكلامية، غير أن الحاجة إلى عالم كبير نافذ البصيرة، واسع العلم، قوي الإيمان كانت أكيدة لشرح الكتاب والسنة والتعبير القوي المؤثر عنهما، ذلك الذي يعتقد أجزم الاعتقاد أن في نصوص الكتاب والسنة حول ذات الله وصفاته وفي تعبيراتها عنها غنى وكفاية تامة، ذلك العالم الذي يتوصل بذكائه ودراسته إلى أعماق الفلسفة ويطلع على خباياها وكوامنها، ويتمكن من تناول أقوال فلاسفة اليونان ومذاهبهم الفكرية بالنقد العلمي، بما عنده من علم بموضع ضعفها الأساسية، ذلك الذي قد تعمق بتفكيره فوصل إلى أغوار علم الكلام واطلع على الخلافات الدقيقة بين الأديان والفرق الإسلامية ولا يخفى عليه شيء من تاريخ علم الكلام ونموه، ذلك الرجل الذي يكون على جانب عظيم من الثقة والاعتزاز بنصوص الكتاب والسنة ومذهب السلف بفضل دراسته وتجاربه، يفيض عزمًا وحماسًا بنصرته وشرحه، ويعيش على حسك السعدان لكي يثبت رجحان مذهب السلف وفضله من الناحية العقلية على غيره من الفلسفات والنظم العقلية، كما يكون متمتعًا بجميع تلك الوسائل والمؤهلات التي يتطلبها هذا العمل العظيم ومتميزًا في ذكائه وقوة بيانه واستدلاله وسعة نظره وعمق دراسته عن غيره، يكون فوق مستوى عصره وكفئًا للقيام بهذه الخدمة بمعنى الكلمة.

هذا وقد كان الإسلام هدفًا للهجمات الداخلية والخارجية بجانب آخر، وكان المسيحيون قد تحمسوا لإثبات أن المسيحية هي الدين الحق، وتوجيه الإيرادات إلى الإسلام، أن الهجوم الصليبي المتتابع ووجود عدد وجيه من مسيحيي الغرب في الشام وقبرص شجعهم على مواجهة المسلمين في المجال العلمي وعلى تأليف كتب تثبت فضل دينهم وأخرى ترفض نبوة محمد ﷺ.

وللرد على كل ذلك كانت الحاجة ملحة إلى عالم كبير ومتكلم، له دراسة عميقة في المسيحية والديانات الأخرى وله اطلاع واسع على الصحف السماوية وما واجهته من تغيير وتحريف ويستطيع أن يحسن المقارنة بين الديانات ويثبت فضل

الإسلام وخلوده في أسلوب علمي مؤثر قوي، ويتمكن من دعوة أتباع الديانات الأخرى إلى الإسلام بحكمة وقوة.

فضح المذاهب المنحرفة والحركات الهدامة:

وقد كان أشد وأكثر خطورة من هذه الهجمات حملة شنتها فرقة دخيلة على الإسلام وهي الفرقة الباطنية التي كانت ديانتها وتعاليمها مجموعة عجيبة للعقائد المجوسية والأفكار الأفلاطونية والأغراض السياسية، وقد كانت هذه الفرقة وفروعها المختلفة من الإسماعيلية والحشاشية والدروزية والنصيرية تتعاون مع القوى العدوانية والمهاجمين الأجانب على الإسلام، وهي التي مهدت الطريق ودبرت المؤامرات للهجوم على الأقطار الإسلامية وساعدت الصليبيين في شن هجومهم على الشام وذلك ما جعل الصليبيين عند استيلائهم على الشام أن قربوا رجال الفرقة الباطنية وجعلوهم موضع ثقتهم ونجواهم وأحسنوا إليهم، اعترافًا بمساعداتهم المخلصة، وقد ظل هؤلاء الباطنيون مشتغلين بتبييت المؤامرات وتدبير الثورات في عهدي صلاح الدين ونور الدين فلما قصد وحوش التتر أرض الشام بهجماتهم العنيفة ساعدهم الباطنيون علنًا وجهارًا، وأصابوا المسلمين بضرر بالغ، وذلك عدا ما كانوا يقومون به بصفة دائمة من نشر اضطراب فكري وتشاؤم بالدين وإلحاد وزيغ وثورة على الدين وكانوا (كالطابور الخامس) في حصن المسلمين الديني.

كل ذلك كان يحتم على المسلمين أن يقتلعوا جذور هذه الفرقة من الناحيتين العلمية والعملية، ويكشفوا القناع عن معتقداتها وأغراضها ليطلع المسلمون على نواياها ويعاقبوها معاقبة شديدة على أعمالها العدائية ومحاربتها للإسلام ولم يكن يقوم بهذه المهمة إلا من له اطلاع تام على حقيقة هذه الفرقة وأسرارها وتاريخها، وله معرفة بجميع فروعها ومعتقداتها وأفكارها مع قدرته البالغة على تناولها بالرد والنقد، مضافًا إلى ذلك حماسه الزائد للإسلام ودافعه القوي للجهاد ضد أعداء الإسلام.

محاربة العقائد، والأعمال الشركية، والدعوة إلى الدين الخالص:

هذا وكانت الجماهير المسلمة فريسة العقائد الباطلة وأعمال الشرك بضغط عوامل عديدة منها اختلاطهم بغير المسلمين، وتأثير العجم، وتهاون العلماء، وقد أصبح الدين الخالص والتوحد النقي وراء حجاب وحجاب، ونشأ الغلو والإفراط في

الاعتقاد في الأولياء والصالحين شأن اليهود والنصارى، حتى بدأت عقيدة التوسط والتقرب بالأولياء ترسخ، وينطبق عليهم ما حكاه القرآن من قول مشركي العرب الأولين ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[الزمر: ٣]، وتنتشر هذه الفكرة الجاهلية في أوساط المسلمين وأصبح كثير من العلماء لا يرون بأسًا في الاستغاثة بغير الله والاستعانة به، واتخذت قبور الأنبياء والصالحين مساجد وتحقق الخطر الذي كان قد أنذر به النبي ﷺ وشدد النهي عنه، ولم يكن المسلمون يشعرون بأي غضاضة في التخلق بأخلاق الذميين والكافرين واتخاذ شعائرهم وخصائصهم والحضور في أعيادهم الدينية ومهرجاناتهم واصطناع تقاليدهم وعاداتهم.

فكانت الحاجة ماسة إلى عالم مجاهد يتصدى لمحاربة هذه الجاهلية المشتركة والدعوة إلى التوحيد الخالص بكل قوة وإيضاح ويكون عارفًا بالفرق بين التوحيد والشرك معرفة دقيقة، ولا تخفى عليه الجاهلية مهما تقنعت وتنكرت أو ظهرت في مظاهر، ويكون قد حصل على حقيقة التوحيد مباشرة من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام ﷺ لا من كتب المتأخرين وتعامل المسلمين الجهلاء، وتقاليد الزمان وعادات الناس، ولا يبالي في الجهر بالعقيدة الصحيحة بمعارضة الحكومات وعداوة الناس ومخالفة العلماء ولا يخاف في ذلك لومة لائم، ويكون ذا نظر دقيق وعلم واسع بالكتاب والسنة ومصادر الدين الأولى الموثوق بها، وبأحوال القرون الأولى، وذا اطلاع كامل على تاريخ اليهود والنصارى وقصة انحرافهم ومسخهم وتحريفهم، وعلى عقلية الأمم الجاهلية ونفسيتهم، ويعيش في تأمل وقلق لكي يعيد المسلمين إلى تعاليم القرآن وعقيدة الصدر الأول ويراهم منتهجين طريق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأتباعهم.

محاربة الانحرافات والمغالطات في الطوائف الدينية وتنقية الدين من الشوائب:

وقد تسرب إلى المتصوفين -لأسباب تاريخية وعلمية عديدة- تأثير الفلسفة الاشراقية التي جاءت من يونان والهند، وامتزجت بالعقائد الإسلامية وأفكارها امتزاجًا لا يتسنى لكل واحد فصلها عنها، إن إشراقية الأفلاطونية الجديدة أو تنسك الهنود، وعقيدة الحلول والاتحاد، ومذهب وحدة الوجود، وتقسيم الظاهر والباطن، وفتنة الرموز والأسرار، والعلم الدفين، وسقوط التكاليف الشرعية عن (الكاملين) و

(الواصلين) واستثناؤهم عن الأحكام الشرعية كل ذلك كانت معتقدات وأفكارًا نالت إعجاب طبقة كبيرة من المتصوفين، وبالرغم من إنكار أصحاب التحقيق والرسوخ في العلم من هذه الطائفة في كل زمان لهذه المعتقدات الفاسدة كانت طبقة من المتصوفين تلح عليها، حتى تسفل بعض فروع التصوف وسلاسله إلى حد الشعوذة والتهويل، ولا سيما بعض فروع السلسلة الرفاعية التي انحرفت في العهد الأخير (للأسف أن بعض المعاصرين من الرفاعية ما زالوا يفتخرون بمثل هذه الأعمال الشيطانية)، عن أصلها وتعاليم مؤسسها الكبير وآثر كثير من رجالها الذين لم ترسخ قدمهم في العلوم الشرعية والعقائد الإسلامية الأعمال البهلوانية، زاعمين أنها تؤثر في عقول المغول والتتار وترغبهم في الإسلام، وكان لذلك ضرر عظيم على سلامة العقيدة ومكانة الشريعة، وقد استفحلت هذه الفتنة في القرنين السابع والثامن، ووقع العامة وكثير من الخاصة فريسة هذه المغالطات.

ولقمع هذا الخطر الناجم أيضًا والحفاظ على الشريعة كانت الحاجة شديدة إلى مؤمن قوي، ومصلح جريء يتناول هذه الطوائف المنحرفة بالنقد اللاذع ويكشف القناع عن وجه أخطائها ومغالطاتها بكل حرية وجراءة، معرضًا عن صولتها وقوتها، وغير مبال بعدد أتباعها ونفوذهم.

ابن تيمية وتجديد الفكر الإسلامي:

وكانت الحلقات العلمية والتدريسية مصابة بجمود شديد، فكل طائفة تعتبر الخروج عن دائرتها الفقهية قيد شعرة جريمة لا تغتفر، وكان مألوفًا لدى كل طائفة أن ترى إلى الكتاب والسنة بمنظار مذهبها الفقهي، وتحاول تطبيق الكتاب والسنة في الخلافات الفقهية على آرائها في كل حال فضلا عن تحكيمها فيها، وكان باب الترجيح والاختيارات الفقهية مغلقًا عمليًا، وكانت مشكلات حديثة وقضايا جديدة قد حدثت مع تغير الزمان والأحوال، الأمر الذي كان يحتاج إلى إرشاد المسلمين فيها والبحث عن حلولها إلى رجل يجمع بين سعة النظر في ذخائر الفقه الإسلامي، والتعمق في الكتاب والسنة والاطلاع على تعامل القرون الأولى، والعلم العميق الدقيق بأصول الفقه، وقد كان يتضايق مجال العلم والنظر والدراسة على مر الزمان وتضمحل القوى الفكرية، ولم يكن عالم من علماء الإسلام يتجرأ على استنباط

الأحكام الجديدة وكان الفقه الإسلامي قد فقد جدارة النمو والتقدم، ويعتبر من المستحيل أن يزداد إلى ثروة الفقه القديمة أي زيادة.

فكان إصلاح هذا الوضع كذلك يحتاج إلى محدث فقيه وأصولي ضليع يكون قد استعرض ذخائر المكتبة الإسلامية بأسرها ويستحضر الكتاب والسنة بحيث يحير الناس، ويعرف الحديث وأنواعه وطبقاته ومجموعاته معرفة دقيقة تضطر الناس إلى الاعتراف بمكانته في صناعة الحديث، حتى يقولوا: (إن الحديث الذي لا يعرفه هذا الرجل ليس حديثًا) (من الأقوال التي قالها كبار علماء العصر في شيخ الإسلام ابن تيمية كما سيأتي، قلت قاله تلميذه الذهبي) ويكون مستحضرًا لخلافات الفقهاء ومراجعهم ودلائلهم في كل حين، كما يكون له اطلاع تام على المذاهب الفقهية الأخرى وفروعها أكثر من أصحاب الاختصاص فيها والمنقطعين إليها من أهل المذهب، ولا يتعدى حدود السلف مع قوة استنباطه وتحقيقه، عارفًا بمكانة الأئمة المجتهدين وفضلهم وحقهم ومتطفلا على موائد علمهم ودينهم، ويكون ذا قدم راسخة في علوم اللغة وباع طويل فيها حتى تأهل لذلك للنقد والصيرفة في مجالها، يجمع إلى ذلك علو الكعب ودقة النظر في النحو حتى يأخذ على أئمة النحو الكبار أخطاءهم الفنية، ويجدد بقوة عارضته عهد المحدثين الأولين، يعتبر ذكاؤه آية من آيات الله وعلمه دليلا على فضل الله، ويبرهن بشخصيته على خصوبة تربة الأمة الإسلامية وغضارة دوحة الإسلام، ونضارة العلوم الإسلامية ونموها وازدهارها، ويكون تصديقًا لما جاء في حديث النبي ﷺ من قولته الخالدة. «**مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره**»[رواه الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ].

جامع بين العلم والعمل، والسيف والقلم:

ويكون مع ذلك من فرسان العمل والكفاح، ويجمع بين القلم والسيف، جريئًا على الملوك في الصدع بالحق، لا يحجم عن قيادة الجيش الإسلامي أمام أضرى عدد ومثل الوحوش التتر، ويعرفه كل من حلق الدرس، وزوايا المكتبات، وخلوات المساجد، ومجالس المناظرة، ومعتقلات السجون، وساحات الحرب كفارس عظيم ورجل ذي شكيمة، مبجلا في كل عين ومعترفًا بإمامته في كل طبقة.

كان القرن الثامن بحاجة إلى مثل هذا الرجل الكامل الذي يسع نشاطه كل

مجال من مجالات الحياة من غير أن تنــزوي جهوده وأعماله في زاوية واحدة أو تتركز على جانب واحد، كان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي ملأ العالم الإسلامي بنشاط وحياة تحركات علمية وعملية لا تزال آثارها خالدة باقية على مر القرون والأجيال.

شهادة الشيخ محمد أبي زهرة رحمه الله:

وكتب الشيخ محمد أبو زهرة ترجمة مستفيضة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفي مقدمتها يبين الباعث له على هذه الترجمة فيقول:

الفقيه الذي اتصل بالحياة وتعلق قلبه بالكتاب والسنة:

برز إلى الخاطر إمام شغل عصره بفكره ورأيه ومسلكه، فدوى صوته بآرائه في مجتمعه، فتقبلتها عقول واستساغتها، وضاقت عنها أخرى وردتها، وانبرى لمنازلته المخالفون، وشد أزره الموافقون، وهو في الجمعين يصول ويجول، ويجادل ويناضل، والعامة من وراء الفريقين قد سيطر عليهم الإعجاب بشخصه وبيانه، وقوة جنانه وحدة لسانه، واعترتهم الدهشة لما يجيء به من آراء يجدد بها أمر هذه الأمة، ويعيد إليها دينها غضًا قشيبًا كما ابتدأ.

ذلكم الإمام الجريء هو تقي الدين ابن تيمية صاحب المواقف المشهودة، والرسائل المنضودة، اتجهت لدراسته مستعينًا بالله سبحانه، لأن دراسته دراسة لجيل، وتعرف لقبس من النور أضاء في دياجير الظلام، ولأن آراءه في الفقه والعقائد تعتنقها الآن طائفة من الأمة الإسلامية تأخذ بالشريعة في كل أحكامها وقوانينها، ولأننا نحن المصريين في قوانين الزواج والوصية والوقف قد نهلنا من آرائه، فكثير مما اشتمل عليه القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ مأخوذ من آرائه، مقتبس من اختياراته، وشروط الواقفين والوصايا اقتبست أحكامها في قانوني الوقف والوصية من أقواله.

ثم إن دراسة ذلك الإمام الجليل تعطينا صورة لفقيه قد اتصل بالحياة، وتعلق قلبه وعقله وفكره بالكتاب والسنة والهدي النبوي، والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فهو يأتي بفكر سلفي آخذ بأحكام القرآن الكريم، والسنة النبوية، يعالج به مشاكل الحياة الواقعة بالقسطاس المستقيم، بل يلقي في حقل الحياة العاملة

الكادحة المتوثبة بالبذرة الصالحة التي استنبطها من الكتاب والسنة فتنبت الزرع، وتخرج الثمر، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وإنا وقد اتجهنا إلى دراسة ذلك العالم الكاتب الخطيب المجاهد الذي حمل السيف والسنان، كما حمل القلم والبيان، سنجتهد في دراسة حياته، ومجاوبتها لروح عصره، وتأثيرها فيه، ثم ندرس آراءه كعالم من علماء الكلام وآراءه كفقيه، واجتهاده والأصول التي تقيد بها، ومقدار الصلة التي تربطه بالفقه الحنبلي.

وأن نستعين بالله، ونسأله التوفيق، فإنه لولا توفيقه ما تيسر لنا أمر، ولا وصلنا إلى غاية، إنه نعم المولى ونعم النصير. ا.هـ (ابن تيمية لأبي زهرة ص٣، ٤).

لماذا درس ابن تيمية الفلسفة؟

ويشيد أبو زهرة بردود ابن تيمية على الفلاسفة، ويبين لماذا درس الفلسفة ويعقد فصلا يقارن فيه بين دراسة ابن تيمية للفلسفة ودراسة الغزالي لها فيقول:

درس ابن تيمية الفلسفة وعرفها، ولكنه درسها ليهدمها، وهو قد رآها داء قد أصاب فكر المسلمين، فجعل منهم المتكلمين والمتفلسفين، وأنها سرت إلى العقل الإسلامي فسيطرت على مساربه، ويروي أنه قبل أن يخوض في بيان العقيدة الإسلامية وموافقتها لصريح المعقول لا بد من إبعاد العناصر الفلسفية التي هي أخيلة وأوهام، كما يبعد عن الجسم الإنساني الأخلاط الضارة لتتم سلامته، فيقول في ذلك:

"لما كان بيان مراد الرسول في هذه الأبواب لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي، وامتناع تقديم ذلك على نصوص الأنبياء، بينا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به الناس عن سبيل الله. وعن فهم مراد الرسول وتصديقه فيما أخبر به، إذ كان أي دليل أقيم على بيان مراد الرسول لا ينفع إذا قدر أن المعارض العقلي ناقضه، بل يصير ذلك قدحًا في الرسول، وقدحًا فيمن استدل بكلامه، وصار هذا بمنزلة المريض الذي تكون به أخلاط فاسدة تمنع انتفاعه بالغذاء، فلا ينفعه مع وجود هذه الأخلاط الفاسدة التي تفسد الغذاء، فكذلك القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع على نفي الصفات أو بعضها، أو نفي عموم خلقه لكل شيء وأمره ونهيه، أو امتناع المعاد أو غير ذلك لا ينفعه الاستدلال عليه في ذلك بالكتاب والسنة، إلا مع بيان فساد ذلك المعارض، وفساد المعارض قد يعلم جملة وتفصيلا" (موافقة صريح

المعقول لصحيح المنقول المطبوع على هامش منهاج السنة ص٩ ج١).

الفرق بينه وبين الغزالي:

درس إذن ابن تيمية الفلسفة وما عند الفلاسفة، لا ليطلب الحقائق من ورائها، بل ليبين بطلان ما يعارض الدين منها، فهو آمن بما جاء به الرسول أولا، ثم أراد أن ينفي عنه خبث الفلسفة، فدرس ذلك الخبث ليعرف حقيقته ثم ليبين بطلانه بعد معرفته.

وهو في هذا يفترق عن منهاج الغزالي ﷺ، فهو قد درس الفلسفة ليطلب الحقيقة من ورائها، وخلص نفسه من كل شيء ليصل إلى الحق المستقيم، واعتبر الشك هو الطريق للوصول إلى الحق، ولكن تبين له بطلان ما يقوله الفلاسفة، فعاد إلى الدين، وأشرق في نفسه نور الحقائق في خلوات صوفية عرف فيها نفسه، ثم حمل حملته على الفلاسفة وبين تهافتهم.

ومع ذلك هل تجرد منها؟ إنه بقيت في نفسه أثارة منها، بل إنه لم يتركها إلا وقد تكون عقله تكونًا فلسفيًا، وأخذ أحد شعب الفلسفة وجعله جزءًا من دراساته، وهو المنطق، فهو في مقدمة كتاب المستصفي في عالم الأصول، والذي يعد أحد دعائم علم أصول الفقه الثلاثة (الكتب الثلاثة هي: المعتمد لأبي الحسين البصري، والبرهان لإمام الحرمين، والمستصفي للغزالي) يقرر أن الحقائق لا يمكن أن تعرف في أي علم من العلوم على وجهها إلا إذا كان المنطق ميزانها، ويقول في مقدمة كتاب المستصفي التي شرح بها علم المنطق إجمالا ما نصه:

"نذكر في هذه المقدمة مدارك العقول وانحصارها في الحد والبرهان، ونذكر شرط الحد الحقيقي، وشرط البرهان الحقيقي، وأقسامها على منهاج أو جزء مما ذكرناه في كتاب محك النظر، وكتاب معيار العلم، وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول، ولا من مقدماته الخاصة به، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة بعلومه أصلا" (مقدمة المستصفي ص١٠ الجزء الأول).

وهذا إيمان بشعبة من شعب الفلسفة عميق، فإن علم المنطق فرع من فروعها، بل لعله أعظم تراث تركه أرسطو من بعده.

هذا هو الفرق بين المقصد عند هذين العالمين من دراسة الفلسفة، وقد تأدى

بالأول إلى نقضها، وتأدى بالثاني إلى اعتناق بعضها، لذا قال بعض تلاميذ الغزالي: إنه دخل في بطن الفلسفة، ولما أراد الخروج منها لم يستطع. فكانت منه تلك المناهج الفلسفية التي سلكها في دراسة العقائد، ودراسة أصول الفقه، بل كان منه تلك الحيرة التي بدت في آرائه في الفلسفة والفلاسفة، فبينما تراه يحمل على الفلاسفة، ويبين تهافتهم، تراه يقبض قبضة من علومهم ويجعلها وحدها ميزان العلوم، ولذا قال ابن تيمية فيه:

"كان أبو حامد ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة، وتكفيره لهم، وتعظيم النبوة وغير ذلك، ومع ما يوجد فيه من أشياء صحيحة حسنة، بل عظيمة القدر نافعة يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمور أضيفت توافق أصول الفلاسفة المخالفة للنبوة، بل المخالفة لصريح العقل، حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب" (شرح العقيدة الأصفهانية ص١١٥).

ويقول فيه أيضًا:

"وأبو حامد لا يوافق المتفلسفة على كل ما يقولون، بل يكفرهم ويضللهم في موضع، وإن كان في الكتب المضافة إليه ما قد يوافق بعض أصولهم، بل في الكتب التي يقال إنها مضنونة بها على غير أهلها ما هو في الفلسفة مضنونة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى، وإن كان قد عبر عنها بعبارات إسلامية، لكن هذه الكتب في الناس من يقول إنها مكذوبة على أبي حامد، ومنهم من يقول: بل رجع عنها، ولا ريب أنه صرح في بعض المواضع ببعض ما قاله في هذه الكتب، وأخبر في المنقذ من الضلال، وغيره في كتبه بما في هذه من الضلال"(الكتاب المذكور ص٤٩).

ثم بين أن الغزالي كان ينقل كتب الفلسفة، وأقوال الفلاسفة، وينقل عن أبي عبدالله المازري الفقيه المتكلم فيقول:

"قال (ابن المازري): ووجد هذا الغزالي يعول على ابن سينا في أكثر ما يشير إليه في علوم الفلسفة، حتى إنه في بعض الأحايين ينقل نص كلامه من غير تغيير، وأحيانًا يغيره، وينقله إلى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا، لكونه أعلم بأسرار الشرع منه، فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل إخوان الصفا عول الغزالي في علم الفلسفة" (الكتاب المذكور ص١١٧).

نقده للفلاسفة:

من هذا يتبين كيف غمر الغزالي نفسه في الفلسفة ولم يستطع الخروج منها، لأنه طلبها ليعرف الحقيقة من ورائها فكانت نيته في الطلب سببًا في أن أحاط به غمارها، وكان يعيش في أقطارها، فالتقى العلم الشرعي بالعقل الفلسفي، ففلسف الشريعة، أو ألبس الفلسفة لبوس الشرع من حيث يشعر أو لا يشعر.

أما ابن تيمية فقد طلبها ليهدمها، فكان يقرؤها ويفهمها، وهو في غير محيطها، ولم ينغمر في غمارها، وشدد النكير على الغزالي في منهاجه، وأخذ يتبع هفواته ويتقصى هناته.

ولقد كان يرى أن علم الشرع من النبوة وحدها، سواء في ذلك أصول العقيدة، وفروع الفقه والأحكام العلمية، لأن النبوة جاءت بكل ذلك، فما جاءت به النبوة مصدر العلم به وطريق معرفته، ولا طريق سواه، ويرى أن أولئك الذين يضعون مقدمات عقلية تسبق الدراسة الشرعية، ويجعلون ما جاء في القرآن يسير على منهاجها، فيؤولون صريحه ليوافقها، إنما يجعلون علم العقل فوق علم النبوة، ويقول في ذلك:

"يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم، وأن النظر يوجب العلم وأنه واجب، ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل، ثم إذا صاروا إلى ما هو الأصل والدليل في الدين استدلوا بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام، وهو دليل مبتدع في الشرع (معارج الوصول ص٤ من مجموعة رسائل لابن تيمية طبعة الخانجي).

ينقد ابن تيمية هؤلاء، لأنهم يقدمون عند دراستهم لما جاءت به النبوة تلك الدراسة العقلية عليها، ثم يحكمون على الأوصاف التي جاءت في القرآن بقوانينها، ويوجهونها بتوجيهها، فما يوافقها أقروه كما ورد، وما لم يوافقها وجهوه على اتجاهها، وأولوه بتأويلها، ثم هم في هذا السبيل لم يلتفتوا إلى السنة، ولم يعلموا أنها شارحة الكتاب، مبينة لكل ما جاء فيه، وأنها الطريق الوحيد لتفسيره.

نقد ابن تيمية هذا المسلك، لأنه يجعل الحاكم محكومًا، فيجعل النبوة التي هي حاكمة هادية للعقول محكومة بها خاضعة.

شهادة الشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله:

الشيخ الداعية:

"تصدى ابن تيمية لمحاربة الفساد المستشري في أمة الإسلام والمتمثل في الحكام والعباد من المتصوفة والمبتدعة والخرافيين، فقاومه بالحجة والبرهان وانبرى لمقاومته الحكام بالوعيد والتهديد، والسجن والحرمان، وتصدى له العلماء، بالإنكار والتشنيع والوشايات لدى الحكام وتصدى له المتصوفة والمبتدعة بالكيد والمكر والدس والخداع والكذب والتضليل.

ووقف الشيخ وحده في الميدان ليس له من ولي ولا نصير إلا ربه تعالى وكفى بالله وليًا ونصيرًا، وكان ما أجمع عليه أعداؤه فيه ثلاث مسائل ادعوا أنه خالف فيها الإجماع وهي: طلاق الثلاث، والوسيلة، وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة. هذه أبرز ما اجتمع عليه أعداء الشيخ فحاربوه عليها حربًا ضروسًا بلا رحمة ولا شفقة، فما تركوا وسيلة للنيل من الشيخ إلا استعملوها، فكذبوا عليه، وزوروا وافتروا، وقالوا ما لم يقله عدو في عدوه والشيخ صابر محتسب يقرع الحجة بالحجة، ويبين زيف الدعاوي، وافتراء المفترين، كل ذلك بأسلوب نـزيه، وكلام طيب، وقول حسن فلا يغلظ في قول، ولا يجفو في عبارة، ولا يحاول انتقاص أحد، أو النيل من كرامته إن كان من ذوي الكرامات. الأمر الذي يعد فيه ابن تيمية فريدًا وحيدًا أشبه رجل بنبي في دنيا الرجال" (مجلة الجامعة الإسلامية ص١٦٩).

شهادة الشيخ محمد سليمان العبدة المدرس بالجامعة الإسلامية:

"إن هذا العالم -وبتقديري الخاص- لم يقدر التقدير الكافي أو يفهم الفهم المطلوب حتى الآن، رغم ما بذل من جهود مشكورة في نشر كتبه أو الحديث عنه.

إن علم ابن تيمية من خلال كتبه كان المصدر الرئيسي لأكثر الحركات الإسلامية المعاصرة، وكما يقول مالك بن نبي: "إن تراث ابن تيمية يكون الترسانة الفكرية التي لا زالت تمد الحركات الإصلاحية بالأفكار النموذجية إلى اليوم.

وإن ما نعانيه اليوم ليس نقصًا في الكتب بل نقصًا في الرجال وابن تيمية هو من الرجال القلائل الذين ظهرت فيهم سيرة السلف بجمعهم بين العلم والجهاد، ومن اليوم الذي انفصل فيه هذا الشعور عند المسلمين تأخروا وأصبح العلماء بعيدين

عن الحياة وعن القيادة والريادة ا.هـ (من مجلة الجامعة الإسلامية ص٢٧٧).

ابن تيمية: ألوان من جهاده:

قدمنا أن ابن تيمية جاهد في كل ميدان تقريبًا بالقلم والكلمة والسيف، ولا نستطيع أن نأتي في هذا المختصر على شيء كثير من جهاده وإنما نذكر هنا لونًا فريدًا من ألوان جهاده وهو جهاده بالرسائل إلى تلاميذه وإلى بعض الأمراء والحكام.. ولا نستطيع أيضًا أن نذكر هنا كل مخاطباته ورسائله في هذا الصدد وإنما نذكر ألوانًا من ذلك فقط.

جهاده للنصيريين وفضحه لعقائد الباطنيين:

خاض الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية حروبًا كثيرة بعضها في مقابل التتر المتسترين بالإسلام وبعضها ضد النصيرية والباطنية الكفرة المعادين لأهل الإسلام والموالين لأعدائه من التتر والصليبيين، وبعد واقعة جبل كسروان (بلبنان) سنة ٧٠٤ هـ التي هزم فيها هؤلاء المارقون كتب ابن تيمية كتابًا إلى السلطان محمد بن قلاوون يذكر فيها ما أنعم الله سبحانه وتعالى به على الإسلام وأهله في هذه الغزوة كتب ابن تيمية يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعي أحمد ابن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله في دولته الدين، وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيا به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير. ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعد.. فقد صدق الله وعده، ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده. وأنعم الله على السلطان، وعلى المؤمنين في دولته نعمًا لم تعهد في القرون الخالية. وجدد الإسلام في أيامه تجديدًا بانت فضيلته على الدول الماضية. وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأولين والآخرين، الذي أخبر فيه عن تجديد

الدين في رؤوس المئين والله تعالى يوزعه المسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

وذلك: أن السلطان -أتم الله نعمته- حصل للأمة بيمن ولايته وحسن نيته، وصحة إسلامه وعقيدته، وبركة إيمانه ومعرفته، وفضل همته، وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين: من جهاد أعداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان:

أهل الفجور والطغيان، وذوو الغي والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبًا للعلو في الأرض والفساد، وتركا لسبيل الهدى والرشاد. وهؤلاء هم التتار، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين، أو ببعض سياسة الإسلام.

والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة. مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل، والجرد، والكسروان. فإن ما منّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام، هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك: أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين فإن اعتقادهم: أن أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر، وبيعة الرضوان وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الإسلام وعلماؤهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعبادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم. كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون، أكفر من اليهود والنصارى. لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شر من الكافر الأصلي. ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد، وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصي عدده إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يومًا يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على

أهل قبرص، وفرحوا بمجيء التتار، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزين (مدينة معروفة بالبقاع بلبنان). وما حواليها. وجبل عامل ونواحيه.

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم (أي: في النصيرية وأهل الجبل المارقين) من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم. ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان (هو السلطان الناصر بن قلاوون سلطان مصر والشام)، كان بينهم شبيه بالعزاء.

كل هذا، وأعظم منه، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكيزخان إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله، لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد، ومن استحل الفقّاع (شراب يصنع من الشعير وسمي كذلك لما يعلوه من الزبد-لسان العرب) فهو كافر. ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر. ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر. ومن أحب أبا بكر أو عمر، أو عثمان، أو ترضي عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر. ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر.

وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث، أو خمس. يزعمون أنه دخل السرداب بسامرا من أكثر من أربعمائة سنة. وهو يعلم كل شيء. وهو حجة الله على أهل الأرض. فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر. وهو شيء لا حقيقة له، ولم يكن هذا في الوجود قط.

وعندهم من قال: إن الله يرى في الآخرة فهو كافر. ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر. ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن الله يقلب قلوب عباده، وأن الله خالق كل شيء، فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر.

هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم. مثل بني العود. فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل. وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين. ويفتونهم بهذه الأمور.

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره. وفيها

هذا وأعظم منه. وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق. ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم. وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية. فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق، ويبذلونه من البرطيل (الرشاوي) لمن يقصدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة. ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله. ولهذا كثر فسادهم. فقتلوا من النفوس، وأخذوا من الأموال، ما لا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يضبط شره، كل ليلة تنــزل عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد. كانوا في قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات، ويرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين. فإما أن يقتلوه أو يسلبوه. وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة.

فأعان الله ويسر، بحسن نية السلطان وهمته، في إقامة شرائع الإسلام، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كشفت أحوالهم، وأزيحت عللهم، وأزيلت شبههم، وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في قتال الحرورية (الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وسموا كذلك لأن أول خروجهم كان ببلدة تسمى حروراء).

المارقين، الذين تواتر عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ونعت حالهم، من وجوه متعددة. أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري. وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري. ورافع بن عمرو، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ.

قال فيهم: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لاتكلوا عن العمل. يقتلون أهل الإسلام. ويدعون أهل الأوثان.

يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، شر قتلى تحت أديم السماء. خير قتلى من قتلوه».

وأول ما خرج هؤلاء، زمن أمير المؤمنين علي ﷺ. وكان لهم من الصلاة، والصيام، والقراءة، والعبادة، والزهادة ما لم يكن لعموم الصحابة. لكن كانوا خارجين عن سنة رسول الله ﷺ، وعن جماعة المسلمين. وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبدالله بن خباب (هو عبدالله بن خباب بن الأرت -بفتح الخاء وتشديد الباء وفتح الهمز والراء المهملة وتشديد التاء- له رؤية ولأبيه صحبة. قال في أسد الغابة: كان طائفة من الخوارج أقبلوا من البصرة إلى إخوانهم من أهل الكوفة، فلقوا عبدالله ابن خباب ومعه امرأته. فقالوا له: من أنت؟ قال أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فأثنى خيرًا عليهم، فذبحوه، فسال دمه في الماء، وقتلوا المرأة وهي حامل منه، فقالت: أنا امرأة، ألا تتقون الله؟ فبقروا بطنها، وذلك سنة سبع وثلاثين، وكان من سادات المسلمين) وأغاروا على دواب للمسلمين.

وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصيامًا. ولم نجد في جبلهم مصحفًا ولا فيهم قارئًا للقرآن. وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة. وأباحوا بها دماء المسلمين. وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى.

فإذا كان علي بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج، مع أنه قتلهم جميعهم، وأن هؤلاء أحق بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنـــزلة المتأولين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل: "أنه لا يقتل مدبرهم ولا يجهز على جريحهم، ولا يغل لهم مالا ولا يسبى لهم ذرية لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ. وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ. ومثل أولئك إنما يكونون خارجين عن طاعة الإمام. وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله ﷺ وسنته. وهم شر من التتار من وجوه متعددة. لكن التتر أكثر وأقوى. فلذلك يظهر كثرة شرهم.

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن قازان وهولاكو، وغيرهما. فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم.

وأرضهم لبيت المال.

وقد قال كثير من السلف: إن الرافضة لا حق لهم في الفيء. لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم**﴾[الحشر: ١٠] فمن لم يكن قلبه سليمًا لهم، ولسانه مستغفرًا لهم، لم يكن من هؤلاء.

وقطعت أشجارهم لأن النبي ﷺ لما حاصر بني النضير قطع أصحابه نخلهم وحرقوه. فقال اليهود: هذا فساد. وأنت يا محمد تنهى عن الفساد. فأنـــزل الله ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**﴾ [الحشر: ٥].

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر، عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك.

فإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وأيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار. وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم. وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم. لأن التركمان إنما قصدهم الرعي، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلاحين لا يتركون عمارة أرضهم ويجيئون إليه.

فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم، وإخراجهم من ديارهم.

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله: ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر. ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله. فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب. يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب. ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**﴾[الحشر: ٢-٥].

وأيضًا فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز،

واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان، ويعز به أهل الإيمان.

ثم يستطرد الشيخ ناصحًا للسلطان بوجوب إقامة أحكام الإسلام فيقول:

تمام هذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد، وإقامة الشريعة في البلاد. فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة من يقتدون، بهم وينتصرون لهم. وفي قلوبهم غلّ عظيم. وإبطان معاداة شديدة، لا يؤمنون معها على ما يمكنهم. ولو أنه مباطنة العدو. فإذا أمسك رؤوسهم الذين يضلونهم -مثل بَنِي العود- زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله.

ويتقدم إلى قراهم. وهي قرى متعددة بأعمال دمشق، وصفد، وطرابلس، وحماة، وحمص، وحلب بأن يقام فيهم شرائع الإسلام، والجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذنون، كسائر قرى المسلمين، وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية. وتنشر فيهم المعالم الإسلامية، ويعاقب من عرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام.

فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جبال. وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين. ومن قتل منكم فهو شهيد.

وفي هؤلاء كثير لا يقرون بصلاة، ولا صيام، ولا حج ولا عمرة، ولا يحرمون الميتة، والدم، ولحم الخنـــزير، ولا يؤمنون بالجنة والنار. من جنس الإسماعيلية، والنصيرية والحاكمية، والباطنية، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

فتقدم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام: من الجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية. وأبلغ الجهاد في سبيل الله.

وذلك سبب لانقماع من يباطن العدو من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر من المسلمين.

وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء.

فإن ما فعلوه بالمسلمين في أرض (سيس) نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم. وفي ذلك لله حكمة عظيمة. ونصرة للإسلام جسيمة.

قال ابن عباس "ما نقض قوم العهد إلا أديل عليهم العدو".

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان، وللعدو من الخذلان، ما ينصر الله به المؤمنين، ويذل به الكفار والمنافقين.

والله هو المسئول أن يتم نعمته على سلطان الإسلام خاصة، وعلى عباده المؤمنين عامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٨٢-١٩٤) انتهى.

ابن تيمية: اختياراته واجتهاداته:

لم يكن ابن تيمية معصومًا، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ بل كان عالمًا مجتهدًا له صوابه وخطؤه، ردّ على أناس كثيرين ورد عليه أيضًا أناس كثيرون، وقد قال الإمام مالك بن أنس: (ما منا إلا ورَدَّ وَرُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر) وهذه جملة الأمور التي تفرد بها مخالفًا غيره من أئمة الفقه ومتبعًا فيها أيضًا من سلف من الصحابة والتابعين فليس له بحمد الله قول لا سلف له فيه هكذا كان دينه وديدنه لا يقول قولا لا سلف له فيه. وقد آتاه الله من العلم ما يستطيع به أن يرجح ما يراه راجحًا، ويبطل ما يراه باطلا، ولا أقول إن كل ما رجحه صواب، وكل ما أبطله باطل وهذه هي جملة اختياراته كما نقلها تلميذه ابن عبدالهادي قال:

ومن اختياراته التي خالفهم فيها، أو خالف المشهور من أقوالهم: القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفرًا، طويلا كان أو قصيرًا. كما هو مذهب الظاهرية. وقول بعض الصحابة.

والقول بأن البكر لا تستبرأ، وإن كانت كبيرة. كما هو قول ابن عمر. واختاره البخاري صاحب الصحيح.

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء. كما يشترط للصلاة. كما هو مذهب ابن عمر. واختيار البخاري أيضًا.

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقدًا أنه ليل. فبان نهارًا لا قضاء عليه. كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ، وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض

الفقهاء بعدهم.

والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة. كما هو في حق القارن والمفرد. كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما. ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل. رواها عنه ابنه عبدالله. وكثير من أصحاب الإمام أحمد يعرفونها.

والقول بجواز المسابقة بلا محلل. وإن خرج المتسابقان.

والقول باستبراء المختلعة بحيضة. وكذلك الموطوءة بشبهة. والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

والقول بإباحة وطء عقد الرداء في الإحرام. ولا فدية في ذلك، وجواز طواف الحائض. ولا شيء عليها، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهرًا.

والقول بجواز بيع الأصل بالعصير. كالزيتون بالزيت. والسمسم بالشيرج. والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمى ماء، مطلقًا كان أو مقيدًا.

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره. كالخاتم ونحوه، بالفضة متفاضلا، وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة.

والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير، قليلا كان أو كثيرًا.

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء.

والقول بجواز التيمم في مواضع معروفة.

والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة.

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

وكان يميل أخيرًا لتوريث المسلم من الكافر الذمي، وله في ذلك مصنف وبحث طويل.

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلاقل: قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق.

وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة.

وأن الطلاق المحرم لا يقع.

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة منها:

قاعدة كبيرة سماها "تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان" نحو أربعين كراسة.

وقاعدة سماها "الفرق المبين بين الطلاق واليمين" بقدر النصف من ذلك.

وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة، مجلد لطيف.

وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة.

وقاعدة سماها "التفصيل بين التكفير والتحليل".

وقاعدة سماها "اللمعة" (الكواكب الدرية ٢٢٢-٢٢٤).

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا ينحصر ولا ينضبط وله في ذلك جواب اعتراض، ورد عليه من الديار المصرية. وهو جواب طويل في ثلاث مجلدات، بقطع نصف البلدي.

واختار ارتفاع الحدث بالمياه المتعصرة، كماء الورد ونحوه، واختار جواز المسح على النعلين والقدمين، وكل ما يحتاج في نـــزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الآخر، فإنه يجوز عنده المسح عليه مع القدمين.

واختار أن المسح على الخفين لا يتوقف مع الحاجة، كالمسافر على البريد ونحوه، وفعل ذلك في ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد ويتوقف مع إمكان النـــزع وتيسره.

واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها.

واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت في حق غير المعذور، كمن أخر الصلاة عمدًا حتى تضايق وقتها. وكذا من خشي فوات الجمعة والعيدين وهو محدث. فأما من استيقظ أو ذكر في آخر وقت الصلاة: فإنه يتطهر بالماء ويصلي، لأن الوقت متسع في حقه.

واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال في البيت، أو شق عليها النـــزول إلى الحمام وتكرره: أنها تتيمم وتصلي.

واختار أن لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره، ولا لأقل الطهر بين الحيضين، ولا لسن الإياس من الحيض. وأن ذلك راجع إلى ما تعرفه كل امرأة من نفسها.

واختار أن تارك الصلاة عمدًا: لا يجب عليه القضاء (الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٠٤، ٤٠٥). ولا يشرع له. بل يكثر من النوافل، وأن القصر

يجوز في قصير السفر وطويله، وأن سجود التلاوة لا يشترط له طهارة.

ابن تيمية: جنازة مشهودة، وشهادة من الخلق له بالكرامة والولاية:

سبع وخمسون عامًا أمضاها الشيخ وهي عمره في جهاد مرير وسعي متواصل، ودعوة دائمة إلى الله عز وجل حتى أتته المنية مسجونًا بقلعة دمشق في سعاية للواشين والحاسدين من عباد القبور أنه يمنع الناس من زيارة الرسول والصالحين والصحيح أنه نهى الناس عن شد الرحال إليها مؤكدًا أن زيارتهم سنة مستحبة وهذا قد ذكرناه في مقدمة الكتاب، وفي ردنا على المفتري الكذاب.. أقول كان لا بد بعد ذلك أن يستريح الشيخ ويؤوي -بحمد الله ومشيئته وفضله- إلى جنة الله ورضوانه وكانت جنازة لا يعهد تاريخ الإسلام مثلها إلا لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ﷺ وهاك وصفٌ حيٌّ لجنازته كما رواها ابن كثير في تاريخه.

وفاة شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية:

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدرة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسًا بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرءوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصروا على من يغسله، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع وامتلأ الجامع أيضًا وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلي عليه أولا بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام، ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة

والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل عمائمهم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس.

وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية. وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبدالرحمن، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله رحمهما الله، وكان دفنه قبل العصر بيسير، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور، مع الترحم والدعاء له، ولو أنه قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة، غير اللاتي كن على الأسطح وغيرهن، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل.

وأما الرجال فحزروا بستين ألفًا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهمًا وقيل: إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم. وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد وتردد الناس إلى قبره أيامًا كثيرة ليلا ونهارًا يبيتون عنده ويصحون، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمة.

ثم استطرد ابن كثير قائلا:

قال: وقد اتفق موته في سحر ليلة الإثنين المذكور، فذكر ذلك مؤذن القلعة

على المنارة بها وتكلم به الحراس على الأبرجة، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه، حتى من الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئًا، ولا فتحوا كثيرًا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة، فحارت الدولة ماذا يصنعون، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه، وجلس عنده، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية، فجلسوا عنده يبكون ويثنون *على مثل ليلى يقتل المرء نفسه* وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه. وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهي فيها إلى آخر اقتربت الساعة ﴿**إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾[القمر: ٥٤، ٥٥] فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبدالله بن المحب وعبدالله الزرعي الضرير -وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما- فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى.

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار، أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العادية الكبيرة، ثم عطفوا على ثلث الناطفانيين، وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد هدمت لتصلح، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي، والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها عن يمينها وشمالها مالا يحصي عدتهم إلا الله تعالى، فصرخ صارخ وصاح صائح هكذا تكون جنائز أئمة السنة فتباكى الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير

صفوف، بل مرصوصين رصًا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جُوّ الجامع وبرّى الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ينوي خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وكثر الناس كثرة لا تحد ولا توصف، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إمامًا، وهو الشيخ علاء الدين الخراط، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل في مخافتة كل واحد بنفسه، وفي ثناء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن هذا العالم.

وبالجملة كان يومًا مشهودًا لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بني أمية حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دفن عند أخيه قريبًا من أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات ا.هـ.

يوم الجنائز شهادة لأهل الحق:

قال ابن كثير: "ثم ذكر الشيخ علم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعظمها، وجنازة الإمام أحمد ببغداد وشهرتها، وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: سمعت أبا عبدالرحمن السيوفي يقول: حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال: سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز، قال ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببلدة دمشق، وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها

في جنازته، وانتهوا إليها. هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة، مما ينفر منها طباع أهل الأديان، فضلا عن أهل الإسلام. وهذه كانت جنازته" (البداية والنهاية ص١٣٧-١٣٨ ج١٤).

الذين تخلفوا عن جنازته:

وقال أيضًا: "وما علمت أحدًا من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته، وهم ثلاثة أنفس: وهم ابن جمله، والصدر، والقفجاري، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم، بحيث أنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس" ا.هـ.

ثناء الناس عليه بعد وفاته:

وقال أيضًا: وتردد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية، وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكبًا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله.

وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة، ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدًا. وقد أفردت له تراجم كثيرة، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهادته وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار، التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة وأفتى بها. ا.هـ

واجبنا نحو شيخ الإسلام ابن تيمية:

لم أجد في هذا الصدد خيرًا من رسالة كتبها الشيخ الإمام القدوة الزاهد عماد الدين أبو العباس بن إبراهيم بن عبدالرحمن الواسطي المتوفي سنة ٧١١هـ، والتي كتب هذه الرسالة التي يوصي فيها أتباع الشيخ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه أن يقوموا بحق شيخهم وإمامهم وقدوتهم، ويذكر فيها ما من الله سبحانه وتعالى به عليهم من معرفة الدين الحق والهداية إلى الصراط المستقيم على يد شيخهم ابن تيمية في وقت يعيش فيه الناس في الضلال المبين والظلمات العظيمة، ويذكر أنهم هم الفئة

الذين قال فيهم الرسول ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

فالشيخ ابن تيمية وتلاميذه وأحبابه وأنصاره كانت هي هذه الفئة حتمًا في زمانه فهم الفئة التي حاربت جميع المرتدين والمارقين بالحجة والبيان والسيف والسنان، فلقد حاربوا التتار المعتدين المتلبسين بظاهر الشهادة فقط والمخالفين شرائع الإسلام، وحارب الشيخ كذلك بسيفه طوائف النصيرية، والإسماعيلية والرافضة والباطنية الموالين لأهل الصليب المكفرين لصدر الإسلام، وكذلك لم نبق طائفة من أهل الباطن كأهل الحلول، والتأويل والزندقة وعباد القبور، وأمراء الظلم إلا وقد ناقشهم الشيخ وتلاميذه وأبطلوا حججهم وأظهروا كذبهم وتحريفهم أو جهلهم وانتحالهم..

لقد رأى الشيخ عماد الدين هذه النعم العظيمة على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، فأخذته الحمية والشهامة، والعزة على جناب الشيخ العظيم فقام يوصي أتباعه بالشيخ أن يعرفوا له حرمته، ويقدروا له مكانته وينـــزلوه منـــزلته.. وأترك المجال بعد هذه المقدمة للشيخ عماد الدين ليقدم وصيته الخالدة حيث يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله وبحمده، تقدس في علوه وجلاله. وتعالى في صفات كماله. وتعاظم في سبحات فراديته وجماله، وتكرم في أفضاله وجمال نواله، جل أن يمثل بشيء من مخلوقاته، أو يحاط به، بل هو المحيط بمبتدعاته، لا تصوره الأوهام، ولا تقله الأجرام، ولا يعقل كنه ذاته البصائر ولا الأفهام.

الحمد لله مؤيد الحق وناصره، ودافع الباطل وكاسره، ومعز الطائع وجابره، ومذل الباغي ودائره، الذي سعد بخطوة الاقتراب من قدسه من قام بأعباء الاتباع في بنانه وأسه، وفاز بمحبوبيته في ميادين أنسه من بذل ما يهواه في طلبه من قلبه وحسه، وتثبت في مهامه الشكوك منتظرًا زوال لبسه، سبحانه وبحمده له المثل الأعلى، والنور الأتم الأجلى، والبرهان الظاهر في الشريعة المثلى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. الذي شهدت لوحدانيته الفطر،

وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر، وظهرت أحكامه في الآي والسور، وتم اقتداره في تنــزل القدر.

وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، الذي شهدت بنبوته الهواتف والأحبار، فكان قبل ظهوره ينتظر، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حنين الجذع وانقياد الشجر، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الخشية والحذر، والعلم المنور، فهم قدوة التابع للأثر.

وبعد.. فهذه رسالة سطرها العبد الضعيف الراجي رحمة ربه وغفرانه، وكرمه وامتنانه. أحمد بن إبراهيم الواسطي. عامله الله بما هو أهله فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

إلى إخوانه في الله السادة العلماء، والأئمة الأتقياء، ذوي العلم النافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، الذين كساهم كسوة الأتباع، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع:

السيد الأجل العالم، الفاضل فخر المحدثين، ومصباح المتعبدين المتوجه إلى رب العالمين، تقي الدين أبي حفص عمر بن عبدالله بن عبدالأحد بن شقير.

والشيخ الأجل، العالم الفاضل السالك الناسك ذي العلم والعمل، المكتسي من الصفات الحميدة أجمل الحلل، الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالأحد الآمدي.

والسيد الأخ، العالم الفاضل، السالك الناسك، التقي الصالح، الذي سيماء نور قلبه لائح على صفحات وجهه، شرف الدين محمد بن المنجي.

والسيد الأخ، الفقيه العالم النبيل، الفاضل فخر المحصلين، زين الدين، عبدالرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي.

والسيد الأخ العالم الفاضل، السالك الناسك، ذي اللب الراجح والعمل الصالح، والسكينة الوافرة، والفضيلة الغامرة، نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ.

وأخيه السيد الأخ، العالم التقي الصالح، الخير الدين، العالم الثقة، الأمين الراجح، ذي السمت الحسن، والدين المتين، في اتباع السنن، فخر الدين محمد.

والأخ العزيز الصالح، الطالب لطريق ربه، والراغب في مرضاته وحبه والعالم

الفاضل، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعدالله ابن نجيح.

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا الإمام، الأمة الهمام، محيي السنة، وقامع البدعة، ناصر الحديث، مفتي الفرق، الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلي قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأمة حذوهم وسبلهم، فذكرهم بها الشيخ، فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولموات حذوهم محييًا، ولأعنة قواعدهم مالكًا: الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العلى درجته، وأدام توفيق السادة المبدوّ بذكرهم وتسديدهم، وأجزل لهم حظهم، ومزيدهم.

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نوائب الحق جأشه، واحتسب لله ما بذله من نفسه في إقامة دينه، وما احتوشه من ذلك وحاشه، واحتذى حذو السبق الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم، فما ضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، مع قلة عددهم في أول الأمر، فكانوا مع ذلك كل منهم مجاهد بدين الله قائم. ونرجو من كرم الله تعالى أن يوفقنا لأعمالهم، ويرزق قلوبنا قسطًا من أحوالهم، وينظمنا في سلكهم، تحت سجفتهم ولوائهم، مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أذكركم رحمكم الله بما أنتم به عالمون عملا بقوله تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾[الذاريات: ٥٥].

وأبدأ من ذلك بأن أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، وهي وصية الله تعالى إلينا وإلى الأمم من قبلنا، كما بين سبحانه وتعالى قائلا وموصيًا: ﴿**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**﴾[النساء: ١٣١].

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب، بحسب الأوقات والأحوال: من الأقوال، والأعمال، والإيرادات، والنيات.

وينبغي لنا جميعًا أن لا نقنع من الأعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين يدي

الله تعالى بحقائقها. ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية، تترامى إلى أوطان القرب، ونفحات المحبوبية والحب. فالسعيد من حظي من ذلك بنصيب. وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريبًا بخصوص التقريب.

فيكتسي العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم، للعزيز العظيم، فالحب والخشية ثابتان في الكتاب العزيز والسنة المأثورة. قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾[المائدة: ٥٤] ﴿**والذين آمنوا أشد حبًا لله**﴾[البقرة: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[فاطر: ٢٨] وفي الحديث: «**أسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقربني إلى حبك**»[رواه الترمذي عن ابن عباس في دعاء طويل] وفي الحديث: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**»[رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بدون قوله «ولخرجتم الخ» وهو بهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء].

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية، في مقام أعلى من مقام، ونصيب أرفع من نصيب، فلتكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بذروته وذراه، فالهمم القصيرة تقنع بأيسر نصيب، والهمم العلية تعلو مع الأنفاس إلى قريب الحبيب لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل، والعاقل لا يقنع بأمر مفضول عن حال فاضل. ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة، وتحصيل المقامات الباطنة. فليس من الإنصاف الانضباب إلى الظواهر والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر.

وليكن لنا جميعًا بين الليل والنهار ساعة، نخلو فيها بربنا جل اسمه وتعالى قدسه، نجمع بين يديه في تلك الساعة همومنا، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا، فنـــزهد فيما سوى الله ساعة من نهار، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه، فمن كان له مع ربه حال، تحركت في تلك الساعة عزائمه. وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره، وطارت إلى العلي زفراته وكوامنه. وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد في قبره، حين خلوه عن ماله وحبه. فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار، لما احتوشه من الهموم الدنيوية وذوات الآصار. فليعلم أنه ليس له ثم رابطة علوية، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبية، فليبك

على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه.

فإذا حصلت تلك الساعة، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار، نعبده فيها حق عبادته، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته، وذلك طريق لنا جميعًا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل له الشطر الظاهر، وفاته الشطر الباطن. لاتصاف قلبه بالجمود. وبعده في العبادة والتلاوة عن لين القلوب والجلود. كما قال تعالى: ﴿**تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾[الزمر: ٢٣] وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا. ويتميز به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة، والذوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها. ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها.

فيتعين علينا جميعًا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود، ولقائه بذوق الإيقان، لنعبده كأننا نراه كما جاء في الحديث: حديث جبريل في سؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال له: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [رواه البخاري ومسلم عن عمر وعن ابنه رضي الله عنهما].

وبعد ذلك.. الخطوة في هذه الدار بلقاء رسول الله ﷺ، غيبًا في غيب، وسرًا في سر، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها. فتبقى البصيرة شاخصة إليه، تراه عيانا في الغيب، كأنها معه ﷺ، وفي أيامه. فيجاهد على دينه. ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته.

وكذلك من سلك في طريق النفوذ يرجى له أن يلقى ربه بقلبه غيبًا في غيب، وسرًا في سر، فيرزق القلب قسطًا من المحبة والخشية. والتعظيم اليقيني، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق. وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ. ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد. ويبقى له كيفية أخرى زائدة على الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار

والقوة في الإعلان والإسرار.

فلا ينبغي لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية، بشواغل الدنيا وهمومها، فتنقطع بذلك -ما تقدم- بالشيء المفضول عن الأمر المهم الفاضل. فإذا سلكنا في ذلك برهة من الزمان، ورزقنا الله تعالى نفوذًا، وتمكنا في ذلك النفوذ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى.

وليكن شأن أحدنا اليوم: التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية، والتوجهات القلبية، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الأخريين. فيفوته المطلوب. ومتى اجتهد في التعديل فإنه إن شاء الله تعالى بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم، حصل جزءًا من الآخر. ثم بالصبر على ذلك تجتمع الأجزاء المحصلة، فتصير مرتبة عالية عند النهاية - إن شاء الله تعالى.

هذا وإن كنتم -أيدكم الله تعالى- بذلك عالمين، لكن الذكرى تنفع المؤمنين.

ثم يستطرد الشيخ عماد الدين قائلا في رسالته:

واعلموا -أيدكم الله- أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود. لكن من لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرف أحوال الناس، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية. فأنتم إن شاء الله تعالى في حق هذه الأمة الأولى كما قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس. تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[آل عمران: ١١٠] وكما قال تعالى: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾[الحج: ٤١].

أصبحتم إخواني تحت سنجق (أي تحت لوائه ورايته) رسول الله ﷺ، إن شاء الله تعالى، مع شيخكم وإمامكم، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره ﷺ. قد تميزتم عن جميع أهل الأرض، فقهائها وفقرائها، وصوفيتها، وعوامها: بالدين الصحيح.

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث، في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام. فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء. نصرتم الله ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله.

وأنتم أيضًا في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ، وجمد

على مجرد تقليد الأئمة فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتحاد أقوال الأئمة، تأسيًا بهم لا تقليدًا لهم.

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية (أتباع أحمد الرفاعي البطائحي وسموا أيضًا بالبطائحية)، والحريرية (فرقة صوفية)، من إظهار شعار المكاء والتصدية (المكاء صوت القطط، والتصدية: التصفيق وكان كفار قلة يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون في طوافهم، وشبه الشيخ الصوفية بذلك لأن أذكارهم برفع الأصوات لقولهم هوهو. تكون كالمكاء أو النباح ولأنهم يصفقون في أذكارهم ويتمايلون ويصرخون)، ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطئها، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء. فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضًا كما تجاهدون من سبق. حفظتم من دين الله ما أضاعوه. وعرفتم ما جهلوه تقومون من الدين ما عوجوه، وتصلحون ما أفسدوه.

وأنتم أيضًا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنع باللباس، والإطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم، ولبس البقيار، والأكمام الواسعة في حضرة الدرس، وتنميق الكلام، والعدو بين يدي المدرس راكعين، حفظًا للمناصب، واستجلابًا للرزق والإدرار.

فحفظ هؤلاء في عبادة الله غيره، وتألهوا سواه. ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون. يجتمعون لغير الله بل للمعلوم، ويلبسون للمعلوم وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم. فضيعوا كثيرًا من دين الله وأماتوه. وحفظتم أنتم ما ضيعوه، وقومتم ما عوجوه.

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات: كاليونسية، والعربية، والصدرية، والسبعينية، والتلمسانية. فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه. وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ.

فاليونسية يتألهون شيخهم، ويجعلونه مظهرًا للحق، ويستهينون بالعبادات، ويظهرون بالفرعنة والصولة، والسفاهة والمحالات، لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة، وقبلتهم الشيخ يونس. ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل، يؤمنون

به بألسنتهم، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية، يجعلون الوجود مظهرًا للحق، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه، ولا ناطق في الأشخاص غيره. وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر، فيجعل الأمر كموج البحر، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله، فينطق على لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية فمن العابد ومن المعبود؟ صار الكل واحدًا.

اجتمعنا بهذا الصنف في الربط والزوايا.

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضًا تنصرون الله ورسوله، وتذبون عن دينه، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا وعلى تقويم ما عوجوا فإن هؤلاء محوا رسم الدين، وقلعوا أثره. فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا بل بالغوا في هدم الدين ومحوا أثره. ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بما أمكن، وتبين مذاهبهم للخاص والعام. وكذلك جهاد كل من ألحد في دين الله وزاغ عن حدوده وشرعيته. كائنًا في ذلك ما كان من فتنة وقول. كما قيل:

إذا رضي الحبيب فلا أبالي * أقام الحي أم جد الرحيل

والله المستعان.

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله، بما أمكن. وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ. لأن اليوم له سبعمائة سنة، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك واندثر.

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون في وجوه العامة، مما أحدثوا من تعظيم الميلاد. والقلندس، وخميس البيض. والشعانين، وتقبيل القبور والأحجار، والتوسل عندها. ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية. وإنما بعث رسول الله ﷺ ليوحد الله ويعبده وحده، ولا يؤله معه شيئًا من مخلوقاته. بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد. فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك.

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء، أهل الكيد والضرار لأولياء الله، أهل المقاصد الفاسدة. والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة.

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقدرية، وأصناف أهل البدع والضلالات لأن الناس متفقون على ذمهم. يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم. ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون. بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء فلا يجاهدون، وتأخذهم في الله اللائمة. لحفظ مناصبهم، وإبقاء على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء -حق القيام- سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء إن شاء الله. بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا -أيده الله- حق القيام، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصبرًا يا إخواني على ما أقامكم الله فيه، من نصرة دينه وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه. واستعينوا بالله، ولا تأخذكم فيه لومة لائم. وإنما هي أيام قلائل. والدين منصور. قد تولى الله إقامته ونصره، ونصره من قام به من أوليائه، إن شاء الله، ظاهرًا وباطنًا.

وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأموال، والأفعال، والأقوال، عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله ﷺ. فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله، كما قال خبيب حين صلب على الجذع:

وذلك في ذات الإله، وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد عرفتم ما لقي رسول الله ﷺ من الضر والفاقة في شعب بني هاشم، وما لقي السابقون الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة، وما لقي المهاجرون والأنصار في أحد، وفي بئر معونة، وفي قتال أهل الردة، وفي جهاد الشام والعراق، وغير ذلك.

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله، حبا له، وشوقًا إليه. فكذلك أنتم، رحمكم الله. كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته، بفعله، وبقوله، وبخطه، وبقلبه، وبدعائه. كل ذلك جهاد. أرجو أن لا يخيب من عامل الله بشيء من ذلك. إذ لا عيش إلا في ذلك، ولو لم يكن فيه إلا همكم، مزاحمة لأهل الزيغ، مشوشة لهم، تبغضونهم في الله، وتطلبون استقامتهم في دين الله. وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى.

ثم يستطرد الشيخ علم الدين أيضًا قائلا:

ثم اعرفوا إخواني حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك. واعرفوا طريقكم إلى ذلك، واشكروا الله تعالى عليها. وهو أن أقام لكم ولنا في هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذي فتح الله به أقفال القلوب، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقل بين هذه الفرق، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول ﷺ.

ومن العجب أن كلا منهم يدعي أنه على دين الرسول، حتى كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنــزله من السماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام. فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا.

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبعمائة من الهجرة من بين لكم أعلام دينكم.

وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته. وبين لكم بهذا النور المحمدي ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم. وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة. الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. وهم بالشام إن شاء الله تعالى.

فصل

ثم إذا علمتم ذلك، فاعرفوا حق هذا الرجل الذي هو بين أظهركم وقدره، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره. فمن وقع دين الرسول ﷺ من قلبه بموقع يستحقه، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله، يقوم معوجهم، ويصلح فسادهم، ويلم شعثهم، جهد إمكانه، في الزمان المظلم، الذي انحرف فيه الدين، وجهلت السنن، وعهدت البدع، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والقابض على دينه، كالقابض على الجمر، فإن أجر من قام بإظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف، وخطره لا يعرف.

فالله الله في حفظ الأدب معه، والانفعال لأوامره، وحفظ حرماته في الغيب والشهادة، وحب من أحبه، ومجانبة من أبغضه وتنقصه ورد غيبته، والانتصار له في الحق.

واعلموا رحمكم الله، أن هنا من سافر إلى الأقاليم، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم، فوالله، ثم والله ثم والله، لم ير أديم تحت السماء مثل شيخكم: علمًا، وعملا، وحالا، وخلقًا، واتباعًا، وكرمًا وحلمًا. في حق نفسه، وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته. أصدق الناس عقدًا، وأصلحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفًا، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمد ﷺ.

ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل. بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة.

وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة، فلا ندعي فيه العصمة عن الخطأ، ولا ندعي إكماله لغايات الخصائص المطلوبة. فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة، لا يتم الكمال إلا بهاتيك الخصوصية وهذا القدر لا يجهله منصف عارف. ولولا أن قول الحق فريضة، والتعصب للإنسان هوى، لأعرضت عن ذكر هذا -لكن يجب قول الحق- إن ساء أو سر. والله المستعان.

إذا علمتم ذلك -أيدكم الله تعالى- فاحفظوا قلبه، فإن مثل هذا قد يدعي عظيمًا في ملكوت السماء. واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وده لكم، وحبه إياكم مهما قدرتم عليه. فإن مثل هذا يكون شهيدًا، والشهداء في العصر لمثله، فإن حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها، وربما يفطن لها الأذكياء منكم، وربما سمحت نفسي بذكرها، كيلا أكتم عنكم نصحي.

وتلك الخصوصية: هي أن ترزقوا قسطًا من نصيبه الخاص المحمدي مع الله تعالى. فإن ذلك إنما يسري بواسطة محبة الشيخ للمريد، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأتيه معه، وحفظ قلبه وخاطره، واستجلاب وده ومحبته، فأرجو بذلك لكم قسطًا مما بينه وبين الله تعالى، فضلا عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته، إن شاء الله تعالى.

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة بحفظ تلك الساعة في الصلوات الخمس والتهجد أن ينفتح لكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونبأه إن شاء الله تعالى.

وإنما ذكرت حفظ الساعة -وإن كان في الصلوات الخمس كفاية. إذا قام العبد فيها لحق الله تعالى- وذلك لأن الصلوات قد تهجم على العبد وقلبه مأخوذ في جوانب الظاهر، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها، فإذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرف فيها نصيب قلبه من ربه، فإذا جاءت الصلوات، عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة. والله المستعان.

وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذي أنـــزله على رسوله ﷺ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذي يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى، والحظوة بقربه. ثم عرفتم اجتماع الأمرين في شخص معين، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصراط المستقيم، وقيام الرجل المعين الجامع الظاهر والباطن في وجوه المنحرفين، بنصر الله تعالى ودينه، ويقوم معوجهم، ويلم شعثهم، ويصلح فاسدهم. ثم سمعتم بعد ذلك طعن طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم، فإنه لا يخفى عنكم محق هو، أو مبطل؟ إن شاء الله.

وبرهان ذلك: أن المحق طالب الهدى والحق بغرض عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذي أنكره، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلطف عن ذلك النقص الذي رآه فيه، أو بلغه عنه، فإن وجد هناك اجتهادًا، أو رأيًا أو حجة، قنع بذلك، وأمسك، ولم يفش ذلك إلى غيره، إلا مع إقامة ما بينه من الاجتهاد، أو الرأي، أو الحاجة، ليسد الخلل بذلك. فمثل هذا يكون طالب هدى، محبًا، ناصحًا، يطلب الحق، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتفويضه. كما يروم أستاذه تقويمه. كما قال بعض الخلفاء الراشدين: (هو أبو بكر الصديق ﷺ -كذا في المنقول عنه- ا.هـــ من هامش الأصل وذلك في أول خطبة قام بها بعد الخلافة ويروى أيضًا عن عمر) -ولا يحضرني اسمه- "إذا اعوججت فقوموني".

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب. فإن الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به، ويتهم نفسه أحيانًا، ويتعرف أحواله من غيره، مما عنده من النصفة وطلب الحق، والحذر من الباطل، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال.

ومن براهين المحق: أن يكون عدلا في مدحه، عدلا في ذمه، لا يحمله الهوى - عند وجود المراد- على الإفراط في المدح، ولا يحمله الهوى -عند تعذر المقصود-

على نسيان الفضائل والمناقب، وتعديد المساوئ والمثالب.

فالمحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه، ثابت على ذم من ثلبه وحطط عليه.

وأما من عمل كراسة في عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف، في هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئًا من فضائله، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل، بل المقصود تلك المثالب. ثم أخذ الكراسة يقرؤها على أصحابه واحدًا واحدًا في خلوة، يوقف بذلك هممهم عن شيخهم، ويريهم قدحًا فيه. فإني أستخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل، وأقول انتصارًا لمن ينصر دين الله، بين أعداء الله في رأس السبعمائة، فإن نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال ورقة بن نوفل: "لئن أدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا" (رواه البخاري في بدء الوحي) ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تعدي الحدود والإخلاد إلى الهوى.

أقول: مثل هذا -ولا أعين الشخص المذكور بعينه- لا يخلو من أمور:

أحدها: أن يكون ذا سن تغير رأيه لسنه. لا بمعنى أنه اضطراب بل بمعنى أن السن إذا كبر يجتهد صاحبه للحق. ثم يضعه في غير مواضعه. مثلا يجتهد أن إنكار المنكر واجب. وهذا منكر. وصاحبه قد راج على الناس. فيجب على تعريف الناس ما راج عليهم، وتغيب عليه المفاسد في ذلك.

فمنها: تخذيل الطلبة، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم، ليأخذوا عنه. فمتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصًا حرموا فوائده الظاهرة والباطنة. وخيفت عليهم المقت من الله أولا. ثم من الشيخ ثانيًا.

المفسدة الثانية: إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهار بالجهاد والتوجه في وجوههم لنصرة الحق: أن في أصحابنا من ثلب رئيس القوم بمثل هذا. فإنهم يتطرقون بذلك إلى الاشتفاء من أهل الحق ويجعلونه حجة لهم.

المفسدة الثالثة: تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب، فإن ذلك ظلم وجهل.

والأمر الثاني، من الأمور الموجبة لذلك: تغير حاله وقلبه. وفساد سلوكه

بجسد كان كامنًا فيه. وكان يكتمه برهة من الزمان. فظهر ذلك الكمين في قالب، صورته حق ومعناه باطل.

وفي الجملة -أيدكم الله- إذا رأيتم طاعنا على صاحبكم فافتقدوه في عقله أولا، ثم في فهمه، ثم في صدقه، ثم في سنه. فإذا وجدتم الاضطراب في عقله، دلكم على جهله بصاحبكم. وما يقول فيه وعنه. ومثله قلة الفهم. ومثله عدم الصدق، أو قصوره، لأن نقصان الفهم يؤدي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه. ومثله العلو في السن فإنه يشيخ فيه الرأي والعقل كما تشيخ فيه القوى الظاهرة الحسية، فاتهموا مثل هذا الشخص واحذروه، وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة.

وصفة الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه: أن تسألوه عن مسألة سلوكية. أو علمية، فإذا أجاب عنها فأوردوا على الجواب إشكالا متوجهًا بتوجيه صحيح، فإن رأيتم الرجل يروح يمينًا وشمالا، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة، وحكايات ليست في المعنى حتى يتسنى رب المسألة سؤاله، حيث توهه عنه بكلام لا فائدة فيه، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه، ولا على مدحه، فإنه ناقص الفطرة، كثير الخيال، لا يثبت على تحري المدارك العلمية، ولا تنكروا مثل إنكار هذا. فإنه اشتهر قيام ذي الخويصرة التميمي إلى رسول الله ﷺ وقوله له: "اعدل -فإنك لم تعدل- إن هذه قسمة لم يرد بها وجه الله تعالى" أو نحو ذلك.

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول ﷺ فإنه قال: «**لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**» وإن كان ذلك في اليهود والنصارى، لكن لما كانوا منحرفين عن نهج الصواب، فكذلك يكون في هذه الأمة من يحذو حذو كل منحرف وجد في العالم، متقدمًا كان أو متأخرًا، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه.

يا سبحان الله العظيم، أين عقلاء هؤلاء؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم، الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة، يشم المؤمنون فيها رائحة الإسلام، وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدعاة إلى الباطل

وإقامته، ودحض الحق وأهله ما لا يحصر في كتاب. ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجل قوي الهمة، ضعيف التركيب، قد فرق نفسه وهمه في مصالح العالم، وإصلاح فسادهم، والقيام بمهماتهم، وحوائجهم، ضمن ما هو قائم بصدد البدع والضلالات، وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق؟

فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وحده، وهو منفرد بين أهل زمانه، قليل ناصره، كثير خاذله، وحاسده، والشامت فيه!!

فمثل هذا الرجل في هذا الزمان، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه. أيقال له: لم ترد على الأحمدية؟ لم لا تعدل في القسمة؟ لم تدخل على الأمراء؟ لم تقرب زيدًا وعمرًا؟

أفلا يستحي العبد من الله؟ يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبء الثقيل؟ ولو حوقق الرجل على هذه الجزئيات وجد عنده نصوص صحيحة، ومقاصد صحيحة ونيات صحيحة!! تغيب عن الضعفاء العقول، بل عن الكمل منهم، حتى يسمعوها.

أما رده على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه، الذي لا يدري ما يقول. أفيقوم دين محمد بن عبدالله الذي أنـــزل من السماء، إلا بالطعن على هؤلاء؟ وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل؟ لا يقول مثل هذا إلا تائه، أو مسن أو حاسد.

وكذلك القسمة للرجل، في ذلك اجتهاد صحيح. ونظر إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم، كما خص الرسول ﷺ الطلقاء بمائة من الإبل، وحرم الأنصار! حتى قال منهم أحداثهم شيئًا في ذلك. لا ذوو أحلامهم، وفيها قام ذو الخويصرة فقال ما قال، وأما دخوله على الأمراء، فلو لم يكن، كيف كان شم الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص؟ ولو فتش المفتش، لوجد هذه الكيفية التي عندهم من رائحة الدين، ومعرفة المنافقين، إنما اقتبسوها من صاحبكم.

وخاتمة الخير على عمله، وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب، بحيث لا يبقى معشره يعيبه بعلمه، وتصنيفه، من أولي العقول والأحكام ونستغفر الله العظيم،

من الخطأ والزلل، في القول والعمل. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ا.هـ (تمت هذه الرسالة التي سماها مؤلفها الشيخ علم الدين رحمه الله التذكرة والإغيار، والانتصار للأبرار وقد نقلناها من كتاب العقود الدرية لابن عبدالهادي من ص٢٩١ إلى ٣٢١).

ابن تيمية: مصنفاته ومؤلفاته:

مصنفات ابن تيمية تربو على ثلاثمائة مجلد وقد وزعت مصنفاته على سني عمره فوجد أنها تبلغ في كل يوم أربعة كراريس، ولا غرر في ذلك فقد كتب الرسالة الحموية وهي تقع في نحو سبعين صفحة من القطع المتوسط في جلسة بين الظهر والعصر كما قال الذهبي. وكتب أربعة مجلدات كاملة في الرد على الإخنائي المالكي في مسألة شد الرحال إلى زيارة القبور وأربع مجلدات على سؤال واحد سماه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح). وهذه طائفة من تصانيفه كما ذكرها ابن رجب. قال:

وأما تصانيفه رحمه الله: فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر. سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار. قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها، ولا ذكرها.

ولنذكر نبذة من أسماء أعيان المصنفات الكبار: كتاب (الإيمان) مجلد، كتاب (الإستقامة) مجلدان (جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوي الحموية)، أربع مجلدات، كتاب (تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) في ست مجلدات كبار، كتاب (المحنة المصرية) مجلدان (المسائل الإسكندرانية) مجلد (الفتاوي المصرية) سبع مجلدات.

وكل هذه التصانيف ما عدا كتاب (الإيمان) كتبه وهو بمصر في مدة سبع سنين صنفها في السجن. وكتب معها أكثر من مائة لفة ورق أيضًا، كتاب (درء تعارض العقل والنقل) أربع مجلدات كبار. والجواب عما أورده للشيخ كمال الدين ابن الشربشي على هذا الكتاب، نحو مجلد كتاب (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) أربع مجلدات (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) مجلدان (شرح أول المحصل للرازي) مجلد (شرح بضعة عشر مسألة من الأربعين للرازي)

مجلدان (الرد على المنطق) مجلد كبير (الرد على البكري في مسألة الاستغاثة) مجلد (الرد على أهل كسروان الروافض) مجلدان (الصفدية)، جواب من قال: إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية مجلد (الهلاونية) مجلد (شرح عقيدة الأصبهاني) مجلد (شرح العمدة) للشيخ موفق الدين. كتب منه نحو أربع مجلدات (تعليقة على المحرر) في الفقه لجده عدة مجلدات (الصارم المساول على شاتم الرسول) مجلد (بيان الدليل على بطلان التحليل) مجلد (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) مجلد (التحرير في مسألة حفير) مجلد في مسألة من القسمة، كتبها اعتراضًا على الخوى في حادثة حكم فيها (الرد الكبير على من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق) ثلاث مجلدات، كتاب (تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان) مجلد كبير (الرد على الأخنائي في مسألة الزيارة) مجلد. وأما القواعد المتوسطة والصغار وأجوبة الفتاوي: فلا يمكن الإحاطة بها، لكثرتها وانتشارها وتفرقها. ومن أشهرها (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) مجلد لطيف (الفرقان بين الحق والبطلان) مجلد لطيف (الفرقان بين الطلاق والأيمان) مجلد لطيف (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) مجلد لطيف (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) مجلد لطيف.

السبب في إكثاره في الأصول:

قال الحافظ أبو حفص عمر بن علي البزار المتوفى سنة ٧٤٩-تلميذ شيخ الإسلام: "ولقد أكثر ﷺ التصنيف في الأصول فضلا عن غيره من بقية العلوم فسألته عن سبب ذلك والتمست منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته ليكون عمدة في الإفتاء. فقال لي ما معناه: الفروع أمرها قريب، فإذا قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقن خطأه. وأما الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية، والقدرية والنصيرية والجهمية والحلولية والمعطلة، والمجسمة والمشبهة والراوندية والكلابية والسلمية وغيرهم من أهل البدع قد تجاذبوا فيها، بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيرًا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية، الظاهرة على كل دين، العلية. وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضًا عن الكتاب والسنة، مقبلا على مقولاتهم

إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه أو اعتقاده. فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حجتهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم. وزيف دلائلهم ذبا عن الملة الحنيفية، والسنة الصحيحة الجلية. ولا والله ما رأيت فيهم أحدًا ممن صنف في هذا الشأن، وادعى علو المقام، إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام. وسبب ذلك إغضاؤه عن الحق الواضح المبين، وعن ما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سموها بزعمهم حكميات وعقليات، وإنما هي جهالات وضلالات، وكونه التزمها معرضًا عن غيرها أصلا ورأسًا. فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم فتخبط حتى خبط فيها خبط عشواء، ولم يفرق بين الحق والباطل، وإلا فالله أعظم لطفًا بعباده من أن لا يجعل لهم عقلا يقبل الحق ويثبته، ويبطل الباطل وينفيه. لكن عدم التوفيق وغلبة الهوى أوقع من أوقع في الضلال. وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب ميزانًا يزن به العبد الواردات فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق، وما هو من قبيل الباطل. ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى؟ هذا باطل قطعًا يشهد له كل عقل سليم، لكن ﴿**ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور**﴾[النور: ٤٠].

قال الشيخ الإمام قدس الله روحه: فهذا ونحوه هو الذي أوجب أني صرفت جل همي إلى الأصول، وألزمني أن أوردت مقالاتهم وأجبت عنها بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة العقلية والنقلية".



الفصل الأول

في ذكر منشئه وعمره ومدة عمره ﷺ وأرضاه

أما مولده فكان كما أخبرني به غير واحد من الحفاظ أنه ولد في حران في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين ثم انتقل به والده رحمه الله إلى دمشق المحروسة فنشأ بها أتم إنشاء وأزكاه وأنبته الله أحسن النبات، وأوفاه، وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة ودلائل العناية فيه واضحة، أخبرني من أثق به عن من حدثه أن الشيخ ﷺ في حال صغره كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي -كان منزله بطريقه- بمسائل يسأله عنها لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة وكان يجيبه عنها سريعًا حتى تعجب منه، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه.

ولم يزل منذ أبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد وختم القرآن صغيرًا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث.

والآثار ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية أما دواوين الإسلام الكبار: مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجه والدارقطني فإنه رحمه الله ورضي عنهم وعنه فإنه سمع كل واحد منها عدة مرات، وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين الصحيحين للإمام الحميدي وقل كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه. وكان الله قد خصه بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالبًا إلا ويبقى على خاطره أما بلفظه أو معناه وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره فإنه لم يكن له مستعارًا بل كان له شعارًا ودثارًا لم يزل آباؤه أهل الدراية التامة والنقد والقدم الراسخة في الفضل، لكن جمع الله له ما خرق بمثله العادة ووفقه في جميع أمره لإعلام السعادة وجعل مآثره لإمامته من أكبر شهادة حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا بقوله: إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين وجعله حجة على أهل عصره أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثاني
في غزارة علومه ومؤلفاته ومصنفاته وسعة نقله في فتاويه ودروسه البديهية ومنصوصاته

أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فإنه فيه من الغاية التي ينتهي إليها والنهاية التي يعول عليها.

ولقد كان إذا قرىء في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها، وكان مجلسه في وقت مقدر بقدر ربع النهار يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئًا معينًا يبيته ليستعد لتفسيره، بل كان من حضر يقرأ ما تيسر ويأخذ هو في القول على تفسيره وكان غالبا لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضي الزمن المعتاد لأورد أشياء أخر في معنى ما هو فيه من التفسير، لكن يقطع نظرًا في مصالح الحاضرين ولقد أملى في تفسير ﴿**قل هو الله أحد**﴾[الإخلاص: ١] مجلدًا كبيرًا، وقوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[طه: ٥] نحو خمس وثلاثين كراسة ولقد بلغني أنه شرع في جمع تفسير لو أتمه لبلغ خمسين مجلدًا.

أما معرفته وبصره بسنة رسول الله وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه، وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه وبقية المنقول عن الصحابة ﷺ في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خصوا به من بين الأمة فإنه كان ﷺ من أضبط الناس لذلك وأعرفهم فيه وأسرعهم استحضارًا لما يريده منه، فإنه قل أن ذكر حديثًا في مصنف أو فتوى أو استشهد به أو استدل به إلا وعزاه في أي دواوين الإسلام هو ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما وذكر اسم راويه من الصحابة وقل أن يسأل عن أثر إلا وبين في الحال حاله وحال أمره وذاكره ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغارًا وكبارًا وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث

والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها وأي موضع هو -منها كل ذلك بديهة من حفظه لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه- ونقبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغير ومن جملتها كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول.

وهذا من الفضل الذي خصه الله تعالى به ومنها ما منحه الله تعالى من معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل، وما روي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود في كل زمان ومكان، وبصره الصحيح الثاقب الصائب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه ذلك إلى الأماكن التي بها أودعوه حتى كان إذا سئل عن شيء من ذلك كأن جميع المنقول عن الرسول وأصحابه والعلماء فيه من الأولين والآخرين متصور مسطور بإزائه يقول منه ما شاء الله ويذر ما يشاء، وهذا قد اتفق عليه كل من رآه أو وقف على شيء من علمه ممن لا يغطي عقله الجهل والهوى وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرني جملة أسمائها بل هذا لا يقدر عليه غالبًا أحد لأنها كثيرة جدًا كبارًا وصغارًا وهي منشورة في البلدان فقل بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه.

فمنها ما يبلغ اثني عشر مجلدًا: تلخيص التلبيس على أساس التقديس وغيره ومنها ما يبلغ سبع مجلدات: الجمع بين العقل والنقل ومنها ما يبلغ خمس مجلدات ومنها منهاج الاستقامة والاعتدال ونحوه ومنها ما يبلغ ثلاث مجلدات: الرد على النصارى وشبهه ومنها مجلدان: نكاح المحلل وإبطال الحيل وشرح العقيدة الأصبهانية ومنها مجلد ودون ذلك وهذان القسمان من مؤلفاته فهي كثيرة جدًا لا يمكنني استقصاؤها لكن أذكر بعضها استئناسًا.

كتاب تفسير سورة الإخلاص مجلد، كتاب الكلام على قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى، كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد، كتاب الفرقان المبين بين الطلاق واليمين، كتاب الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، كتاب الكلم الطيب، كتاب إثبات الكمال، كتاب الرد على تأسيس التقديس، كتاب الجمع بين العقل والنقل، كتاب

نقض أقوال المبتدعين، كتاب الرد على النصارى، كتاب منهاج الاستقامة، كتاب إبطال الحيل ونكاح المحلل، كتاب شرح العقيدة الأصبهانية، كتاب الفتاوى، كتاب الدر الملتقط، كتاب أحكام الطلاق، كتاب الرسالة، كتاب اعتقاد الفرقة الناجية، كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام، كتاب تقرير مسائل التوحيد، كتاب الاستغاثة والتوسل، كتاب المسائل الحموية، كتاب المسائل الجزرية، كتاب المسائل المفردة، ولا يليق هذا المختصر بأكثر من هذا القدر من مؤلفاته وإلا فيمكن تعداد ما ينيف على المائتين لكن لم نر الإطالة بذكره وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن أقدر على إحصائها لكن دون بمصر منها على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدًا وهذا ظاهر مشهور وجمع أصحابه أكثر من أربعين ألف مسألة، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كتب وقد لا يقدر مع ذلك على إبراز مثله، أخبرني الشيخ الصالح تاج الدين محمد المعروف بابن الدوري أنه حضر مجلس الشيخ ﵁ وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر قد نظمها شعرًا في ثمانية أبيات فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة، وأنشأ يكتب جوابها وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرًا فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه، وإذا هو نظم في بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتًا وقد أبرز فيها من العلوم ما لو شرح بشرح لجاء شرحه مجلدين كبيرين هذا من جملة بواهره وكم من جواب فتوى لم يسبق إلى مثله، وأما ذكر دروسه فقد كنت في حال إقامتي بدمشق لا أفوتها وكان لا يهيئ شيئًا من العلم ليلقيه ويورده بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ﷺ على صفة مستحسنة مستعذبة لم أسمعها من غيره، ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ونصر بعضها وتبين صحته أو تزييف بعضها وإيضاح حجته واستشهاد بأشعار العرب، وربما ذكر اسم ناظمها وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ويفيض كما يفيض البحر ويصير منذ يتكلم إلى أن يفرغ كالغائب عن الحاضرين مغمضًا عينيه.

وذلك كله مع عدم فكر فيه أو روية من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن بل

فيض إلهي حتى يبهر كل سامع وناظر، فلا يزال كذلك إلى أن يصمت وكنت أراه حينئذ كأنه قد صار بحضرة من يشغله عن غيره ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الأبصار والعقول.

وكان لا يذكر رسول الله قط إلا ويصلي ويسلم عليه ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه حتى إذا كان ورد شيئًا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديثه يعمل به ويقضي ويفتي بمقتضاه ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنًا من كان، وقال ﷺ: كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله، وكان إذا فرغ من درسه يفتح عينيه ويقبل على الناس بوجه طلق بشيش وخلق دمث كأنه قد لقيهم حينئذ وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال، ولقد كان درسه الذي يورده حينئذ قدر عدة كراريس وهذا الذي ذكرته من أحوال درسه أمر مشهور يوافقني عليه كل حاضر بها وهم بحمد الله خلق كثير لم يحصر عددهم علماء ورؤساء وفضلاء من القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء وغيرهم من عوام المسلمين.

الفصل الثالث
في ذكر معرفته بأنواع أجناس المذكور والمقول والمنقول والمتصور والمفهوم والمعقول

أما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه فإنه في ذلك من الجبال التي لا ترتقي ذروتها ولا ينال سنامها، قل أن ذكر له قول إلا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله وأثره أو راويه إلا وقد عرف حاله من جرح وتعديل بإجمال وتفصيل، حكى من يوثق بنقله أنه كان يومًا بمجلس ومحدث يقرأ عليه بعض الكتب الحديثة وكان سريع القراءة فعارضه الشيخ في اسم رجل في سند الحديث قد ذكره القارئ بسرعة فذكر الشيخ أن اسمه فلان بخلاف ما قرأ فاعتبروه فوجدوه كما قال الشيخ، فانظر إلى هذا الإدراك السريع والتنبيه الدقيق العجيب ولا يقدر على مثله إلا من اشتدت معرفته وقوي ضبطه.

وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه به من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية وإبراز الدلائل منها على المسائل وتبين مفهوم اللفظ ومنطوقه وإيضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق.

والناسخ للمنسوخ وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتب عليها وما يحتاج فيه إليها، حتى كان إذا ذكر آية أو حديثًا وبين معانيه وما أريد به أعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه، ولقد سئل يومًا عن الحديث: «**لعن الله المحلل والمحلل له**» فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلدًا كبيرًا.

وقل أن كان يذكر له حديث أو حكم فيشاء أن يتكلم عليه يومه أجمع إلا فعل أو يقرأ بحضرته آية من كتاب الله تعالى ويشرع في تفسيرها إلا وقطع المجلس كله فيها.

وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم وأهل الأهواء في أهوائهم وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم وتزييف أمثالهم وإشكالهم وإظهار عوارهم وانتحالهم وتبديد شملهم وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية بما منحه الله تعالى به من البصائر

الرحمانية والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية، حتى ينكشف قناع الحق وبان بما جمعه في ذلك ألفة الكذب من الصدق حتى لو أن أصحابها أحياء ووفقوا لغير الشقاء لأذعنوا له بالتصديق ودخلوا في الدين العتيق.

ولقد وجب على كل من وقف عليها وفهم ما لديها أن يحمد الله تعالى على حسن توفيقه هذا الإمام لنصر الحق بالبراهين الواضحة العظام.

حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لإصابة الثواب وتمييز القشر من اللباب أن كلاً منهم لم يزل حائرًا في تجاذب أقوال الأصوليين ومعقولاتهم، وأنه لم يستقر في قلبه منها قول ولم يبن له من مضمونها حق بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل وجلها ممعن بتكلف الأدلة والتعليل، وأنه كان خائفًا على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل حتى من الله تعالى عليه بمطالعته مؤلفات هذا الإمام أحمد ابن تيمية شيخ الإسلام وما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام فما هو إلا أن وقف عليها وفهمها فرآها موافقة للعقل السليم، وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك وظفر بالمرام.

ومن أراد اختبار صحة ما قلته فليقف بعين الإنصاف العرية عن الحسد والانحراف -إن شاء- على مختصراته في هذا الشأن كشرح الأصبهانية ونحوها وإن شاء على مطولاته: تخليص التلبيس من تأسيس التقديس والموافقة بين العقل والنقل ومنهاج الاستقامة والاعتدال، فإنه والله يظفر بالحق والبيان ويستمسك بأوضح برهان ويزن حينئذ في ذلك بأصح ميزان.

ولقد أكثر ﷺ التصنيف في الأصول فضلاً عن غيره من بقية العلوم فسألته عن سبب ذلك والتمست منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته؛ ليكون عمدة في الإفتاء فقال لي ما معناه: الفروع أمرها قريب ومن قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه، وأما الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة والقائلين بوحدة الوجود والدهرية والقدرية والنصيرية والجهمية والحلولية والمعطلة والمجسمة والمشبهة والراوندية والكلابية والسليمية وغيرهم من أهل البدع قد تجاذبوا فيها بأزمة

الضلال، وبان لي أن كثيرًا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضًا عن الكتاب والسنة مقبلاً على مقالاتهم إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده.

فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حجتهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهم ذبًا عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية.

ولا والله ما رأيت فيهم أحدًا ممن صنف في هذا الشأن وادعى علوم المقام إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام، وسبب ذلك إعراضه عن الحق الواضح المبين وعن ما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سموها بزعمهم حكميات وعقليات، وإنما هي جهالات وضلالات وكونه التزمها معرضًا عن غيرها أصلاً ورأسًا فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم فتخبط حتى خبط فيها عشوا، ولم يفرق بين الحق والباطل وإلا فالله أعظم لطفًا بعباده أن لا يجعل لهم عقلاً يقبل الحق ويثبته ويبطل الباطل وينفيه لكن عدم التوفيق وغلبة الهوى أوقع من أوقع في الضلال، وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب ميزانًا يزن به العبد الواردات فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل ولم يقع التكليف إلا مع وجوده فكيف يقال: إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى هذا باطل قطعًا يشهد له كل عقل سليم لكن ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور. قال الشيخ الإمام قدس الله روحه: فهذا ونحوه هو الذي أوجب أني صرفت جل همي إلى الأصول وألزمني أن أوردت مقالاتهم وأجبت عنها بما انعم الله تعالى به من الأجوبة النقلية والعقلية.

قلت وقد أبان بحمد الله تعالى فيما ألف فيها لكل بصير الحق من الباطل وأعانه بتوفيقه حتى رد عليهم بدعهم وآراءهم وخدعهم وأهواءهم، مع الدلائل النقلية بالطريقة العقلية حتى يجيب عن كل شبهة من شبههم بعدة أجوبة جلية واضحة يعقلها كل ذي عقل صحيح ويشهد لصحتها كل عاقل رجيح.

فالحمد لله الذي من علينا برؤيته وصحبته فلقد جعله الله حجة على أهل هذا العصر المعرض غالب أهله عن قليله وكثيره لاشتغالهم بفاني الدنيا عما يحصل به باقي الآخرة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لكن الله ذو القوة المتين ضمن حفظ هذا الدين إلى يوم الدين وأظهره على كل دين فالحمد لله رب العالمين.

الفصل الرابع
في ذكر تعبده

أما تعبده ﷺ فإنه قل إن سمع بمثله لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يراد له لا من أهل ولا من مال، وكان في ليله متفردًا عن الناس كلهم خاليًا بربه عز وجل ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميله يمنة ويسرة وكان إذا قرأ يمد قراءته مدًا كما صح في قراءة رسول الله وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة، الفرض وكان يخفف جلوسه للتشهد الأول خفة شديدة ويجهر بالتسليمة الأولى حتى يسمع كل من حضر. فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عز وجل هو ومن حضر بما ورد من قوله: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يقبل على الجماعة ثم يأتي بالتهليلات الواردات حينئذ، ثم يسبح الله ويحمده ويكبره ثلاثًا وثلاثين ويختم المائة بالتهليل كما ورد وكذا الجماعة ثم يدعو الله تعالى له ولهم وللمسلمين أجناس ما ورد.

وكان غالب دعائه: «**اللهم انصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا، اللهم اجعلنا لك شاكرين لك ذاكرين لك أواهين لك مخبتين إليك راغبين إليك راهبين لك مطاويع، ربنا تقبل توباتنا واغسل حوباتنا وثبت حججنا واهد قلوبنا واسلل سخيمة صدورنا، يفتتحه ويختمه بالصلاة على النبي ثم يشرع في الذكر**».

وكان قد عرفت عادته لا يكلمه أحد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر فلا يزال في الذكر يسمع نفسه وربما يسمع ذكره من إلى جانبه مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة.

وكنت مدة إقامتي بدمشق ملازمه جل النهار وكثيرًا من الليل وكان يدنيني منه

حتى يجلسني إلى جانبه وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها ويقطع ذلك الوقت كله -أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس- في تكرير تلاوتها ففكرت في ذلك لم قد لزم هذه السورة دون غيرها فبان لي والله أعلم أن قصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حينئذ بين ما ورد في الأحاديث وما ذكره العلماء هل يستحب حينئذ تقديم الأذكار الواردة على تلاوة القرآن أو العكس، فرأى ﷺ أن في الفاتحة وتكرارها حينئذ جمعًا بين القولين وتحصيلاً للفضيلتين وهذا من قوة فطنته وثاقب بصيرته.

ثم إنه كان يركع، فإذا أراد سماع حديث في مكان آخر سارع إليه من فوره مع من يصحبه.

فقل أن يراه أحد ممن له بصيرة إلا وانكب على يديه يقبلهما حتى إنه كان إذا رآه أرباب المعايش يتخطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرك به وهو مع هذا يعطي كلاً منهم نصيبًا وافرًا من السلام وغيره، وإذا رأى منكرًا في طريقه أزاله أو سمع بجنازة سارع إلى الصلاة عليها أو تأسف على فواتها وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلى عليه. ثم يعود إلى مسجده فلا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه.

وكان مجلسه عامًا للكبير والصغير والجليل والحقير والحر والعبد والذكر والأنثى، قد وسع على كل من يرد عليه من الناس يرى كل منهم في نفسه أن لم يكرم أحدًا بقدره ثم يصلي المغرب ثم يتطوع بما يسره الله ثم أقرأ عليه من مؤلفاته أو غيري، فيفيدنا بالطرائف ويمدنا باللطائف حتى يصلي العشاء ثم بعدها كما كنا وكان من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هوي من الليل طويل وهو في خلال ذلك كله في النهار والليل لا يزال يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره.

وكان ﷺ كثيرًا ما يرفع طرفه إلى السماء لا يكاد يفتر من ذلك كأنه يرى شيئًا يثبته بنظره فكان هذا دأبه مدة إقامتي بحضرته.

فسبحان الله ما أقصر ما كانت يا ليتها كانت طالت ولا والله ما مر على عمري إلى الآن زمان كان أحب إلي من ذلك الحين ولا رأيتني في وقت أحسن حالاً

مني حينئذ وما كان إلا ببركة الشيخ ﷺ.

وكان في كل أسبوع يعود المرضى خصوصًا الذين بالمارستان وأخبرني غير واحد ممن لا يشك في عدالته أن جميع زمن الشيخ ينقضي على ما رأيته فأي عبادة وجهاد أفضل من ذلك! فسبحان الموفق من يشاء لما يشاء.

الفصل الخامس
في ذكر بعض ورعه

كان ﷺ في الغاية التي ينتهي إليها في الورع لأن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها عليه، فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا زراعة ولا عمارة ولا كان ناظرًا مباشرًا لمال وقف، ولم يكن يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر ولا كان مدخرًا دينارًا ولا درهمًا ولا متاعًا ولا طعامًا، وإنما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته ﷺ العلم اقتداء بسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين فإنه قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر**».

وكان ينبه العاقل بحسن الملاطفة ودقيق المخاطبة ليختار لنفسه طريقتهم ويسلك سبيلهم وإن كان دونها من الطريق من اتخاذ المباحات جائز لكن العاقل يدله عقله على طلب الأعلى.

فانظر بعين الإنصاف إلى ما وفق له هذا الإمام وأجرى عليه ما أقعد عنه غيره وخذل عن طلبه لكن لكل شيء سبب، وعلامة عدم التوفيق سلب الأسباب ومن أعظم الأسباب لترك فضول الدنيا والتخلي عن غير الضروري منها.

فلما وفق الله هذا الإمام لرفض غير الضروري منها انصبت عليه العواطف الإلهية فحصل بها كل فضيلة جليلة بخلاف غيره من علماء الدنيا مختاريها وطالبيها والساعين لتحصيلها، فإنهم لما اختاروا ملاذها وزينتها ورئاستها انسدت عليهم غالبًا طرق الرشاد فوقعوا في شركها يخبطون خبط عشواء ويحطبونها كحاطب ليل لا يبالون ما يأكلون ولا ما يلبسون ولا ما يتأولون ما يحصل لهم أغراضهم الدنيئة ومقاصدهم الخبيثة الخسيسة فهم متعاضدون على طلبها يتحاسدون بسببها، أجسامهم مليئة وقلوبهم من غيرها فارغة وظواهرهم مزخرفة معمورة وقلوبهم خربة مأسورة، ولم يكفهم ما هم عليه حتى أصبحوا قالين رافضها معادين باغضها.

ولما رأوا هذا الإمام عالم الآخرة تاركًا لما هم عليه من تحصيل الحطام من الشبه الحرام رافضًا الفضل المباح فضلاً عن الحرام، تحققوا أن أحواله تفضح أحوالهم

وتوضح خفي أفعالهم وأخذتهم الغيرة النفسانية على صفاتهم الشيطانية المباينة لصفاته الروحانية.

فحرصوا على الفتك به أين ما وجدوه ونسوا أنهم ثعالب وهو أسد فحماه الله تعالى منهم بحراسته، وصنع له غير مرة كما صنع لخاصته وحفظه مدة حياته وحماه ونشر له عند وفاته علمًا في الأقطار بما والاه.

الفصل السادس
في ذكر بعض زهده وتجرده وتقاعده عن الدنيا وتبعده

أما زهده في الدنيا ومتاعها فإن الله تعالى جعل ذلك له شعارًا من صغره. حدثني من أثق به عن شيخه الذي علمه القرآن المجيد قال: قال لي أبوه وهو صبي "يعني الشيخ" أحب إليك أن توصيه وتعده بأنك إن لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كل شهر أربعين درهمًا. قال: ودفع إلي أربعين درهمًا، وقال: أعطه إياها فإنه صغير وربما يفرح بها فيزداد حرصه في الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه وقل له: لك في كل شهر مثلها. فامتنع من قبولها وقال: يا سيدي إني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجرًا، ولم يأخذها. فرأيت أن هذا لا يقع من صبي إلا لما لله فيه من العناية.

قلت: وصدق شيخه فإن عناية الله هي التي أوصلته إلى ما وصل من كل خير من صغره لا من كبره.

ولقد اتفق كل من رآه خصوصًا من أطال ملازمته أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا حتى لقد صار ذلك مشهورًا بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها، بل لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ: من كان أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة، لقال ما سمعت بمثل ابن تيمية رحمة الله عليه وما اشتهر له ذلك إلا لمبالغته فيه مع تصحيح النية وإلا فمن رأينا من العلماء قنع من الدنيا بمثل ما قنع هو منها أو رضي بمثل حالته التي كان عليها؟ لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء ولا سرية حوراء ولا دار قوراء ولا مماليك جوار ولا بساتين ولا عقار، ولا شد على دينار ولا درهم ولا رغب في دواب ولا نعم ولا ثياب ناعمة فاخرة ولا حشم، ولا زاحم في طلب الرئاسات ولا رئي ساعيًا في تحصيل المباحات مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره خاضعين لقوله وفعله وأدين أن يتقربوا إلى قلبه، مهما أمكنهم مظهرين لإجلاله أو أن يؤهل كلا منهم في بذل ماله.

فأين حاله هذه من أحوال بعض المنتسبين إلى العلم وليسوا من أهله ممن قد أغراه الشيطان بالوقيعة فيه بقوله وفعله. أترى ما نظروا ببصائرهم إلى صفاتهم

وصفاته وسماته وسماته، وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها وتحاشدهم في الاستكثار منها، ومبالغته في الهرب منها وخدمتهم الأمراء واختلافهم إلى أبوابهم وذل الأمراء بين يديه وعدم اكتراثه بكبرائهم وأترابهم ومداجاتهم وإظهار تعبداتهم وصدعه إياهم بالحق وقوة جأشه في محاورتهم بلى والله، ولكن قتلتهم الحالقة؛ حالقة الدين لا حالقة الشعر، وغطى على أحلامهم حب الدنيا السارقة؛ سارقة العقل لا سارقة البدن حتى أصبحوا قاطعين من يأتيهم في طلبها واصلين من واصلهم في جلبها.

الفصل السابع
في إيثاره مع فقره وتواضعه

كان رضي الله عنه مع شدة تركه للدنيا ورفضه لها وفقره فيها وتقلله منها مؤثرًا بما عساه يجده منها قليلاً كان أو كثيرًا جليلاً أو حقيرًا، لا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدق به ولا الكثير فيصرفه النظر إليه عن الإسعاف به، فقد كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئًا نزع بعض ثيابه المحتاج إليه فيصل به الفقير، وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف و الرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه وربما خبأهما في كمه ويمضي ونحن معه لسماع الحديث، فيراه بعضنا وقد دفعه إلى الفقير مستخفيا يحرص أن لا يراه أحد. وكان إذا ورد عليه فقير وآثر المقام عنده يؤثره عند الأكل بأكثر قوته الذي جعل برسمه.

حدثني الشيخ الصالح العارف زين الدين علي الواسطي ما معناه أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة. قال: فكان قوتنا في غالبها أنه كان في بكرة النهار يأتيني ومعه قرص قدره نصف رطل خبزًا بالعراقي فيكسره بيده لقمًا ونأكل منه أنا وهو جميعًا، ثم يرفع يده قبلي ولا يرفع باقي القرص من بين يدي حتى أشبع بحيث إني لا أحتاج إلى الطعام إلى الليل وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ. ثم يبقى إلى بعد العشاء الآخرة حتى يفرغ من جميع عوائده التي يفيد الناس بها في كل يوم من أصناف القرب فيؤتي بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقي، وكنت أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل حتى إني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله وكان هذا دأبنا في غالب مدة إقامتي عنده. وما رأيت نفسي أغنى منها في تلك المدة ولا رأيتني أفقرهما مني فيها.

وحكى غير واحد ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار وتفقد المحتاجين والغرباء ورقيقي الحال من الفقهاء والقراء واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم، بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله ووجهه وجاهه.

وأما تواضعه فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير

الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء حتى إنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبرًا لقلبه وتقربًا بذلك إلى ربه.

وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه كبيرًا كان أو صغيرًا رجلاً أو امرأة حرًا أو عبدًا عالمًا أو عاميًا حاضرًا أو باديًا، ولا يجبهه ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط.

وكان يلزم التواضع في حضوره من الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه ومجلس غيره. ولقد بالغ معي في حال إقامتي بحضرته في التواضع والإكرام حتى إنه لا يذكرني باسمي بل يلقبني بأحسن الألقاب ويظهر لي خصوصًا بين أصحابي من الإكرام والتبجيل والإدناء منه، بحيث لا يتركني أجلس إلا إلى جانبه قصيرًا كان مجلسه أو طويلاً خاصًا أو عامًا، ولازمني في حال قراءتي صحيح البخاري وكان قصدي قراءته على رواية منفردًا لاستصغاري نفسي عن القراءة هناك بمحضر من الناس، ولقصدي تعجيل فراغي منه انتهازًا للفرصة وخوفًا من فوات ذلك الشيخ الراوي لكونه تفرد بروايته سماعًا على أصحاب أبي الوقت السجزي.

فلما سمع الشيخ بذلك ألزمني قراءته بمجمع كثير من الناس رجالاً ونساء وصبيانًا. وقال ما ينبغي إلا على صفة يكون نفعها متعديا إلى المسلمين، فتجرد لي بحيث حصل لي مرادي وفوقه من تحصيل قراءتي له في عشرين مجلسًا متوالية لم يتخللها سوى الجمعة، ولازمني فيها وحضر القراءة كلها يضبطها بنسخة كانت بيده هي أصل ابن ناصر الحافظ يعارض بها نسخة القراءة وكانت أصل الشيخ المسمى.

وأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع بحيث إنه كان إذا خرجنا من منـــزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يدع أحدًا منا يحملها عنه وكنت أعتذر إليه من ذلك خوفا من سوء الأدب، فيقول: لو حملته على رأسي لكان ينبغي، ألا أحمل ما فيه كلام رسول الله؟

وكان يجلس تحت الكرسي ويدع صدر المجالس حتى إني لأستحي من مجلسه هناك وأعجب من شدة تواضعه ومبالغته في إكرامي بما لا أستحق ورفعي عليه في المجلس، ولولا قراءتي حديث رسول الله وعظم حرمتها لما كان ينبغي لي ذلك.

وكان هذا حاله في التواضع والتنازل والإكرام لكل من يرد عليه أو يصحبه أو يلقاه حتى إن كل من لقيه يحكي عنه من المبالغة في التواضع نحوًا مما حكيته وأكثر من ذلك. فسبحان من وفقه وأعطاه وأجراه على خلال الخير وحباه.

الفصل الثامن
في هيئته ولباسه

كان ﷺ متوسطًا في لباسه وهيئته لا يلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر إليه، ولا أطمارًا ولا غليظة تشهر حال لابسها ويميز من عامة الناس بصفة خاصة يراه الناس فيها من عالم وعابد، بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطهم ولم يكن يلزم نوعًا واحدًا من اللباس، فلا يلبس غيره بل كان يلبس ما اتفق وحصل ويأكل ما حضر. وكانت بذاذة الإيمان عليه ظاهرة لا يرى متصنعًا في عمامة ولا لباس ولا مشية ولا قيام ولا جلوس ولا يتهيأ لأحد يلقاه ولا لمن يرد عليه من بلد.

ومن العجب أني كنت قد رأيته قبل لقيه بمدة فيما يرى النائم ونحن جلوس نأكل طعامًا على صفة معينة، فحال لقيتي له ودخولي عليه وجدته يأكل مثل ذلك الطعام على نحو من الصفة التي رأيت فأجلسني وأكلنا جميعًا كما رأيت في المنام.

وأخبرني غير واحد أنه ما رآه ولا سمع أنه طلب طعامًا قط ولا غداء ولا عشاء ولو بقي مهما بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل، بل كان يؤتى بالطعام وربما يترك عنده زمانًا حتى يلتفت إليه، وإذا أكل أكل شيئا يسيرًا، قال: وما رأيناه يذكر شيئا من ملاذ الدنيا ونعيمها ولا كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها، بل جعل همته وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى.

وهكذا كان في لباسه لم يسمع أنه أمر أن يتخذ له ثوب بعينه بل كان أهله يأتون بلباسه وقت علمهم باحتياجه إلى بدل ثيابه التي عليه، وربما بقيت عليه مدة حتى تتسخ ولا يأمر بغسلها حتى يكون أهله هم الذين يسألونه ذلك.

وأخبر أخوه الذي كان ينظر في مصالحه الدنيوية أن هذا حاله في طعامه وشرابه ولباسه وما يحتاج إليه مما لا بد منه من أمور الدنيا، وما رأيت أحدًا كان أشد تعظيما للشيخ من أخيه هذا (أعني القائم بأوده) وكان يجلس بحضرته كأن على رأسه الطير وكان يهابه كما يهاب سلطانًا، وكنا نعجب منه في ذلك ونقول: من العرف والعادة أن أهل الرجل لا يحتشمونه كالأجانب، بل يكون انبساطهم معه فضلاً عن الأجنبي ونحن نراك مع الشيخ كتلميذ مبالغ في احتشامه واحترامه، فيقول: إني أرى منه أشياء لا يراها غيري أوجبت علي أن أكون معه كما ترون. وكان يسأل عن ذلك فلا يذكر منه شيئًا لما يعلم من عدم إيثار الشيخ لذلك.

الفصل التاسع
في ذكر بعض كراماته وفراسته

أخبرني غير واحد من الثقات ببعض ما شاهده من كراماته وأنا أذكر بعضها على سبيل الاختصار وأبدأ من ذلك ببعض ما شاهدته.

فمنها اثنين جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل، وطال كلامنا فيها وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ وما يرجحه من القول فيها، ثم إن الشيخ ﷺ حضر فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسأله ويذكر أقوال العلماء، ثم يرجح منها ما يرجحه الدليل حتى أتى على آخر ما أردنا أن نسأله عنه وبين لنا ما قصدنا أن نستعلمه منه، فبقيت أنا وصاحبي ومن حضرنا أولاً مبهوتين متعجبين مما كاشفنا به وأظهره الله عليه مما كان في خواطرنا.

وكنت في خلال الأيام التي صحبته فيها إذا بحث مسألة يحضر لي إيراد فما يستتم خاطري به حتى يشرع فيورده ويذكر الجواب من عدة وجوه.

وحدثني الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن الحريمي أنه سافر إلى دمشق قال: فاتفق أنى لما قدمتها لم يكن معي شيء من النفقة البتة وأنا لا أعرف أحدًا من أهلها، فجعلت أمشي في زقاق منها كالحائر فإذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعًا فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم صالحة، وقال: لي أنفق هذه الآن وخلي خاطرك مما أنت فيه فإن الله لا يضيعك ثم رد على أثره كأنه ما جاء إلا من أجلي فدعوت له وفرحت بذلك، وقلت لبعض من رأيته من الناس: من هذا الشيخ؟ فقال: وكأنك لا تعرفه هذا ابن تيمية لي مدة طويلة لم أره اجتاز بهذا الدرب.

وكان جل قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه فتحققت أن الله أظهره علي وعلى حالي فما احتجت بعدها إلى أحد مدة إقامتي بدمشق، بل فتح الله علي من حيث لا أحتسب واستدللت فيما بعد عليه وقصدت زيارته والسلام عليه، فكان يكرمني ويسألني عن حالي فأحمد الله تعالى إليه.

وحدثني الشيخ العالم المقرئ تقي الدين عبد الله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد ابن سعيد قال: سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيمًا بها فاتفق أني قدمتها

ليلاً وأنا مثقل مريض، فأنزلت في بعض الأمكنة فلم ألبث أن سمعت من ينادي باسمي وكنيتي فأجبته وأنا ضعيف فدخل إلي جماعة من أصحاب الشيخ ممن كنت قد اجتمعت ببعضهم في دمشق، فقلت: كيف عرفتم بقدومي وأنا قدمت هذه الساعة؟ فذكروا أن الشيخ أخبرنا بأنك قدمت وأنت مريض وأمرنا أن نسرع بنقلك وما رأينا أحدًا جاء ولا أخبرنا بشيء، فعلمت أن ذلك من كرامات الشيخ ﷺ.

وحدثني أيضًا قال: مرضت بدمشق -إذ كنت فيها- مرضة شديدة منعتني حتى من الجلوس فلم أشعر إلا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل مشتد بالحمى والمرض فدعا لي وقال: جاءت العافية، فما هو إلا أن فارقني وجاءت العافية وشفيت من وقتي وحدثني قال: كنت قد استكتبت شعرًا لبعض من انحرف عن الحق في الشيخ قد تنقصه فيه. وكان سبب قول ذلك الشعر أنه نسب إلى قائله شعر وكلام يدل على الرفض، فأخذ الرجل وأثبت ذلك عليه في وجهه عند حاكم من حكام الشرع المطهر فأمر به فشهر حاله بين الناس فتوهم أن الذي كان سبب ذلك الشيخ فحمله ذلك على أن قال فيه ذلك الشعر، وبقي عندي وكنت ربما أورد بعضه في بعض الأحيان فوقعت في عدة أشياء من المكروه والخوف متواترة، ولولا لطف الله تعالى بي فيها لأتت على نفسي فنظرت من أين دهيت فلم أر لذلك سببًا إلا إيرادي لبعض ذلك الشعر فعاهدت الله أن لا أتفوه بشيء منه فزال عني أكثر ما كنت فيه من المكاره وبقي بعضه وكان ذلك الشعر عندي فأخذته وحرقته وغسلته حتى لم يبق له أثر واستغفرت الله تعالى من ذلك، فأذهب الله عني جميع ما كنت فيه من المكروه والخوف وأبدلني الله به عكسه ولم أزل بعد ذلك في خير وعافية، ورأيت ذلك حالاً من أحوال الشيخ ومن كرامته على الله تعالى.

وحدثني أيضًا قال: أخبرني الشيخ ابن عماد الدين المقرئ المطرز قال: قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا، فلما كان بعد أيام ونفدت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه فمنعني وأجلسني دونهم فلما خلا المجلس دفع إلي جملة دراهم وقال: أنت الآن بغير نفقة فارتفق بهذه فعجبت من ذلك وعلمت أن الله كشفه على حالي أولاً لما كان معي نفقة وآخرًا لما نفدت واحتجت إلى نفقة.

وحدثني من لا أتهمه أن الشيخ ﷺ حين نزل المغل بالشام لأخذ دمشق وغيرها رجف أهلها وخافوا خوفًا شديدًا، وجاء إليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين فتوجه إلى الله ثم قال: أبشروا فإن الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثالثة حتى ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض.

قال الذي حدثني: فوالذي نفسي بيده -أو كما حلف- ما مضى إلا ثلاث مثل قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض.

وحدثني الشيخ الصالح الورع عثمان بن أحمد بن عيسى النساج أن الشيخ ﷺ كان يعود المرضى بالبيمارستان بدمشق في كل أسبوع فجاء على عادته فعادهم فوصل إلى شاب منهم فدعا له فشفي سريعًا، وجاء إلى الشيخ يقصد السلام عليه فلما رآه هش له وأدناه ثم دفع إليه نفقة وقال: قد شفاك الله فعاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك أربعًا ضيعة وتقيم هاهنا؟ فقبل يده وقال: يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك وقال: الفتى وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهم بلا نفقة ولم يكن قد عرف بحالي أحد من أهل دمشق.

وحدثني من أثق به أن الشيخ ﷺ أخبر عن بعض القضاة أنه قد مضى متوجهًا إلى مصر المحروسة ليقلد القضاء وأنه سمعه يقول: حال ما أصل إلى البلد قاضيًا أحكم بقتل فلان رجل معين من فضلاء أهل العلم والدين قد أجمع الناس على علمه وزهده وورعه، ولكن حصل في قلب القاضي منه من الشحناء والعداوة ما صوب له الحكم بقتله، فعظم ذلك على من سمعه خوفًا من وقوع ما عزم عليه من القتل لمثل هذا الرجل الصالح وحذرًا على القاضي أن يوقعه الهوى والشيطان في ذلك فيلقى الله متلبسًا بدم حرام وفتك بمسلم معصوم الدم بيقين، وكرهوا وقوع مثل ذلك لما فيه من عظيم المفاسد فأبلغ الشيخ ﷺ هذا الخبر بصفته، فقال: إن الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل إلى مصرحيًا فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت فمات قبل وصولها كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ ﷺ.

قلت وكرامات الشيخ ﷺ كثيرة جدًا لا يليق بهذا المختصر أكثر من ذكر هذا القدر منها، ومن أظهر كراماته أنه ما سمع بأحد عاداه أو غض منه إلا وابتلي بعدة بلايا غالبها في دينه وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج فيه إلى شرح صفته.

الفصل العاشر
في ذكر كرمه ﷺ

كان ﷺ مجبولاً على الكرم لا يتطبعه ولا يتصنعه بل هو له سجية وقد ذكرت فيما تقدم أنه ما شد على دينار ولا درهم قط، بل كان مهما قدر على شيء من ذلك يجود به كله. وكان لا يرد من يسأله شيئا يقدر عليه من دراهم ولا دنانير ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئًا من النفقة فإن كان حينئذ متعذرًا لا يدعه يذهب بلا شيء، بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله، حدثني الشيخ العالم الفاضل المقرئ أبو محمد عبد الله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد قال: كنت يومًا جالسًا بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ فجاء إنسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجًا إلى ما يعتم به فنــزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل ذلك فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر إلى ذلك الرجل ولم يحتشم للحاضرين عنده.

قلت وربما توهم بعض من يحتاج إلى التفهيم أن هذا الفعل من الشيخ فيه إضاعة المال أو نوع من التبذل الذي يشين المروءة وليس الأمر كذلك، فإنه لم يكن عنده حينئذ معلوم غير ثيابه ورأى أن قطع غير العمامة من بقية لباسه مما يفسده ولا يحصل به المقصود، ولم يكن عليه ولا عنده حينئذ ثوب صحيح لا يحتاج إليه حتى يدفعه إليه فسارع إلى قطع ما يستغنى ببعضه عن كله فيما وضع له وهو العمامة، فنفع أخاه المسلم وسد حاجته حينئذ ببعضها واستغنى هو بباقيها. وهذا هو أكمل التصرف الصالح والرشد التام والجود المذكور المشهور والإيثار بالميسور، وأما التبذل الذي فيه نوع إسقاط المروءة فليس من هذا القبيل في شيء بل هذا من المبالغة في التواضع وعدم رؤية النفس في محل الاحتشام ورفض إرادة المرء تعظيم نفسه بحضرة الحاضرين، وهذه خصال محمودة مطلوبة شرعًا وعقلاً، وقد روي مثل ذلك عن سيد الأنام وأكمل الخلق مروءة وعقلاً وعلمًا محمد المصطفى أنه لبس يومًا شملة سوداء لها حواش بيض وخرج إلى المسجد وجماعة من المسلمين حضور فرآه إنسان فقال يا رسول الله: أعطني هذه الشملة وكان لا يمنع سائلاً يسأله فنــزعها رسول الله عن جسده المكرم ودفعها إلى ذلك الرجل، وطفق الناس يلومون ذلك

الرجل على ما فعل وكونه سأل النبي وكان محتاجًا إلى ما لبسه وقد علم أنه لا يمنع شيئًا يسأله فقال الرجل معتذرًا إليهم: إني لم أطلبها لألبسها لكن لأجعلها لي كفنًا عند موتي.

قال الراوي: فأمسكها عنده حتى كانت كفنه.

وهذا حديث مشهور قد رواه غير واحد من الحفاظ النقلة الثقات وهو من أوضح الدلائل على ما قلناه، بل أبلغ في الجود والتواضع وكسر النفس وكرم الأخلاق.

وحدثني من أثق به أن الشيخ ﷺ كان مارًا يومًا في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه فنــزع ثوبًا على جلده ودفعه إليه وقال: بعه بما تيسر وأنفقه واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة.

وهذا أيضًا من المبالغة في عدم اكتراثه في غير ما يقرب إلى الله تعالى وجوده بالميسور كائنًا ما كان وهذا من أبلغ إخلاص العمل لله عز وجل فسبحان الموفق من شاء لما شاء.

وحدثني من أثق به أن الشيخ ﷺ كان لا يرد أحدًا يسأله شيئًا كتبه بل يأمره أن يأخذ هو بنفسه ما يشاء منها.

وأخبرني أنه جاءه يومًا إنسان يسأله كتابًا ينتفع به فأمره أن يأخذ كتابًا يختاره فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفًا قد اشترى بدراهم كثيرة، فأخذه ومضى فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك فقال: أيحسن بي أن أمنعه بعد ما سأله دعه فلينتفع به.

وكان الشيخ ﷺ ينكر إنكارًا شديدًا على من يسأل شيئًا من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ويقول: ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه.

ومن كرمه أنه كان لا ينظر مع ذلك إلى جهة الملك والتمول وهذا القدر من كرمه يغني المقتدي به.

الفصل الحادي عشر
في ذكر قوة قلبه وشجاعته

كان ﷺ من أشجع الناس وأقواهم قلبًا ما رأيت أحدًا أثبت جأشًا منه ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف في الله لومة لائم، وأخبر غير واحد أن الشيخ ﷺ كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم وقطب ثباتهم، إن رأى من بعضهم هلعًا أو رقة أو جبانة شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة وبين له فضل الجهاد والمجاهدين وإنزال الله عليهم السكينة، وكان إذا ركب الخيل يتحنك ويجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان ويكبر تكبيرًا أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أمورًا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره.

ولما ظهر السلطان غازان على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشهادة ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف، فانتدب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء فقيل: هم رؤساء دمشق فأذن لهم فحضروا بين يديه. فتقدم الشيخ ﷺ أولاً فلما أن رآه أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة حتى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخزول ملك الكرج على المسلمين وضمن له أموالاً وأخبره بحرمة دماء المسلمين وذكره ووعظه فأجابه إلى ذلك طائعًا وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذراريهم وصين حريمهم.

وحدثني من أثق به عن الشيخ وجيه الدين ابن المنجا قدس الله روحه قال كنت حاضرًا مع الشيخ حينئذ فجعل "يعني الشيخ" يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان في أثناء حديثه حتى جثا على

ركبتيه وجعل يقرب منه في أثناء حديثه، حتى لقد قرب أن تلاصق ركبته ركبة السلطان والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته مصغ لما يقول شاخص إليه لا يعرض عنه وأن السلطان من شدة ما أوقع الله ما في قلبه من المحبة والهيبة سأل من يخصه من أهل حضرته من هذا الشيخ وقال ما معناه: إني لم أر مثله ولا أثبت قلبًا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقيادًا مني لأحد منه، فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل، فقال الشيخ للترجمان قل لغازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضي وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت.

وسأله إن أحببت أن أعمر لك بلد آبائك حران وتنتقل إليه ويكون برسمك فقال لا والله لا أرغب عن مهاجر إبراهيم استبدل به غيره.

فخرج من بين يديه مكرمًا معززًا قد صنع له الله بما طوى عليه نيته الصالحة من بذله نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه ما أراده، وكان ذلك أيضًا سببًا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهلهم وحفظ حريمهم وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة الجأش.

وكان يقول: لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه فإن رجلاً شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال: لو صححت لم تخف أحدًا، أي: خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك.

وأخبرني من لا أتهمه أن الشيخ ﷺ حين وشي به إلى السلطان المعظم الملك الناصر محمد أحضره بين يديه قال فكان من جملة كلامه:

إنني أخبرت أنك قد أطاعك الناس وأن في نفسك أخذ الملك، فلم يكترث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك والله إن ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسين. فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة إنك والله لصادق وإن الذي وشي بك إلي كاذب واستقر له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقى إليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان ممن ظاهر حاله للطغام العدالة وباطنه مشحون بالفسق والجهالة.

ولم يزل المبتدعون أهل الأهواء وآكلو الدنيا بالدين متعاضدين متناصرين في عدوانه باذلين وسعهم بالسعي في الفتك به متخرصين عليه بالكذب الصراح مختلقين عليه وناسبين إليه ما لم يقله ولم ينقله ولم يوجد له به خط ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى ولا سمع منه في مجلس، أتراهم ما علموا أن الله سائلهم عن ذلك ومحاسبهم عليه أو ما سمعوا قول الله تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[ق: ١٦-١٨].

بلى والله ولكن غلب عليهم ما هم فيه من إيثار الدنيا على الآخرة والعمل للعاجلة دون الآجلة فلهذا حسدوه وأبغضوه لكونه مباينهم ومخالفهم لبغضه ورفضه ما أحبوا وطلبوا ومحبته ما باينوا ورفضوا، ولما علم الله نياته ونياتهم أبى أن يظفرهم فيه بما راموا حتى إنه لم يحضر معه منهم أحد في عقد مجلس، إلا وصنع الله له ونصره عليهم بما يظهره على لسانه من دحض حججهم الواهية وكشف مكيدتهم الداهية للخاصة والعامة.

الفصل الثاني عشر
في
ذكر قوته في مرضاة الله وصبره على الشدائد واحتماله إياها وثبوته على الحق
إلى أن توفاه الله تعالى على ذلك صابرًا محتسبًا راضيًا شاكرًا

كان ﷺ من أعظم أهل عصره قوة ومقامًا وثبوتًا على الحق وتقريرًا لتحقيق توحيد الحق لا يصده عن ذلك لوم لائم ولا قول قائل، ولا يرجع عنه لحجة محتج بل كان إذا وضح له الحق يعض عليه بالنواجذ ولا يلتفت إلى مباين معاند، فاتفق غالب الناس على معاداته وجعل من عاداه قد تستروا باسم العلماء والزمرة الفاخرة وهم أبلغ الناس في الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة.

وسبب عدواتهم له أن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرئاسة وإقبال الخلق ورأوه قد رقاه الله إلى ذروة السنام من ذلك بما أوقع له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها، وهم عنها بمعزل فنصبوا عداوته وامتلأت قلوبهم بمحاسدته وأرادوا ستر ذلك عن الناس حتى لا يفطن بهم، فعمدوا إلى اختلاق الباطل والبهتان عليه والوقوع فيه خصوصًا عند الأمراء والحكام وإظهارهم الإنكار عليه ما يفتي به من الحلال والحرام، فشققوا قلوب الطغام بما اجترحوه من زور الكلام ونسوا أن لكل قول مقامًا، أي: مقام بين يدي أحكم الحكام يسأله هل قلته بحق أو بذم فيجازي المحق دار السلام والمبطل دار الانتقام. فبعضهم صبا إلى أقوالهم تقليدًا وصار في حق هذا الإمام جبارًا عنيدًا أحس بذلك من العامة قوم قد أصبحوا للحكام عبيدًا، وتصوروا أن أخذهم بزمام حصول المال يكون شديدًا فأصبحوا وهم لهم مصدقين وفي طاعتهم مستبقين.

فاجتمع من هذا التركيب العتيد بحيث عاداه أكثر السادات والعبيد كل بحسب غرضه الفاسد.

وهو مع ذلك كلما رأى تحاشدهم في مباينته وتعاضدهم في مناقضته لا يزداد إلا للحق انتصارًا ولكثرة حججه وبراهينه إلا إظهارًا.

ولقد سجن أزمانًا وأعصارًا وسنين وشهورًا ولم يولهم دبره فرارًا ولقد قصد

أعداؤه الفتك به مرارًا وأوسعوا حيلهم عليه إعلانًا وإسرارًا، فجعل الله حفظه منهم له شعارًا ودثارًا. ولقد ظنوا أن في حبسه مشينة فجعله الله له فضيلة وزينة وظهر له يوم موته ما لو رآه واده أقر به عينيه، فإن الله تعالى لعلمه بقرب أجله ألبسه الفراغ عن الخلق للقدوم على الحق أجمل حلله كونه حبس على غير جريرة ولا جريمة بل على قوة في الحق وعزيمة.

هذا مع ما نشر الله له من علومه في الآفاق وبهر بفنونه البصائر والأحداق وملأ بمحاسن مؤلفاته الصحف والأوراق، كبتًا ورغمًا للأعداء أهل البدع المضلة والأهواء وصنعًا عظيمة من رب السماء لعوائده لخاصة الأولياء أهل المحبة والولاء.

الفصل الثالث عشر
في أن الله جعله حجة في عصره ومعيارًا للحق والباطل ومريد الآجل وغير مؤثر العاجل

وهذا أمر قد اشتهر وظهر فإنه ﷺ ليس له مصنف ولا نص في مسألة ولا فتوى، إلا وقد اختار فيه ما رجحه الدليل النقلي والعقلي على غيره وتحرى قول الحق المحض فبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة، بحيث إذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة يثلج قلبه بها ويجزم بأنها الحق المبين وتراه في جميع مؤلفاته إذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد، وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفًا مع الكتاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد كائنًا من كان ولا يراقب في الأخذ بعلومهما أحدًا ولا يخاف في ذلك أميرًا ولا سلطانًا ولا سوطًا ولا سيفًا، ولا يرجع عنهما لقول أحد وهو متمسك بالعروة الوثقى واليد الطولى وعامل بقوله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾[النساء: ٥٩] وبقوله تعالى: ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾[الشورى: ١٠].

وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة متابعته للكتاب والسنة والإمعان في تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما. ولهذا لا يرى في مسألة أقوالاً للعلماء إلا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة وتحرى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول، ولما من الله عليه بذلك جعله حجة في عصره لأهله حتى إن أهل البلد البعيد عنه كانوا يرسلون إليه بالاستفتاء عن وقائعهم، ويعولون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه فيشفي غلتهم بأجوبته المسددة ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المقيدة حتى إذا وقف عليها كل محق ذو بصيرة وتقوى ممن قد وفق لترك الهوى أذعن بقبولها وبان له حق مدلولها، وإن سمع عن أحد من أهل وقته مخالفته في حقه المشهور يكون ممن قد ظهر عليه للخاصة وللعامة فعل الشرور والاشتغال بترهات الغرور، ومن أراد تحقيق ما ذكرته فليمعن النظر ببصيرته فإنه حينئذ لا يرى عالمًا من أي أهل بلد شاء موافقًا لهذا الإمام معترفًا بما منحه الله تعالى من صنوف الإلهام مثنيًا عليه في كل محفل ومقام، إلا وراءه من اتبع علماء بلده

للكتاب والسنة وأشغلهم بطلب الآخرة وأرغبهم فيها وأبلغهم في الإعراض عنها وأهملهم لها ولا يرى عالمًا مخالفًا له منحرفًا عنه ملتبسًا بالشحناء له، إلا وهو من أكبرهم نهمة في جمع الدنيا وأوسعهم حيلاً في تحصيلها وأكثرهم رياء وأطلبهم سمعة وأشهرهم عند ذي اللب أحوالاً ردية وأشدهم على ذوي الحكم والظلم دهاء ومكرًا وأبسطهم في الكذب لسانًا وإن نظر إلى محبيه ومبغضيه من العوام رآهم كما وصفت من اختلاف القبيلين الأولين.

ولقد أمعنت فكري ونظري فيما ذكرته فرأيته كما وصفته لا والله ما أتحرج في أحد منهما، ومن ارتاب في ذلك فليعتبر هو بنفسه فإنه يراه كذلك إن أزاح عنه غطاء الهوى وما كان ذلك كذلك إلا لما علم الله سبحانه من حسن طوية هذا الإمام وإخلاص قصده وبذل وسعه في طلب مرضاة ربه ومتابعة سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

الفصل الرابع عشر
في ذكر وفاته وكثرة من صلى عليه وشيعه

أخبرني غير واحد ممن كان حاضرًا بدمشق حين وفاته ﷺ قالوا: إن الشيخ قدس الله روحه مرض أيامًا يسيرة وكان إذ ذاك الكاتب شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته فأذن الشيخ له في ذلك فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه ويلتمس منه أن يحله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو غيره، فأجابه الشيخ ﷺ بأني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق. وقال ما معناه: إني قد أحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلدًا غيره معذورًا ولم يفعله لحظ نفسه، بل لما بلغه مما ظنه حقًا من مبلغه والله يعلم أنه بخلافه. وقد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه إلا من كان عدوًا لله ورسوله.

قالوا: ثم إن الشيخ ﷺ بقي إلى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة الحرام وتوفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في بكرة ذلك اليوم، وذلك من سنة ثمان وعشرين وسبع مئة وهو على حاله مجاهدًا في ذات الله تعالى صابرًا محتسبًا، لم يجبن ولم يهلع ولم يضعف ولم يتتعتع بل كان ﷺ إلى حين وفاته مشتغلاً بالله عن جميع ما سواه.

قالوا: فما هو إلا أن سمع الناس بموته فلم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه وأراده إلا حضر لذلك، وتفرغ له حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت معايشها حينئذ وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام.

قالوا: ولم يتخلف أحد من غالب الناس فيما أعلم إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم.

فغسل ﷺ وكفن.

قالوا: وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل عن

غسله حتى حصل لكل واحد منهم شيء قليل.

ثم أخرجت جنازته فما هو إلا أن رآها الناس فأكبوا عليها من كل جانب، كلٌّ منهم يقصد التبرك بها حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله إلى القبر فأحدق بها الأمراء والأجناد واجتمع الأتراك فمنعوا الناس من الزحام عليها خشية من سقوطها، وعليهم من اختناق بعضهم وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل ما يمكنهم وهم لا يزدادون إلا ازدحامًا وكثرة حتى أدخلت جامع بني أمية المحروس ظنًا منهم أنه يسع الناس فبقي كثير من الناس خارج الجامع وصلي عليه ﷺ في الجامع، ثم حمل على أيدي الكبراء والأشراف ومن حصل له ذلك من جميع الناس إلى ظاهر دمشق ووضع بأرض فسحة متسعة الأطراف وصلى عليه الناس.

قال أحدهم: وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع وكان لي مستشرف على المكان الذي صلى فيه عليه بظاهر دمشق فأحببت أن أنظر إلى الناس وكثرتهم فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت أنظر يمينًا وشمالاً ولا أرى آخرهم بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الأرض كلها.

واتفق جماعة من حضر حينئذ وشاهد الناس والمصلين عليه على أنهم يزيدون على خمسمائة ألف. وقال العارفون بالنقل والتاريخ: لم يسمع بجنازة بمثل هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

ثم حمل بعد ذلك إلى قبره فوضع وقد جاء الكاتب شمس الدين الوزير ولم يكن حاضرًا قبل ذلك فصلى عليه أيضًا ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس.

ولم ير لجنازة أحد ما رئي لجنازته من الوقار والهيبة والعظمة والجلالة وتعظيم الناس لها وتوقيرهم إياها وتفخيمهم أمر صاحبها، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل والزهادة والعبادة والإعراض عن الدنيا والاشتغال بالآخرة والفقر والإيثار والكرم والمروءة والصبر والثبات والشجاعة والفراسة والإقدام والصدع بالحق والإغلاظ على أعداء الله وأعداء رسوله والمنحرفين عن دينه والنصر لله ولرسوله ولدينه ولأهله والتواضع لأولياء الله والتذلل لهم والإكرام والإعزاز والاحترام لجنابهم، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها وشدة الرغبة في الآخرة

والمواظبة على طلبها حتى لتسمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان، وكل منهم يثني عليه بما يعلمه من ذلك.

ودفن في ذلك اليوم ﷺ أعاد علينا من بركاته.

ثم جعل الناس يتناوبون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاة وركبانًا.

وما وصل خبر موته إلى بلد فيما نعلم إلا وصلى عليه في جميع جوامعه ومجامعه خصوصًا أرض مصر والشام والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها.

وختمت له الختمات الكثيرة في الليالي والأيام في أماكن كثيرة لم يضبط عددها خصوصًا بدمشق المحروسة ومصر والعراق وتبريز والبصرة وغيرها حتى جعل كثير من الناس القراءة له ديدنًا لهم أديرت الربعة الشريفة على الناس لقراءة القرآن المجيد، وإهدائه له وظيفة معتادة، وقد رثاه كثير من الفضلاء بقصائد متعددة ولا يسع هذا المختصر ذكرها وذلك لما وجب للشيخ ﷺ عليهم من الحق في إرشادهم إلى الحق والمنهج المستقيم بالأدلة الواضحة الجلية النقلية والعقلية خصوصًا في أصول الدين فإن الله أنعم على الناس في هذا الزمان الذي قد ظهرت فيه البدع فأميتت السنن وصار أغلب أهله ممرجين في البدع والحرام من حيث لا يشعرون ومن حيث لا يعلمون.

ومن الله عليهم بما وفقه له من إيضاح أصول الدين وتبيين الحق المحض والاعتقاد العدل وإفراده عن غيره من البدع والضلالات بأمور لم يسبق إلى مثلها وإظهارها على لسانه، بما أورده من ذلك في مؤلفاته ومصنفاته وقواعده المطابقة للحق وتقريراته وما أبرزه من الحجج والبراهين الظاهرة الموافقة للمعقول والمنقول مما لم يتمكن أحد من المتكلمين والمناظرين الإتيان بمثله، وما أظهره وأورده من كثرة الدلائل العقلية بعد النقلية حتى قطع به جميع المبتدعين وكشف به عوار حجج الشاكين المشككين.

فهرس المحتويات

كتاب القول الجلي

كتاب العقود الدرية

كتاب الكواكب الدرية

كتاب الرد الوافر

كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية